

1487
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية:

رسائل أحمد باي إلى حسين باشا

(1240-1245هـ / 1826-1830م)

- دراسة وتحليل -

ياشرف:

إعداد الطالبة:

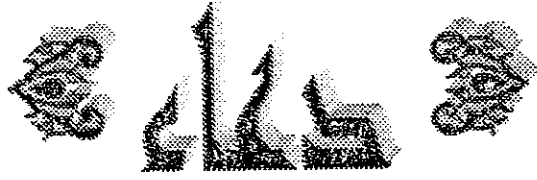
د. بنعمية عبد المجيد

دوبال خديجة

السنة الجامعية:

1427-1426هـ / 2006-2005م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



رَبِّ أَوْزِعْنِي

أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرْضَاهُ وَأَدْخِلَنِي بِرَحْمَتِكَ

فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ

إهداء

إلى من لا أرجو العيش إلا لهما، ولا تخلو لي المقام إلا بصحبتهما،

حسبي قلبي وزهرتي حياتي، والدي الكريمين؛ أهذي هذا العمل
المنازع وأرجو من الله أن يبارك لكما في عمركما وصحتكما.

لكما جزيل الشكر وخالص الامتنان على عطائكما وصبركما
وتشجيعكما لي طيلة مشواري الدراسي والذي لم أكن لأصل إلى ما
وصلت إليه دون مساعدتكما وقد عيمكما.

إلى من جمعني نهم سقف واحد واحتضنتنا صدر واحد عيونني وأحبتني

إخوتي: قرّة عيني فاطمة الزهراء، أمين، كريم، نيل، وخالد وزوجاتهم
وأولادهم.

إلى من وجدتهم بخاني في أحلك الأوقات وأشدّها رفقاء العمر

الذين تقاسموا معي تعب الحياة لسنوات طوال أدامهم الله تعالى أوفياء كما
عهدتهم.

كلمة شكر

بتوفيق من الله تعالى تمت هذه الدراسة، وبإذنه وعونه تم تدوينها، فلك الحمد مرربي

كله كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، أولاً وآخراً.

ثم الشكر الجزيل والامتنان الخالص إلى الأستاذ المشرف الدكتور عبد

المجيد بن نعمة الذي لم يأل جهداً في تقديم نفيس مساعداته وجيليل توجيهاته حتى تم

هذا البحث، كما له الشكر على صبره وحلمه معي طوال مشواري الدراسي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ بن عيسى على ما بذله من جهد في

تصحيح هذا البحث من الناحية اللغوية، ولا يفوتني أن أحيي بالمناسبة كافة أساتذة

قسم التاريخ الذين تلمذنا على أيديهم، والذين نكن لهم خالص الاحترام والتقدير

وعلى رأسهم الدكتور بن معمر والدكتور سلطاني والأستاذين الحمدي

وبوعصابة والأستاذة نمرهوني وكل أعضاء منبر مخطوطات الحضارة الإسلامية

في شمال إفريقيا.

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً من غير أن يجدوا فيه آثار إحصان

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أمانة مكتبة الحضارة الإسلامية

وكافة عمال المكتبة على خدماتهم الجليلة وحلمهم الواسع.

قائمة المختصرات

ج: الجزء

ط: الطبعة

د ط: دون طبعة

د مط: دون مطبعة

مج: المجلد

س: سنة

ع: العدد

Ibid: المرجع نفسه

N: Numéro

Op. Cit: المرجع السابق

R. A: Revue Africaine

R. A. C: Revue Algérienne et coloniale

R. H: Revue d'Histoire

R. H. C. M: Revue d'histoire et de civilization de Maghreb

R. C: Recueil de Constantine

C. C. I de Marseille: Chambre de commerce et des

industries de Marseille

۱۰۰

مقدمة

تكونت الوثائق العثمانية بالجزائر نتيجة تسجيلات مستمرة لأوامر وتعليمات وقرارات وملاحظات كانت تصدر عن حكام الإيالة وموظفي البايك، وقد ترتب عن طبيعة تكوين هذه الوثائق تداخل المعلومات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية، مما جعل الرجوع إليها أمرا مهما وذا فائدة، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها، رغم ما يترتب عن هذا التداخل من صعوبة في استخلاص المعلومات وترتيبها والانتفاع بها في الكتابة التاريخية.

وقد تأكدت أهمية هذه الوثائق بصفة خاصة من كون العهد العثماني بالجزائر تميز عموما بقلّة الإنتاج المخطوط مع توافر الوثائق الأرشيفية، هذه الأخيرة وإن كانت نادرة بالنسبة للقرن السادس عشر ميلادي، وقليلة بالنسبة للقرن السابع عشر ميلادي، إلا أنها تتميز بالكثرة والتنوع بالنسبة للقرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ميلادي.

ولقد جاءت هذه الوثائق التي هي موضوع البحث على شكل رسائل أرسلها أحمد باي قسنطينة إلى حسين باشا آخر دايات الجزائر، وقد رسمت الخطوط العامة التي كان يعيشها المجتمع القسنطيني على عهد هذا الباي.

وبهذا فدراسة هذه الوثائق تبين الأسس والعادات والتقاليد السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع القسنطيني، فاختلف مواضيعها وتنوع اهتماماتها جعل من الممكن التعرف على أحوال المجتمع في مجالاته المختلفة.

إن أهمية هذه الرسائل تكمن في طبيعة المادة التي تحتويها، وتنوع الموضوعات التي تتصل بها، والمجالات التي تتطرق لها. فهي فضلا عن كونها تهتم بالحياة السياسية والمسائل الإدارية والقضايا الشرعية، فإنها أيضا تمس الحياة الاجتماعية والثقافية للشرق الجزائري.

ومن أجل دراسة مضمون هذه الوثائق وطبيعة مادتها كان لا بد من معالجة كل جوانبها، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن محاولة كهذه سوف تواجهها العديد من

العقبات والمشاكل؛ ومن جملتها تداخل الموضوعات التي تناولتها وتتنوعها، بحيث أصبح من الصعب دراسة مجال دون مجال آخر، ولم تكمن الصعوبة في تناول هذه المجالات بقدر ما كانت في طريقة التعامل مع المعلومات الواردة فيها، إذ تميزت في كثير من الأحيان بالاختصار وعدم الدقة، مما أخل بالتوازن بين الفصول.

ومن أهم أسباب اختيار هذه الدراسة هو محاولة التعرف على مرحلة معينة من تاريخ الجزائر، اعتماداً على مصادره الأساسية، لعلها تعكس صورة واقع المجتمع القسنطيني عشية الاحتلال الفرنسي. ونظراً لأنّ هذه الرسائل كانت المصدر الأولي للعديد من المراجع العربية والأجنبية منها، ولأنّ هذه الأخيرة لم تتعمق في دراستها وتحليل ما جاء فيها، كان طموحنا من وراء هذه الدراسة بلوغ هذه الغاية.

إنّ القيمة العلمية لهذا البحث تتأكد من خلال انحصاره في فترة زمنية قصيرة لم تتعد الأربع سنوات أيّ من سنة 1240-1245هـ/1826-1830م، فصادفت بذلك فترة الأزمة الفرنسية الجزائرية، والحصار الذي فرض على كافة السواحل الجزائرية بما فيها السواحل الشرقية.

فهل استطاعت هذه الرسائل أن ترسم الخطوط العريضة والصورة الحقيقية لوضعية المجتمع القسنطيني عشية الاحتلال الفرنسي سواء كان ذلك في مجالها السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي؟ ولهذا فقد كان هذا البحث وسيلة للإجابة على هذه الإشكالية، وعلى بعض التساؤلات الأخرى ومن أهمها: كيف كانت تعيش الرعية القسنطينية التي كانت جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الجزائري عشية الاحتلال الفرنسي تحت حكم أحمد باي؟ وكيف كان يتم إدارة شؤونها؟ وإلى أي حد كان أحمد باي صارماً في إدارة شؤون البايك؟ وما السر الذي كان وراء نجاحه، خاصة وأنه تمكن من المحافظة على المنطقة تحت سلطته حتى بعد سقوط مدينة الجزائر؟

ومن أجل الإجابة على كلّ هذه التساؤلات تم الاعتماد على المنهج التحليلي الذي عن طريقه تم دراسة الأحداث التاريخية من خلال الاعتماد الأولي على مضمون الرسائل، ولم يتأت ذلك إلا باتباع خطوات أساسية: من بينها التعرف على

محتوى الوثائق ومن تم تحليل مضمونها من خلال معالجة مظاهر الحياة اليومية، وتشكل تلك الجوانب في حد ذاتها خصوصيات واقع بايلك الشرق عشية الاحتلال الفرنسي.

وقد تم الاعتماد في انجاز هذه الدراسة بالدرجة الأولى على هذه المراسلات، وعلى مجموعة أخرى من المصادر والمراجع التي من خلالها يمكن إعطاء الفهم الأحسن للمادة التاريخية المتوافرة في الرسائل.

فلقد وفرت هذه المراسلات معلومات هامة حول الأحوال الداخلية للبايلك بما فيها الأمور السياسية والإدارية والشرعية والاقتصادية وحتى الاجتماعية. وقدمت معلومات دقيقة حول الحصار الذي ضربته فرنسا على السواحل الشرقية، ومن تم معرفة الأسباب الأساسية التي أدت إلى تأزم الوضع بين السلطات الجزائرية والفرنسية. كما بينت الأساليب المستعملة في مواجهة هذا الوضع. وما قدم من جديد في هذا الجانب من تاريخ الجزائر هو معالجة الموضوع من خلال مجموعة وثائق أصلية، إذ أنّ معظم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع كانت فرنسية، وما استعمالها كان الهدف منه المقارنة والتحليل، ومن تم الخروج بنتائج تكون بعيدة عن الطرح الفرنسي المفروض في دراساتهم.

وبالرغم من أهمية المعلومات التاريخية التي قدمتها نصوص البعض من الرسائل في هذا الجانب إلا أنه لم يتم الإشارة إلى الحصار الذي ضرب على بقية السواحل الجزائرية، بما فيها سواحل مدينة الجزائر، كما لم تتطرق إلى المشاركة الفعالة للأسطول الجزائري في معركة نافرين.

هذا عن جانب العلاقات الجزائرية الفرنسية، أما فيما يخص علاقات الجزائر مع تونس فلقد وفرت البعض من هذه الرسائل معلومات قيمة حول دور الوساطة الذي لعبه بايلك الشرق في هذه العلاقات. كما بينت الموقف السلبي لحكومة تونس إثر الحصار الذي فرض على السواحل الشرقية.

ومن أجل سد بعض الفراغ وخاصة فيما تعلق بجانب العلاقات الخارجية، تم الاستفادة من مجموعة الوثائق الأرشيفية؛ مثل المراسلات التي كانت تتم بين وكيل الجزائر بتونس مع كبار موظفي السلطة، وعلى رأسهم حسين باشا؛ إذ ما يلاحظ على البعض من هذه الرسائل أنها لم تتطرق إلى ذكر أية تفاصيل حول المواضيع التي تناولتها تلك المراسلات، ومن أجل أخذ فكرة حول نوعية المواضيع التي كانت مجال الحوار والتبادل بين حكام تونس والجزائر تم الاستعانة بمجموعة من المراسلات التي تم العثور عليها في بعض ملفات الوثائق العثمانية.

أما فيما يخص المصادر التي تم الاعتماد عليها فنذكر أهمها:

تاريخ قسنطينة لصالح بن العنتري، ويعتبر مصدرا مهما وأساسيا بالنسبة لتاريخ قسنطينة وبياتها، وبإلحاحها. فمحتوى الكتاب هو سرد مختصر لتاريخ بايات قسنطينة بأسلوب الحواريات، استعرض فيه صاحبه الأحداث السياسية والعسكرية والتنظيمات الإدارية لبعض البايات.

وصاحب الكتاب معاصر لفترة أحمد باي، ولقد خصص له مكانا في كتابه هذا. وما يلاحظ عليه أنه لم يتناول سيرة أحمد باي بالطريقة التي تناول بها سير البايات الذين سبقوه على حكم البايك، فلم يذكر قائمة عماله، ولا الحملات العسكرية التي شنها لمواجهة تمرد بعض القبائل، كما لم يتناول أهم إنجازاته على شتى الأصعدة، وإنما خصص كل كلامه على الفترة الممتدة من سقوط مدينة الجزائر إلى استسلام أحمد باي. ومع هذا فإنه أفاد في ترجمة الكثير من الشخصيات المذكورة في هذه الدراسة، ومعرفة بعض الأمور التي لم توفرها المصادر والمراجع المستعملة من أجل إنجاز هذا العمل.

ثم يليها **المرآة لحمدان خوجة**. ويعتبر أيضا من المصادر الأساسية لتاريخ الجزائر. وهو في نظر أبي القاسم سعد الله أول وثيقة سياسية تاريخية كتبها أحد الجزائريين، وقدم فيها أحكامه عن النظام العثماني. فقد اشتمل كتابه على معلومات غزيرة حول الحياة الاجتماعية والإدارية أواخر العهد العثماني.

كذلك مذكرات الشريف الزهار التي تعتبر من أهم المصادر الخاصة بتاريخ الجزائر في أواخر العهد العثماني، تولى صاحب المؤلف نقابة الأشراف بعد وفاة والده. كما شغل عدة مناصب من بينها كاتب لدى أحمد باي. ومؤلفه يغلب عليه السرد التاريخي، المرتبط بالتجارب الشخصية، والملاحظات العامة عن الحياة ومجريات الأحداث.

أما مذكرات أحمد باي التي أملاها على أحد الضباط الفرنسيين سنة 1265هـ/1848م. فإنها تضم مادة تاريخية وجغرافية وشخصية هامة تلقي الضوء على حياته. وما يلاحظ على هذه المذكرات أنها تناولت الفترة الممتدة من سقوط مدينة الجزائر إلى استسلام أحمد باي.

أما فيما يخص المذكرات الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية فنذكر من أهمها: كتاب قسنطينة على أيام أحمد باي لصاحبه "سيمون شلوصر" Simon Chlosel، الذي عايش فترة أحمد باي، وقد بينت جوانب مهمة من حياة هذا الأخير وشخصيته.

ثم تأتي مذكرات شارل لصاحبها "وليام شارل" William Charles، فنصل أمريكا في الجزائر (1232-1240هـ/1816-1826م). وقد بينت مذكراته أنماط معيشة السكان ونظام الحكم.

أما فيما يخص المراجع التي تم الاعتماد عليها في إنجاز هذا العمل، فنذكر كتابات ناصر الدين سعيدوني المتعددة والمختلفة حول تاريخ الجزائر العثماني، ومن أهمها: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، والنظام المالي. وقد كانت أعماله قيمة لاعتماده على الوثائق الأرشيفية، فقد تم الاستفادة منها في العديد من الجوانب.

كما نجد كتابات أبي القاسم سعد الله المتعددة، ومن أهم مؤلفاته التي دعمت البحث نذكر: تاريخ الجزائر الثقافي بأجزائه المختلفة، والذي ساعد كثيرا في معالجة علاقة أحمد باي بفئة العلماء. وكذا كتابه محاضرات في تاريخ الجزائر الذي أفاد على تبيان جوانب مختلفة من الدراسة.

أما فيما يخص صالح فركوس في كتابه الحاج أحمد باي قسنطينة، فقد أفاد كثيرا في توضيح جانب العلاقات القائمة بين هذا الباي ومختلف فئات المجتمع، خاصة تلك التي تعلقت بعلاقاته مع كبار العائلات.

وكذلك ينبغي الإشارة إلى كتابات عبد الجليل التميمي، خاصة، كتابه: **بايك الشرق وأحمد باي**، فبالرغم من أن دراسته قد تناولت المرحلة الممتدة ما بين 1245-1252 هـ الموافق 1830-1837م، إلا أنه قدّم معلومات سادت بعض النقص في عدة جوانب من الموضوع، خاصة فيما تعلق بالقبائل والنظام الإداري المتبع على مستوى البايك.

إضافة إلى كل هذا، يجب الإشارة إلى الكتاب الموسوم بالتجارة الخارجية للشرق الجزائري لصاحبه العربي الزبيري، وقد ساعد على معرفة أمور كثيرة حول الأوضاع الاقتصادية للبايك، وبخاصة في مجال النظم المالية.

وكذلك نجد مولود قايد من خلال كتابيه تاريخ بايات قسنطينة والجزائر على العهد العثماني. فكتابه الأول ساعد على معرفة أحداث كثيرة خاصة تلك التي تعلقت بعلاقات أحمد باي مع القبائل المتمردة وبعض الشخصيات المعادية لحكمه. أما فيما يخص مرجعه الثاني فلقد دعم البحث بمعلومات حول التنظيم الإداري على العهد العثماني.

ولعل أهمها

بأما فيما يخص المراجع الأجنبية فكانت كثيرة، ومن أهمها نجد:

"تاريخ قسنطينة" "Histoire de Constantine" لـ "أرنست مارسسي" Ernest Mercier. فمحتوى الكتاب هو سرد مختصر لتاريخ بايات قسنطينة بأسلوب الحوليات، استعرض فيه صاحبه الأحداث السياسية والعسكرية والتنظيمات الإدارية لبعض البايات. ومن خلال ما ورد فيه من معلومات تاريخية استطعنا سد الكثير من الفراغ خاصة في ترجمة بعض الشخصيات غير المعروفة، وكذا في معرفة تفاصيل بعض الأحداث التاريخية التي لم يفصل فيها أحمد باي.

كذلك كتاب "الجزائر على عهد الأمير عبد القادر" "L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader" لصاحبه "مارسيل إمريت" "Marcel Emerit". وقد نشر صاحب هذا الكتاب ترجمة لخمس رسائل من المجموعة، دون عرض نصها العربي، أو تقديم دراسة وافية، أو حتى تحليل لما جاء فيها، فقد اكتفى بعرض الرسائل دون التعليق عليها أو نقدها. وبالرغم من هذا فلقد ساعد كثيرا في معرفة قيمة الرسوم التي كان يدفعها بعض القياد والشيوخ للسلطة على عهد أحمد باي. كما وفر معلومات تاريخية مهمة حول حياته وشخصه وعلاقاته مع مختلف الشخصيات والقبائل.

كما نجد "شارل فيرو" "Charles Féraud" خاصة في مرجعه "الغالة" "La Calle"، الذي نشر في آخره ترجمة لثلاث رسائل من المجموعة مع عرض نصها العربي، ولقد ذكر بأنها من أهم الوثائق التي تصف الحصار الذي فرض على السواحل الشرقية، مع أنه لم يقدم دراسة تحليلية لها، إلا أنه ساعد على فهم بعض المصطلحات، والترجمة لأهم الشخصيات الواردة في هذه الرسائل.

كذلك يجب الإشارة إلى كتاب "إحصاء مستوى المعيشة لسكان أرياف

قسنطينة" "Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919 (Essai d'histoire économique et sociale)" لصاحبه "أندرى نوشي" "Endrè Nouchi"، الذي قدم دراسة شاملة حول الأوضاع الاقتصادية للبايك، وما أضفى عليه من قيمة علمية هو اعتماد صاحبه على مجموعة من الوثائق الأرشيفية أصبغت على دراسته الكثير من الجدية والمصداقية.

أما فيما يخص المجالات فأكثر ما أفاد هذه الدراسة نذكر "المجلة الإفريقية" "Revue Africaine". وبالخصوص الأعداد الصادرة في كل من السنوات التالية: 1872-1874-1878-1899. ولقد قدمت معلومات تاريخية حول كل ما اتصل

بأحوال البايك وبخاصة السياسية منها على عهد أحمد باي.

وكذا مجلة "روكاي" "Recueil de Constantine" التي ضمت بعض أعدادها مادة تاريخية مهمة خاصة تلك التي تعلقت بالترجمة لبعض القبائل وأهم الأحداث التاريخية التي عايشتها على عهد أحمد باي. ومن أبرز كتابها حول بايلك الشرق نذكر، "شارل فيرو" "Charles Féraud" و"فايست" "Vayssette" و"أرنست مارسى" "Ernest Mercier". ومن أهم الأعداد التي دعمت البحث بمعلومات مهمة نذكر العدد الصادر سنة 1869.

أما فيما يخص المجلات والمقالات العربية فمن أهم المقالات التي دعمت هذه الدراسة تلك التي نشرها "جمال قنان" في "المجلة التاريخية" تحت عنوان "الأزمة الجزائرية"، وقد وفر هذا المقال معلومات تاريخية مهمة حول الحصار الذي فرض على السواحل الجزائرية.

كذلك يجب الإشارة إلى دور الرسائل الجامعية المستعملة في هذا البحث، فمن أهمها والتي ساعدتنا كثيرا في معرفة العديد من الجوانب نذكر: "Tribus Structures sociales et pouvoir politique dans la province de Constantine sous les Turcs" لصاحبيتها "ليلي بابس".

كما لا يفوتنا التنويه بدور الموسوعات والمعاجم المختلفة في تدعيم البحث بمعلومات مهمة، والتي كانت متصلة بمواضيع الدراسة اتصالا مباشرا.

ومن أجل إنجاز هذا العمل تم تقسيمه إلى مدخل وأربع فصول، وقد جاء هذا التقسيم بناء على أهمية المواضيع والحيز الذي أخذته في مراسلات أحمد باي.

أما المدخل فخصص للتعريف بالرسائل شكلا ومضمونا، وبكل ما اتصل بها من شخصيات بارزة، وكذا الإطار المكاني لها.

ثم كان الفصل الأول الموسوم بـ الإدارة والقضاء على عهد أحمد باي. ففي الجانب الإداري تم التطرق إلى العمل الإداري على مستوى المدينة والأوطان. أما فيما يخص الجانب القضائي فتم من خلاله عرض بعض النماذج من المسائل القضائية التي مست الطرف المدني والعسكري معا.

في حين ضم الفصل الثاني دراسة شاملة لكلّ علاقات أحمد باي الداخلية بما فيها علاقته مع الأعيان والقبائل، هذا على مستوى البايك، أمّا على مستوى الإيالة فتم عرض علاقته بالحاكم الأول في السلطة حسين باشا. ثم مع كبار موظفي الحكم وقد ترجمت هذه العلاقات في شخص يحي آغا وإبراهيم الخرناجي. كما تم التطرق بصورة مختصرة إلى علاقة أحمد باي بباي تيطري.

ثم كان الفصل الثالث الذي تم من خلاله عرض دور أحمد باي في العلاقات الجزائرية الخارجية. وكانت كلّ من فرنسا وتونس نموذجا لذلك، وهذا راجع لطبيعة المعلومات التي تناولتها الرسائل.

أمّا الفصل الرابع فلقد خصص لدراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية على عهد أحمد باي. فمن خلال العنصر الأول تم التطرق إلى وضعية الفلاحة والحرف والتجارة الداخلية على عهد هذا الباي، ودراسة مفصلة لأوجه الدخل والإنفاق على مستوى البايك ووضعية العملة الجزائرية أواخر العهد العثماني. في حين ضم العنصر الثاني من هذا الفصل التعريف بالمجتمع القسنطيني ومميزاته، وعرض مختصر لمظاهر الاحتفالات بالأعياد الدينية والمناسبات الاقتصادية والاجتماعية.

وفي الأخير كانت خاتمة البحث التي ضمت مجموعة من الاستنتاجات كانت عبارة عن حوصلة للموضوع. كما ألحقت آخر هذه الدراسة ببعض النماذج من هذه الرسائل، أيضا بعدد من الوثائق، والخرائط والرسومات البيانية المتصلة بمواضيع البحث اتصالا أساسيا.

المدخل

1- الجانب الشكلي واللغوي للرسائل:

تعدّ الوثيقة⁽¹⁾ الأرشيفية من المصادر الأساسية ومن الأصول الضرورية في الدراسات التاريخية. وقد تكونت هذه الوثائق من خلال الكتابات الرسمية أو شبه الرسمية، مثل المراسلات السياسية المتمثلة في الرسائل والتقارير⁽²⁾. ومن بين هذه الوثائق، هذه المجموعة من الرسائل⁽³⁾، وعددها ثلاثون. محصورة في إطارها الزمني ما بين 1232 و1245 هـ الموافق لسنة 1816 و1830م. أرسلت من محمد جعفر باي إلى عمر باشا، ومن منماني وأحمد باي إلى حسين باشا⁽⁴⁾.

فأخذت الرسائل في كل عصر حيزا كبيرا من الاهتمام. ومن العادة أن تقسم الرسائل إلى ديوانية وإخوانية⁽⁵⁾. وهذه المجموعة تصنف ضمن الرسائل الرسمية الديوانية، هذه الأخيرة اختصت "بمصالح الأمة وقوام الرعية" وهي بصورة عامة "تخصّ بتصرف شؤون الدولة"⁽⁶⁾. وبهذا استطاعت أن تهيمن على كل المجالات، فهي بمثابة "المرآة التي انعكست عليها هموم المجتمع"⁽⁷⁾.

في حين صنّفها الركيبي ضمن النثر السياسي فقال: "إنّ الرسائل التي كتبها أحمد

¹ الوثيقة: في اللغة العربية يُشكل الجذر الثلاثي (و ت ق) مشتركا لفظيا لمعان عديدة، ولكن الأبنية الصرفية الخاصة بمعنى الوثائق تشتق من الفعل (وثق) ماضيا- (يُوثق) حاضرا، ومصدرهما (توثيق) الذي يعني تسجيل المعلومات وتحريرها حسب طرق علمية متفق عليها. ونتاج عملية التوثيق هذه: (الوثيقة) التي يعني: ما يحكم به الأمر، ومن حيث الواقع: مستند مكتوب يستدل به لدعم حجة. وجمع وثيقة: الوثائق. ولعلّ اللفظة السائدة في اللغات الأجنبية، الإنجليزية بخاصة، المقابلة لمعنى الوثيقة هي "Document". ينظر: إدهام محمد حنش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، دار المنهاج، ط:1، 1418 هـ/1998م، ص ص: 131-132.

² التقارير: مفردة تقرير. وهو عرض للحقائق الخاصة بموضوع معين، أو مشكلة معينة، عرضا تحليليا بطريقة سلسلة مبسطة. ينظر: نزيه إعلاوي، حقلي إستراتيجية، أساسيات في اللغة العربية قواعد وتطبيق، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط:1، 1420 هـ/1999م، ص ص: 105-106. ويمثل التقرير خاصية من خصوصيات الوثائق العثمانية، وكان يمثل في تلك الحقبة من التاريخ العثماني وثيقة يحررها الحاكم بصورة مفصلة حول موضوع من الموضوعات ليقدّمها إلى الحاكم الأعلى. ينظر: المرجع السابق، ص: 142. وكلّ هذه المفاهيم قد اشتملت عليها هذه الرسائل التي يعثها أحمد باي إلى حسين باشا.

³ ما يلاحظ في هذا البحث أنّ هذه الرسائل قد أخذت عدة مصطلحات، فمرات "الرسائل" ومرات أخرى "التقارير"، و بما أنّه قد سبق إعطاء شرح مفصل لكل من مصطلح "الوثيقة" و "التقرير" و "الرسالة" فيمكن من خلال هذه الشروح المقدمة لتعليل استعمال كل هذه المصطلحات؛ فالوثائق تشمل كلّ الرسائل والتقارير. ينظر: خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين في الجزائر وتونس، د مط، د ط، ص: 281.

⁴ تم الحصول عليها من قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر. رقم المجموعة: 1642.

⁵ محمد طاهر كريم، من أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1993، ص: 165.

⁶ المرجع نفسه، ص: 165.

⁷ المرجع نفسه، ص: 176.

باي هي نماذج من النثر السياسي⁽¹⁾.

ويمكن تصنيف الرسائل التي هي محور الدراسة إلى ثلاث مجموعات:

*- المجموعة الأولى: تضم رسالة واحدة⁽²⁾، وجهت من جاقر باي⁽³⁾ إلى عمر باشا⁽⁴⁾، ومن خلالها يعلم الباشا بتوجه الخليفة إلى الجزائر ليحمل له "الدنوش الصغير"⁽⁵⁾. كما يعلمه بأنه أرسل برفقته أصحاب الرواتب من الجنود والموظفين حتى يتم مراجعتها ثم تسليمها⁽⁶⁾.

*- المجموعة الثانية: ضمت رسالتين، أرسلت من الباي محمد منماني⁽⁷⁾ إلى حسين باشا. اعتبرها أحد الفرنسيين من بين الوثائق المهمة التي تصف لنا أحوال الشرق الجزائري على عهد هذا الباي⁽⁸⁾. فالرسالة الأولى⁽⁹⁾ يعلم من خلالها

¹- محمد الركبي، تطور النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1993، ص: 44.

²- الرسالة رقم: (9) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في: 25 جمادى الثانية 1232هـ/سبتمبر 1816م.

³- جاقر باي (1229-1232هـ)/(1814-1818م): هكذا ورد اسمه في الرسالة. وهو معروف لدى معظم المؤرخين بمحمد شاكر. أصله من أزميز. دام حكمه أكثر من أربع سنوات. ينظر: محمد صالح بن العنتري، فريدة منبسة في حال دخول الأتراك بلاد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق: يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص: 81-82. ومن سلبيات حكمه أنه لم يسيطر على الجيش الذي خرج على طاعته، وعندما ازدادت الشكاوى من الرعية أمره الداوي بقتل بعض قادة الجيش، لكنه رفض، لذلك عزل. ينظر: مجهول، تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة، تحقيق: حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، د ط، ص: 39.

⁴- عمر باشا (1230-1232هـ)/(1815-1817م): كان على رأس الجيش لمدة طويلة. رفض منصب الحكم مرتين، ولكنه في المرة الثالثة لم يستطع الاعتذار. ولد في ماتلان من عائلة يونانية. قدم إلى الجزائر عن عمر يناهز 33 سنة. ترقى في سلم المراتب العسكرية بسرعة. أهم حدث تاريخي وقع على عهده، الهجوم الإنجليزي على الجزائر سنة 1232هـ/1817م. قتل خنقا سنة 1232هـ/1817م. ينظر:

Pierre Boyer, Alger à la veille de l'intervention Française, Imprimerie national S. A, Monaco, 1^{er} trimestre, 1964, PP : 94-95.

⁵- سوف يخصص لهذا الموضوع جزئية، ينظر: الفصل الرابع، المبحث الثاني، ص: (244-251).

⁶- الرسالة رقم: (9) في الترتيب العام للمجموعة.

⁷- محمد منماني (1240-1241هـ)/(1824-1826م): "تركي قديم في قسنطينة"، تولى أمر البايك وهو عجوز هرم، وكان قبل هذا قد شغل بعض المناصب من بينها: قائد جلب الغنم، وقائد الشعير ثم بعدها خليفة. لا يحسن العربية ولا يتحدثها إلا بصعوبة بالرغم من أنه عاش في قسنطينة سنوات طويلة. بعد أدائه للدنوش، وقع عليه غضب وسخط من الباشا لقلة المردود الذي حمله، فأرسل إليه شوالسا لاعتقاله في حمزة (برج بويرة) ثم اقتادوه إلى القليعة في أحواز العاصمة بمتيجة، ووضع في إقامة جبرية. عاش بعد ذلك سنوات إلى أن وافته المنية بالقليعة. ينظر: صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص: 29.

⁸- قام هذا الباحث بنشر ترجمة لها مع الحفاظ على النص العربي وذكر أن هذا الأخير هو الأصل. ينظر:

Erkament Kuran, Lettres autographes de Mohamed Manammani bey de Constantine (1824-1826), R. A. Journal des travaux de la société historique Algérienne, Alger A. Gourdon libraire-éditeur, Constantine, Amolet, Imprimeur- libraire, Paris, Challamel Ainé, Libraire, Office des publications universitaires, Alger, 18ème année, N : 8, 1874, PP : 414, 417.

⁹- الرسالة رقم: (8) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في: ربيع الثاني 1241هـ/نوفمبر 1825م.

الباشا بتوجه الخليفة⁽¹⁾ مع المحلة إلى الجزائر ومعه "لزمة الدار الكريمة"⁽²⁾.

في حين بعث بالرسالة الثانية⁽³⁾ في 5 رمضان دون ذكر السنة. وقد تمكن أحد الباحثين من وضع سنة لها، حددها بـ (1240هـ/1826م) دون ذكر الأدلة التي استند إليها في ذلك. وبهذا يكون التاريخ الكامل لها: (5 رمضان 1240هـ) / (14 أبريل 1826م). ولهذا السبب واعتمادا على ضوء ما ورد في نص الرسالة من معطيات تاريخية، كانت هناك محاولة للخروج ببعض الفقرات التي تثبت صحة ما ذهب إليه هذا الباحث.

فمن خلال نص هذه الرسالة يفهم أنّ الباي محمد منماني يشنكي من سوء وفساد سلوك وأخلاق خليفته، فصار هذا الأخير ينتهك حرمة رمضان بشربه الخمر⁽⁴⁾ على علم من العلماء والرعية⁽⁵⁾، واصفا إياه بالعبارات التالية: "انه منذ جاء من عندكم وهو في غاية الخلف والاعوجاج والفساد"^(*) وأخلاقه تفسد وتصرفاته تزداد وعدم امتثال أمرنا". وبعدما تم زجره وإنذاره فرّ هاربا من قسنطينة⁽⁶⁾. إذا فإنّ هذه الأحداث المذكورة تبين وقوعها في شهر رمضان سنة (1240هـ/1826م). كما أورد مصدرا آخر ما يؤكد صحة هذا التاريخ، فذكر بأنه عزل سنة 1240هـ/1826م وعوض بالقائد سليمان⁽⁷⁾.

*- المجموعة الثالثة: ضمت مراسلات أحمد باي، وعددها 27 رسالة. 25 منها بعثت إلى حسين باشا⁽⁸⁾، أما البقية فوجهت إلى كبار موظفي⁽⁹⁾

¹ الخليفة: هو محمود شاكر ابن شاكر باي. ظلّ يناور للحصول على منصب والده ولكنه لم يفلح. ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريف: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1982، ص: 221. ويضيف آخر أنّه تولى في بداية الأمر منصب قائد العوامي والذي اعتبر من بين المناصب المهمة. ثم ارتقى إلى مرتبة الخليفة. ينظر: Mathe et Edment. Kitab Aÿane. el Marhariba, Imprimerie orientale- Fontana- Frères, Alger, 1920, P: 20.

² الرسالة الرقم: (8) في الترتيب العام للمجموعة.

³ الرسالة رقم: (13) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ لقد وصفه حمدان خوجة بأنه رجلا "سكيرا". ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص: 221.

⁵ الرسالة السابقة.

* كان ذلك في: 7 ربيع الثاني 1241هـ الموافق لـ 19 نوفمبر 1825م.

⁶ الرسالة رقم: (13) في الترتيب العام للمجموعة.

⁷ Mathe et Edment, Op. Cit, P: 20.

⁸ هذه المجموعة مرقمة من (1) إلى (25) ما عدا رقمي: (6) و(7).

⁹ الرسالة الأولى تحمل الرقم (6) في الترتيب العام للمجموعة، وجهت إلى حمزة أغا. في حين حملت الرسالة الثانية الرقم: (7)، في الترتيب العام للمجموعة. وقد وجهت إلى إبراهيم الخرنجاني.

الإيالة الجزائرية⁽¹⁾. حدد إطارها الزمني ما بين سنة 1240/1245هـ الموافق لـ 1826/1830م.

أ- الجانب الشكلي للرسائل:

مواصفات المجلد: أثبتت بعض الوثائق التي لا تزال تحتفظ بها المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة أن السلطات كانت شديدة الحرص على العناية بوثائقها والحفاظ عليها. فكانت تجلد بجلد فاخر ومنمق يعطيها منظرا جميلا ويحميها من آثار العوامل الخارجية⁽²⁾. وهذه الرسائل التي نحن بصدد دراستها جمعت كلها في مجلد واحد، وصف بجماله وجودته، لا يظهر عليه أي نوع من التلف. بني اللون، وجد على حافظيه وفي وسطه بعض الرسومات التشكيلية (الهندسية) باللون الذهبي⁽³⁾. وما يلاحظ أيضا وجود بعض الكتابات الجانبية، فقد كتب في وسطه باللغة الفرنسية: "مجموعة رسائل مرسلّة من الحاج أحمد باي بايلك قسنطينة إلى حسين باشا قديما للجزائر".⁽⁴⁾ أمّا في آخر المجلد الذي يبدأ عكسيا -بمعنى أن الرسالة رقم (30) تبدأ بها المجموعة في حين نجد الرسالة رقم (1) يختتم بها المجلد- كتب عليه: "مهدي إلى وزير الحرب من طرف الوفي والمخلص والمطيع خديمه " ب - هيرارن " P. Herarian مع إمضائه⁽⁵⁾.

المقياس: أمّا طول المجلد فكان 45 سم، بينما وصل عرضه إلى 30 سم.

وما يثير الانتباه هي الطريقة التي كتبت بها هذه الرسائل، إذ كتب المتن في الوجه، في حين يكتب الملحق في الاتجاه المعاكس للمتن وعلى الورقة نفسها⁽⁶⁾.

¹ الإيالة: باللغة التركية "إيالت" نقلا عن العربية "إيالة" بمعنى الحكم والإدارة والسلطان. وتعتبر الإيالة في الإمبراطورية العثمانية أكبر تقسيم إداري وقد استعملت رسميا بعد عام 1000هـ/1591م. ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، مج: 5، من تأليف مجموعة من الباحثين: هوسنما، ليفي بروفنسال، ومجموعة أخرى من المؤلفين، النسخة العربية، إبراهيم زكي، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد بونس، كتاب الشعب، القاهرة، ط: 1، ص: 264. وقد استعمل هذا المصطلح في معظم المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي تناولت تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني. إلا أننا فضلنا استعمال عبارة "الجزائر على العهد العثماني".

² خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص: 287.

³ E. Fagnan, Catalogue général des manuscrits de la bibliothèque national d'Algérie, Bibliothèque national d'Algérie, P: 457.

⁴ جاء نصها باللغة الفرنسية على المجلد كما يلي: "Recueil de lettres arabes adressées par hadj Ahmed bey de la province de Constantine à Hussein ex dey d' Alger".

⁵ كتب على الورقة الأولى من المجلد باللغة الفرنسية: "Offert à S. E le ministre de la guerre par son très humble et très obéissant serviteur P. Herarian".

⁶ من أجل الإطلاع على نموذج من هذه الرسائل ينظر: الملحق الخاص بالمراسلات آخر هذه الدراسة.

المسطرة: بلغ الحيز الذي كتب عليه المتن 17 سم، في حين وصل في الملحق إلى 12 سم تقريبا. أما الأسطر فهي متلاصقة فيما بينها، تراوح عددها في المتن ما بين 11 إلى 29 سطرا، أما في الملحق فتراوحت ما بين 7 إلى 47 سطرا، إلا أنه وجدت البعض من الرسائل دون ملاحق⁽¹⁾.

مواصفات الورق: كانت الوثائق العثمانية تكتب على ورق أملس ملائم للكتابة وشديد المقاومة⁽²⁾. وهذا ما ميز الورق الذي كتبت عليه هذه الرسائل؛ بالإضافة إلى كبر حجمها. وهو من النوع الغليظ، أصفر اللون. أما طول الأوراق وعرضها فيختلف، فمرات يتراوح ما بين 40 و 43 سم، ومرات أخرى ما بين 36 إلى 38 سم. أما العرض فتراوح ما بين 20 و 28 سم.

لون المداد: كتبت كلّ الرسائل بمداد أسود، ولم يعثر على ألوان أخرى.

ب- دراسة الخط واللغة:

الخط: كانت كلّ الرسائل والوثائق الرسمية في بداية الأمر تكتب بخط "الإجازة" الذي كان يسمى سابقا بـ "التواقيع"، هذا الأخير كان الخط الرئيس المستخدم رسميا في الديوان، وفي كتابة الوثائق العثمانية، ومن هنا، يمكن القول بأنّ خط التوقيع قد انفرد تقريبا بكتابة الوثائق الرسمية⁽³⁾. ثم مع مرور السنوات وتغير أنماط الحكم في الدولة العثمانية بدأ يعمل بخط الديوان إلا أنه وجدت من الرسائل العثمانية التي كتبت بغير هذا الخط، من بينها مجموعة الرسائل التي نحن بصدد دراستها، والتي كتبت بالخط المغربي، وهذا ما أكدّه سعيدوني⁽⁴⁾.

الناسخ: أما فيما يخص النسخ الذي قام بتحرير هذه الرسائل فنجدّه هو نفسه يتكرر في كلّ الرسائل. ولم تقدم بعض الدراسات التاريخية التي تناولت سيرة أحمد باي بعض الأسماء التي امتنعت هذه الحرفة على عهده. كما لم يتناول خليفة حمّاش عند تقديمه لعرض مفصل لمجموعة الوثائق العثمانية المتواجدة في

¹ كلّ من الرسائل التالية لم تحمل ملاحق: (13-14-17) في الترتيب العام للمجموعة.

² خليفة حمّاش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص: 187.

³ إدهام حنش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، ص: 187-188.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، وركات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني)، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، ط 1، 2000، ص: 115. وقد نشر هذا الباحث وثيقة من إهداء أحمد باي وشابهت الكتابة الموجودة عليها تلك الموجودة في الرسائل.

المكتبة الوطنية ما يمكن به سد هذا الفراغ، إلا أنه ذكر في عجالة بأنه كان يتولى كتابة هذه الرسائل "خطاطون"⁽¹⁾ محترفون يخرجونها بشكل منظم وجميل، مثال ذلك الملف (1642) الذي نحن بصدد دراسته⁽²⁾.

دراسة اللغة: رغم أن لغة الحضارة الإسلامية هي اللغة العربية، إلا أنه لا يعرف الكثير من الحكام العثمانيين من كان يتقن اللغة العربية، ويستثنى منهم البعض، مثال ذلك، أحمد باي الذي كان من أم جزائرية، وأيضا لأنه اتخذ كتابا عربا⁽³⁾. وقد كتبت كل رسائله باللغة العربية⁽⁴⁾.

وقد تميزت الرسائل بوجود بعض الألفاظ الدارجة (العامية)⁽⁵⁾ وأخرى تركية⁽⁶⁾ وعلى العموم كانت أغلبها مفهومة. وأهم ما ميزها تكرار البعض منها، مثال ذلك: (خدیمکم)⁽⁷⁾، و(حضرة سيدنا)، و(مقبل الكريمين يدكم وقدمكم)، وإن دلت هذه الألفاظ على معاني التبعية والولاء والطاعة لولي الأمر، فهناك ألفاظ مأخوذة من المعاني الدينية مثال ذلك: (أمير المؤمنين). كما وجدت بعض التسميات السياسية مثال ذلك: (الباشا)⁽⁸⁾، ولم يرد ورود لقب الداوي⁽⁹⁾ المتداول

¹ لقد تأسست مدرسة للخطاطين على عهد الدولة العثمانية، وكان الغرض من تأسيسها مهنيا. وتعليم الخط في مدرسة الخطاطين هذه يختلف عن تعليمه في كل المدارس الرسمية الأخرى بكل مستوياتها التعليمية، من حيث الغرض ومن حيث الطبيعة. ينظر: إدهام محمد حنش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، ص: 11.

² خليفة حماس، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص: 287.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، د ط، ص: 291.

⁴ أكد أحمد توفيق المدني بأن كل شيء من الرسائل الرسمية كان يكتب باللغة العربية. ينظر: محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، ص: 181.

⁵ الألفاظ العامية: على سبيل المثال: القسم العرفي المنتشر بين أفراد المجتمع ("وحق راسي وراسك").

⁶ الألفاظ التركية: كثيرا ما كان يستعملها في وصف السفن مثل (الشعوف) أو ذكر بعض الرتب العسكرية مثال ذلك: البيولداش والكاهية.

⁷ الخديم: يعني الإخلاص لخدمة صاحبه حتى درجة العبودية، ومن الطبيعي أن تكون الخدمة مقرونة بالإخلاص. ينظر: محمد طاهر، أدب الرسائل في المغرب العربي، ص: 381.

⁸ الباشا: الياشة بالناء المربوطة عند الأتراك هو الذي يوليه السلطان العثماني قطرا من الأقطار. ينظر: أيوراس الفاصري، عجائب الأخبار في لطائف الأسفار فيما جرى بوهراة والأندلس للمسلمين مع الكفار، مخطوط رقم: 3182، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر. ورقة: 77.

⁹ الداوي: كلمة تركية الأصل، ولها معان عدة كالخال، والرجل متوسط السن، والمدافع، أيضا الرئيس والقائد، وهذا بالنسبة لعامة الناس، أما بالنسبة للإدارة العثمانية فإن اللفظة كانت تطلق على قادة الجيش الذين يمتازون بالشجاعة والقوة بالإضافة إلى رؤساء البحر، اعترافا بكفائتهم وحرصهم على حماية سيادة الإيالة والدفاع على سواحلها من الهجمات الصليبية. ينظر: حسين خوجة، نيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق وتقديم: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د ط، ص: 25.

في معظم المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ الجزائر العثماني، أيضا كثيرا ما تكرر مصطلح (الدولاتي)⁽¹⁾.

*دراسة الأسلوب: إن مثل هذه الرسائل تقدم صورة من الأسلوب المتداول آنذاك. "الدراسة الفنية للرسائل الرسمية تتمثل في بنيتها النموذجية، وفي الأسلوب". فهذه البنية لا بد أن تتشكل من عناصر⁽²⁾ أهمها: المقدمة: كل نصوص الرسائل الموجهة إلى حسين باشا احتوت على مقدمة إطراء⁽³⁾، حول مدح الباشا حسين والتعريف بفضائله⁽⁴⁾، وإظهار محاسنه، وإبراز فضله على الرعية، وإظهار الطاعة له والولاء والتبعية⁽⁵⁾، والتتويبه بخصاله الحميدة⁽⁶⁾، والدعاء له بالخير⁽⁷⁾ والنصر⁽⁸⁾. كما استعمل المحسنات اللفظية المتمثلة في الجنس⁽⁹⁾.

¹الدولاتي: من بين ألقاب الباشاوات. وتعني أنه الباشا والداي في الوقت نفسه. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 7، ص: 189. وتكر آخر أن "دولاتي" كلمة مركبة من الداوي والدولة أي الحاكم الغير المعين من قبل السلطان العثماني. ينظر: عبد الرزاق بن حمانوش الجزائري، رحلة ابن حمانوش الجزائري المسماة لسان المقال في البناء عن النسب والحصب والمال، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ط 1، ص: 225. وهو مصطلح منسوب للدولة وهو الغلبة، والمراد هنا المدة التي يستولي فيها الحاكم على السلطة، أو من التداول وهي التناوب. ينظر: أبو راس الناصري، عجائب الأخبار في لطائف الأسفار، ورقة: 77.

²من بين العناصر المكونة للرسالة: البسلة والصلاة على النبي وعلى آله وصحبه، إذ نجد في مكان البسلة ذكر عبارة الحمد لله حق حمده، أما الصلاة على النبي فهي واردة في كل الرسائل. وذكر المرسل إليه والدعاء له. وهذا أيضا وارد. والتحية والحمدلة مع ذكر تاريخ الرسالة. وذكر العلامة السلطانية. وكل هذا وجد في الرسائل.

³لقد ضمت كل الرسائل التي بعثها أحمد باي لحسين باشا هذا النوع من المقدمة، في حين خلت كلا الرسالتين التي بعث بهما إلى إبراهيم الخرناجي وحمزة آغا من أي مقدمة مدح أو إطراء. ومن هذا المنطلق يستنتج بأن هذه المقدمة خصت إلا شخص الباشا فقط.

⁴مثال ذلك: ما يذكر في معظم الرسائل: "المقام الذي مآثره ومكارمه الواضحة متواليه وأراه صالحه راضية مقام المعظم الأرفع الهمام والبدر الذي لا يفارقه التمام الأرشد الأفضل" ينظر: الرسالة رقم: (2).

⁵مثال ذلك: ما ورد في الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة "وتسأله من فضله وكرمه ومنه أن يمد لنا في حياتك ويبقي لنا وجودك ويبارك لنا في عمرك ويخلد ملكك وسلطانك وأن يمهّد بدولتك البلاد ويصلح بسلطنتك الوطن والعباد إنه انه على ذلك قدير وبالإجابة جدير والسلام".

⁶مثال ذلك: ما ورد في الرسالة رقم: (16): "المعظم الأسعد المقام الأصعد الاتجد الأفضل".

⁷مثال ذلك: ما ورد في الرسالة نفسها: "أيد الله مقامكم وأسعد بطول أيامكم ووالى اتعامكم ولي نعمتا حسين باشا الدولاتي دامت معاليه وطايت أيامه وإياليه أمين السلام الأتم الشامل الاعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ولا مزيد بعد الحمد لله جلّت قدرته وتقدّست كمالته الا الخير والعافية ونعم الله الضافية الواقية المتواليه التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها واستمرارها علينا وعليكم بكرة وعشية بجاه اشرف البرية سيدنا ومولانا محمد عليه افضل صلاة وازكى التحية".

⁸مثال ذلك: ما ورد في الرسالة رقم: (11): "وتسأل الله أن يبقي لنا وجودك وينصرك نصرا عزيزا وينمر أهل الكفر ويؤيد الاسلام. أيضا ما ورد في الرسالة رقم: (12): "أمدك الله بالنصر وايدك بالفتح والظفر".

⁹مثال ذلك: ما ورد في الرسالة رقم: (4): "المقام الذي مآثره عالية ومكارمه واضحه متواليه وأراه صالحه راضية مقام المعظم الأرفع الهمام والبدر الذي لا يفارقه التمام الموقر الأرشد الأسعد سيدنا حسين باشا الدولاتي أيقاه الله بلبس حلل العافية جددا ويتعرف عوارف السعادة يوما وغدا".

الخاتمة⁽¹⁾: أما الختام فيكون في الغالب بإفظ "السلام" وبالنداء له⁽²⁾.

بالإضافة إلى ذكر التاريخ باليوم والشهر والسنة الهجريين.

الأفكار: كانت غير متسلسلة، فكثيرا ما كان يختم الرسالة، ثم يراجع أمورا أخرى فيضيفها إلى ما أطلقنا عليه مصطلح "الملحق"⁽³⁾. وما يميز هذه الرسائل أنها ضمت مواضيع عديدة وقليل ما انفردت بموضوع واحد ومحدد⁽⁴⁾.

منهجه: اتبع أحمد باي في كتابته لهذه الرسائل الأسلوب السردي، إذ يقوم بإعطاء تفاصيل عن أهم الوقائع وما قام به من أعمال وما اتخذ من قرارات. وما يلاحظ عنها أنها كانت مفصلة في أحيان كثيرة، خاصة عندما كان يتعلق الأمر بعرض حملاته التي كان يشنها على بعض القبائل المتمردة، ومختصرة في أحيان أخرى خاصة تلك التي تعلق بالمراسلات الجزائرية التونسية.

2- إثبات أصلية الرسائل: لقد كانت هناك محاولة للبحث على أدلة ملموسة تثبت أصلية هذه الرسائل، نظرا لأهمية هذا الأمر في الدراسات التاريخية⁽⁵⁾. وما تم التوصل إليه هو أن هناك اتفاقا بين عدة باحثين على أنها "أصلية" مع توفر أدلة أخرى سوف يتم عرضها لاحقا، من بينها نذكر:

الختم: أهم ما يميز هذه الرسائل كونها تحمل الختم الرسمي لكل البايات الثلاثة⁽⁶⁾، وهذا إن دلّ على أمر فإنما يدل على اختصاص كل باي بختمه المميز⁽⁷⁾، والذي كان يستخدمه في توقيع أوامره وقراراته. وأما الشخص الذي كلف بوضع الختم الرسمي للباي أحمد⁽⁸⁾ هو "الباش كاتب"⁽⁹⁾.

¹ كلّ الخواتم كانت ترد فيها العبارة التالية: "من الفقير لربه سبحانه، المتوكل عليه، المفوض أموره إليه، عبدكم وخادمكم ومملوك إحسانكم ومقبل الكريمتين بكم وقدمكم الحاج أحمد باي".

² مثال ذلك: ما ورد في الرسالة رقم: (12): "والله تعالى يؤيدك ويحفظك وينصرك بمنه وفضله أمين".

³ لم يذكر أحمد باي هذا المصطلح في رسائله وإنما كان يستعمل العبارة التالية: "لاحقة خير".

⁴ مثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم: (1)، ومن خلالها يخبر الباشا بوصول مكاتب من وكيل الجزائر.

⁵ محمد نصر مهنا، التدوين التاريخي ودور المخطوطات السياسية في العالم الإسلامي، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، ط: 1، 1996، ص: 120.

⁶ كلّ الرسائل حملت أختاما، وكانت لا توضع مباشرة في الرسالة المكتوبة بل وجدت في ورقة منفردة فارغة تأتي مباشرة من وراء الرسالة في الأسفل على الركن الأيسر من الورقة.

⁷ ينظر علامة الختم الخاصة بأحمد باي في الملحق الخاص بالوثائق رقم: (1)، ص: 291.

⁸ ختم الباي: "الحاج أحمد بن محمد الشريف 1242". وما النصر إلا من عند الله. وما توفيقي إلا من عند الله.

⁹ Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, Office des publication universitaires, Alger, P: 128.

كما كانت هناك محاولة لوضع مقارنة بينها وبين رسائل أخرى بعث بها أحمد باي إلى حسين باشا، فوجد أنها مختلفة تماما عن تلك التي بين أيدينا، سواء من حيث الورق أو الخط، كما أنها لم تحمل الختم الخاص بأحمد باي⁽¹⁾، وهذا الأخير دليل على أن هذه الرسائل أصلية.

أهمية هذه الوثائق في الدراسات التاريخية: أمّا عن شهادة بعض الباحثين فنذكر خليفة حمّاش الذي أكد أصليتها فكتب يقول: "مجموعة عددها ثلاثون رسالة، مرقمة من الرقم (1) إلى الرقم (30) وكلها أصلية"⁽²⁾.

في حين ذكر فانيون عند فهرسته لمحتويات خزانة المكتبة الوطنية: "أنها مجموعة من ثلاثين رسالة أصلية منها خمس وعشرون رسالة موجهة من أحمد باي قسنطينة إلى حسين داي الجزائر، أمّا (6-7) فهي موجهة من أحمد باي إلى حمزة آغا، وإبراهيم الخرناجي. بينما الرسائل التي تحمل الأرقام (8-13) فهي موجهة من محمد باي قسنطينة إلى حسين داي الجزائر، فيما نجد الرسالة التي تحمل الرقم (9) قد أرسلت من محمد شاكر باي وهران إلى محمد باشا"⁽³⁾.

أيضا من بين الذين اهتموا بنشر هذه الرسائل واتخذوها كمصدر أولي وأساسي للتأريخ للفترة والبايلك نذكر "شارل فيرو" "Charles Féraud" الذي نشر ترجمة لخمس رسائل لأحمد باي⁽⁴⁾، وذكر أن نص الأصلي لها مكتوب باللغة العربية. كما قام باحث آخر بنشر رسالتين لمحمد منماني⁽⁵⁾، وذكر أن النص

¹ عثرنا على هذه الرسائل في ملف الوثائق العثمانية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة، والتي استخدمناها كمصدر لاقتناء المادة التاريخية. ونموذجا من هذه الرسائل موجود في الملحق الخاص بالوثائق.

² خليفة حمّاش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص: 321.

³ وهذا نصّها باللغة الفرنسية كما ورد في فهرسه: (Recueil formé par la réunion des originaux

de trente d'ont vingt-cinq adressées à Housseyn dey d'Alger, par Ahmed Bey Hamza agha et Ibrahim. Le N°9 est adressée par Mohamed Tchir Bey d'Oran à Mhamed Pacha en 1232). Voir: E. Fagnan Catalogue général de manuscrits, P : 457.

وما يلاحظ أن فانيون ارتكب خطأين تاريخيين: أولهما: أنه ذكر أن المدعو شاكر كان بايا علي وهران في حين أتيت البحوث التي أجريت من أجل معرفة هذه الشخصية أنه كان حاكما على بايلك الشرق. أمّا ثانيهما: فتكمن في أن الرسالة التي بعثها محمد شاكر باي لم تكن موجهة إلى محمد باشا كما ذكر، وإنما وجهت إلى عمر باشا، وهذا أيضا خطأ تاريخي كان يجب الإشارة إليه.

⁴ هذه الرسائل تحمل الأرقام التالية: (3 10 11 12 20). ينظر: Charles Féraud, Histoire des villes de Constantine (Documents pour servir à l'histoire des anciennes concessions française d'Afrique), La Calle, T.Y.P., de l'association ouvrière, 1877. PP : 607,613.

⁵ حملت هذه الرسائل الأرقام التالية في الترتيب العام للمجموعة: (8-13). ينظر:

Erkament, Lettres orthographes de Mohamed Manamanni, R. A. 1874, PP : 414, 417.

الأصلي لها مكتوبا باللغة العربية.

ثم "مارسيل أميريت" "Marcel Emerit"⁽¹⁾، الذي نشر أربع رسائل من هذه المجموعة، وقد ذكر بأنه عثر في الأرشيف الفرنسي على ترجمة لثلاثين رسالة أرسلها أحمد باي قسنطينة إلى حسين داي الجزائر. وقد قام بترجمتها "أوق ذي نيلي" مترجم لدى الوزارة الحربية⁽²⁾ سنة 1265هـ/1844م⁽³⁾، وهو لا يعلم إن كانت النصوص الأصلية مكتوبة باللغة التركية أو العربية⁽⁴⁾. ويستبعد أنها كتبت باللغة التركية، ذلك أن كل المراسلات التي كانت تتم بين البايات والسديات، أو حتى بين الموظفين السامين في الدولة كانت تكتب باللغة العربية، في حين كانت المراسلات التي كانت تتم على مستوى الباب العالي تكتب باللغة التركية⁽⁵⁾.

كما نشر "ماريتوت" "Maritot"⁽⁶⁾ أربع رسائل لأحمد باي⁽⁷⁾. في حين قام دردور بنشر ترجمة لرسالة واحدة، وذكر أن الأصل مكتوب باللغة العربية⁽⁸⁾. عدد النسخ غير التي بين أيدينا: وبهذا يكون عدد النسخ بناء على ما ورد في المراجع المذكورة سابقا نسختين، وكلاهما موجودتان في الأرشيف الفرنسي؛ واحدة استخدمها "مارسيل أميريت" "Marcel Emerit"، تحت رقم تسلسلي:

¹ تحمل هذه الرسائل الأرقام التالية في الترتيب العام للمجموعة: (3، 11، 12، 20). ينظر:

Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, Edition Larose, Paris, 1951, Tome: 6, PP: 607-613.

² لم يهتم الفرنسيون بعد احتلال مدينة الجزائر بالوثائق التي عثروا عليها، لكنهم بعدما تأكدوا من أهميتها، كلفوا موظفا منديبا يدعى "جراردان" لدراستها والبحث فيها خاصة تلك التي كانت تتعلق مواضيعها إدارية. ففي بداية الأمر كان عليه أن يدرس المراسلات التي كانت تتم بين البايات والموظفين السامين، لكنه لم

يسنقر في الجزائر وغادرها حاملا معه كل تلك الوثائق إلى فرنسا بباريس. ينظر. Ibid, P : 241.

³ في حين ذكر خليفة حماش الذي قام بفهرسة مجمع الوثائق الموجودة في المكتبتين الجزائرية والتونسية، أنه في عام 1268هـ/1848م عينت السلطات الفرنسية المدعو ألبير دوفو كأول محافظ لأرشيف الجزائر العثماني، وذكر بعد بضع سنين من تعيينه بأن نحو مائة ألف وثيقة من وثائق الإدارة العثمانية مرت على يديه. وذلك بعد مرور نصف قرن كله عيث وإهمال عانت منهما تلك وثائق علي يد جنود الحملة الفرنسية وضباطهم. وكان دوفو في الواقع يدرك أهمية تلك الكتوز الوثائقية التي أوتمن عليها. والأدلة تثبت أنه كان يمتلك على العديد منها، من بينها السجلات والوثائق التي نشرها مترجمة إلى اللغة الفرنسية والتي لا تزال تشكل المصدر الأساس لكثير من الباحثين. ينظر: خليفة حماش، كشاف الوثائق، ص: 288-289.

⁴ Op. Cit, P : 241.

⁵ أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 181.

⁶ Capitaine Maritot, Bône militaire siècle xxiv après avant a 20^{ème} siècle après notre ère, Imprimerie central A, M Marany, Bône, 1934, PP : 160-166.

⁷ هذه الرسائل تحمل الأرقام التالية في الترتيب العام للمجموعة: (3-11-12-20).

⁸ هذه الرسالة تحمل الرقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة. تحصل عليها من الأرشيف الفرنسي تحت رقم تسلسلي: (10/80). ينظر: H'esn Derdour, Annaba 25 siècle de vie quotidienne et de lutte, Tome 2, Société national d'édition et de d'effusion, 1983, P P : 210-220.

(80/1637). أمّا الثانية فاستعملها حسن دردور ورقمها التسلسلي: (80/10). كما لا يستبعد فكرة وجود نسخة أخرى في الأرشيف التونسي، إذ ذكر أحد الباحثين أنّ هذا الأرشيف يضم العديد من الوثائق، وهي عبارة عن "مكاتب من باشاوات الجزائر وبيات قسنطينة"⁽¹⁾.

3- إبراز العناصر الأساسية في الرسائل:

أ- دار السلطان وحسين بن علي خوجة:

* دار السلطان في التاريخ: أطلقت عليها بعض المصادر الجغرافية اسم "جزائر بني مزغنة"⁽²⁾. نسبة إلى قبيلة مزغنة⁽³⁾. كما أطلق عليها العثمانيون اسم "جزائر الغرب"⁽⁴⁾. في حين سماها أحمد باي في رسائله "الجزائر". دون إلحاق أي صفة لها. أيضا ورد تسميتها في بعض الوثائق العثمانية الرسمية بـ "محروسة الجزائر" أو "دار الجهاد"⁽⁵⁾. في حين أطلق عليها البعض تسمية "دار السلطان" هذه الأخيرة كانت تعود إدارتها مباشرة إلى الداوي⁽⁶⁾.

أمّا المصادر الأجنبية فتستعمل مصطلح "إيالة"، وتعني "نائب الملك وتولي السلطة بالنيابة"⁽⁷⁾ "Régence"، وهذا المصطلح أطلق على الجزائر لأنها كانت تمثل السلطة والإدارة⁽⁸⁾. في حين يرى ناصر الدين سعيدوني أنّ هذه التسمية تعبر عن "الدولة الجزائرية العثمانية"، وهذا تعبير تاريخي استعمل للدلالة على

¹ إبراهيم مياسي، مصادر التاريخ الجزائري في الخارج فرنسا وتونس نموذجا، المجلة التاريخية المغربية منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ص: 26، ع: 94/93، ماي/ أيار 1999، ص: 207.

² ينظر كل من: أبي عبيد الله بن عبد العزيز المعروف بالبكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من "المسالك والممالك" تحقيق: دوسلان، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ص: 21. و: أبي القاسم محمد علي المعروف بابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار المكتبة الحيا، لبنان، بيروت، ص: 89.

³ سليمان بهلولي، الدولة السلطانية والإمارات العلوية في العصر الوسيط، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، ص: 37.

⁴ -Venture De Paradis, Alger aux 18^{ème} siècle, Edité par E Fagnan, Imprimerie, Librairie, Editeur, 1898, P: 4.

⁵ من خلال فرمان سلطاني. الرجوع إلى أحمد توفيق المدني، من الوثائق العثمانية عن التاريخ الجزائري، مجلة التاريخ، مركز الوطني للدراسات التاريخية، نصف الأول من 1981، ص: 20.

⁶ عبد الحميد أبي زياد بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، 2 شارع نورمندي، الجزائر، د ط، ص: 93.

⁷ على سبيل المثال نذكر: Pierre Boyer, L'évaluation de l'Algérie médiane, Ancien

Département D'Alger de 1830 à 1956, Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien, Maison neuve, Paris, 1^{ère} volume, 1960. P: 13.

⁸ Ibid, P: 9.

الدولة الجزائرية⁽¹⁾. وقسمت دار السلطان⁽²⁾ إلى أوطان يخضع كلّ وطن⁽³⁾ منها إلى سلطة القائد، وهذه الأوطان هي: وطن سباو⁽⁴⁾، وبنو مسوس⁽⁵⁾، وبنو خليل⁽⁶⁾، ووطن السبينة⁽⁷⁾.

*-حسين خوجة بن علي: بما أنّ هذه الشخصية هي من بين أهم الشخصيات البارزة في رسائل أحمد باي، فلا بد من عرض مختصر لحياته.

1-مولده ونسبه ونشأته:

ولد حسين خوجة بن علي في أزميز وقيل ببورلة⁽⁸⁾ من بلاد آسيا الصغرى. أمّا عن مولده فذهب فريق إلى أنّه ولد عام 1178هـ/1761م⁽⁹⁾. في حين يرى الفريق الثاني أنّ مولده كان في سنة 1181هـ/1764م⁽¹⁰⁾. وهو ينتمى إلى عائلة تركية، من بلد تشنا قلعة⁽¹¹⁾. وقد عمل والده ضابطاً في الفرقة المدفعية (الطبية)⁽¹²⁾، كما احترف مهنة غسل الأموات⁽¹³⁾.

¹ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792، 1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، ص: 10. وبهذا فإنّ المصادر الأجنبية التي استعملت هذا المصطلح قد أخلطت في المفاهيم، وقد أخذنا بتفسير ناصر الدين سعيدوني الذي كان منطقياً في طرحه، فمصطلح "الإالة" لا يعني دار السلطان مركز الإدارة، ولكنه يعني الجزائر كدولة تابعة للخلافة العثمانية.

²للإطلاع على خريطة دار السلطان ينظر الملحق الخاص بالخرائط رقم: (1)، ص: 297.

³الوطن: جمعه أوطان. وهو عبارة عن تقسيم المنطقة وتحديد أعمالها. وهو تقسيم إداري. ينظر:

Boyer, L'évaluation de l'Algérie médiane, P: 19.

⁴سباو: كلمة تطلق على منطقة ببلاد القبائل الكبرى، تقع على ضفاقي الوادي المسمى بهذا الاسم، وهو ينبع من جبال جرجرة. ينظر: أحمد بن مبارك بن العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، تحقيق: رايح بونار، د مط، د ط، ص: 71.

⁵وطن بنو مسوس: المنسوب إلى القبيلة المحصورة بين وطن الخشنة في الشرق والحرش في الغرب. ينظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ج: 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 3، 1982، ص: 29.

⁶وطن بنو خليل: ما بين سنة 1245هـ/1830م و1251هـ/1836م كان يضم هذا الوطن أربعة عشر حياً، من أهمها: أولاد فايت ومعاملة ودوارة وبن شلوي وأوت يوقاريك وملوان وتقشة وأمروسة وبنو كينة وسيدي موسى. وبنو خليل فخذ من فخذ قبيلة لطيف العربية، وسمي كذلك نسبة إليهم. ينظر: أحمد توفيق المنفي، كتاب الجزائر، نشر دار الكتاب، الجزائر، 1372هـ/1963م، د ط، ص: 126.

⁷وطن السبينة: كان يمتد من على طول البحر من القليعة إلى تيزازة. ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 29.

⁸بورلة: مدينة واقعة على الشاطئ الجنوبي لأزمير. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الوطنية للطباعة جامعة الجزائر، د ط، 1995، ص: 156.

⁹عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، ص: 331.

¹⁰محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة الجزائري ومكتراته، دار الثقافة، بيروت، ط: 1، 1972، ص: 47.

¹¹ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 156.

¹²محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص: 47.

¹³عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص: 331.

ولقد كان حسين بن علي على جانب لا بأس به من الثقافة الإسلامية مستظها للقرآن الكريم، لهذا فإن ثقافته الدينية لا تقربه من الجند والضباط وإنما إلى جماعة الفقهاء⁽¹⁾. نشأ في اسطنبول⁽²⁾، أين تلقى مبادئ القراءة والكتابة. وعرف عنه أنه كان ميالا للأدب والشعر⁽³⁾.

كما اكتسب مهارة حربية من والده في صنف الطبجية (المدفعية) مما سهل له مهمة الالتحاق بإحدى المدارس الحربية باسطنبول⁽⁴⁾، التي أنشأها البارون دي طوط⁽⁵⁾.

2- مسيرته قبل توليه الحكم وانجازاته:

جاء حسين بن علي إلى الجزائر كأحد جنود الحامية التركية، فشغل عدة مناصب، وذلك قبل أن يتولى السلطة؛ فيحكم تربيته اكتسب مهارة في استعمال المدافع وسرعان ما أحرز على شريط عسكري برتبة رفيعة. تعدى على القانون⁽⁶⁾ وامتنع أن يعترف بخطئه، فنزح خفية إلى الجزائر واندمج في صفوف الجيش⁽⁷⁾. في حين يرى آخر أنه ترك الجيش برغبة منه⁽⁸⁾.

ولمّا أنهى وظيفته العسكرية، امتهن التجارة ونجح فيها نجاحا كبيرا فأصبح في مدة قصيرة غنيا. ثم أسند له الباشا علي⁽⁹⁾ منصب كاتب الدولة، وكلفه بتسيير شؤون ممتلكاته. بعدها عهد له الباشا نفسه منصب خوجة الخيل،

¹ ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، ص: 156.

² اسطنبول: "الاسطنبول" باللغة التركية تعني "تحت الإسلام" والعامّة تقول عنها اسطنبول. ينظر: أحمد بن مبارك بن العطار، تاريخ حاضرة قسطنطينة، ص: 33. وكانت قيل سقوطها في يد العثمانيين عاصمة للخلافة العثمانية بعد أن ظلت قرونا ممتدة عاصمة للإمبراطورية البيزنطية. وهي مدينة كبيرة باللغة التحصين تقع على مضيق البسفور، وتشغل جانبا من شبه جزيرة في بحر مرمرية. ينظر: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط: 1، 1421هـ/2000م، ص: 46.

³ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 156.

⁴ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 331.

⁵ البارون دي طوط: مجري الأصل، ولد بفرنسا سنة 1146هـ/1733م. نجس بالجنسية الفرنسية، وأصبح يعمل عندها كمتصل بالقرم سنة 1202هـ/1787م. ثم دخل في خدمة الدولة العثمانية، عندها أنشأ مدرستين حربيّتين لتخريج ضباط المدفعية. ينظر: المرجع نفسه، ص: 331.

⁶ لم يتطرق ناصر الدين سعيدوني في مرجعه إلى نوع الخطأ الذي ارتكبه حسين بن علي.

⁷ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 156.

⁸ محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة ومذكراته، ص: 147.

⁹ الداوي علي: تولى الحكم سنة 1233هـ/1817م. حارب الفساد وأراد أن يجعل للدولة طابعا آخر، فتخلص من الميليشيا. توفي بالطاعون. ينظر: حمدان خوجة، المرأة، ص: 153.

وكان ذلك في سنة 1233هـ/1818م⁽¹⁾. فأصبح بذلك محل ثقته، عندها شاركه في قرار نقل مقر الحكم من قصر الجنينة⁽²⁾ إلى حي القصبة، أين أصبح الموظفون السامون وسجلات الدولة وودائع الخزينة في مأمن من تمردات الإنكشارية⁽³⁾. وعند وفاة الباشا علي، أسند لحسين بن علي منصب الباشوية وكان ذلك في 19 ربيع الثاني من سنة 1233 هـ الموافق لـ 27 فيفري 1818م، وتم له ذلك بإجماع أعضاء الديوان و"رياس البحر"، في بداية الأمر رفض هذا المنصب، ولكنه بعد إلحاح الجميع عليه، وافق⁽⁴⁾.

ولقد تنوعت إنجازاته⁽⁵⁾. فقد قام بتنظيم الإدارة، إذ أدخل عليها تحويلات عديدة، خاصة تلك التي مسّت المناصب العسكرية على المستويين البري والبحري⁽⁶⁾، مثال ذلك تجنييد الإنكشاريين من الأناضول في الجيش الجزائري⁽⁷⁾، وتوفير مهندسين لصناعة الأسلحة والمختصين في نظم الجيش⁽⁸⁾. كما أصبحت الإدارة على عهده ذات فعالية. أيضا اهتم أيضا بالجانب المدني من العمران، مثال ذلك عملية تجديده لجامع القائد صفر - سفير - بن عبد القائم⁽⁹⁾. كما أمر بإنشاء بعض القصور، منها القصر الشامخ بحافة الميناء القديم

¹ محمد بن عبد الكريم، حمدان حوجة ومذكراته، ص: 47.

² قصر الجنينة: ويدعى باللسان التركي "باشا قابوسي" - أي باب الباشا - ويقع في أكبر نهج في مدينة الجزائر، يمتد من باب العزون إلى باب الواد، ويدعى السوق الكبير. وتمتاز دار الملك بالرؤية المرفوعة فوقها، وعليها نقاشة من النحاس، ويرتفع فوق باب الدار قنديل كقناديل السفن الكبرى يتدلى من الطابق الأعلى، ولهذه الدار باب جسيم من الحديد من اليمين للشمال ومرتبط به من الأعلى سلسلة حديدية، وعند العصر تنقل هذه السلسلة بواسطة قفل. ينظر: أحمد توفيق المدني، عثمان باشا، ص: 184.

³ ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، ص: 156.

⁴ ينظر الملحق الخاص بالجدول والرسومات البيانية رقم: (1) للإطلاع على جدول يبين أهم الأحداث التاريخية على عهد هذا الباشا.

⁵ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 332.

⁶ ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3190، الملف رقم: (1)، المكتبة الوطنية، من خلال رسالة مضمونها موافقة الباب العالي على طلب إرسال مهندس مختص في الصناعة الحربية إلى الجزائر.

⁷ المصدر نفسه، المجموعة رقم: 3190، الملف رقم: (1)، من خلال رسالة مؤرخة في 13 من شوال سنة 1240هـ/1827م. بعثها سليم أفندي وكيل الجزائر لدى الباب العالي إلى حسين باشا. يعلمه من خلالها موافقة الباب العالي بإرسال المجندين إلى الجزائر.

⁸ المصدر نفسه، المجموعة رقم: 3190، رقم الملف: (1)، من خلال رسالة مؤرخة في 17 من شوال من سنة 1240هـ/1827م. بعثها ناظر دار الصناعة الحربية باسطنبول، يبلغه فيها بموافقة الباب العالي على طلب الباشا حسين بتعيين محمود أفندي مختص في الصناعة البحرية.

⁹ جامع القائد صفر: كان هذا المسجد مكون من ثلاث أروقة، ويتميز ببيت واسع للصلاة، وبقبة مئمنة الشكل. ينظر: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج: 3، ج: 2، العصر الحديث للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م، ص: 363.

وهو مقر قبطان رابيس. زيادة إلى المباني التي أنشأت بالمدينة وضواحيها⁽¹⁾.

3-نهايته: بعد سقوط مدينة الجزائر مركز الحكم العثماني في أيدي الاحتلال الفرنسي سنة 1246هـ/1830م، وبعدما أمضى الباشا على وثيقة الاستسلام⁽²⁾ سافر في 10 من جويلية من السنة نفسها إلى ليفورن⁽³⁾ بإيطاليا⁽⁴⁾. بعدها تحول إلى الإسكندرية على نية أداء الحج، فأقام هناك مع حاشيته معتزلاً السياسة في أحد القصور التي خصصت له، وقد كان محل حفاوة من محمد علي إلى أن وافته المنية وهو خارج من المسجد عام 1254هـ/1838م بالإسكندرية⁽⁵⁾.

ب-بايليك الشرق، وأحمد بن الشريف:

*-بايليك الشرق في التاريخ: عرف بـ "قسطنطينة" التي كانت تعبر في تلك الحقبة التاريخية على بايليك الشرق. أطلق عليها المؤرخون العرب القدامى "قسطنطينة الهلوانية"⁽⁶⁾. فيما نجد أن اسمها القديم "سيرته"⁽⁷⁾. وكانت عاصمة سلاطين نوميدية، ومسينيسا. وعلى عهد سيزار في القرن الأول (قبل الميلاد) دخلت سيرته تحت حكم الرومان. ومنذ حوالي سنة 51هـ/311م صارت تحمل اسم قسطنطينة أخذاً من اسم مجدها قسطنطين 16-69هـ/637-688م. وقد ذكرت هذه التسمية في جلّ المصادر الجغرافية⁽⁸⁾.

¹- عبد الرحمان الجبالي، تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 332.

²- لأكثر تفاصيل حول هذا الموضوع ينظر: Charles André Julien, Histoire de l'Algérie Contemporaine, La conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), Presses universitaires de France, Paris, 1^{ère} édition, 1964.

³ليفورن: ميناء تجاري هام في إيطاليا الجنوبية. كانت الجزائر تقيم معه علاقات اقتصادية متينة خاصة بواسطة محلات بكري وبوجناح. ينظر: حمدان خوجة، المرأة، ص: 210.

⁴أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج الشريف نقيب أشرف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط: 2، 1168هـ/1754م، ص: 189.

⁵تفق على هذا التاريخ مجموعة من المؤرخين هم على التوالي: (شاكور مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج: 3، دار العلم للملايين، ط: 1، أكتوبر 1993، ص: 1812)، أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص: 189.)، (ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، ص: 160).

B. Lewis, Encyclopédie de l'islam, Tome : 3, (H, B), (Hussein dey), P : 628.

⁶-Ernest Mercier, Constantine avant la conquête française, R. A., 1937, P : 96.

⁷سيرته: وتعني الصخرة المنحوتة. ينظر: Les Capitaines du génie Rezet et Carette Fred Hoefer, Algérie états Tripolitaine, Edition Bouslama, Tunis, 2^è édition, 1980, P : 55.

⁸ينظر كل من: البكري، المسالك والممالك، ص: 64. ابن حوقل، صورة الأرض، ص: 91. بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط: 1، ص: 28.

ولقد تداول على حكمها عدة دول إلى أن جاء العثمانيون ودخلت تحت سلطتهم. وتضاربت الروايات حول تاريخ التحاق المنطقة رسمياً بسلطة العثمانيين، واعتراف سكانها بهم. فمنهم من ربطه باستيلاء خير الدين على القل ميناء قسنطينة⁽¹⁾ في سنة 925هـ/1519م⁽²⁾. أما البعض الآخر فأرجعه إلى حملة قارة حسين عليها، الذي أخذ اعترافاً من سكان المدينة بتبعية لهم لخير الدين عندما دخل المدينة بالقوة ما بين 925-929هـ/1519-1522م، بينما اتفق كلٌّ من ابن أبي دينار وأحمد النبيري على أن هذا الالتحاق يعود إلى عهد أبي الحسن الحفصي عام 932هـ/1525م اعتماداً على وثيقة للقاضي الحنفي، والتي تحمل إمضاء رمضان باي⁽³⁾. في حين رجح ناصر الدين سعيدوني⁽⁴⁾ التحاقها الرسمي واكتساب الشرعية إلى عهد صالح رايس⁽⁵⁾ اعتماداً على عقد شرعي حرر في عام 935هـ/1528م⁽⁶⁾.

وقد ضم بايالك الشرق الرقعة الجغرافية الواسعة الممتدة من البحر شمالاً إلى ما وراء ونوغة⁽⁷⁾ وبرج حمزة⁽⁸⁾ وسفوح جبال جرجرة غرباً.

* - الحاج أحمد بن محمد بن الشريف:

I - مولده ونسبه ونشأته:

ولد أحمد بن محمد بن شريف في منزل الأسرة الذي يدعي دار أم النون

¹ ميناء القل: هو عبارة عن مرسى صالح للتجارة الخارجية وقد وصفه مولاي حميسي فنكر بأنه: "مرسى مليح مسكن من الريح وفيه سوق وديار وجامع". ينظر: مولاي حميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1979، ص: 53.

² M. Léon Galibert, L'Algérie ancienne et moderne, Furne et C^{le} Libraire- Editeur, Paris, P: 7.

³ رمضان باي: عين سنة 975هـ/1567م. سادت فترة حكمه اضطرابات وفتن من طرف مختلف قبائل البايالك. أستدعي إلى مدينة الجزائر أين تم عزله. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 30-31.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، ص: 11. وللاطلاع على نص الوثيقة ينظر: ص: 117-118.

⁵ صالح رايس: كان ذلك الالتحاق في سنة 963هـ/1555م. أما حكمه فكان في سنة 959/963هـ الموافق لـ 1552/1556م. نصب اهتمامه على إقرار الأمن وتنظيم الإدارة المركزية فأقام مقر الحكم أو دار السلطة المركزية. ينظر: المرجع نفسه، ص: 104.

⁶ المرجع نفسه، ص: 11.

⁷ ونوغة: هي منطقة في أول ابتداء وطن قسنطينة. ينظر: صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص: 90.

⁸ برج حمزة: بويرة حالياً. وهو عبارة عن حصن استعمله العثمانيون لحراسة المنطقة، ويتكون من نوبة واحدة. ينظر: Louis Rinn, Le royaume d' Alger sous le dernier Day, typographie Adolphe Jourdon, Imprimerie- Libraire- Editeur, 1900, P: 87.

بقسنطينة⁽¹⁾. وقد تضاربت الروايات حول تاريخ مولده، فاتخذت أربع اتجاهات. أما الفريق الأول يرى أنه ولد في سنة 1194هـ/1870م⁽²⁾. في حين أرجعه الفريق الثاني إلى سنة 1198هـ/1784م⁽³⁾. بينما ذكر الفريق الثالث أنه ولد عام 1201هـ/1786م⁽⁴⁾. أما "قايسست" "Vayssette" فيرى أنه ولد في عام 1202هـ/1787م⁽⁵⁾.

وكان والده يدعى الشريف محمد. أصله من قولة في الأناضول⁽⁶⁾. عينه حسين باي⁽⁷⁾ خليفة له، وتم له ذلك في سنة (1207هـ/1792م)⁽⁸⁾. مات مخنوقاً بأمر من داي الجزائر، وقيل أن سبب ذلك يعود إلى قسوته⁽⁹⁾.

أما جده من والده فهو أحمد القلي حكم قسنطينة مدة ستة عشر سنة، ابتدأها سنة 1171هـ/1755م⁽¹⁰⁾. تركي الأصل، من مدينة كولو وموقعها

¹-Charles Féraud, Monographie du palais de Constantine, Typographie et lithographie L. Arnolt, P : 7.

² وفيه نجد كل من: H' sen Derdour, Annaba 25 siècle de vie quotidienne, P : 219. Marcel Emrit, L'Algérie à l'époque d'Abd El Kader, P : 256.

بالإضافة إلى كل من: (كوران أرجمنت، السياسة العثمانية اتجاه احتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، د ط، 1980، ص: 80.) (عبد الكريم غرابية، تاريخ العرب الحديث، بيروت الأهلية للنشر والتوزيع، ط:2، 1987، ص: 161.)

³ وفيه نجد كل من: (صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة (1826-1830)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، ص: 56). أيضا: Abdel Jelil Temimi, Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837), Publication de la revue d'histoire Maghrébine, Volume : 1, 1897, P : 60.

⁴ ونجد فيه كل من: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:2، 1981، ص: 6. ولقد اعتمد الزبيري في وضعه لهذا التاريخ على ما جاء به أحمد بوضربة عندما قدم مذكراته إلى اللجنة الإفریقیة معلنا حينها أن عمر أحمد باي كان سبع وأربعين سنة. أيضا ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وفاق (مقارنات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية)، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2001، ص: 46. وعبد القادر بنجادجة، معركة قسنطينة (1836، 1837)، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، د ط، ص: 9.

⁶-A-E Vayssette, Domination Turque (troisième et dernière période de 1792-1837), El Hadj Ahmed Bey dernier Bey, Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, Imprimerie L. Arnolt, Ad, Braham, Alger Jourdan Libraire-Éditeur, 1869, P : 619.

⁷ العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي، ص: 6.
⁸ حسن باي: هو بن حسين بوحنك. "أخذ الولاية" سنة 1207هـ/1792م. ولد في قسنطينة ونشأ فيها. أصيب بمرض فأمر الداي بقتله. دفن في مسجد سيدي الأخضر بجانب أبيه وذلك سنة 1109هـ/1795م. ينظر: محمد صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 67.

⁹ المصدر السابق، ص: 6.
¹⁰ قنديلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ترجمة وتقديم: أبو العويد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، ص: 29.

¹¹ صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص: 61.

في الأناضول الغربي. تزوج من دايدة ابنة الشيخ بن بوزيد المقراني. كان آغا على القل قبل أن يصاحب زرق عينو⁽¹⁾ إلى الكاف بتونس. حارب عدة قبائل عاصية حتى خارج حدود البايك، وتمكن من قهر العصاة، وفرض هيبة السلطة على الجميع. كما شجع الفلاحين على زراعة الخضر والأشجار المثمرة. فأحبه السكان واستحسنوا حكمه. توفي عام 1185هـ/1771م. وخلفه صالح باي.⁽²⁾

أمّا والدته فهي الحاجة شريفة بنت ابن غانة؛ ساعدت ابنها الحاج أحمد كثيرا في مسيرته. توفيت خلال إقامتها بجبال أولاد سلطان ودفنت بالنقاوس سنة 1259هـ/1843م⁽³⁾.

والدها الذي هو جد أحمد باي كان يدعى ابن غانة الشريف. وصف بالنبل وكانت له مكانته القيادية في الصحراء⁽⁴⁾. وهو من عائلة "بن غانة"، وهناك من أطلق عليها اسم ابن قانة⁽⁵⁾. كانت هذه العائلة من أغنى العائلات على مستوى منطقة وادي ريغ والصحراء الشرقية دون منافس. وأمّا عن أصولها فقد تضاربت حولها الروايات، إلا أن بعض الدراسات التاريخية توصلت إلى أن أحمد باي يعود أصله إلى النسب الشريف، عن طريق أمه الحاج شريفة بنت ابن غانة⁽⁶⁾.

هذا عن نسبه، أمّا تعليمه، فلم يحظ الحاج أحمد بمتابعة تعليمه، غير أن هذا لم يمنعه من أن يكون شخصا متقفا، إذ أيد مجموعة من المؤرخين ذلك. كانت طفولته عربية محضة، فقد تلقى منذ صغره تربية دينية، وكان تعليمه الأولي والنقلي في الكتاب أين اكتسب ثقافة لا بأس بها. كما أن أداءه للحج وعلاقاته

¹ زرق عينو: هو حسين باي زرق عينو تولى الحكم سنة 1167هـ/1754م. تركى الأصل، تمتع بشجاعة وهيبة. شغل منصب الخليفة على عهد الباي بوحنك. حكم البايك بحزم وجد. اهتم بتطوير مدينة قسنطينة فجدد أجهزتها على نسق ملائم وشجع الصنائع. ينظر: بن العنثري، تاريخ قسنطينة، ص: 57.

² المصدر نفسه، ص: 159.

³ المصدر نفسه، ص: 61.

⁴ العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي، ص: 115.

⁵ اختلفت بعض المصادر والمراجع في استعمال هذا الاسم، فمنهم من جعله "بن غانة" في حين فضل آخرون استعمال "بن قانة"، وقد اعتمدنا صيغة "بن غانة" نظرا لأنها أكثر تداولاً بين المؤرخين، نذكر من بينهم: صالح بن العنثري وناصر الدين سعيدوني وأبي القاسم سعد الله.

⁶ Mathe et Edment, Kitab aayan el marhariba, P : 4.

بالمشرق ومكوته بمصر قد أكسبه الكثير من المعارف والتجارب⁽¹⁾.

2- نهايته: لم يستطع الحاج أحمد أن يمسك دموعه وهو يرى عاصمته تسقط بين أيدي الاحتلال الفرنسي⁽²⁾. ومع ذلك ظلّ يعيش على أمل استرجاعها. التجأ إلى الأوراس عند أخواله فحموه لبعض الوقت. ثم أخذت الخطوط تميل في اتجاهات مختلفة، ومع هذا أبقى على اتصالاته مع السلطان العثماني محمود خان الثاني⁽³⁾ بغرض تدعيمه بالمساعدات المادية، لكنّه لم يحظ إلا بالوعود؛ ثم راسل باي تونس الذي رحب به لاجئاً لا محارباً⁽⁴⁾، الرد نفسه تلقاه من والي طرابلس يوسف القرمانلي⁽⁵⁾.

ومع انسداد كلّ الأبواب وفي آخر المطاف وضع سلاحه مستقيماً للأمر الواقع مشترطاً الأمان والإذن باللجوء إلى المشرق ليُقضى بقية أيامه⁽⁶⁾ وذلك عام 1255هـ/1848م⁽⁷⁾.

¹ ذكر صالح فركوس أنه عثر في الأرشيف الفرنسي على قصيدتين منسويتين إلى أحمد باي من خلالهما يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومن خلال تلك استشف ثقافته الدينية. وقد نشرهما في كتابه. ينظر: الحاج أحمد باي قسنطينة. وقد حاولنا أن نقرأ ما جاء في نص هاتين القصيدتين، لكن سوء حالتهما حالت دون ذلك، وسعينا من أجل العثور عليهما في مصالير أو مراجع أخرى فلم نتمكن من ذلك، وكان سعينا هذا من أجل دراسة الجانب الأدبي والثقافي لهما والتأكد من صحة هذه المعلومات. أيضاً: ينظر:

Temimi, Abdel Jelil el, Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey, P : 60.

حيث استنتج هذا الباحث من خلال دراسته للرسائل التي كان يبعثها الحاج أحمد باي للسلطان العثماني أن أسلوبه الجيد في الكتابة يوحى إلى إيمانه العميق وثقافته العربية.

²-Vayssette, Domination Turque (troisième et dernière période de 1792-1837), R. C. 1869, P : 591.

³محمود خان الثاني: هو ابن السلطان عبد الحميد الأول، افتتح أعماله بأن قلّد مصطفى باشا منصب الصدارة العظمى ووكّل إليه أمر تنظيم الانتشارية وإجبارهم إبتاع النظم القديمة المسنونة منذ عهد سليمان القانوني. ينظر: فريد بك، الدولة العلية، ص: 398.

⁴Charles Féraud, Annales Tripolitaines, Librairie Tournier, Tunis Librairie Viubert, Paris, 1927, P : 617.

⁵يوسف القرمانلي: على عهده اجتمع أعيان المدينة وديوانها وعلماؤها ولضمان حياة أسرهم ولمراعاة الصالح العام، اقترحوا على الباشا التنازل لابنه سي علي، وبما أنّ يوسف القرمانلي باشا كان قد فقد كلّ أمل، فإنّه اضطر إلى التخلي عن ذلك الجاه وأعلن تنازله عن العرش رسمياً لابنه سيدي علي، الذي قام في اليوم نفسه بتوجيه بيان إلى رعاياه. ينظر: علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط: 1، 1421هـ/2001م، ص: 401، ص: 425.

⁶أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية (1830-1900)، ج: 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 1، 1992، ص: 207.

⁷يحيى يوعزيز، حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الغربية، وثيقة عمل رقم: 20، مركز الوثائق للعلوم الإنسانية، وهران، 1982، ص: 8.

وبهذا أمضى بقية حياته تحت رقابة وسيطرة "عدو" وكانت تلك نهاية مؤلمة وقاسية لحاكم عاش معظم حياته في عز ورخاء. وقد خصصت له السلطات الفرنسية منحة سنوية⁽¹⁾ قدرت بـ 12000 فرنك فرنسي⁽²⁾، إلى أن توفي في مدينة الجزائر سنة 1266هـ/1860م.⁽³⁾ ودفن في مقبرة⁽⁴⁾ ضريح عبد الرحمان الثعالبي⁽⁵⁾.

¹ تقدمتا كل من زوجتي الحاج أحمد بن شريف سنة 1268هـ/1851م لممثلة السلطنة الفرنسية بطلب يتضمن منحهما راتباً شهرياً يساعدهما على سد حاجياتهما اليومية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية (1830-1900)، ج: 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط: 1، 1992، ص: 376. وهذا إن دل على أمر فإنما يدل على أن سلطات الاحتلال توقفت عن مد هذا الراتب مباشرة بعد وفاة الحاج أحمد.

² العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي، ص: 102.

³ اتفق على هذا التاريخ مجموعة من المؤرخين منهم: (أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج: 1، ص: 353)، (صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 102)، (صالح بن العنترى، تاريخ قسنطينة، ص: 72)، (عبد الكريم غرابية، تاريخ العرب الحديث، ص: 161). ينظر أيضاً: E. Vayssettes, R. C, 1869, P : 618.

⁴ مقبرة ضريح عبد الرحمن الثعالبي كانت تضم مجموعة من المصالح منها: مسجد بمنارة مربعة، وضريح للشيخ الثعالبي، وجبانة، أيضاً مساكن، ومبعضات، وغرف للموظفين ومطاهر. وكانت مشهورة بالتعليم في العهد العثماني. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 3، ص: 122.

⁵ عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي (786 - 876هـ/1384-1471م): هو الشيخ الإمام العالم أبو زيد الشهير بالثعالبي. ولد في الجزائر ورحل في طلب العلم إلى المشرق ثم عاد إلى بلاده بعلم غزير. اتفق الناس على صلاحه وإمامته. ترك الثعالبي كتباً وتصانيف كثيرة ومفيدة، أبرزها الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وكتاب الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز. توفي الثعالبي في الجزائر ودفن فيها. ينظر: أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج: 1، بحث، تقديم: محمد رؤوف القاسمي الحسني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، د ط، ص: 73.

الفصل الأول

الإدارة والقضاء على محمد أحمد باي

1/1- المبحث الأول: الإدارة على محمد أحمد باي

- الإدارة على مستوى المدينة

- الإدارة على مستوى الأوطان

2/1- المبحث الثاني: القضاء على محمد أحمد باي

- القضاء المدني

- القضاء العسكري

(1/1) - المبحث الأول: الإدارة على عهد أحمد باي

لقد تمكّن الدايات في الجزائر بالاستعانة بعدد من الموظفين من تسيير شؤون البلاد، ولأجل ذلك وضعت السلطات ديوانين⁽¹⁾: الديوان "العمومي" أو ما يطلق عليه بـ "الكبير" والديوان "الخاص" أو "الصغير"⁽²⁾. ويعتبر الديوان من المؤسسات السياسية، وهي بنية مقتبسة من الدولة العثمانية، كانت تمثل في حينها عنصر تجديد وتطوير أدخله السلاطين العثمانيون وكان يطبق فيه "مبدأ الشورى"⁽³⁾ بحيث أطلق عليه "المجلس الشورى"⁽⁴⁾.

أما الديوان "العمومي" أو "الكبير" فكان يضم كبار موظفي الانكاشرية⁽⁵⁾. وكان له تأثير عظيم على حياة العامة بحيث لا يسلم كرسي الباشاوية إلا لمن قدّمه الديوان إليه. كما يعود إليه الفضل إلى عدم ظهور الحكم الوراثي في الجزائر⁽⁶⁾. أيضا لعب دورا هاما أثناء الأزمات الداخلية، ووضع حد للفوضى والاضطراب الذين شهدتهما البلاد بعد اغتيال مصطفى باشا⁽⁷⁾ مما أدى إلى تعاقب ثلاثة دايات⁽⁸⁾ على السلطة في ظرف ثلاث سنوات؛ كما وقف إلى جانب حسين باشا في الأزمة الفرنسية الجزائرية⁽⁹⁾.

في حين ضم الديوان "الخاص" أو "الصغير" مجموعة من الموظفين والذين

¹ ورد هذا المصطلح في مواضيع متكررة مثال ذلك نذكر كلّ من الرسالة رقم: (6-18) في الترتيب العام للمجموعة.

² أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 182.

³ جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، 1830/1816، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1997، ص: 247.

⁴ محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق: محمود حفي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط: 2، 1384هـ/1964م، ص: 109. وكثيرا ما ورد أمر الشورى هذا في رسائل أحمد باي مثال ذلك نذكر الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة. وإن دلّ هذا على الأمر فإمّا يدل على مبدأ الشورى المطبق بين الحاكم وعماله.

⁵ Pierre Boyer, Les Pachas Triennaux à la révolution d'Ali Khoja (1571/1817), R.H. N: 495, (99/124), P.U.F, 1970, P: 104.

⁶ تكرر المؤرخ الألماني "سيمونوف" بقلم عبد الرحمن الجيلالي: "أنّ دايات الجزائر لم يكونوا ملوكا وراثيين. بل كانوا رؤساء جمهورية عسكرية". ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر، ج: 3، ص: 608.

⁷ مصطفى باشا: تولى الحكم سنة 1212هـ/1796م. وتوفي مقتولا. ينظر: حمدان خوجة، المرأة، ص: 71.

⁸ حكم الجزائر ثلاثة دايات في فترة ما بين (1221-1228هـ)/(1806-1813م)، وكلّ واحد منهم كان يسمى عليا. ينظر: جمال قنان، المرجع السابق، ص: 247.

⁹ المرجع نفسه، ص: 247.

يمكن تشبيههم بـ "الوزراء"، وعددهم خمسة⁽¹⁾. أيضا كان يضم كبار رجال الدين⁽²⁾ والمفتيين⁽³⁾ والقضاة⁽⁴⁾ ونقيب الأشراف. وإلى جانب هذا المجلس الذي كان ينظر في مصالح الأمة يضاف المشاركة الفعالة والمهمة لمجلس الرياس⁽⁵⁾، والذي كان له نفوذ كبير ودور مهم في اتخاذ القرارات، خاصة تلك التي تعلقت بتعيين الدايات⁽⁶⁾. ولقد استعان باشا بمجموعة من الموظفين كما ذكرنا أنفاً، تمثلت مهمتهم في مساعدته في تسيير أمور البلاد. وما يلاحظ على التنظيم الإداري أنه احتفظ على تكوينه خاصة في العهد الأخير للحكم العثماني في الجزائر، لهذا فإن ما سوف يذكر من مهام إدارية لم تكن حكراً على فترة حسين باشا، وإنما كان نظاماً قائماً بذاته قبل مجيئه إلى الحكم بفترة زمنية طويلة. ومن بين أهم هذه الشخصيات البارزة نذكر:

الخرناجي⁽⁷⁾: بمثابة وزير المالية، وببده كل تقارير وحسابات الدولة⁽⁸⁾؛ يعتبر الرجل الثاني بعد الداوي حال غيابه⁽⁹⁾. وقد شغل هذا المنصب على عهد حسين باشا إبراهيم صهره⁽¹⁰⁾.

¹ عمر عبد العزيز عمر، جوانب من تاريخ المغرب العربي في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1998، ص: 21.

² من بين العلماء الذين اشتهروا بعلمهم على عهد حسين باشا نذكر: حمودة المقامسي الجزائري (1245هـ—1829م)، وهو من أفاض علماء العاصمة، ارتحل إلى مصر وجاور جامع الأزهر الشريف ولازم العلامة محمد السوقي صاحب الحاشية. وأخذ عنه حتى أجازه وشهد له بالتفوق والنبوغ. عند رجوعه إلى الوطن مرّ بتونس وأقرأ بها، لكن شوقه إلى الجزائر جعله يعود. ينظر: أحمد توفيق المنفي، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 72.

³ من بين المفتيين الذين مارسوا هذه الوظيفة على عهد حسين باشا نذكر: محمد بن محمود العنابي الذي ولد سنة 1189هـ/1775م، وتوفي بالإسكندرية سنة 1267هـ/1851م. ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحديث، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط: 3، 1403هـ/1983م، ص: 245.

⁴ من بين قضاة المذهب الحنفي على عهد حسين باشا نذكر: محمد بن عبد الرحمن، والحاج أحمد بن الحاج عمر، وذلك سنة (1244هـ/1828م). أما على المذهب المالكي فنذكر الحاج علي بن عبد القادر، وأحمد بن علي بن جعدون، وكان ذلك خلال سنة 1244هـ/1827م. ينظر: أحمد توفيق المنفي، عثمان باشا، ص: 74.

⁵ أحمد سليمان، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، ص: 39.

⁶ المرجع نفسه، ص: 39.

⁷ لقد خص أحمد باي شخص الخرناجي برسالة واحدة من بين المجموعة. ينظر: الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة. ومن خلال مضمونها يستشف بأنه كان من بين أهم الشخصيات بعد الباشا مباشرة.

⁸ Gabriel Esquer, La Prise d'Alger (1830), Librairie ancienne H Champion, Edouard, Paris, 1923, P: 9.

⁹ Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, Traduit de l'Anglais avec nombreuse augmentation des notes géographiques et autres, Par: J. Mac. Cathy marlin, 1831, P: 169.

¹⁰ الرسالة رقم: (7). لمعلومات أكثر حول هذه الشخصية ينظر: الفصل الثاني، ص: 173-175.

وكيل الخرج⁽¹⁾: وهو الناظر على أعمال جهاد البحر⁽²⁾، والمقتصد بين الجزائريين والدول الأجنبية أي بمعنى "وزير الخارجية" بمصطلح العصر⁽³⁾. وقد ذكر أحمد باي في بعض من رسائله أن المدعو إبراهيم تولى هذا المنصب ولكن دون ذكر تفاصيل كثيرة حول هذه الشخصية⁽⁴⁾.

بيت المالجي: كان المسؤول على جميع الأملاك التي كانت تؤول إلى الدولة بالمصادرة أو عند وفاة أصحابها الذين لا ورثة لهم⁽⁵⁾.

خوجة الخيل: بمثابة وزير الحرب والناظر على أملاك الدولة⁽⁶⁾.

الآغا⁽⁷⁾: يمثل لقب تشريفي يأتي بعد لقب "بولكباشي"⁽⁸⁾. كلفت هذه الشخصية بالسهر على أمن مخازن الدولة التي كانت تحتوي على الأقوات والمؤن وغيرها⁽⁹⁾.

الكتاب الأربعة: الأول يدعى المكتباجي. في حين لقب الثاني بـ "وكيل الخرج الكبير"، ثم الكاتب الثالث، فالكاتب العام⁽¹⁰⁾.

بالإضافة إلى هؤلاء كان الباشا يستعين بموظفين آخرين من أجل تسيير أمور

¹ أتى أحمد باي على ذكره في كل من الرسالة رقم: (17-22) في الترتيب العام للمجموعة.

² أطلق عليه أحمد باي لقب وكيل باب جهاد. ينظر: كل من الرسالة رقم: (12-22) في الترتيب العام للمجموعة.

³ -Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, P: 168.

⁴ الرسالة رقم: (22) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ -Engéné Plantet, Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833, Tome : 2, Edition Bouslama- Tunis, 1889. P: 18.

⁶ -Claude Bontems, Les institutions Algériennes sous la domination Turque, P : 18.

⁷ -آغا: كان يسمى بـ "الزبوج" وباللغة العربية تعني القائد العام. ينظر: A. Bellegrin, Essai sur les noms et les lieux d'Algérie et de Tunisie, Etymologie, Edition, S. A. P.I, Tunis, 1949, P : 204.

وقد ورد هذا اللقب في بعض من رسائل أحمد باي مثال ذلك نذكر الرسالة رقم: (22) في الترتيب العام للمجموعة. وآغا الإنكشارية أو آغا القمرين لقب تشريفي بعد لقب بولكباشي ويعني القائد العام للفرقة الإنكشارية، كان يعزل بعد شهرين من تعيينه، ويعرف بعد ذلك بـ "المعزول آغا". ويعتبر الآغا المسؤول الأول على الشؤون العسكرية والأمنية. ينظر: أحمد بن مبارك العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، ص: 54.

⁸ بولكباشي: ورد هذا اللقب في الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة. وهو مرتبة عسكرية بمثابة رئيس كتبية. ينظر: محمد بن عبد الكريم بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكاشية في بلاد الجزائر المحمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط: 2، 1981، ص: 38. وهو بمثابة نقيب الجيش، وقد يدبر القضاء في محله. يتميز بقبعته الطويلة. ينظر: Auteur inconnue, Histoire des Etats Barbaresques, Par : un auteur qu'y résider plusieurs années avec caractère public, Traduit de l'anglais, Tome : 1, Chez Chaubert Quai des Augustins Hérissant, Imprimeur, P : 342.

⁹ -Pierre Boyer, L'évaluation de l'Algérie médiane, P : 35.

¹⁰ -Ibid, P: 35.

البايالك خاصة الإدارية منها والأمنية، نذكر من بينهم:
 الأغوات: يرأسهم الكاهية⁽¹⁾، وكانوا يشكلون مجلس الوجاق⁽²⁾. وكلّ أغا كان مسؤولاً على الشؤون العسكرية⁽³⁾.
 القياد⁽⁴⁾: انحصرت مهامهم على مستوى الأوطان ويختارون من فئة الأتراك أو الكراغلة. كلفوا بمراقبة عمل الشيوخ، واستخلاص المطالب⁽⁵⁾.
 البايات ومساعدهم: كان لكلّ باي⁽⁶⁾ ديوان محلي يساعده على إدارة شؤون المنطقة التي كان مكلفاً بإدارتها. فلقد كانت الدولة العثمانية عاجزة عن وضع جميع القطر الجزائري تحت يد حاكم واحد، لهذا قسمت البلاد إلى أربع "ولايات"⁽⁷⁾ وكانت إحداهما تحت إشراف الداوي شخصياً⁽⁸⁾ وهذه الولايات هي:
 بايالك تيطري⁽⁹⁾: أسس سنة 947هـ/1540م، كانت عاصمته مدينة المدينة، وهو أول بايالك بعد دار السلطان⁽¹⁰⁾.
 بايالك الغرب: أسس سنة 970هـ/1576م. كانت عاصمته في بداية الأمر

¹ الكاهية: ورد هذا المصطلح في كلّ من الرسالة رقم: (18-30). وكلفت هذه الشخصية دون الأغا بضبط مدينة الجزائر وحراسها. ينظر: أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 181.

² الوجاق: ورد هذا المصطلح في البعض من رسائل أحمد باي مثال ذلك نذكر الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة. وهي كلمة تركية. أصلها "أوتشاك" أي الموقد وتطلق على الولايات. ينظر: الزهار، مذكرات شريف الزهار، ص: 183. في حين يرى بووير: أنّ كلمة "الوجاق" تعني البيت في الأصل. وتستخدم للدلالة على الوحدات العسكرية المشكلة من 11 إلى 30 رجل، ولقد استخدم هذا المصطلح مؤخراً للدلالة على الوجود العثماني في الجزائر. ينظر: Pierre Boyer, L'évaluation de l'Algérie médiane: 127.

³ -La régence d'Alger et le monde Turc, 4^{ème} N^o, La section d'Alger d'un syndicat national des instituteurs, Alger, 1953/1954, P:29.

⁴ ورد هذا المصطلح في الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.
⁵ Claude Bontems, Les institutions Algériennes sous la domination Turque, P: 35.

⁶ الباي: يعني الأمير والزعيم. ينظر: A.Pèllègrin, Essai sur les noms et les lieux, P: 205. وهو اللقب الذي اعتمده أحمد باي في بعض من رسائله نذكر مثال ذلك: الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

⁷ بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكاشية، ص: 36. أمّا المصادر والمراجع فتستعمل مصطلح "البايالك" الذي يصف الحكم في أشكاله، وذلك على رقعة جغرافية محددة. ينظر:

Pierre Boyer, Op. Cit, P: 12.

أمّا في مجموعة الرسائل فلم يرد فيها أيّ من المصطلحات المذكورة وإنّما عندما كان يتكلم أحمد باي على المنطقة فكان يستعمل "قسنطينة". أمّا في مراحل البحث فقد تم الاعتماد على مصطلح "البايالك" لأنه أكثر تداولاً في مجموعة المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ الجزائر في العهد العثماني.

⁸ ونقصد بها دار السلطان التي تم التعريف بها سابقاً، ينظر: المنخل، ص: (12-13).

⁹ كذلك سماه أحمد باي في الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

¹⁰ بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 36.

مدينة مازونة، ولكنها بعد فترة استبدلت بمدينة معسكر ثم بوهان بعدما تم تحريرها من الإسبان سنة 1207هـ/1792م؛ وهو ثاني أكبر بايك بعد بايك الشرق. وما عرف على هذه المنطقة أنها كانت ذات طابع حربي، وذلك لما شهدته من توتر العلاقات العثمانية مع حكام المغرب الأقصى، والتهديد الإسباني الدائم لها⁽¹⁾.

بايك الشرق: لقد كان بايك الشرق أواخر العهد العثماني على غرار المناطق الأخرى من التراب الجزائري يخضع مباشرة لسلطة حسين باشا، الذي كانت له صلاحيات تعيين الباي، هذا الأخير كان يشرف على تسيير شؤون الرعية. وأخر البايات الذين أداروا هذا البايك قبل أن يتولى أحمد باي إدارته محمد منماني، الذي تم عزله⁽²⁾ بعدما تأكد للباشا حسين عدم قدرته على تسيير أمور الرعية، والمحافظة على الأمن⁽³⁾. بعدها مباشرة قرّر الباشا حسين تعيين مكانه بايا آخرًا يكون قادرا على تغيير الأمور السياسية والاقتصادية وإعادة النظام وسلطة الحكم. وبعد عملية البحث وقع اختياره على أحمد بن شريف⁽⁴⁾، معتقدا في ذلك أنه الشخص الملائم الذي يمكنه أن يخرج المنطقة من الفوضى التي آلت إليها، وبهذا أصبح الحاج أحمد بايا على بايك الشرق قاعدته، مدينة قسنطينة⁽⁵⁾، وقد تمّ له ذلك بالرغم

¹ إبراهيم شحاتة حسن، أطوار العلاقات المغربية العثمانية. قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510/1947)، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، 1981، ص: 240.

² لقد أجمعت معظم المصادر والمراجع المعتمد عليها في إنجاز هذا البحث على أنّ هذا الباي كان رجلا ضعيفا لا تتوفر فيه الكفاءة والقدرة المهنية اللازمة على تسيير مثل هذا البايك. من بينها نذكر: الزهار، مذكرات شريف الزهار، ص: 160. وأيضا ما ذكره مولود قايد حين كتب عنه يقول: "إن سوء التسيير الإداري لأخر بايات قسنطينة أدى إلى انتشار الفوضى والإضطرابات في معظم أنحاء البايك. ينظر:

Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 373. Voir aussi : L. Pèchot, Histoire de l'Afrique du nord avant 1830, Goposso imprimeur éditeur, 1914, P : 134.

³ إنّ الرسالة التي بعثها منماني باي إلى حسين باشا لألق وثيقة تصف جليا الحالة التي كانت عليها المنطقة. فلفظ اشتكى من سوء تصرفات خليفته، لدرجة أنه انتهك حرمة رمضان بشربه الخمر حتى الشمال. ونظرا لحساسية منصبه، وأهمية المسؤوليات المسندة إليه فإنّ مثل هذه التصرفات قد تآثر سلبا على حسن سير الأمور في البايك. كما اشتكى من سوء الأحوال الاقتصادية. ينظر: الرسالة رقم: (13) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 5 رمضان 1240هـ/1826م.

⁴ بعد معاهدة طويلة بين حسين باشا وأحمد باي لوضع حوصلة كاملة حول معارفه الإدارية، والسياسية، والاقتصادية، وعندما تأكد من كفاءته وقدرته على ضبط النظام في البايك ووضع حد للفوضى التي آلت إليها، أقره الباشا بايا على منطقة الشرق. ينظر:

Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P ; 372. Voir aussi : Mouloud Gaid, Op. Cit, P : 90.

⁵ كذلك كان يسميها أحمد باي في رسائله، مقال ذلك نذكر الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة. وللإطلاع على خريطة مدينة قسنطينة ينظر الملحق الخاص بالخرائط رقم: (2)، ص: 298.

من كونه كرغلي الأصل. وبهذا استلم منصبه وبأشر في إدارة أعماله بإدخال كل الترتيبات والإصلاحات الكفيلة باسترجاع المكانة التي كان يستحقها هذا البايلك.

وعند استلام أحمد باي للإدارة وجد إقليم⁽¹⁾ البايلك مقسما إداريا إلى أربع مناطق متباينة، هذا التقسيم توارثته المنطقة أجيالا بعد أجيال وسار عليه معظم البايات الذين حكموه خاصة أواخر العهد العثماني، وكان على الشكل التالي:

المنطقة الشمالية: امتدت من عنابة إلى بجاية⁽²⁾. كان معظم سكانها من قبائل زواغة⁽³⁾ وفرجيوه⁽⁴⁾.

- المنطقة الجنوبية: تشكلت من منطقة بسكرة⁽⁵⁾. وضمت إحدى عشرة قبيلة بدوية. أهمها: الزمول⁽⁶⁾، وحر اكنة، وأولاد سلطان، وأولاد سحنون⁽⁷⁾.

- المنطقة الشرقية: امتدت من قسنطينة إلى الحدود التونسية⁽⁸⁾. وكانت تضم: عمار الشراقة، وأولاد زناتي⁽⁹⁾، وأولاد يحي بوطالب⁽¹⁰⁾ والحنانشة والنمامشة⁽¹¹⁾.

¹-الإقليم: إن الإقليم يهني الوسط ويحيط بالكيان من الوجهة الاجتماعية ويحد من السلطان على ما فيه من البشر والأشياء من الوجهة القانونية". ينظر: رينسي، عبد الوهاب الكيالي، مع مشاركة مجموعة كبيرة من المؤلفين في التحرير، موسوعة السياسية، ج:1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط:1، 1979، ص: 246.

²-حميدة عميرلوي، جوانب من السابسية الفرنسية ورتود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، الجزائر، ط:1، 1405هـ/1984م، ص: 18.

³Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 127.

⁴-فرجيوه: لقد ورد الكلام على هذه المنطقة وما كان يقع بها من أحداث في إحدى رسائل أحمد باي، ينظر الرسالة رقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة. وهذه المنطقة موجودة بين مدينتي سطيف وقسنطينة. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج:2، ص: 225.

⁵-حميدة عميرلوي، المرجع السابق، ص: 18.

⁶-قبيلة الزمول: موجودة على بعد 43 كلم من جنوب قسنطينة. كان استقرارهم في بداية الأمر في عين سمارة. ينظر: Leila Babes, Tribus, structures sociales et Pouvoir politique dans la province de Constantine sous les Turcs, Mémoire pour le D.E.A d'études politiques approfondies, Université de droit, d'économie, et de science D'Aix Marseille P : 112.

⁷Mouloud Gaid, Op. Cit, P : 127.

⁸-حميدة عميرلوي، المرجع السابق، ص: 18.

⁹-أولاد زناتي: كانت تشكل هذه القبيلة قوة عسكرية كان يطلق عليها الخيالة. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 43.

¹⁰-أولاد يحي بوطالب: قبيلة مرابطية، تمتعت بامتيازات من بينها عدم دفع المطالب المخزنية التي فرضها بايات قسنطينة على كل القبائل. ولكن أواخر العهد العثماني فرضت عليها دفع بعض المطالب الرمزية وكانت عينية ونقنية. ينظر:

Leila Babes, Op. cit, P : 74.

¹¹-Mouloud Gaid, Op. Cit, P: 127.

المنطقة الغربية⁽¹⁾: كانت تنتسح إلى البيان⁽²⁾. وتمركزت فيها كل من القبائل التالية: أولاد عبد النور، وعمار الغرابية⁽³⁾، ومجانة⁽⁴⁾. وتدار شؤون هذه الأقسام الأربعة بواسطة السلطة المركزية الممثلة في شخص أحمد باي يساعده في ذلك مجموعة من العمال؛ وقد وزع العمل الإداري على مستويين: المدينة والأوطان، وكان المسؤولون عليهما يعملون بالتنسيق فيما بينهم يرأسهم في ذلك أحمد باي⁽⁵⁾.

1- الإدارة على مستوى المدينة: وكانت تتكون من:

ديوان الأوجاق: كان يتألف من كل الشخصيات المحيطة بأحمد باي. مهمتهم المحافظة على السلطة العليا إلى جانب الباي، كانوا في اتصال مباشر معه، يشاركونه في اتخاذ القرارات المهمة. وتبين ذلك من خلال ما ورد في بعض رسائل أحمد باي⁽⁶⁾. كما كان يتدخل هذا الأخير في تسيير شؤونه الداخلية واتضح ذلك في ملاحظته لبعض الشخصيات البارزة فيه والتحقيق معهم خاصة إذا ما تعلق الأمر بمخالفة الشرع والعرف؛ ومثال ذلك ما ورد في الرسالة التي بعثها إلى أعضاء الديوان يتوعددهم بالزجر العظيم ويهددهم بالعقاب إذ لم يعاقبوا أحد الشواش الذي كان يأخذ فوائد ربوية من الجنود المدنيين⁽⁷⁾.

¹ -حميدة عميراي، جوانب من السايسية الفرنسية وردود الفعل الوطنية، ص: 18.
² -منطقة البيان: سميت كذلك لأنها متكونة من جبلين على درجة كبيرة من الوعورة، يمتد بينهما طريق عميق وآثار لمجرى تجمع المياه. وسماها الرومان بـ "بيان الحديد". ينظر: علي رضا أفندي بن حمدان خوجة الجزائري، وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال (1832)، تعريب وتقديم: عميراي حميدة، مراجعة: إبراهيم، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، سبتمبر 1999، ص: 50.
³ -قبيلة عمار غرابية: كانت مستقرة في منطقة سطيف. واعتبر أفرادها من بين الرافضين لحكم أحمد باي، لهذا كانوا يستغلون كل الفرص من أجل الإطاحة بحكمه، فعند سقوط مدينة الجزائر في أيدي الاحتلال الفرنسي واستغلالا لتواجد أحمد باي وقواته هناك استطاعوا بمعاونة قبائل أخرى تحت زعامة بن قنوز التمرد ورفع لواء العصيان، لكن أحمد باي استطاع القضاء على تمردهم. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 63.

⁴ -Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P: 127.

⁵ -حميدة عميراي، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، ص: 28.

⁶ -الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

⁷ -الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة.

الخليفة⁽¹⁾: يعتبر هذا المنصب من بين الوظائف المهمة في إدارة البايلك. وقد شغل أحمد باي هذه الوظيفة لعدة مرات، أولها كانت على عهد إبراهيم خوجة⁽²⁾، ثم أثناء حكم محمد الميلي⁽³⁾، فمملوك باي⁽⁴⁾. ولقد أتاحت له هذه الوظيفة كسب معارف كثيرة وخبرة بالأمور الإدارية، وتكوين علاقات مع مختلف الشخصيات المعروفة في المنطقة، وكذا مع بعض القبائل القوية.

وحظيت هذه الشخصية بالاعتبار نفسه الذي حظي به الباي في جولاته الخارجية. كما كان مسؤولاً على شؤون الأوطان، وخضع له كل القياد ورجال الميليشيا⁽⁵⁾ المنظمين. ومن بين الشخصيات التي تولت هذه المسؤولية على عهد أحمد باي المدعو بن عيسى⁽⁶⁾ وذلك سنة 1241هـ/1826م⁽⁷⁾. وقد ذكر أحمد باي في بعض من رسائله أن المدعو مصطفى كان خليفته وذلك سنة 1245هـ/1829م⁽⁸⁾. وقد كان للخليفة نائباً له يلقب بـ "الخليفة الثاني" أو "خليفة الكرسي"⁽⁹⁾.

¹ الخليفة: ورد هذا اللقب في العديد من رسائل أحمد باي، مثال ذلك نذكر كل من الرسالة رقم: (4-7) في الترتيب العام للمجموعة. والكلمة أصلها عربيًا. وكان يمنح هذا المنصب لأحد أقرباء الباي الذي يكون إما تركيا أو كرغليا. ينظر: Abdel Jelil Temimi, Le Beylic de Constantine et Hadj Ahmed Bey, P: 27. ² إبراهيم خوجة: أصله من جزيرة كريت. تولى إدارة البايلك من سنة 1228هـ/1811م؛ التحق بمدينة الجزائر. وعندما وصل إلى قسنطينة ألف مخزنه. جاء أمر عزله من الباشا، فأمر هذا الأخير بنقله إلى المدينة. ينظر: صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص: 88-89. ³ محمد الميلي: تولى الحكم سنة 1233هـ/1818م. كان قائد العوادي قبل أن يصبح بايا. عرف بكنية "الشاقور" لأنه كان يعدم الناس بهذا السلاح الأبيض. ينظر: مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، ص: 39. ⁴ أحمد باي المملوك: تولى الإدارة مرتين. كانت الأولى سنة 1233هـ/1818م إلى أن اعتقل بأمر من الداوي ثم نفي بعدها إلى مازونة. وفي سنة 1235هـ/1820م أعيد تنصيبه للمرة الثانية، لكنه ونظرا للمردود الضعيف الذي قدمه أثناء حمله للدنوش أمر الداوي بعزله سنة 1237هـ/1822م. ينظر: بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 88. ⁵ الميليشيا: كانت تتكون من الأتراك المجندين، هؤلاء تزوجوا من النساء العربيات. ينظر: حمدان خوجة، المرأة، ص: 118.

⁶ علي بن عيسى: كان مربيًا بقرومة (الأخضرية حاليا) والزعيم الروحي لقبيلة فليسة. ينظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج: 2، ص: 128. وهو من بين أبرز الشخصيات التي خدمت أحمد باي. وقد تضاربت الروايات حول أصله، فبعضهم ذهب إلى أنه من عائلة شريفة ومن أغنياء البلاد. كان له أخوان: أحدهما تولى الإفتاء، والثاني القضاء. أما البعض الآخر فذهب إلى أن والده هو عيسى الفرجاني (من قبيلة بني فرجان)، وقد بدأ هذا الأخير حياته فقيرا يبيع الفحم على حماره في قسنطينة، ثم ترقى في التجارة. من بين أبنائه الخمسة علي بن عيسى هذا الذي اشترك في فرقة الزواوة، زيادة على أنه كان يملك دكانا كان يتاجر فيه، وعندما تعرف عليه أحمد باي نال ثقته فقرّبه منه. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج: 2، ص: 142. ⁷ Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P: 376.

⁸ ينظر كل من الرسالة رقم: (4-7). ولم يعثر على أية معلومات تعرفنا بهذه الشخصية. ⁹ الزياتي، جليس السهران وأنيس السهران، ص: 190. وما يلاحظ على ما ذكره الزياتي من معلومات فيما يخص الخليفة الثاني يتناقض مع ما جاء به سعيدوتي، الذي ذكر بأن آغا الدار كان يتوب على الباي عند غيابه.

الباش حامبا: كان مسؤولا على الإدارة والديوان، كما كان يشرف على إدارة السهل وطريق عنابة وفرجوية⁽¹⁾. ومن بين الذين تولوا هذا المنصب على عهد أحمد باي نذكر المدعو علي ابن إيصار الذي كان من بين المخلصين للباي، ومكافأة له على ذلك أهدى له هذا الأخير قطعة أرضية بمنطقة بني حميدان⁽²⁾.
 قائد الدار⁽³⁾: وهو آغا متقاعد، كان بمثابة "شيخ البلدية" بمصطلح العصر. من بين مهامه المتعددة، تولي إدارة مدينة قسنطينة عند غياب أحمد باي⁽⁴⁾. وعادة ما كانت تسند هذه المهمة للرجال الذين أظهروا إخلاصهم وسعيهم الدائم لتحقيق مصالح السلطة⁽⁵⁾. وكان يخضع لآغا الدار مجموعة من العمال نذكر من بينهم: أمين الخبازين. والبراح الذي كان يجول في ساحات المدينة وأسواقها لإبلاغ الناس بأوامر الباي والخليفة وقائد الدر⁽⁶⁾.

ومن بين الذين أسندت لهم هذه المهمة على عهد أحمد باي نذكر: مصطفى بن الأبيض، وذلك خلال سنة 1241هـ/1826م⁽⁷⁾؛ لكنه تم عزله من طرف أحمد باي بعدما تأكد من عدم قدرته على أداء مهامه⁽⁸⁾، فلقد عرف هذا الباي بصرامته في تسيير أمور البايك الإدارية، وعدم توانيه في معاقبة كل من كان غير قادر على أداء مسؤولياته ومهامه⁽⁹⁾. أيضا من بين الشخصيات التي تولت هذا المنصب المدعو بوزيان بن علي⁽¹⁰⁾ وذلك سنة 1243هـ/1827م. ولكنه عزل بدوره، بعدما

¹ -Abedl Jelil Temimi, Le Beylec de Constantine et Ahmed Bey, P : 67.

² -صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 51.

³ -هكذا وردت تسميته في إحدى رسائل أحمد باي. ينظر: الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ -ناصر الدين سعيوني، وركات جزائرية، ص: 150.

⁵ -المرجع نفسه، ص: 483.

⁶ -صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 23.

⁷ -الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.

⁸ -أسباب العزل: تكمن في أنه ترك أشغال المخزن فارغة وفر هاربا. وقد بقيت أسباب هروبه مجهولة مع أن أحمد باي كان قد وجه له "كتاب أمان"، كما "جرد" له فيه جميع المطالب التي كانت في ذمته. ينظر: الرسالة رقم: (19). ولعل أمر فراره هذا يعود إلى عدم قدرته على دفع ما كان يجب عليه من مطالب مخزنية.

⁹ -Vayssette, Histoire de Constantine sous la domination Turque, 3^{ème} et dernière période de 1792 a 1837. R. C. 1869, P : 590.

¹⁰ -بوزيان بن علي: كان من بين المتمردين على سلطة أحمد باي، لدرجة أنه خصه برسالة يشنكي من خلالها تصرفاته المشبوهة وخيانتته للأمانة وهناك لأسرار الأغا. وقد استشار إبراهيم الخرناجي في شأنه، طالبا منه تسليط عليه أقسى العقوبات زجرا وردعا لغيره من "أهل الفساد" على زعمه. ينظر: الرسالة رقم: (7).

اتهمه أحمد باي بخيانة الأمانة وسرقة أموال البايك⁽¹⁾.

الباش كاتب أو الكاتب العام: كلف بتحرير رسائل أحمد باي وختمها⁽²⁾، وكل ما اتصل بالشؤون السياسية للبايك⁽³⁾. كما كان يستقبل الرسائل الواردة على الباي⁽⁴⁾، ويحرر رسائل الموظفين العاملين على مستوى البايك⁽⁵⁾. وخضع له كل الكتاب الذين تولوا تحرير الجلسات المتصلة بالمراسلات العامة بين الباي، والخلفاء والقواد⁽⁶⁾. وهذه الشخصية هي التي حررت هذه المجموعة من الرسائل التي نحن بصدد دراستها، مع أنه لم تقدم المصادر والمراجع المعتمد عليها في إنجاز هذا البحث أسماء لبعض هؤلاء الكتاب الذين عاصروا أحمد باي وقاموا بتحرير رسائله⁽⁷⁾. إلا أن أبي القاسم سعد الله ذكر بأن أحمد باي اتخذ له كتابا عربيا من بينهم أحمد العباسي⁽⁸⁾ ومحمد العربي⁽⁹⁾.

الباش سيار⁽¹⁰⁾: كان مسؤولا على قافلة البريد⁽¹¹⁾، فكان يحمل بنفسه رسائل أحمد باي إلى الباشا حسين، ويعود بالردود إليه⁽¹²⁾.

شيخ المدينة ونقيب الأشراف: بالإضافة إلى كل ما ذكر، كان هناك أيضا حاكمان ينظمان شؤون السكان، ويحافظان على الأمن ويراقبان المياه والشرطة

¹ الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

² صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 21.

³ بالإضافة إلى الرسائل التي كان يبعثها أحمد باي إلى حسين باشا، أيضا كان يرسل باي تونس. مثال ذلك ما ورد في الرسالة التي تحمل الرقم: (11) في الترتيب العام للمجموعة. وأيضا الرسالة رقم: (23).

⁴ كثيرا ما كانت ترد على أحمد باي رسائل من الباشا حسين، مثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم: (25).

⁵ وردت في المجموعة رسالتين من هذا النوع، أما الأولى فتحمل الرقم: (6)، وهي مبعوثة من أحمد باي إلى حمزة آغا دون تاريخ. أما الثانية، فتحمل الرقم: (7)، وهي مبعوثة من أحمد باي إلى إبراهيم الخرناجي.

⁶ تكررت إحدى الرسائل أن عمال البايك كانوا يرسلون أحمد باي ليقدموا له تقارير على مختلف الأحداث التي كانت تقع في المناطق التي كانوا مسؤولين على إدارتها. مثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم: (11) في الترتيب العام للمجموعة، والتي تبين من خلال مضمونها أن ولد المركاتي، المسؤول على عملية الإصلاحات التي كانت تجري على مستوى مدينتي القالة وعنابة كان يرسل أحمد باي ويعدده بكل ما كان يحدث على مستوى المدينتين.

⁷ كل الرسائل من الرقم: (1) حتى الرقم: (30) ماعدا رقمي: (6-7) وجهت إلى حسين باشا.

⁸ أحمد العباسي: كان من علماء قسنطينة، اشتهر بالتعليم، ويرع في دروس التفسير. توفي سنة 1251هـ/ 1836م. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 188.

⁹ المرجع نفسه، ج: 7، ص: 43.

¹⁰ قد ورد هذا اللقب في الرسالة رقم: (12) في الترتيب العام للمجموعة.

¹¹ من بين الذين كلفوا بحمل الرسائل مجموعة من عمال الدائرة، بحيث ذكر أحمد باي في إحدى رسائله أنه وردت عليه رسالة من باي تونس أحضروها له "بتين من الدائرة". ينظر: الرسالة رقم: (3).

¹² صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص: 20.

والمؤسسات العمومية⁽¹⁾. أما الشخصية الأولى فكانت تلقب بـ "شيخ البلد" أو "رئيس الأمان"⁽²⁾. وقد أسندت هذه المهمة على عهد أحمد باي إلى الفقيه محمد الفكون⁽³⁾ هذا على مستوى مدينة قسنطينة، أما على مستوى المدن الشرقية الأخرى المهمة، مثال ذلك مدينة عنابة، فقد وكلت هذه المهمة للمدعو إبراهيم كريتلي⁽⁴⁾، غير أن الأتراك احتجوا على تعيينه، فلجأوا إلى القصبية بمدينة عنابة؛ أما الباي الكريتلي فقد عرف كيف يثير الفتنة داخل القصبية ويسيطر عليها بالقوة.

هذه الأحداث التي تناقلتها القبائل وسمع بها أحمد باي تركت في نفسه حزنا شديدا وقلقا كبيرا، مما جعله لا يتوان لحظة في إعلان أمر عزل الشيخ إبراهيم وإرسال قوة عسكرية تحت قيادة الحاج بن زقوطة لاسترجاع المدينة، فحاصرها لمدة ثلاث أشهر، لكن دون جدوى، مما دفع بأحمد باي إلى تغيير ابن زقوطة بعلي بن عيسى، الذي استطاع أن يؤلب السكان ضد إبراهيم ويتمكن في نهاية الأمر من دخول المدينة والقضاء على الفتنة⁽⁵⁾.

أما الشخصية الثانية فكانت تلقب بـ "نقيب الأشراف"، هذا الأخير كان يتم اختياره من بين الأسر المعروفة على مستوى البايك، إما لنفوذها السياسي، أو الاقتصادي، أو لنسبها وشرفها -تكون من بين العائلات المرابطية-. وكانت تعينه السلطة على مدى الحياة. من مهامه المشاركة في حل مشاكل الرعية ودعم ممثلي الحكم عند وجود خطر أجنبي. ولم تذكر المراجع المعتمد عليها في إنجاز هذه الدراسة على بعض الأسماء التي شغلت هذه الوظيفة على عهد أحمد باي.

هذا بالنسبة للموظفين السامين الذين كانوا يعملون بالتنسيق فيما بينهم لإدارة شؤون المدن. أما بالنسبة لمجموعة العمال الذين عملوا في قصر أحمد باي وقاموا

¹ Abdel Jelil Temimi, Le Beylic de Constantine et Hadj Ahmed Bey, P : 51.

² سوف يأتي الحديث على مجموعة أسماء الحرف في الفصل الرابع من المبحث الأول، ينظر: ص: (200).
³ محمد الفكون: ينتمي إلى إحدى أعرق العائلات القسنطينية، التي اشتهرت بالعلم والورع. لعب دورا كبيرا ومهما أثناء الأزمة التي كانت تمر بها الجزائر بما فيها باليك الشرق، فجمع لذلك في منزله كبار الشخصيات من أجل اتخاذ التدابير والسبل الكافية لمواجهة الخطر الفرنسي. ينظر: Vayssette, R. C., 1869, P : 594.

⁴ ينظر ترجمة لهذه الشخصية في هذا المبحث، الصفحة رقم: (51).

⁵ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 31-32.

على خدمته فنذكر منهم:

- باش سراج: كان كبير السياس. كلف بخدمة الإسطبلات وتجهيز حصان أحمد باي الخاص، عندما كان يعتزم هذا الأخير امتطاءه⁽¹⁾.
- قائد المقصورة: وهو بمثابة المقتصد في قصر الباي الخاص⁽²⁾.
- قائد الجبيرة: كلف بجبيرة⁽³⁾ الباي وتزويدها بالأموال اللازمة⁽⁴⁾.
- قائد السبسي: كلفت هذه الشخصية بحمل غيلون الباي⁽⁵⁾.
- باش قهواجي: تمثلت مهمته في تحضير القهوة الخاصة بالباي⁽⁶⁾.
- قائد الطاسة: كلف بحمل الأنية الخاصة بشرب القهوة خلال سفر الباي⁽⁷⁾.
- قائد السيوانية: تمثلت مهمته في حمل مظلة الباي عند المطر أو في حالة الحر الشديد⁽⁸⁾.

قائد الدريبة: وهو البواب الأول في قصر الباي⁽⁹⁾.

باش فراش: كان المسؤول على كل الأفرشة الخاصة بقصر أحمد باي⁽¹⁰⁾.

2- الإدارة على مستوى الأوطان:

اختلفت المصادر والمراجع في تسمية العنصر الأول والأساسي الذي كان يتكون منه الأوطان⁽¹¹⁾ في تلك الحقبة التاريخية، فمرات أطلقوا عليه مصطلح

¹ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984، ص: 320.

² صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 22.

³ الجبيرة: هي المحفظة التي كانت تعلق في مقدمة سرج خيل الباي. ينظر: المرجع السابق، ص: 320.

⁴ المصدر السابق، ص: 22.

⁵ المصدر نفسه، ص: 23.

⁶ وصف فنديلين شلوصر الذي كان أسير أحمد باي مجلس هذا الأخير فقال: "كان يجلس فوق مخدة حمراء، وكان يقدم له القهواجي فنجان القهوة التي كان يدوقها قبل أن يقدمها له. ينظر: قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 30.

⁷ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 320.

⁸ صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص: 22.

⁹ المصدر نفسه، ص: 23.

¹⁰ المصدر نفسه، ص: 23.

¹¹ الوطن: وهو المصطلح المعتمد عليه في رسائل أحمد باي، لهذا فسوف يكون الاعتماد عليه في كل مراحل البحث. أيضا لأنه أكثر ملائمة لتلك الحقبة التاريخية.

"المشيخة". ومرات أخرى سموه بـ "التجوع"⁽¹⁾. في حين عمدت بعض المراجع الأخرى إلى تسميته بـ "القيادة"⁽²⁾. ويتكون هذا العنصر الإداري من عدد من "الدواوير"⁽³⁾، أمّا الأقسام التي كانت تتكون منها القبيلة، فعرفت بـ "الخروبة"⁽⁴⁾. ولقد حرص أحمد باي بعد تعيينه على تنظيم الأمور الإدارية خاصة على مستوى الأوطان، والتي كانت قبل مجيئه تتسم بعدم الاستقرار⁽⁵⁾، وتتصف بطابع الارتجالية والكثير من التجاوزات، هذا إلى جانب غياب الأمن في مختلف ربوع البايك⁽⁶⁾.

لهذا عند توليه الحكم، استدعى إلى مدينة قسنطينة كلّ الشخصيات البارزة، خاصة تلك التي مثلت مصالح القبائل القوية والغنية واجتمع بهم في الجامع الكبير⁽⁷⁾ وبحضور شيخ الإسلام قام بتنصيب الشيوخ والقياد وولاهم على قبائلهم. كما عمل على استقطاب أكبر عدد من القبائل خاصة تلك التي عرفت بقوتها ونفوذها⁽⁸⁾ من أجل نيل تأييدها، والمحافظة على سلطته.

ومن بين هؤلاء القياد والشيوخ الذين أقر البعض منهم على ما كانوا عليه،

¹ حمدان خوجة، المرأة، ص: 99.

² صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 29. وقد ضم بايك الشرق مجموعة من القيادات تذكر أهمها: قيادة باتنة. ثم قيادة أولاد داوود. وقيادة بني وجانة. ثم قيادة العمامرة. فقيادة أولاد عبيدي. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 289-290.

³ دواوير: مقره دوار وهو مجمع من الخيام. ينظر: Boyer, L'évaluation de l'Algérie, P: 19. وأضاف مصدر آخر أنه عبارة عن منطقة يعيش فيها البدو مجتمعين فيها من 50 إلى 60 خيمة، وأكبرهم هو شيخ الدوار، الذي كان ينظم أمورهم التجارية، ويخضعون لأوامره عن طيب خاطر منهم. ينظر: فندلين ثلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 89.

⁴ الخروبة: كذلك سماها ناصر الدين سعيدوني في مرجعه: ورقات جزائرية، ص: 156. والخروبة هي وحدة للمساحة يعمل بها في تونس، وهي أيضا وحدة للوزن يراد بها وزن حبة الخروب، وكانوا يتعاملون بها في البلاد الإسلامية. ينظر: محمود فاحوري، وصلاح الدين حوام، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية وما يعادلها بالمقاييس (الأطوال-المساحات-الأوزان-المكاييل)، مكتبة لبنان ناشرون، ص: 277.

⁵ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ ينظر كل من الرسالة رقم: (15-24-30) في الترتيب العام للمجموعة.

⁷ اتقسمت المؤسسات الدينية في الجزائر عامة أثناء الحكم العثماني إلى جامع، ومسجد وزاوية، كل حسب المهام التي تؤديها. فالجامع كانت تؤدي فيه الخطبة والدعاء والولاء للحاكم، ومن بين الجوامع التي كانت منتشرة في بايليك الشرق على عهد أحمد باي نذكر: جامع أربعين شريف، وجامع القصبة وجامع البشتارزي أيضا جامع الأخضر وجامع رحبة الصوف وجامع الغزل. ينظر: Ernest Mercier, Constantine Avant la conquête Française 1837, Notice sur cette ville à l'époque du dernier Bey, R. C. 2^{ème} série, 1878, P: 67.

⁸ مثال ذلك: ما فعله أحمد باي مع قبيلة أولاد عبد النور، التي كانت من بين أقوى القبائل، إذ حظيت بحسن الضيافة والاستقبال، كما قتم لبعض من زعمائها العطايا والهدايا كسيا لمساندتهم له. ينظر: صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 29.

وعزل البعض الآخر وولى مكانهم رجالا كان يرى فيهم الإخلاص للسلطة نذكر:
 أ-مجموعة القيادة: يتم اختيار القائد من فئة الأتراك أو الكراغلة، كان اتصاله الإداري مباشرة مع أحمد باي، يرأسه ويستقبل الأوامر منه. استعان بشيوخ القبائل من أجل تسيير شؤون الرقعة الجغرافية الداخلة تحت إطار مهامه، ذلك أن إقامته لم تكن بين أفراد القبيلة التي كان مكلفا بإدارتها، وإنما كانت في مدينة قسنطينة أو في أحد الأبراج المحصنة التي تكون قريبة من إقامة القبيلة المسؤول على تسيير شؤونها⁽¹⁾. كما كانت له اختصاصات متعددة خاصة الأمنية والاقتصادية منها⁽²⁾.

ولقد ولت السلطة العثمانية والممثلة في شخص أحمد باي على مستوى الأوطان المتواجدة في بايلك الشرق مجموعة من القياد نذكر منهم:
 قائد الحراكتة⁽³⁾ أو "قائد العواسي"⁽⁴⁾: كانت إقامته بمدينة قسنطينة. كلف بقيادة فرقة من الجيش تتكون من ثلاث مائة جندي⁽⁵⁾. ويدير أيضا شؤون ثلاثين قبيلة تشمل معظم سكان الشاوية.

ولقد تقلد أحمد باي هذه الوظيفة وهو ابن الثامنة عشر سنة، واستمر فيها حتى سنة 1232هـ/1816م أي مدة تسع أعوام كاملة⁽⁶⁾. فسمحت له هذه الوظيفة بتسيير شؤون قبيلة الحراكتة القوية، والتي أكسبته خبرة وكفاءة⁽⁷⁾، ساعدته فيما بعد على فهم الكثير من المعطيات السياسية والاجتماعية التي تميزت بها قبائل البايك.

¹ نقشاعي فلة المولودة ميساوي، الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني (1792-1837)، بحث لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 1403/1983، ص: 130.

² خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، لبايك الشرق الجزائري "نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي"، مطبعة العناصر، الجزائر، د ط، ص: 49.

³ قبيلة الحراكتة: قبيلة بربرية مستعربة؛ كانت تقطن منطقة عين البيضاء، وقد أصبحت مقسمة إلى ثلاث مناطق متمتزة، أم البواقي، مسكيانة وصدراثة. ولرجال هذه القبيلة صلاة وشدة مراس قل نظيره. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 224. وقد وصفهم بن العتري فقال: "هم أناس طبعهم غليظ ولم تكن لهم سياسة يركون بها عاقية الأمور ولا عندهم فطنة فيتخلصون بها من المحتور". ينظر: تاريخ قسنطينة، ص: 120.

⁴ قائد العواسي: كذلك ورد في الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة. وهي كلمة مشتقة من (عيسى). وأطلقت على قبيلة المامشة "مند قتال سابق مع الأتراك"، وهم من سكان عين البيضاء. ينظر: محمد بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، ص: 86.

⁵ Abdel Jelil Temimi, Beylic de Constantine et Hadj Ahmed Bey, P : 60.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقا وأفاق، ص: 46. في حين ذكر آخر أنه استلم هذه الوظيفة وهو يبلغ من العمر ما بين 21 إلى 23 سنة. ينظر: M. Léon, L'Algérie ancienne et moderne, P : 460.

⁷ المرجع السابق، ص: 46.

ومن بين الشخصيات التي أسندت لها هذه المهمة على عهد زوج حفيدته الذي كان بمرتبة يولداش في الجيش فترقى مباشرة إلى رتبة قائد العواسي بعد زواجه من هذه الحفيدة، وكان له ذلك سنة 1245هـ/1829م⁽¹⁾. وهذا ما يؤكد الفكرة القائلة بأن هذا المنصب لم يكن ليسلم إلا لأحد أقرباء الباي⁽²⁾.

قائد النمامشة: كلفه أحمد باي بتسيير شؤون هذه القبيلة مقابل تقديمه لحق التولية. وكانت تخضع له المناطق الشرقية من الأوراس. ومما يلاحظ على هذا القائد أن سلطته ظلت في أغلب الأوقات اسمية أكثر منها سلطة فعلية، فلقد كان يستعين بمحلة البايك الفصلية لاستخلاص المطالب المخزنية من سكان قيادته، أما في أوقات غياب هذه المحلة فإنه لا يجسر أن يتجول في قيادته، وإن هو حاول ذلك فإنه غالبا ما يعرض نفسه لخطر محقق⁽³⁾. وما يؤكد صحة المعلومات التي قدمها ناصر الدين سعيدوني هو ما تضمنته بعض الرسائل من معلومات تفيد بأن كثيرا ما كانت تتعرض هذه القبيلة لحمولات تأديبية كان يشنها عليها أحمد باي بين الحين والآخر من أجل عصيانها وتمرداها على السلطات الحاكمة⁽⁴⁾.

قائد الزمول⁽⁵⁾: كانت تحت إمرته حوالي عشرين قبيلة عسكرية. وكان يرأس كل 150 فارس شاوش. أما على عهد أحمد باي فكانت تتكون هذه القوة من 500 فارس يرأسهم من 10 إلى 15 شاوش حسب ما كانت تقتضيه الظروف⁽⁶⁾.
قائد قبيلة التلاغمة⁽⁷⁾: ولي أحمد باي المدعو "إبراهيم بن إسماعيل" قائدا على

¹ الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة.

² صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 31.

³ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 277.

⁴ ينظر الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ الزمول: كانت هذه القبيلة ضمن قبائل المخزن، واستطاعت أن تقطع بعض الأراضي الصالحة للزراعة والرعي لتتمكن من حراسة الممرات الجبلية بنواحي يانتة حتى يظل طريق يسكرة مفتوحا أمام تحركات الحاميات التركية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 271.

⁶ Mouloud Gaid, chronique des Beys de Constantine, P : 136.

⁷ قبيلة التلاغمة: كان تواجدتها على بعد 10 كلم من جنوب غرب مدينة قسنطينة. ينظر:

Vayssettes, Notes Historiques sur les Tribus de Constantine, R. C., 1869, P : 3.

هذه القبيلة، وقد تم له ذلك سنة 1245هـ/1830م⁽¹⁾. وكانت لهذه القبيلة تقاليد عسكرية أكثر منها فلاحية، كما كانت تميل أيضا لتقاليد المخزن⁽²⁾.

قائد الأوراس⁽³⁾: وكان يشرف هذا القائد على إدارة شؤون اثني عشر قبيلة⁽⁴⁾ من أهمها: الأعشاش⁽⁵⁾ وأولاد بوحالة، وقبيلة العمامرة، وأهل الواد الأبيض، وأهل واد عبدي، وقبيلة المعافر، وأولاد سعيد، وأولاد فاضل، وقبيلة بني مومنين، وأولاد زيان، وكان تواجد كل هذه القبائل في الجهات الجبلية الوسطى الواقعة إلى الجنوب من بلاد الحراكنة والزمول⁽⁶⁾. وقد أسند أحمد باي هذه المهمة إلى المدعو علي شريف، وذلك سنة 1244هـ/1828م⁽⁷⁾. في حين نكر ناصر الدين سعيدوني أن قيادة الأوراس توارثتها أفراد عائلة بن بوضياف، وكان آخرهم حسب تقارير القادة الفرنسيين المدعو سيدي العربي بن بوضياف⁽⁸⁾.

وعلى العموم فغالبا ما كانت تسند هذه الوظيفة إلى من أظهر إخلاصه وتبعيته لإدارة البايلك. وكان هذا القائد يمارس صلاحياته بمعاوضة قوة من الفرسان المسلحين، ذلك أن منطقة الأوراس شهدت الكثير من الحركات التمردية التي كانت تقوم بها بعض القبائل، لهذا اضطر أحمد باي إلى استعمال الحملات العسكرية من أجل تأديبها⁽⁹⁾.

قائد أولاد عبد النور: شكلت هذه القبيلة قوة من قوات المخزن والتي كان يطلق عليه اسم الزمالة⁽¹⁰⁾. وقد أعاد أحمد باي تنظيمها إداريا، إذ قبل وصوله للحكم

¹-Abdel Jelil Temimi, Beylic de Constantine, P : 68.

²-صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 43.

³-شغلت هذه المنطقة الكثير من الحيز في رسائل أحمد باي تذكر منها كل من الرسالة رقم: (26-29-30).

⁴-Mouloud Gaid, Gaid, chronique des Beys de Constantine, P: 136.

⁵-الأعشاش: أصلهم من أولاد سحاولة. ينظر: Liela Babes, Tribus - Structures sociales P : 110.

وكان هذا المخزن بزعامة عائلة بن سديرة، كلف أفرادها بالتنقل بين السفوح الشمالية للأوراس ابتداء من منطقة أسرون، التي كانت بمحاذاة خنشلة إلى نواحي بوعريف موطنها حاليا. وقد وجدت هذه العشيرة المساعدة للقيام بمهمة الحراسة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 271.

⁶-المرجع نفسه، ص: 276.

⁷-Abdel Jelil Temimi, Op. Cit, P : 140.

⁸-ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 276.

⁹-ينظر كل من الرسالة رقم: (15-18-19-28-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

¹⁰-صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 43.

كان يدير شؤونها ثلاثة شيوخ، لأنها كانت مقسمة إلى ثلاث أقسام كبيرة: الشراقة، والغرابية⁽¹⁾، والوساطة، وعند توليه حكم البايك أدخل تحويرا إداريا جديدا عليها بعد أن أخضعها لسلطته، فأسند قيادتها إلى قائد واحد فقط. ومن بين الذين تقلدوا هذا المنصب على عهده القائد سليمان⁽²⁾.

قائد عامر شراقة⁽³⁾: كان يشرف بدوره على ست قبائل⁽⁴⁾.

قائد سكيكدة: كلف بإدارة شؤون ومصالح تسع قبائل⁽⁵⁾، ويفضل "خنوف علي" أن يسميها بـ "الأعرش"⁽⁶⁾. ومن بين أهمها عرش بني مهنة⁽⁷⁾.

قائد زواغة: كان يآتمر على عدد كبير من سكان القبائل⁽⁸⁾. وكانت مهمته صعبة للغاية، إذ تميز أفراد هذه القبيلة بتمردهم وعصيانهم على كل من كان يمثل السلطة العثمانية، ولم يتم إخضاعهم إلا أثناء حكم أحمد باي⁽⁹⁾.

قائد أولاد إبراهيم⁽¹⁰⁾: كلف هذا القائد بالإشراف على إحدى عشر قبيلة⁽¹¹⁾.

قائد عامر الغرابية⁽¹²⁾: تمثلت مهمته في إدارة شؤون خمس قبائل⁽¹³⁾.

قائد أولاد دراج بمنطقة الحضنة⁽¹⁴⁾: لم تكن مهمة هذا القائد سهلة نتيجة لما

¹ قبيلة الغرابية: قدم أفرادها من أولاد سلطان. ينظر: Leila Babes, Op. Cit, P: 31.

² صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 30. ولم يذكر أية معلومات حول هذه الشخصية.

³ عامر الشراقة: كانت متواجدة على بعد ثلاثين كلم من جنوب شرق وادي الرمل. ينظر:

Leila Babes, Tribus et structures, P : 31.

⁴ Mouloud Gaid, chronique des Beys de Constantine, P : 137.

⁵ -Ibid, P : 137.

⁶ خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص: 34. وينظر الملحق الخاص بالخرائط رقم: (3) من أجل الإطلاع على خريطة تبين توزيع الأعراش على مستوى ببايك الشرق.

⁷ عرش بني مهنة: من بين أهم الأعراش التي كانت تسكن منطقة عرش بني مهنة، ونسب العرش ينحدر من رجل يدعى "مهنة" الذي حلّ بشرق القل في مكان يدعى حاليا أولاد مهنة. وبنو مهنة فرقتين: السهلية والجبلية. وقد قاوموا الاحتلال الفرنسي للمنطقة، ولكنهم هزموا في أول معركة. ينظر: المرجع نفسه، ص: 34.

⁸ -Mouloud Gaid, Op. Cit, P: 137.

⁹ صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 50.

¹⁰ أولاد إبراهيم: تفرعت هذه القبيلة إلى فروع، منها ما كان متواجدا على مستوى منطقة العلة، ومنها ما كان مستقرا في منطقة سطيف ونواحيها. ينظر: Leila Babes, Op. Cit, P : 31.

¹¹ -Mouloud Gaid, Op. Cit, P: 137.

¹² عامر غرابية: تألفت من أولاد زيان وتارة وتاغوست وبيوزينة والفضلة وبعض الفرق من بني فرح ومشوتش، وهذا الصف كان في صراع مستمر مع أولاد عبدي المشكل من أفراد الرحا والأرباع وبعض الأسر من المعافة وأولاد عزوز وبني سليمان. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 283.

¹³ -Mouloud Gaid, Op. Cit, PP: 137.

¹⁴ -Ibid, P: 137.

كان عليه أفراد هذه القبيلة من تمرد وعصيان فكثيرا ما كان أحمد باي يستعمل الحملات العسكرية من أجل تأديبها وتدعيما لسلطة هذا القائد عليها⁽¹⁾.

ولقد استعان هؤلاء القياد بسلطة الشيوخ من أجل بسط نفوذ السلطة وفرض الأمن في كثير من المناطق على مستوى البايك.

ب- مجموعة الشيوخ: كانت سلطة الشيخ⁽²⁾ مزدوجة، احدها إدارية والأخرى عسكرية. تولى تسيير شؤون القبيلة وعمل على مراقبة مواسم الحرث والحصاد وتقسيم الأراضي على العائلات. كما كان ينظر في قضايا توزيع المياه، واختيار مكان استقرار "الدوار" أو "الدشرة"⁽³⁾ وأهمهم، شيخ العرب⁽⁴⁾، ولقد حظيت هذه الشخصية بالاحترام والتقدير، فكانت تتمتع بسلطة ونفوذ كبيرين على القبائل، لهذا استعان بها السلطة على مستوى البايك في تسيير أمور الرعية.

ومن بين الشخصيات البارزة التي تقلدت المشيخة⁽⁵⁾، "قرحات بن سعيد" وذلك منذ عهد الباي كريتلي، وبعد أن شق عصا الطاعة عليه سنة 1232هـ/1821م عزله⁽⁶⁾، لكنه نال عفو الباي عنه، وبذلك واصل يمارس سلطته إلى أن انتهت أحمد باي بسرقة أموال البايك، فقام بعزله سنة 1241هـ/1826م⁽⁷⁾ وولى مكانه بو عكاز⁽⁸⁾ الذي كان من أوفى الزعماء له، بحيث ساندته ودعمه أثناء الحملة الفرنسية الأولى

¹ الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

² الشيخ: وهو المصطلح الذي اعتمده أحمد باي في رسائله عندما كان يعرض البعض من الأحداث التي كانت تقع في مناطق متفرقة من البايك. مثال ذلك ينظر كل من الرسالة رقم: (15-28) في الترتيب العام للمجموعة. وكلمة الشيخ تعني "قديم". بوجه عام؛ كان يختار من بين الأكبر سنا والأكثر نضجا وحكمة وممارسة للفضيلة، وهو الذي يحكم عليه أهل القبيلة إن كان جديرا بأن يأمرهم. ينظر: ف. يانايي، مغامرات وملاحظات (تقرير عن إقامة في الجزائر)، د مط، باريس، د ط، 1820. ص: 125.

³ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 49.

⁴ أول من اتخذ هذا المنصب بإذن من الباب العالي المدعو بن حياش، هذا الأخير كان من بين الشخصيات المهمة في تلك الحقبة التاريخية. ينظر: Bureau de la Malle, Province de Constantine, (recueil de Renseignements), Libraire de guide, Editeur des annales des voyages, 1837, P: 169.

⁵ كذلك سماها أحمد باي في إحدى رسائله. ينظر: الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P: 357.

⁷ الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

⁸ بو عكاز: وتعني الرمح أو الرجل ذات العصا المصفحة بالحديد. ينظر:

Charles Féraud, Ferdjoui et Zouar'a (Note Historique sur la province de Constantine), R. A. 1878, P: 4.

على قسنطينة⁽¹⁾. ثم أسند هذا منصب بعدها إلى بلحاج بن غانة، وذلك سنة 1245هـ/1829م⁽²⁾.

ولقد استعانت السلطة العثمانية الممثلة في شخص أحمد باي بشيوخ القبائل من أجل إدارة شؤونها، ذلك أن الشيخ كان محترما وموقرا من طرف جميع أفراد القبيلة. ومن بين هؤلاء الشيوخ نذكر:

شيخ الحنانشة: كان يدير اثني عشر قبيلة⁽³⁾. وقد أسند أحمد باي مشيخة قبيلة الحنانشة للحاج المبارك⁽⁴⁾، ولكنه بعد مدة قرر عزله وكان ذلك في صيف عام 1241هـ/1826م⁽⁵⁾، بعدما تأكد له عصيانه وعدم قدرته على إدارة شؤون هذه القبيلة القوية⁽⁶⁾.

أما عن الشخصية التي وليت مكان الشيخ المعزول فلم يذكر أحمد باي بخصوصها أية معلومات، في حين رشح "عبد الجليل التميمي" رزقي الحنانشي⁽⁷⁾، الذي كان ينتسب إلى عائلة مجهولة النسب، السبب الذي أثار حقد وغضب القبيلة عليه، لهذا رفضوا سلطته، ذلك أن مثل هذه القبائل كانت ترفض أن تولى أمورها لفرد غريب عنها، وحتى وإن كان قرار تعيينه صادر من الباي شخصيا⁽⁸⁾.

ولعل أمر تنصيبه هذا يعود إلى تلك العلاقة القديمة التي ربطته بأحمد باي، فلقد كان رفيقه في عمليات الصيد، كما قَدَّم له خدمات عدة، من بينها القبض على

1-Séroka, Le sud Constantinois de 1830 à 1850, R. A. 1912, P : 378.

2-Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 137.

3-Ibid, P: 137.

4-الحاج مبارك: وهو الحاج مبارك بن أحمد بن علي، من بين أهم الشخصيات البارزة في قبيلة الحنانشة، ومن زعمائها. أصله من عائلة عريقة وغنية ومهابة. ينظر: Pierre Castel, Tebessa histoire et Description d'un territoire Algérien, Henry Paulin et C^{ie} éditeurs, Tome : 2, P : 73.

5-الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة.

6-أصل ذلك يعود إلى صيف سنة 1241هـ/1826م، عندما كان أحمد باي نازلا برفقة محلته في منطقة سوق أهراس عندما قصد رزقي الحنانشي وأفراد قبيلته، فاستغل أحمد باي الفرصة وبعث للحاج المبارك لكثته تغيب نون عنر واضح، فاعتبر أحمد باي غيابها هذا عصيانا وخروجا عن طاعته. ينظر: الرسالة: (15). في الترتيب العام للمجموعة.

7-رزقي الحنانشي: هو رزقي بن منصور، تولى الأمور الإدارية لقبيلة الحنانشة في العهود السابقة. ينظر:

Pierre Castel, Op. Cit P : 73.

8-Abdel Jelil Temimi, Beylic de Constantine et Hadj Ahmed Bey, P : 140.

زين بن يونس⁽¹⁾ الذي اعتبره أحمد باي من بين العصاة والمتمردين على السلطة الحاكمة⁽²⁾.

في حين ذكر ناصر الدين سعيدوني أنّ الذي ولي مشيخة قبيلة الحنانشة هو المدعو الحسنوي⁽³⁾، ولكن بعد فترة عزله أحمد باي وولى مكانه المدعو رزقي الحنانشي⁽⁴⁾، وقد تكلم عنه في مذكراته فقال بأنّ الحسنوي كان شيخا على قبيلة الحنانشة التي كان مقيما عندها، ولأنه حاك ضده المؤامرات، حكم عليه بالإعدام واستبدله برزقي الذي أبدى له الكثير من الإخلاص. ولكن بعدما فكر مليا في عاقبة هذا القرار وإرضاء لأسرة الحسنوي عينه كاتباً لدى الشيخ، لكنّه تنازل عن منصبه ولجأ إلى تونس⁽⁵⁾.

أمّا "أرنست مارسى" Ernest Mercier فرشح "علي" الذي كان شيخا على فرع من قبيلة الحرار بن ناصر⁽⁶⁾. وقد كان هذا الشخص من بين المتمردين على سلطة أحمد باي، لهذا أمر بالقبض عليه. ولكن بعد تسليمه، نظر في قضيته ودرسها من كلّ الجوانب فبدلاً من معاقبته، أصدر قراراً بتتصيه شيخاً على قبيلة الحنانشة؛ إلا أنّ هذه الأخيرة رفضت سلطته وثار عليه وكان ذلك سنة 1242هـ/1827م⁽⁷⁾.

وعلى كلّ فإنّ هناك إجماع بين ناصر الدين سعيدوني وعبد الجليل التميمي على أنّ المدعو رزقي كان شيخاً على قبيلة الحنانشة. وأمام غياب النص التاريخي لأحمد باي فيكون هذا الترجيح نسبي ولكنّه مقبول للأسباب التالية:

¹ زين بن يونس: كان شيخاً على قبيلة النمامشة، وكتب له أن يعيش إلى ما بعد احتلال الفرنسيين للجزائر. وأثناء نزول أحمد باي بديار هذه القبيلة لتوحيد الصفوف وتكوين قوة، عمل بن يونس هذا وأعوانه من أولاد سيدي يحيى والزرمة رعايا باي تونس لتسليم أحمد باي، ولكنّ هذا الأخير تقطن للمكيدة ولم تتطل عليه حيلة بن يونس الذي تظاهر بأنّه على علم بخطة العدو وأنه كان يسايرهم ولا يأخذ بتوجيهاتهم، فسارع أحمد باي إلى قتله مع أتباعه. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر متطالقات وأفاق، ص: 50.

² Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 376.

³ الحسنوي: هو الحسنوي بن بلقاسم، أصله من قبيلة الحنانشة، وحفيد الشيخ مبارك بن أحمد بن علي. ينظر: Pierre Castel, Tebessa histoire et description d'un territoire Algérien, P : 73.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 51.

⁵ أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 85.

⁶ قبيلة أولاد بن ناصر: تفرعت هذه القبيلة إلى فروع من بينها: بني مناصر الشارقة، وبني مناصر الجبالية الموجودة في منطقة وادي ريغ. ينظر:

L. Rinn, Le royaume d'Alger sous le dernier Day, R. A. N : 41, 1897, P : 150.

⁷ Ernest Mercier, Op. Cit, P : 376.

*-كنية الحناشني التي ألحقت باسمه دلالة على أنه كان على اتصال مباشر

مع هذه القبيلة.

*-مكافأة له للخدمات المتعددة التي قدمها لسلطة الباي.

*-أما فيما يخص أسباب استبعاد الرواية الثانية فذلك يعود إلى أنه ليس من طبيعة أحمد باي أن يرحم كل من تمرد على سلطته وبدلاً من معاقبته يكافئه بأن يوليه شيخاً على قبيلة تعد من أكبر وأقوى القبائل في بايلك⁽¹⁾.

شيخ العرب بالزاب "منطقة بسكرة": انقسمت هذه المنطقة إلى ثلاث مناطق متباينة وهي: الزاب الظهري، والقبلي، والشرقي. وكانت كلها خاضعة للشيخ بن غانة الذي عينه أحمد باي⁽²⁾ من أجل تسيير شؤون إحدى عشر قبيلة⁽³⁾ وهم من البدو والرحل. ومن بين أهمها: قبيلة التمامشة الغرابية، والعرب الرحل الشراقة⁽⁴⁾، والغرابية، وأولاد جلال⁽⁵⁾، وسيدي خالد⁽⁶⁾، وأولاد زكري وكلّ صحاري، هذه الأخيرة وصفت بالتمرد، فكثيراً ما كان يقوم أحمد باي برفقة قواته بشن حملات عسكرية قصد تأديبها⁽⁷⁾.

شيخ بلزمة⁽⁸⁾: كانت تحت إدارته، ثلاث عشرة قبيلة. وكان هذا الشيخ أكثر أهمية من شيخ الأوراس، نظراً للمداخل التي كان يتحصل عليها، أيضاً للقوة العسكرية التي كان يشرف عليها بحيث كانت تقدر بـ 300 فارس، في حين لم

¹ إن من العادة والعرف المتداول عليهما في تلك الحقبة التاريخية أنه لا يسلم مثل هذا المنصب إلا لمن اختاره أعيان القبيلة، ويقع إثباته في مهامه نزولاً عند رغبتهم، كما أنها كانت في معظم الأحيان عملية وراثية ولم يكن لتأثير بايات قسنطينة دوراً مهماً في ذلك. فمن النتائج المترتبة على مثل هذا القرار طرده أو قتله. ينظر: شارل روبري أجيرو، تاريخ الجزائر المعاصر، مع مقدمة من المؤلف خاصة بالطبيعة العربية عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط: 1، 1982، ص: 13.

² صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 26.

³ Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 136.

⁴ عرب الشراقة: تفرعوا إلى عدة فروع من بينها: أهل بن علي وشرقة وقمرة وأولاد أهل النور وجزءاً من أولاد سحنون بالحضنة. ينظر: المرجع السابق، ص: 54.

⁵ أولاد جلال: كان تواجدهم في الواحات بالجنوب الجزائري، وإليهم تنسب واحات أولاد جلال. ينظر: أحمد بوفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 195.

⁶ صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 26.

⁷ ينظر كل من الرسالة رقم: (16-19) في الترتيب العام للمجموعة.

⁸ منطقة بلزمة: تشكلت من منطقة بلزمة الأوراس الغربي وهي تحدها من الغرب باتنة، ومن الشرق منطقة الحضنة، أما شمالاً الزيبان، ومن الناحية الجنوبية الهضاب العليا القسنطينية. وتتكون من كتلة جبلية منيعة من الصعب الاستيلاء عليها أو التحكم فيها عسكرياً. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، ص: 135.

تجاوز القوة العسكرية التي كانت تحت إدارة شيخ الأوراس 150 فارس⁽¹⁾.
 شيخ زواغة: كان تحت إشرافه أربع قبائل⁽²⁾. لم يدعن أفرادها للسلطة
 الحاكمة سوى على عهد أحمد باي، وظلت منذ ذلك الوقت تستجيب لمطالب
 المخزن⁽³⁾. وهذا ما يجعلنا نستنتج أن مهمة هذا الشيخ كانت صعبة. وقد وكل أحمد
 باي عز الدين بالإشراف على إدارتها⁽⁴⁾.

شيخ قصر الطير، هذا الأخير كان موجودا على بعد ثماني فراسخ⁽⁵⁾ جنوب
 مدينة سطيف على مقربة من البحيرة المعروفة بسبخة قصر الطير⁽⁶⁾. وكان شيخها
 يتحكم في قبيلة ريغة المتفرعة إلى فرعين: ريغة الظهرة التي كانت تتكون من
 أربعة عشر حيا، وريغة القبلة وتتكون من ستة عشر حيا⁽⁷⁾.

شيخ أولاد مقران⁽⁸⁾ بمدجانة: كان مسؤولا على إدارة شؤون ثلاثة عشر
 قبيلة⁽⁹⁾. وكانت هذه الشخصية من بين الشخصيات المهمة، لسببين، أحدهما لقوة
 ونفوذ هذه الأسرة. أما الثاني فيعود لأهمية المنطقة الاقتصادية والاجتماعية. وكان
 أحمد باي يمد هذا الشيخ بـ 15 خيمة، ذلك أن قبيلتي بني العباس⁽¹⁰⁾ وعباد كانتا
 تمتنعان عن دفع المطالب المخزنية، لذا فإن استخلاص هذه الأخيرة بمشيخة

¹ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 135.

² Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 136.

³ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 51.

⁴ Temimi, Le Beylic de Constantine, P : 137.

⁵ الفرسخ: وحدة قياس للطول، وهو عند العرب ثلاث أميال أو ست. قيل هو فارسي معرب، وقيل مأخوذ من
 الفرسخ الذي هو السكون أو المسافة، ويعادل الفرسخ الإنجليزي ثلاث أميال برية وهو ما يعادل أيضا 15، 840
 قما. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، ج: 17، ص: 301.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 160.

⁷ صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 51.

⁸ أمقران: تعني باللغة البربرية القائد الكبير. ينظر:

W. Ragot, Le Sahara de Constantine, R. C., 1873-1874, P : 228.

ولقد تفرعت هذه قبيلة إلى فرعين، منها فرع عبد السلام الذي كان وفيًا لسلطة العثمانيين وكان زعيمهم الحاج
 عبد الله. ينظر:

Mouloud Gaid, Op. Cit, P : 94.

⁹ Ibid, P : 137.

¹⁰ قبيلة بني العباس: هؤلاء صاروا بشدة الأخوين عروج وخير الدين وتحصنوا في الحصن العالي المحمي
 لرافض لأية سلطة والمعتد باستقلاليتهم الممتنع عن دفع أية مطالب. ينظر: الكراي القسنطيني، العلاقة بين
 الأتراك العثمانيين والقوى المحلية بتونس والجزائر، وضعية الدراسات حول الولايات العربية في العهد العثماني
 خلال الثلاثين سنة الماضية، إعداد وتقديم: عبد الجليل التميمي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،
 قرسي-زغوان، أكتوبر/نشرين الأول 1996، ص: 221.

المقراني لم يكن بالأمر الهين، سواء في العهد العثماني أو الفرنسي. وقد نصّب أحمد باي المدعو أحمد بن بوزيد المقراني (1) شيخا عليها (2).

شيخ فرجيوة: تمثلت مهمته في إدارة شؤون ست قبائل (3). وقد أسند أحمد باي هذه المهمة إلى مقورة بن عاشور (4)، وكان ذلك سنة 1243هـ/1827م، لكنه بعد مدة قرر عزله (5).

ولعل أسباب عزله (6) تعود إلى ثلاث أمور، وهي التي أظهرها أحمد باي في رسالته، مما يعطينا فكرة عن أسباب العزل التي كان يصدرها البايّات بصفة عامة، وأحمد باي على وجه الخصوص في شأن عمال الإدارة العثمانية، وقد تمثلت فيما يلي:

*- عدم دفعه لحق اللزّمة (7) والتي كانت تدفعها قبائل الرعية (8).

*- عدم تسديده حق القندورة، هذه الأخيرة كان إلزاما على كل شيخ تسديدها (9).

*- عدم استجابة مقورة لطلب أحمد باي، والمتمثل في إمداده بفرسان من أجل

¹ الشيخ أحمد بن بوزيد المقراني: من بين الشخصيات البارزة والمهمة في عائلة المقراني، وقد خاض صراعا مريرا وشاقا مع أبناء عمومته من أجل إدارة المنطقة التي كانت تمتد مساحتها ما بين قيادة فرجيوة بالشرق، وقيادة شيخ العرب بالجنوب. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 55.

² المرجع نفسه، ص: 55.

³-Mouloud Gaïd, Chronique des Beys de Constantine, P : 138.

⁴ مقورة بن عاشور: كان شيخا على قبيلة فرجيوة. انضم إلى فريق إبراهيم كرينلي مع كل المعارضين للباي أحمد وذلك بعد سقوط عنابة. وتعود أصل هذه العداوة القديمة بينه وبين أحمد باي إلى ما حدث بين أحمد القلي جد أحمد باي وأحد أجداد مقورة بن عاشور، هذا الأخير سبب لأحمد القلي هزيمة نكراء. ومنذ ذلك الوقت تكونت بين الأجيال عداوة كبيرة توارثتها على مر التاريخ. وبالرغم من تلك العداوة إلا أنه أمّد أحمد باي بكافة المساعدات وتطوع أن يكون فارسا تحت إمرته من أجل اتقاد الجزائر. ينظر:

Charles Féraud, Histoire des villes de la province de Constantine, R. C, 1871-1872, P : 308.

وكل هذه الأقوال تتناقض مع ما جاء في رسالة أحمد باي التي وجهها إلى حسين باشا والتي يعلمه من خلالها أنه تم القضاء على مقورة بن عاشور في 19 محرم من سنة 1243هـ/12 أوت 1827م. ينظر: الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة. وما يؤخذ به هو ما جاء على لسان أحمد باي.

⁵ الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ ذكر أرنست مارسى أن أمر عزله هذا لم يؤثر على نفوذه وسلطته على بعض مناطق البايك. ينظر:

Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 375.

⁷ الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

⁸ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 97.

⁹ الرسالة السابقة.

القيام بحملته الشتوية⁽¹⁾؛ بحيث كان واجبا على كلّ شيوخ القبائل أن يلبوا هذا النداء، بناء على اتفاق يبرم بينهم وبين السلطات مقابل بعض الإعفاءات المخزنية⁽²⁾. ولقد نصب أحمد باي مكان الشيخ المعزول ابن عمه ولكن دون التعريف به أو حتى ذكر اسمه⁽³⁾، وما عثر عليه في بعض المراجع هو أنّ هذا الشخص هو بن دراجي بورنان⁽⁴⁾ الذي كان شيخا على منطقة فرجيوه. ولقد تأكد حقيقة أنّه كان ابن عم مقورة بن عاشور من جهة، وخال لبوعكاز من جهة أخرى لكنّ الرعية تمردت وثارَت عليه رافضة بذلك سلطته⁽⁵⁾.

شيخ دير أولاد يحيى بن طالب⁽⁶⁾: كان تواجههم في جهات متفرقة من منطقة تبسة، ولقد عرفت هذه الأخيرة عدّة اضطرابات على فترات مختلفة من تاريخها العثماني، إلا أنّ هذه الفتن خفت حدتها على عهد أحمد باي⁽⁷⁾. شيخ قبيلة العلمة مصالح⁽⁸⁾: تم تنظيمها في شكل قبيلة مخزن، يديرها مباشرة شيخ يختاره أفراد القبيلة الذي كان تحت أوامر باش كاتب الباي، وقد ساعدت تلك القبيلة كثيرا سلطة الباي في إقرار الأمن ببلاد القبائل الصغرى⁽⁹⁾. شيخ منطقة وادي الصفصاف: كان يشرف على إدارتها الأتراك بشكل

¹ - الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

² - Charles Féraud Ferdjiooua et zouar à. Note historique sur la province de Constantine, R. A. 1878, P : 20.

³ - الرسالة السابقة.

⁴ - بن دراجي بورنان: أوقعه الشيخ بو عكاز في فخ نصيّه له بالتخطيط مع أحمد باي أثناء قيامهما بجولة فوق الحصان بحيث أرماه أرضا ومن تم قام بطعنه طعنة قاتلة. ينظر:

Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 93. Voir aussi: Charles Féraud, R. A. 1878, P : 83.

وعندما شاع خير مقتل بورنان بين أفراد قبيلته، اتحدت هذه الأخيرة مع قبيلة بن قندوز الذي نفذ في زعيمها حكم الإعدام بأمر من الباي شخصيا وأعلنت عصيائها وتمردتها على سلطته، لهذا الغرض قام أحمد باي بتأنيبهم، وذلك بشن حملة عسكرية عليهم، ولكنّ قوات الباي تراجعت أمام شجاعة فرسانهم. ينظر:

Mercier, Histoire de Constantine, P : 375.

⁵ - Bouaziz Ben Gana - Chiekh El Arab, Etude Historique sur la famille Ben Gana, P : 35.

⁶ - أولاد يحيى بن طالب: منذ سنة 1242هـ/1827م، اعتزلت هذه القبيلة الساحة، ملتجئة إلى جبال الأوراس، أين أقامت بها بعيدة عن ما كان يحدث من حركات تمرد وعصيان. ينظر:

Pierre Castel, Tebessa histoire et description d'un territoire Algérien, P : 7.

⁷ - Ibid, P : 74.

⁸ - قبيلة العلمة مصالح: تواجدت هذه القبيلة في منطقة سطيف، ولقد اتحدت مع بعض القبائل الراضية لحكم أحمد باي بزعامة ابن قندوز من أجل الإحاطة بحكمه. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 63.

⁹ - المرجع نفسه، ص: 30.

مستمر، وعلى عهد أحمد باي أصبح أغا الباي يتولى شؤونها. ويوجد تحت أوامره شيخان يتقاسمان إدارة القبائل بالمنطقة، واحد منهما يتولى إدارة العرب القبالة، فيما يدير الثاني شؤون العرب الظهارة⁽¹⁾.

وبهذا فالمجموع العام للعاملين تحت سلطة أحمد باي يكون ستة وثلاثون عاملا ما بين شيخ وقائد. يتوزعون على الشكل التالي: إحدى عشرة شيخ وعشرين قائدا، هؤلاء نصبوا من أجل مباشرة أعمالهم والوقوف على مصالح الدولة والرعية. هذا طبعا باستثناء القبائل التي كان لها اتصال مباشر بإدارة البايلك، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ المادة التاريخية التي جمعت حول هذا الموضوع والعدد الذي طرح لا يمكن أن يكون النهائي، بل يبقى نسبي ما دامت هناك وثائق كثيرة قد يكشف عنها الغبار والتي يمكن من خلالها كشف أمور ومعطيات جديدة.

وما يلاحظ على المادة التاريخية الواردة في رسائل أحمد باي أنّها لم تكن كافية لسد هذا العنصر المهم من جهاز الحكم على مستوى المنطقة خاصة تلك التي خصت الإدارة على مستوى المدينة، ذلك أنّ معظم ما ورد حول هذا الموضوع كان عبارة عن تقارير مختصرة كان يعلم بها الباشا حسين بين الحين والآخر.

وعموما ما يمكن الخروج به من خلال هذا العرض الموجز لأسس العمل الإداري على مستوى بايلك الشرق عشية الاحتلال الفرنسي، أنّ أحمد باي سار على خطى من سبقوه من البايات، فلم يغير من أسس هذا الجهاز، ولكنه حاول أن يجعل منه خاضعا للسلطة العثمانية، يتماشى وفق معطيات فرضتها القوة الحاكمة؛ كما حاول فرض سلطة الحكم على الجميع بعدما كان شبه غائب أثناء حكم الباي السابق -محمد منماني-.

وما الجديد في هذه المجموعة من الرسائل في الجانب الإداري، هي تلك المعلومات التي خصت بعض أسباب العزل، وعلاقة الباي بعماله وصرامته في اتخاذ القرارات ومواجهة مشاكل وأعباء الإدارة على مستوى المدينة والأوطان.

¹ -صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 30.

كما أظهرت تلك التبعية المطلقة والولاء لولي الأمر حسين باشا، إذ كان يعلمه بكل تفاصيل العزل والتولية التي كانت تتم على مستوى إدارته، وهذه صورة أخرى رسمتها قلم هذه الرسائل على نوعية العلاقة التي كانت تجمع بين الحاكم الأعلى ونوابه في الحكم على مستوى البيالك، وهذا ينفي تماما ما ذهب إليه بعض الكتاب الفرنسيين من أنه لم تكن هناك أية تبعية أو ولاء من قبل أحمد باي اتجاه حسين باشا⁽¹⁾.

وما هو مهم في المعلومات التي قدمتها البعض من هذه الرسائل، أنها أكدت أحيانا على صحة بعض المعلومات التاريخية الواردة في بعض المصادر والمراجع، وأحيانا أخرى نفت أمورًا تداولتها هذه المراجع. كما أضافت معلومات جديدة أفادت نوعا ما الدراسات التاريخية التي اهتمت بالتاريخ العثماني في الجزائر خاصة وأخر عهوده.

2/1- المبحث الثاني: القضاء على عهد أحمد باي

تميز الجهاز القضائي في الجزائر أثناء العهد العثماني بخصائص ميزته عن الأجهزة القضائية التي كانت متواجدة في الدول الأوروبية. ذلك أن السلطة العثمانية عند وضعها لهذا الجهاز راعت خصوصيات المجتمع الجزائري من حيث تعدد المذاهب الإسلامية، والبنية الاجتماعية. وهذا ما سيلاحظه كل دارس للقضاء الجزائري على ذلك العهد. فلقد اهتم العثمانيون بالقضاء⁽²⁾ منذ عهد السلطان محمد الفاتح (855-886هـ/1451-1481م)⁽³⁾، وكان استنادهم في إصدار أحكامهم والبت في القضايا التي كانت تواجههم على الكتاب والسنة⁽⁴⁾.

¹-Mersel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P:241.

²-القضاء اصطلاحاً: هو منصب الفصل في الخصومات والإلزام بالأحكام الشرعية في الأمور التي تعينت لصاحب هذا المنصب في العهد أو العرف. ينظر: متير العجلاني، عبقرية الإسلام في أصول الحكم، مطبعة دار النفائس، بيروت لبنان، ط:3، 1985، ص:330.

³-السلطان محمد الفاتح: هو السلطان محمد بن السلطان مراد الرابع، جلس على كرسي الخلافة سنة سنة وخمسين وثمانمائة، وكان عمره إذ ذاك عشرين عاماً، توفي سنة سبع وثمانين وثمانمائة، كان من أجل ملوك بني عثمان وأكرمهم، وسمي بالفاتح لكونه قد فتح قسطنطينية. ينظر: محمد البكري الصديقي، فتح الرحمانية في النولة العثمانية، مخطوط رقم: 1651، المكتبة الوطنية، الجزائر العاصمة، قسم المخطوطات، ط و: 8.

⁴-محمد فريد بك، تاريخ النولة العلية العثمانية، دار النفائس، ص: 178.

واعتبر الجهاز القضائي على مستوى بايالك الشرق صورة مصغرة للجهاز القضائي الساري العمل به في كلّ الجزائر، إذ لم يكن العمل القضائي محصوراً بين أيدي المفتيين والقضاة الذين كانوا مفوضين للنظر في القضايا، وإنما كان يشاركونهم في ذلك كبار الموظفين وصغارهم، محاولين في ذلك تحقيق التوازن بين كلّ فئات المجتمع القسنطيني، ذلك أنّ تمايز المذاهب الإسلامية (المذهب المالكي لأغلبية المجتمع، فالحنفي الذي اختص بالأترك والكراغلة، ثم المذهب الإباضي) في المجتمع الجزائري عامة والقسنطيني على وجه الخصوص قد فرض على السلطة الحاكمة أن تسخر لكلّ محاكمه القضائية الخاصة به، يقوم على تسييرها مجموعة من الموظفين، يعمل كلّ طرف في الاختصاص الذي سخر لأجله، فكانت بذلك مهمتهم الأولى والأساسية تحقيق العدل وإنصاف المظلوم وحل النزاعات المختلفة.

كما أنّه نتيجة لهذا التمايز في البنية الاجتماعية التي كان عليها المجتمع الجزائري عامة، عمدت السلطة العثمانية على تقسيم العمل القضائي في الجزائر إلى قضاء مدني⁽¹⁾ وآخر عسكري⁽²⁾. كما خصصت لغير المسلمين الذين كانوا متواجدين في البيالك خاصة اليهود والمسيحيين منهم قضاءهم ومحاكمهم الخاصة بهم.

ومن خلال عرض بعض النماذج من المسائل القضائية التي بت فيها أحمد باي سوف يتضح كيفية ممارسة الباي للعمل القضائي⁽³⁾ مع أنّه تعذر معرفة الفصل النهائي في القضايا التي كانت تعرض على الباشا. ولقد كانت هناك محاولة للعثور على الردود التي كان يبعث بها حسين باشا لعامله على مستوى بايالك الشرق أحمد باي على القضايا المطروحة عليه، إلا أنّه تعذر ذلك، لهذا اقتصرنا هذه الجزئية إلا على دراسة القضايا التي بت فيها أحمد باي دون التطرق إلى الفصل فيها.

1- القضاء المدني: كان يتم على مستويين. الأول على مستوى المدينة، وهو

¹ ينظر كل من الرسالة رقم: (6-18-24-30) في الترتيب العام للمجموعة.

² ينظر كل من الرسالة رقم: (5-7-25) في الترتيب العام للمجموعة.

³ من بين الرسائل التي تناولت نماذج عن بعض المسائل القضائية والتي بت فيها أحمد باي نذكر كل من الرسالة رقم: (5-6-7-18-24-25-28-30) في الترتيب العام للمجموعة.

من اختصاص المفتين⁽¹⁾ والقضاة ، والباي⁽²⁾. وكان يتم ذلك بالتنسيق مع هيئات أخرى. أما الثاني فكان يتم على مستوى الأوطان وكان من صلاحيات كل من الشيوخ⁽³⁾، والمرابطين⁽⁴⁾، والقياد. وهذا لا يعني نفي وجود القاضي في الأوطان. كما كان أيضا من اختصاص الباي⁽⁵⁾.

أ- العمل القضائي على مستوى المدن: يتكون المجلس القضائي بمدينة قسنطينة من مفت وقاضي مالكيين لعموم الناس، ومفت وقاضي حنفيين للأتراك والكراغلة وعدلين وناظر للأوقاف الإسلامية الذي كان يشغله على عهد أحمد باي المدعو العربي بن عيسى المتوفى في مدينة قسنطينة سنة 1251هـ/1836م⁽⁶⁾، وكل هؤلاء كانوا يؤلفون جميعا المجلس الشرعي الإسلامي برئاسة الباي⁽⁷⁾، يعملون بالتنسيق مع أجهزة أخرى، هذه الأخيرة قامت بتسهيل المهمة وضبط النظام والأمن. وأول عنصر في هذا الجهاز نجد:

المفتي: كان خاضعا للسلطة الحاكمة في الجزائر⁽⁸⁾. كما كان عضوا في الديوان⁽⁹⁾. فلقد وفرت السلطة العثمانية على مستوى كل مدينة رئيسة مفتي حنفي، الذي كان يبيت في المسائل القضائية التي خصت العنصر التركي والكرغلي. أما المفتي المالكي فكلف بالبيت في القضايا التي كانت تخص عامة السكان الجزائريين.

¹ لم يعثر على تدخل القاضي أو الحنفي في كل المسائل القضائية المطروحة في رسائل أحمد باي، ولكن كان لابد من التطرق إلى هذا العنصر لما له من أهمية في إثراء هذا البحث.

² ينظر كل من الرسالة رقم: (7-24) في الترتيب العام للمجموعة.

³ ينظر كل من الرسالة رقم: (18-19) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ ينظر الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ ينظر كل من الرسالة رقم: (5-27) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 5، ص: 398.

⁷ صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 24.

⁸ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 42.

⁹ ذكر شارل أن المفتي كان موظفا خاضعا للسلطة الحاكمة في الجزائر وليس له أية سلطة سياسية من أي نوع. ينظر: شارل، مذكرات شارل فنصل أمريكا، ص: 48. وهذا ما نفاه أحمد سليمان الذي ذكر بأن المفتي كان عضوا في الديوان. ينظر: تاريخ مدينة الجزائر، ص: 39.

لهذا خصصت لكل طرف محاكمه الخاصة به⁽¹⁾، فكان لكل مفت مقره بمعزل عن الآخر، أين كانا يعقدان جلسات للنظر في القضايا مرتين في الأسبوع. وكانت هذه المحاكم متساوية في الاختصاصات⁽²⁾.

ومن بين الذين مارسوا وظيفة الإفتاء على عهد أحمد باي نذكر، أحمد العباسي المتوفى سنة 1251هـ/1836م. تخرج من جامع الزيتونة أين تشبع بالعلم. فكان نابغا في البلاغة، كما اشتهر بدروس التفسير. وسي الحاج مبارك الذي تولى الإفتاء على المذهب المالكي، وكذا المفتي ابن الفتح الله على المذهب الحنفي⁽³⁾. القاضي: كان القاضي⁽⁴⁾ على اتصال مباشر بمشاكل الحياة اليومية من خصومات، وعقود زواج وطلاق، وعقود بيع وشراء ووقف وكراء. لهذا وفرت السلطة الحاكمة على مستوى كل مدينة رئيسة قاضي حنفي وآخر مالكي.

فالأول كان يخوض في المنازعات والمسائل التي كانت تحدث بين الأتراك والكراغلة. في حين كان القاضي المالكي يبت في المسائل التي كانت تقع بين أفراد المجتمع الجزائري.

وفي حالة وجود قضايا مختلطة، -أي نزاع بين جزائري وتركي- أو -جزائري وكرغلي-، فكان الحق يعود للتركي أو للكرغلي في رفع قضيته أمام القاضي الحنفي⁽⁵⁾.

ومن بين الذين مارسوا وظيفة القضاء على عهد أحمد باي نذكر، محمد العنابي المتوفى سنة 1252هـ/1836م⁽⁶⁾. كذلك أبو المنصور عمار الشريف الذي تولى القضاء خلال سنة 1240هـ/1826م. وكان من بين الشخصيات المشهورة على

¹ عبد الرحمان الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 512.

² شارل، مذكرات شارل، ص: 48.

³ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 42.

⁴ هكذا ورد تسميته في رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) لا تحمل رقما أو تاريخا.

⁵ شارل، المرجع السابق، ص: 48.

⁶ محمد العنابي: يتحدر هذا العالم من عائلة عريقة، اشتهر أفرادها وبالعلم والعمل في المجال القضائي. ينظر: عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين (14/13)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1995، ص: 318. ووصفه حمدان خوجة بالصلاح والعدل. ينظر: المرأة، ص: 198.

مستوى مدينة قسنطينة، والإمام الخطيب بجامع رحبة الصوف، كما كان لا يشق له غبار في الفقه، والأدب⁽¹⁾.

بالإضافة إلى القاضي المالكي والحنفي، كان هناك قاضي إياضي⁽²⁾ الذي اختلف بالبب في النزاعات التي كانت تحدث بين فئة الميزابيين باعتبارهم جزء لا يتجزأ من الرعية الجزائرية.

وكان على شخص القاضي أو المفتي التمتع بشروط أجمع عليها كل الأئمة والعلماء تمثلت في الحرية، وسلامة العقل والبدن، والنزاهة، والأخلاق العالية⁽³⁾. كما كان على كل واحد منهما أن يتحصل على شهادة علمية من مدارس أدرنة أو القسنطينية أو القاهرة. فكان اختيارهم لا يتم إلا من فئة العلماء بعد اجتيازهم لامتحان⁽⁴⁾، تختبر من خلاله معرفتهم بالعلوم الفقهية والنصوص التشريعية⁽⁵⁾.

فكان يجب على القاضي أو المفتي أن يكون مطلعاً على القوانين الإجرامية والأحكام الشرعية⁽⁶⁾ من خلال النصوص الإسلامية⁽⁷⁾، زيادة على إحاطته بعلوم الدين وتفسير القرآن⁽⁸⁾، ذلك أن الأحكام الصادرة في كل القضايا كان مصدرها من الشريعة الإسلامية، وهذا ما تأكد من خلال هذه العبارة الواردة في إحدى رسائل

¹ أحمد توفيق المثني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 71.

² حاولنا العثور على بعض الأسماء لقضاة مارسوا هذه الوظيفة على عهد أحمد باي ولكنه لم نتمكن من ذلك.

³ بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، ص: 39.

⁴ لم يكن نظام الامتحانات معروفاً وقتها، وإنما كان الشائع هو أن يكلف الأستاذ الذي أخذ سهماً وقرأ من العلوم في أن يساعد الطلاب على ارتياد الدرس الجديد، وتكوين فكرة عنه قبل أن يشرحه الأستاذ وهو ما جرت به العادة، أو بأن يعيد على الطلاب الدرس الذي سبق أن ألقاه الأستاذ، فيرفع من جهته مستوى التدريس. على أنه حين يختم الدرس يمنحه الأستاذ إجازة خاصة لتدريس علم معين أو عدد من العلوم. أو إجازة عامة لتدريس كافة العلوم. ينظر: العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، سيرتاً، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، س: 2، ع: 2، رجب 1400هـ/ماي 1980م، ص: 67.

⁵ بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 37.

⁶ كان لقاضي أثناء العهد العثماني بصورة عامة يمثل الرجل المثقف أكثر مما يمثله رجل الحكم، فكان يشترط في القاضي أو المفتي أن يكون مطلعاً على الفقه وعلوم القرآن، إذ لا ينبغي لقاضٍ لا يعرف الشرع تولي منصب القضاء. ينظر: خليل الساحلي، سجلات المحاكم الشرعية كمصدر فريد للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، المجلة التاريخية المغربية، تونس، جانفي 1974، ع: 2، ص: 27.

⁷ أحمد بحري، الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 1671-1830، رسالة لنيل شهادة ماجيستر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، السنة الجامعية: 1422-1423هـ/2001-2002م، ص: 150.

⁸ لقد كان القضاء شيوخاً مطلعين على القرآن الكريم ويتمسكون بسمعة طيبة، وفي جميع القضايا كانوا ينطقون بأحكامهم شفهيًا. ينظر: Joao Mascarenhas, Esclave à Alger, Récit de captivité de Joao

Mascarenhas (1621/1626), Traduit de Portugais et présenté par: Paul Tyssier, Edition Chandiegné, Librairie Portugaise, Paris, 1993, P: 96.

أحمد باي والتي صرح فيها: "...وشاورناك أعزك الله فإن ظهر لكم أيديك الله أن يجري أمره على حكم الله والشريعة المحمدية فذلك المراد...⁽¹⁾. وهذا ما يؤكد صحة المعلومات الواردة في البعض من المصادر والمراجع التي تناولت القضاء على العهد العثماني.

وبناء على كل ما ذكر فإنّه كان لا يتم اختيار البايات للقضاة أو المفتيين إلا باستشارة أهل العلم، بحيث لا يستلمون مهامهم إلا بعد إثبات كفاءاتهم⁽²⁾، عندها كانت تمنح لهم السلطات الحاكمة وثائق تثبت تعيينهم⁽³⁾ وتوصي فيها باحترامهم، فيكتسبون بذلك سلطة روحية وفعلية تخضع لهما العامة والخاصة. وهذه الوثيقة نموذجاً عن تلك الوثائق التي كانت تسلم إلى القضاة بعد تعيينهم، والتي جاء نصها كما يلي:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم
ونص الطابع المتوكل على المعبود عبده مصطفى بن محمود سنة 1239^(*)
"أمرنا هذا أسمى الله ذكره وأعلى شأنه وقدره بيد ما سكه المكرم الأجل الزكي،
الأفضل، العالم، الأكمل ابننا السيد الهواري على أننا أنعمنا عليه وولينا قاضياً
مرضياً وثقة محظياً على خدامنا جماعة بني مايدة. فيحكم بمشهور من مذهب الإمام
مالك، ويسلك في ذلك أحسن الطرق والمسالك ويتقي أمة تعالى في سره وعلانيته،
وسيعلم أنه مضطلع عليه وسائله يوم بعثه عن كل ما حكم به وأمضاه وصوغه
وارتضاه وأوجب العمل بمقتضاه. وأجرينا في جميع أموره وأحواله على عادة
القضاة المتقدمين أمثاله مع الحرمة الكاملة والشاملة. فحسب الواقف عليه أن يعمل
بما فيه ولا يخالف ولا يتعدى عليه ومن تعدى الحد فقد استوجب الحد. والله الموفق

¹ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

2-Louis de Boudicourt, La guerre et le gouvernement de l'Algérie. Sagnier et Bray édition, Paris, 1853, P : 283.

³ كان يتم تعيين القاضي أمام محضر من العلماء والفقهاء والذين يكونون المجلس الشرعي، والغرض من ذلك أن تتخذ تولية القاضي صبغة شرعية. فكان يقوم أحد أعضاء المجلس وغالباً ما يكون رئيساً له بإعلان تولية القاضي منصبه. ثم تملأ عليه قوانين المجلس الشرعي الذي يجب على كل قاض الوقوف عليها والالتزام بها. ينظر: وثيقة تعيين قاضي، غير مرقمة، مكتبة السيد محمد القاضي، غليزان.

* 1239 هـ موافقة لسنة 1825 م.

للصواب وإليه المرجع والمآب لا رب غيره ولا معبود سواه والأمر كله لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الحليم الكريم. وكتب عن ابن المعظم السيد مصطفى خوجة الخير وفقه الله بمنه أمين⁽¹⁾. "بتاريخ أواخر 25 رمضان المبارك 1245^(*)".

ومن خلال نص هذه الوثيقة تتبين أمور عدة من بينها:

* توضيح المهام المنوط بها والتأكيد على العمل بالمذهب المالكي فقها وفتوى.

* الصبغة الدينية التي طغت على نص الوثيقة، بحيث حملت الكثير من العبارات التي دلت على التمسك بدين الله وحدوده.

* أن هذا الأمر كان عرفا متداولاً بين الحكام بدليل هذه العبارة: "على عادة القضاة المتقدمين أمثاله". وهذا إن دلّ على أمر فإِنَّه يدلّ على أن القضاء الجزائري سار على وثيرة لم يخالفها أحد من الحكام.

* السلطة الروحية والفعلية التي كانت تمنح للقاضي بعبارة: "على الحرمة الكاملة والشاملة".

وإذا وضعت مقارنة بين نص هذه الوثيقة مع نص وثيقة أخرى من النوع نفسه ولكن الإطار الزمني مختلف، فسوف يتأكد من خلال هذه المقارنة أن الصيغة التي كتبت بهما لم تتغير حتى بعد سقوط مدينة الجزائر، وهذا نصها:

"الحمد لله أمرنا بهذا السعيد المبارك بحول الله تعالى

وقوفه الحميد بيد الفقيه الأجل ابننا السيد علي الزغواني علي أنا أنعمنا عليه وولينا قاضيا بنجع الحراكتة أولاد عيسى وأوصينا بأن يحكم بمشهور إمام مالك بن أنس الذي به الفتوى وأوصينا بفتوى الله العظيم وطاعته في السر والعلانية ومراقبة من لا تخفاه خافية وأمرنا بطاعته مع إبقاء عليه بالحرمة والاحترام والمبرة

¹ ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3205، وثيقة قضائية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.
* 1245 هـ موافقة لسنة 1830 م.

والإكرام بحسب الواقف على أمرنا هذا أن يعمل بمقتضاه ولا يخالفه ولا يتعداه ومن خالف الحد استوجب العقوبة والحد. والسلام من السيد الحاج أحمد باشا أيده الله تعالى ونصره أمين⁽¹⁾.

"أواسط جمادى الأولى 1250^(*)".

وبهذا يتضح أن الصيغة التي كتبت بها هذه الوثيقة لا تختلف مطلقاً عن سابقتها، وما يلاحظ أيضاً التكرار الحرفي لبعض العبارات نذكر منها:
* - "ووليناه قاضياً". وهذه العبارة تؤكد على أن أمر تولية القاضي كان يقوم به الباي شخصياً.

* - "يحكم بمشهور إمام مالك". من خلالها يتأكد أن الأحكام الصادرة كانت مستنبطة من المذهب المالكي المتبني من طرف معظم الجزائريين.

* - "مع إبقاء عليه بالحرمة". أيضاً: "ولا يخالفه ولا يتعداه". وما ورد في هاتين العبارتين لا دليل على حرص السلطات العثمانية والممثلة في شخص الباي في ضمان الوفاق والتقدير والطاعة لشخص القاضي.

* - "ومن خالف الحد استوجب العقوبة والحد". وهذا يؤكد على أن العقاب الصارم يكون مصير كل من حاول خرق هذه الحدود التي وضعتها السلطات حفاظاً على "حرمة" القاضي.

ومن خلال هذه المقارنة المختصرة لمحتوى الوثيقتين فإنه يستنتج أن الأمور القضائية لم تتغير في بابلك الشرق حتى بعد سقوط مدينة الجزائر مركز الحكم. العمل القضائي من اختصاص الباي: ذلك أن الباي⁽²⁾ كان وكيل الباشا في تسيير شؤون الرعية حتى القضائية منها، فقد ذكر الزباني أنه كان للباي "الحق المطلق في الرعية بالقتل للعرب والضرب والسجن والعقوبة بكل وجه الخطية دون

¹ وثيقة يولي من خلالها الحاج أحمد باي المدعو علي الزغواني منصب القضاء على مذهب الإمام مالك. وقد أخذنا بنص الوثيقة المخطوطة لأن النص الذي جاء به صالح فركوس مختصر بحيث تفادى ذكر بعض العبارات التي رأيناها هامة في عملية المقارنة. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 110.

* 1250 هـ موافقة لسنة 1835 م.

² ينظر كل من الرسالة رقم: (5-6-7-18-24-25-28-30) في الترتيب العام للمجموعة.

تعرض أحد له في ذلك⁽¹⁾. وقد أشارت بعض المصادر إلى ممارسة البعض من البايات للعمل القضائي ولكنها لم تفصل في الموضوع. ومن هؤلاء البايات نذكر الباي محمد الكبير⁽²⁾ الذي لم يكن يتسامح أبداً مع كل من كان يحاول إثارة الفتنة وزرع روح العصيان بين أوساط الرعية، أو أن يمس بمقدسات المجتمع⁽³⁾. أيضاً الباي محمد بن عثمان الكبير 1193-1212هـ/1779-1797م⁽⁴⁾ الذي عرف طيلة فترة حكمه بقوة قضائه وشدّة حكمه، وكان اعتباره الوحيد في كلّ هذا أنّ إقامة العدل هو أساس الملك.

ومن بين المسائل القضائية التي بت فيها أحمد باي شخصياً والتي ورد ذكر تفاصيلها في إحدى رسائله⁽⁵⁾، تلك التي وقعت بتاريخ جمادى الأولى من عام 1243هـ/1827م؛ إذ قام رجل مالكي المذهب⁽⁶⁾ من القاطنين في مدينة قسنطينة بقتل زوجته. وصفها أحمد باي بأنها سيدة محترمة، ومدنية وذات أخلاق عالية، وذلك بشهادة كلّ جيرانها⁽⁷⁾.

وخلال تفاصيل هذه القضية، أنّه في وقت الزوال من تاريخه دخل الجاني منزله فوجد زوجته في صحن الدار مع جاراتها في جلسة نسائية، فنادى عليها،

¹ الزباني، أنيس الحيران وجليس السهران، ص: 190.

² محمد الكبير: هو محمد بن عثمان الكردي. كان خليفة على مليانة، ثم ارتقى فأصبح بايا على تطري. حرص هذا الباي على الثقافة والمتقنين، لذلك بنى المدارس للطلبة ووفر لهم المأوى وهياً لهم كافة الوسائل. ينظر: أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، الناشر عالم الكتب، ط 1، ص: 15-24.

³ ابن سحنون الراشدي. الشعر الجماني في ابتسام الشعر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، قسنطينة، ط 1، 1973، ص: 402.

⁴ محمد بن عثمان: هو عصمان بن الحاج إبراهيم أبو عثمان باي منطقة الغرب وتلمسان. تحدث عنه بن عودة المزاري فقال: "قيضه الله لفتح وهران تولى أولاً بتلمسان لما كانت القاعدة بها، وقام عليه بونس المرانسي، وتولى ثانياً على جميع المنطقة الغربية فرقي لمنصب الباي بالعز والتفضيل". ينظر: بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج: 1، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1990، ص: 282-284.

⁵ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ من خلال ذكر مذهب القاتل يمكن التعرف على انتمائه الطبقي، وبالتالي فكان الأجدر أن تعرض قضيته على القاضي المالكي، إلا أنّ أحمد باي فضل بنفسه البت فيها. أيضاً من خلال معرفة انتمائه المذهبي يمكن معرفة نوعية العقوبة التي يستحقها ولكن بالرغم من كلّ هذه المعطيات فإنّ الباي لم يستطع أن يتخذ أية عقوبة دون الرجوع إلى الباشا.

⁷ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

عندها أسرع إلى لتلبية نداءه؛ بعدها بقليل خرج الرجل مسرعاً من البيت، فذهبت إليها جاراتها لتتفقدها فوجدنها مقتولة. عندها قصد "أولياء الزوجة" أحمد باي بطالبونه بالقصاص⁽¹⁾. ومن خلال هذه العبارة تتأكد فكرة القصاص التي كان يطالب بها أهل الضحية، وهذا ما يؤكد أيضاً صحة ما جاء به "شارل جوليان" Charles Julien عندما ذكر بأن أهل القتل كانوا يقررون القصاص في قتلهم⁽²⁾. فاستجاب أحمد باي لطلبهم وأصدر أمراً بالقبض على الجاني⁽³⁾.

ومن خلال عملية البحث تم العثور عليه مختبئاً في مقر "سكن النوبة"⁽⁴⁾ بالقصبة بعدما طلب منهم "الأمان". عندها بعث أحمد باي إلى الديوان وأعلمهم بأن "هذا الرجل قتل نفساً عمداً وأن التجاوز عن مثل هذا يغري أضرابه من أهل الجسارة والفساد ويتجرأ غيره ويستسهل الأمر من لا يخشى العواقب والصواب أن نتبعوا لنا هذا الجاني نسئله ونبحثه عن السبب الذي قتل به زوجته أم أولاده التي هي معه مدة طويلة لم يظهر منها ريبه..."⁽⁵⁾. فمن خلال هذه الفقرة يستنتج أمور عدة أهمها: أن مقر النوبة "الثكنة العسكرية" كانت ملجأ لبعض الجناة، الذين كانوا يجدون فيها الحماية والمساندة.

وهذا ما يؤكد صحة ما ذهب إليه شارل حين ذكر "أنه إذا لم يتمتع المتهم بحماية شخص قوي النفوذ فإنه يكون في وضع سيئ للغاية"⁽⁶⁾. وقد يكون شارل صائبا في جانب من كلامه، ولكنه أخطأ حين أكد بأن حماية صاحب هذا النفوذ قد تنجي الجاني من الحكم الذي سوف يصدر ضده، إذ بالرغم من لجوء القاتل إلى

¹ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

² Charles André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, P : 6.

³ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ النوبة: وهي عبارة عن مجموعة الجند المستقرة بالثكنات المتواجدة في المدن، أو المرابطة بالأبراج والحصون، وأغلب هذه المجموعات تتمركز في مدينة الجزائر وما حولها فيما يتوزع القليل منها بالمراكز المهمة بالبيالك الأخرى ويتصرف في كل مجموعة أغا. ينظر: عثمان كعالك، موجز تاريخ الجزائر العام من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة: أبو القاسم سعد الله - محمد اليشير الشنيتي - ناصر الدين سعديوني - إبراهيم بحار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 2003، ص: 281، هامش: 3.

⁵ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ شارل، مذكرات شارل فنصل أمريكا، ص: 47.

النوبة والاحتماء بالبولداس إلا أنه لم ينفذ من ملاحقة عمال أحمد باي له والقبض عليه، فقد ذكر في تقريره ما يؤكد ذلك فقال: "فأحضروه لدينا على كره منهم وفي زعمهم أن ذلك حط في جانبهم"⁽¹⁾.

عندها حقق أحمد باي شخصيا مع الجاني بدليل عبارة: "فسالنا القاتل"، "فأقر لدينا بالقتل"⁽²⁾ متهما زوجته بالخيانة مع أحد جيرانه. لكن أحمد باي لم يسلم بهذا الادعاء الخطير دون البحث والتحري عن الحقيقة، فأصدر أمرا بإحضار الشخص المعني وبعد الاستماع إلى أقواله تبث بشهادة شهود أنه وقت الجريمة كان على ضفة الوادي يغسل ثيابه⁽³⁾. وبهذا سقطت حجة الجاني وتبثت عليه الجريمة بأدلة قطعية⁽⁴⁾، فقد ذكر أحمد باي بصريح العبارة: "...ولم يتبث عندنا سبب يوجب قتل المرأة أمسكنا الرجل القاتل مربوطا عندنا..."⁽⁵⁾. لكنه لم يتخذ أي قرار في شأنه، إنما كتب إلى الباشا تقريرا مفصلا حول القضية، يستشير به في أمر معاقبته أو العفو عنه⁽⁶⁾.

ومن خلال المعطيات التي قدمها أحمد باي حول هذه الجريمة، فإنه تتبين من خلالها عدة أمور أهمها:

* - أن الباي كان يبيت في قضايا القتل الخاصة بالطرف المدني مالكي المذهب، وهذا يؤكد صحة ما ذهب إليه صالح فركوس عندما ذكر "أن البايات كانوا يقضون جزءا من يومهم في الفصل في القضايا التي كانت ترفع إليهم"⁽⁷⁾، دون إعطاء أمثلة أو تفاصيل عن ذلك.

* - مسألة القصاص المتداولة في تلك الحقبة التاريخية.

¹ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

² كانت إجراءات التحقيق تتم شفويا. ينظر: Charles Julien, Histoire de l'Algérie P : 60. وكان المتهمين يقومون بالرافعة والدفاع عن قضاياهم بأنفسهم وبدون مساعدة أحد. ينظر: شارل، مذكرات شارل، ص: 48.

³ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ الرسالة نفسها.

⁵ الرسالة نفسها.

⁶ الرسالة نفسها.

⁷ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 42.

*- الطريقة التي كان يتم بها استجواب الجاني.

*- كما يتبين أنّ بعض المجرمين اتخذوا من مقر النوبات مأوى وملجأ لهم،

حتى لا تصل إليهم السلطة، وذلك لأهمية المكان ومكانته.

*- ويستنتج أيضا أنّ أحمد باي لم يكن يخشى أحدا حتى اليولداش، في حالة

ما إذا تعلق الأمر بإحقاق العدل ومعاقبة الجاني، وهذا ينفي تماما ما ذهب إليه بعض

المؤرخين، هؤلاء وصفوا البايات بالقسوة والظلم اتجاه الرعية وأخذهم للرشوة، كما

يؤكد صحة ما قيل في شخص أحمد باي، بأنه كان حاكما عادلا يحترم إرادة الرعية

ولا يتحمل الظلم بكل أشكاله⁽¹⁾.

وما هو جديد في المعلومات الواردة في تقرير أحمد باي، هو أنّه بالرغم من

ثبوت تهمة القتل على الجاني بدليل هذه العبارة: " فأقر لدينا بالقتل"⁽²⁾، إلا أنّ الباي

لم يصدر في شأنه حكما، وهذا ينفي تماما ما أورده "الزباني" حينما كتب يقول عن

سلطة الباي القضائية: " وله الحق المطلق في الرعية بالقتل للعرب والضرب والسجن

والعقوبة بكل وجه الخطية دون تعرض أحد له في ذلك"⁽³⁾.

فمن العادة في تلك الفترة من تاريخ الجزائر أنّ كلّ من قتل نفسا متعمدا، فإنّ

مصيره يكون حتما الإعدام⁽⁴⁾. فكان العربي يعاقب بالشنق في ساحة عمومية أو

يقطع الرأس أو الأوصال أو يلقي به من على سور مرتفع ليتلقفه خطاف حاد من

الحديد أثناء سقوطه⁽⁵⁾.

ولعلّ رجوع أحمد باي إلى الباشا حسين في أمر معاقبة الجاني، يعود إلى

أحد الأمرين:

¹ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 30. أيضا ينظر:

M. Emerit, Les mémoires d'Ahmed Bey, dernier Bey de Constantine, R. A. 1949, P: 17.

² الرسالة رقم: (24) في التتريب العام للمجموعة.

³ الزباني، أنيس الحيران وجليس السهران، ص: 190.

⁴ Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 131.

⁵ مكان تنفيذ الحكم: كانت أحكام الإعدام تنفذ في حصن القصبة بإلقاء الجناة من أعلى الحصن نحو أعماق الوادي السحيقة؛ أما بقية الأحكام فكانت عادة ما تنفذ عند باب والي الرمل. ينظر: ناصر الدين سعيدي، ورفات جزائرية، ص: 182.

*-الأمر الأول: ما كان شائعا في تلك الحقبة التاريخية أن كل القضايا الخطيرة يرجع فيها القرار النهائي إلى الحاكم الأعلى والممثل في شخص حسين باشا، ذلك أن الباشا كان يسير الأمور القضائية بصفة محكمة، إلى جانبه أعضاء مجلسه الذين يكونون دائما حاضرين معه، فيطلع على جميع الأمور بصفة عامة وأمور البيالك على وجه الخصوص بما فيها المسائل القضائية. ففي الديوان كان يستعرض ويدرس جميع القضايا والشكاوى التي كان يقدمها السكان على مستوى كل المناطق⁽¹⁾. وقد يستبعد هذا الأمر.

*-أما الأمر الثاني: فيعود إلى أن الجاني قد طلب الحماية من النوبة الموجودة بقصبة مدينة قسطينة، لهذا فإن أحمد باي لم يشأ أن يتصرف في هذا الأمر دون اللجوء إلى الباشا حسين، حتى يتقبل اليولدش هذا القرار رغما عنهم، وهذا ما نراه أكثر ملائمة لهذا الموقف، ذلك أن أحمد باي عندما بعث يستشير الباشا حسين، ذكر له ما يلي: "وعرفناك وشاورناك أعزك الله فإن ظهر لكم أيديك الله أن يجري أمره على حكم الله والشريعة المحمدية فذلك المراد وإن بان لك حفظك أن تجاوزوا عنه لهروبهم للنوبة فإنه كرهوا إخراجهم من عندهم فالنظر لك"⁽²⁾. فهذه العبارة تؤكد أن هذا الأمر هو المرجح في هذه القضية.

أيضا من بين القضايا التي بت فيها أحمد باي على مستوى المدينة تلك التي خصت شخص قايد الدار المدعو بوزيان بن علي، هذا الأخير قام بسرقة جزء من المطالب المخزنية التي جمعها من الرعية، وعندما تبثت عليه جريمة السرقة فرض عليه أحمد باي غرامة مالية لم يحدد قيمتها في محتوى الرسالة، وقد دفع الجاني جزءا منها فيما طلب من الباي أن يمهله مدة من أجل تسديد البقية⁽³⁾.

¹ - Mouloud Gaid, L'Algérie sous les Turcs, Maison Tunisienne de l'éducation, Société national d'édition et de deffusion, Alger, 1974, P:92.

² الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

³ الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

وما يلاحظ على هذه القضية أنها خالفت العادة التي دوام عليها أحمد باي في البت في كلّ المسائل القضائية، ذلك أنه أصدر حكما فيها وصرح بنوع العقاب المسلط على الجاني، في حين نجده في كلّ المسائل الأخرى يستشير الباشا حسين في أمر العقوبة المترتبة على الجاني مهما كانت درجة الجريمة المرتكبة.

بالإضافة إلى شخص الباي ومجموعة القضاة والمفتيين، كان الجهاز القضائي العامل على مستوى المدن الرئيسية يضم أعضاء كانوا يعملون بالتنسيق فيما بينهم، فيساعدونهم بذلك في تسهيل العمل القضائي وبسط الأمن واستتباب النظام في الشوارع والأحياء، ومن بينهم نذكر:

العدول: وقد سماهم أحمد باي في إحدى رسائله بـ "شهداء القاضي"⁽¹⁾. فقد كان لكلّ قاضي عدلان رسميان يسجلان الأحكام الصادرة⁽²⁾، فبعدما يصدر القاضي حكمه، يقوم أحد العدول بتسجيله في وثيقة، يطلق عليها "الحجة"، ثم يقوم القاضي بعدها بالتوقيع عليها⁽³⁾.

أما العقود فأسندت مهمة تحريرها وتسجيلها لاثني عشرة عدلا، بعدها يمشيها العدلان الرئيسان ويختمانها بالختم الخاص بكلّ واحد منهما⁽⁴⁾؛ كما كانا يحضران الجلسات التي كانت تتم فيها المحاكمات، فيكونان بذلك شهودا على كلّ ما كان يحدث مصداقا لقوله تعالى: "وأشهدوا ذوي عدل منكم"⁽⁵⁾. وقد خصصت لهم السلطات العثمانية رواتب يتقاضونها مقابل الجهود المبذولة في خدمة القضاء⁽⁶⁾.

وبما أنّ الجهاز القضائي على مستوى بايلك الشرق كان صورة مصغرة من الجهاز في كلّ أنحاء القطر الجزائري أثناء العهد العثماني، فإنه يمكننا أن نتخذ أمثلة

¹ رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) وهي لا تحمل رقما أو تاريخا.

² أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 171.

³ خليل الساطي، سجلات المحاكم الشرعية كمصدر فريد للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، المجلة المغربية، ص: 28.

⁴ Boutems, Les institutions Algériennes durant la période turque, P : 41.

⁵ سورة الطلاق، الآية رقم: 2.

⁶ رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) وهي لا تحمل رقما أو تاريخا.

من مناطق أخرى ونسقتها على ما كان يحدث في بابلك الشرق. ومما يؤكد ما قيل عن العدول، عقد التسليم الذي وقعه السيد عبد القادر بن المختار قاضي في منطقة سوق الثلاثة الواقعة في الغرب الجزائري، وكان ذلك أثناء حكم حسن باي. وقد وقع على هذا العقد مجموعة من الرجال وصفوا بالعلم ومعرفتهم بالأمر الفقهي. وجاء نضها كما يلي:

"الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم".

"أشهدنا على نفسه الكريمة المكرم السيد بن سعيد وأنه أنزله ولد ولده محمد موضع ابنه السيد عبد القادر من كونه ينوبه ما ينوب أبيه من الإرث في مال السيد بن سعيد فجزاه الله خيرا وله المثوبة وأجرا. بمحضر الفقيه السيد عبد القادر بن المداني والفقيه السيد المكي والفقيه... (1) بتاريخ أواخر شوال عام 1240^(*).

الجهاز الأمني (الشرطة): كان الأمن في المدينة من اختصاص "الشرطة"، التي كانت تعمل على حراسة الطرقات والأحياء وضبط الأمن والنظام العام. فكانت بذلك نشيطة ومهابة؛ وكلف بهذه المهمة أعيان المدينة والقادة (2).

فكانت تتشكل من أربع مجموعات، كل مجموعة تضم ستين رجلا تم استيعابهم من سكان المدينة، يتولى رئاستها قائدان. في حين كان يشرف على تنظيمها قائد القصبية (3) ويساعده في ذلك خوجة الخيل، الذي كلف بالقيام بالدوريات الأمنية ليلا (4).

الكاوية (5): كانت هذه الشخصية تعين من بين الأهالي أو من فئة الكراغلة.

¹ أحمد بحري، الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات، ص: 147 - 148.

* 1240 هـ موافقة لسنة 1826 م.

² حمدان خوجة، المرأة، ص: 18.

³ القصبية: تقع في الزاوية البارزة للمثلث الذي تشكله الأسوار بين باب القنطرة والباب الحديد فوق الصخور المطلة على الجزء الأكبر من المدينة على ارتفاع مائة متر فوق جرف يشرف على أعماق الوادي في انحدار رأسي شحيق. وهذه القصبية عبارة عن بناء قديم في شكل قلعة صغيرة محصنة وكانت تستعمل بمثابة تكسنة (بمصطلح العصر) للحامية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، ص: 181.

⁴ هاينرش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص: 41.

⁵ ورد هذا المصطلح في كل من الرسالة رقم: (18-30) في الترتيب العام للمجموعة.

وكانت تسهر على أمن المدينة نهاراً⁽¹⁾. كما كلفت أيضاً بالسهر على ضبط النظام وحسن سير الجنود داخل الثوبية⁽²⁾.

أغا الخيل: كانت تختاره السلطة من فئة الأتراك، واختص بالعمل الليلي، حيث كان يسهر على أمن الطرقات والأحياء⁽³⁾.

المزوار: تمثلت مهمته في السهر على استتباب الأمن والنظام داخل المدينة، فيقوم بمساعدة آخرين بدوريات ليلية لترصد أي طارئ أو فوضى قد تحدث أثناء الليل، وفي الصباح يقدم تقريراً للحاكم⁽⁴⁾. كما كلف بتطبيق العقوبات الجسدية، ومراقبة دور الدعارة، والسجون، والقبض على المذنبين، ما عدا رجال السلك العسكري، فقد منع عليه منعاً باتاً القبض على أي جندي مهما كانت جريمته⁽⁵⁾. قائد الدار: تمثلت مهمته في السهر على توفير الأمن وحراسة الطرقات والقبض على المجرمين⁽⁶⁾.

التشو أو الجلاد: كانت من بين الوظائف المهمة في تلك الحقبة التاريخية، بحيث ألحق بكل حاكم جلاد، الذي كان يرتقي ليشغل أعلى المناصب في السلطة⁽⁷⁾. وخير دليل على انتشار الأمن في شوارع المدن الجزائرية ما ذكره أحد الأوروبيين في هذا الشأن، فكتب يقول: "كانت الأحياء والشوارع تحرس ليلاً بطريقة ملفتة للانتباه مثلما لم يشاهد مثلها في الدول الأوروبية، وقليلاً ما كنا نسمع عن عمليات السطو على البيوت"⁽⁸⁾.

كل هؤلاء العمال سخروا من أجل المحافظة على الأمن والاستقرار في

¹Boutems, Les institutions Algériennes durant la période turque, P : 42.

²الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

³Op. Cit, P : 42.

⁴Du bois thainville. Mémoire sur Alger. 1809. P : 130.

⁵Auteur inconnue, Histoire des Etats Barbaresques, Par un auteur qu'y résider plusieurs années avec caractère public. Traduit de l'Anglais, Tome : 1, chez Chaubert Quai des Augustins Hérissant, Imprimeur, P : 363.

⁶Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 136.

⁷شارل، مذكرات شارل، ص: 47.

⁸André Raymond, Grandes villes arabes à l'époque Ottomane, Bibliothèque Arabe Sindabad, P : 146.

الأحياء والطرق، وهم يعملون بالتنسيق مع القضاة الذين كانوا مكلفين بالخوض في كل القضايا التي كانت تطرح أمامهم بعد ما يقوموا هؤلاء العمال بالقبض على المتهمين. وهذا ينفي تماما ما أُلحق بالقضاء في الجزائر أثناء العهد العثماني، بأنه كان يفتقر الكثير من التنظيم والدقة في مباشرة الأعمال القضائية.

ب- العمل القضائي على مستوى الأوطان: كان العمل القضائي على مستوى الأوطان من اختصاص القياد والمرابطين وشيوخ القبائل، نظرا لطبيعة البنية الاجتماعية التي كانت عليها هذه المناطق على العهد العثماني في الجزائر. كما هو أيضا من اختصاص الباي الذي كان يبيت في بعض القضايا الحساسة التي كانت ترفع إليه بين الحين والآخر، وهذا ما لم تتطرق إليه جل المصادر والمراجع التاريخية المعتمد عليها في إنجاز هذا البحث، وإن تطرقت إليه فإنه يكون بصورة مختصرة وغير مفصلة. ولقد أطلعنا البعض من رسائل أحمد باي على نماذج من القضايا التي باشر فيها الباي شخصيا على مستوى الأوطان.

فأما الشيوخ فاستمدوا شرعية سلطتهم من التعقل والحكمة، والسلوك الحسن دينيا ودينويا، ورضا الناس عنهم. فلقد كانت السلطة القضائية في بعض الأوطان تخضع لنظام قبلي خاص⁽¹⁾ في إطار التقاليد والأعراف المتبعة والمتوارثة عبر الأجيال، حيث كان يختار شيخ يرأس الجماعة التي تشرع وتصدر الأحكام طبقا للشريعة الإسلامية والأعراف⁽²⁾. وما قدمه علي خنوف من وثائق أثبتت ذلك، فقد نشر في مرجعه وثيقة تضم مجموعة من الأحكام قد دونت على شكل فصول، كل فصل اختص بقضايا معينة قابلتها الأحكام الخاصة بها⁽³⁾.

وكثيرا ما كان يتدخل الشيوخ في إصلاح ذات البين وحل بعض المشاكل العالقة التي كانت تحدث بين الحين والآخر على مستوى المنطقة التي كلفوا بإدارة

¹-Saïd Ben Abdallah, La Justice du F. L. N. Pendant La Guerre de Libération, Presses du Complexe Graphique de Reghaïa, 1982, P : 17.

²-Charles André Julien, Histoire de L'Algérie Contemporaine, P : 7.

³-خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص ص: 25-27.

شؤون الرعية المستقرة بها⁽¹⁾.

أما "القياد"⁽²⁾ فكانوا يستمدون سلطتهم من الإرث الأسري، وهو النوع الوحيد في المنطقة الذي كان يستند في فرض سلطته إلى القوة⁽³⁾. و"القياد" هو المسؤول على الشرطة، والأمور القضائية⁽⁴⁾ إلى جانبه قاضيان، واحد للأحوال المدنية والآخر للقضايا الجنائية، يصدران الأحكام بحضوره وبمساعده⁽⁵⁾، وكان من خصوصياته إصدار الأحكام سواء كانت بالضرب، أو بالسجن، أو بالتغريم. أما الأحكام الجنائية الكبرى فكان يرجع فيها القرار إلى الباي⁽⁶⁾. ومن بين "القياد" الذين تولوا هذا المنصب "القياد" عمر الذي ولاه أحمد باي "قايدا" على وطن فرجيو⁽⁷⁾.

في حين استمد المرابط سلطته من الشرف الأسري المتوارث ومن اكتسابه لبعض العلوم الدينية التي تعلمها من أجداده⁽⁸⁾. فقد أكد حمدان خوجة ذلك عندما كتب عن أعراس زواوة يقول: "وعلى الرغم من عدم وجود قانون يسوون به خلافاتهم، ويكبحون به جماهم، وعلى الرغم من أنهم لا يقبلون الخضوع لأي سلطان، فإن طاعتهم للمرابط لا يمكن تفسيرها"⁽⁹⁾. أيضا ما ذكره أحد الباحثين عن قبائل الغرب الجزائري، إذ كتب يقول: "فهذه قبائل غرب مدينة الجزائر كلهم عصاة لا يتصرف فيهم الأغا أو الباي، بل يتصرف فيهم المرابط"⁽¹⁰⁾.

وبما أنّ هذه الظواهر الاجتماعية يمكن إسقاطها على ما كان يحدث في بايلك

¹ ينظر كل من الرسالة رقم: (18-19) في الترتيب العام للمجموعة.

² "القياد" يتميز القايد عن غيره ببرنوسه الأحمر الذي كان يرتديه، ويتم إلباسه إياه في مراسيم تعيينه من قبل الباي بحضور الأعوات وكبار الموظفين، حيث يتم مثوله كأى موظف جديد مهما كانت رتبته أمام المجلس، ويسلم له البرنوس الذي يهيئ له السلطة التي تولاها. ينظر:

Louis de Boudicourt, La guerre et le gouvernement de l'Algérie, P : 273.

³ -خونف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص: 49.

⁴ -Op. Cit, P : 284.

⁵ -E. Pélissier De Raynaud, Annales Algérienne, Revue corrigé et continuée jusqu'à la chute d'Abdelkader, Librairie militaire, Librairie Bastide, Alger, Octobre 1854, Tome : 1, P : 93.

⁶ -Louis de Boudicourt, Op. Cit, P : 284.

⁷ -ملف الوثائق العثمانية، رقم المجموعة: 1246، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر العاصمة.

⁸ -خونف علي، المرجع السابق، ص: 49.

⁹ -حمدان خوجة، المرأة، ص: 56.

¹⁰ -الشريف الزهار، مذكرات شريف الزهار، ص: 48.

الشرق خاصة على مستوى الأعراس الموجودة في كل من مدينتي بجاية وسكيكدة، فإننا نستنتج أنّ سلطة المرابط كانت قوية على سكان الأوطان⁽¹⁾.

وكثيرا ما كان المرابط يتدخل في بعض القضايا التي كانت تحدث بين الجانب المدني والسلطة الحاكمة الممثلة في شخص أحمد باي، ومثال ذلك ما قام به أحد المرابطين عندما عرض عليه كبار قبيلة أولاد سحنون التدخل في إصلاح علاقتهم مع أحمد باي⁽²⁾.

كما أسند العمل القضائي في بعض المناطق إلى القضاة، هؤلاء كان يتم اختيارهم من بين الشخصيات الأكثر علما وحكمة، فكانوا بذلك يشرفون على أمور عدّة، كالملكية، والإرث، والزواج، والطلاق، وغيرها من القضايا التي خصت الحياة اليومية للمواطن الجزائري⁽³⁾.

ومثال ذلك ما كان معمولا به على مستوى منطقة تقرت⁽⁴⁾ المعروفة بـ "إمارة بني جلاب"، فقد كان يتولى أمورها القضائية قاضيها؛ وقسمت إلى قرى صغيرة تخضع كلها إلى سلطة الحاكم الأكبر، الذي كان يسيّر أموره بمساعدة موظفيه، ويعتبر الشاوش عينه الساهرة التي كانت تترقب كل ما كان يجري بين الرعية، وقد وفر لكل منطقة قاضيها، هذا الأخير كانت ترفع إليه القضايا لمعالجتها وحلها، وكان يتم الاستئناف على مستوى القاضي الأكبر بتقرت في مجلس ينعقد في سوق البلدة بحضور كل قضاة القرى، وكان الحكم الأخير يعود للقاضي الأكبر. أما الأحكام الصادرة فكانت مرجعيتها الأولى والأخيرة للشريعة الإسلامية⁽⁵⁾.

أما المقر الذي كانت تباشر فيه الجلسات للبت في القضايا العامة والخاصة فكان

¹ - خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص: 35-36.

² - ينظر الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

³ - المرجع السابق، ص: 47.

⁴ - تقرت: موقع هذه "الإمارة" -أو مشيخة القبالية- ما بين وادي ريغ ووادي إيغارغار بالجنوب الشرقي إلى نواحي الجريد التونسي؛ وكان تأسيسها على يد الحاج سليمان بن رجب بن جلاب سنة 854هـ/1450م، وأورثها بنيه مدة أربع قرون تقريبا. وكان الرئيس منهم يحمل لقب "شيخ" وتارة "السلطان"، والمعروفة أسماؤهم من رؤساء هذه الإمارة عشرة شيوخ أولهم الحاج سليمان ثم جاء بعده أبنائه وذووه، فيسطوا نفوذهم إلى أن جاء الاحتلال الفرنسي عام 1267هـ/1851م. ينظر: عيد الرحمن الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج:3، ص: 264.

⁵ - M. TH. Pein, Lettres Familières Sur L'Algérie (Un Petit Royaume Arabe), Librairie Adolphe Jourdan. Imprimeur Libraire, Editeur. 2ème Edition 1893, P: 71.

بـ (المحكمة)⁽¹⁾، التي كانت متواجدة بالقرب من منزل القايد أو القاضي، أين كانا يستقبلان الشكاوى والنزاعات وذلك عند انعقاد الأسواق الأسبوعية، فكانا يتأقنان الشكاوى والقضايا الخاصة والاحتجاجات بداخلها. ولقد استمرت الخدمات القضائية تقدم داخل الأسواق حتى بعد الاستعمار الفرنسي للجزائر⁽²⁾.

كما كان أحمد باي يبيت بين الحين والآخر في بعض القضايا التي كانت تحدث في الأوطان، والتي اختلفت درجة خطورتها. وما يلاحظ على هذه القضايا التي تناولها أحمد باي في رسائله، أنها التزمت بالمبدأ نفسه والذي سار عليه في القضايا السابقة، والمتمثل في تجنب إصدار الأحكام على الجناة مفضلاً في ذلك الرجوع إلى حسين باشا.

ومن بين القضايا التي بت فيها أحمد باي على مستوى الأوطان، نذكر عمليات السرقة التي خصت أموال البايك. فقد جاء في أحد تقاريره التي بعث بها إلى حسين باشا⁽³⁾ بتاريخ 26 ذي القعدة من سنة 1241هـ/1826م، أن المدعو فرجات بن سعيد⁽⁴⁾ شيخ العرب والمكلف بجمع المطالب المخزنية، قام بسرقة أموال البايك؛ والتي قدرت بـ مائة رأس إبل، وقد تم استخلاصها من الرعية على مستوى منطقة الصحراء⁽⁵⁾.

وعادة ما كانت نصوص العقوبات، مستنبطة من القرآن الكريم⁽⁶⁾. فالعقاب

¹ المحكمة: كانت عبارة عن كوخ مربع الشكل مغلق بأغصان أشجار الغابة أو بالحجارة والطين من ثلاث جهات ومفتوح من الجهة الأمامية. ينظر: خنوق علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص: 49.

² المرجع نفسه، ص: 49.

³ الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ فرجات بن سعيد: كتب عنه أحمد باي في مذكراته يقول: "إنه رجل بارود، لا يهاب المنية. حاربني مدة سبع سنوات فكان يساوي وحده مائة فارس. ينظر: أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 46. وما يؤكد هذا الوصف ما ذكره أحد الفرنسيين في شأنه فوصفه بالبأس والشجاعة، وأنه يذكرنا بأحد الأبطال الأوائل في العهد الإسلامي، ولكن سرعته وعدم صبره وعدم ضبطه للأمور السياسية جعل من كل هذه الصفات الجميلة والحميدة لا تظهر فيه. كان قصير القامة ومتواضعا جدا في شكله. ينظر: "

Séroka, Le sud Constantininois de 1830, 1855, R. A. 1912, P : 381.

⁵ الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ أندري بريان، أندري نوشي، إيف لاکوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة، اسطانبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، د ط، ص: 22.

المخصص للمسارق هو قطع اليدين⁽¹⁾، بموجب النص القرآني القائل: "المسارق والمارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم"⁽²⁾. فكان الشواش "يحملون المسارق بعد أن تقطع يده على حمار ووجهه إلى الخلف ويده معلقة على صدره فيطوفون به في الشوارع ليشهد العامة عقابه"⁽³⁾.

وبالرغم من هذا فإن أحمد باي لم يذكر نوع العقوبة المسلطة على شخص فرحات بن سعيد، لكنه يؤكد بأن العقاب واقع عليه لا محال لأنه تجرأ على سرقة أموال البابك⁽⁴⁾، وهذه الأخيرة جريمة لم تكن لتغفرها له السلطات العثمانية. كما حدثت عملية سرقة مماثلة خلاصتها، أنه عندما طلب الباشا حسين من أحمد باي تقريراً حول حساب الوكيل مع السماري⁽⁵⁾ قايد الجابري والعشر، أجابه بعدم قدرته على تنفيذ هذا الطلب، ذلك أن هذا القايد لما جمع من الرعية المطالب العينية، فرّبها هاربا⁽⁶⁾.

وأعلمه بأنه بعث إلى عماله "ليكيلوا" ما جمع من قمح وشعير، فإذا بهم لم يعثروا إلا على مائة وأربعة عشر صاعاً من الشعير وستة عشر صاعاً من القمح لا غير، وهذه القيمة سجلت بعد ما سدّدت كلّ الرعية ما كان عليها من المطالب. إضافة إلى هذا كله فإن القايد السماري قد أجبر الرعية على دفع ما عليهم من حصة الشعير قبل ينعه (يبسه)، لهذا فإن كلّ ما عثر عليه قد فسد ولم يستطع الانتفاع

¹ Charles Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, P : 60.

وقد تبدو هذه العقوبة لبعض مجردة من الإنسانية وقاسية، خاصة بالنسبة للأوروبيين عامة، والفرنسيين على وجه الخصوص، ولكن ما يجب قوله أن الإنسان لن يكون أبداً رحيماً بأخيه الإنسان، أكثر مما سيكون عليه الله سبحانه وتعالى بعباده. فهذا العقاب هو نص قرآني فصل فيه خالق العباد، هذا حتى تصان أموال الناس وممتلكاتهم، وأيضاً حتى تكون عبرة لمن تسول له نفسه أن يأخذ ما ليس له بغير وجه حق.

² من سورة المائدة، الآية رقم: (38).

³ Louis de Boudicourt, La guerre et le gouvernement, P : 147.

⁴ الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ السماري: قد تكون كنية ألحقت بهذه الشخصية، وهي تسمية إلى قسم من قبيلة أولاد رنان من الصحراء والأصل في ذلك أن البعض من العائلات التي تنتسب إلى أولاد دراج وأولاد سالم من الهدنة وأيت عزيز من الجابور كانوا قد استقروا بالقرب من عين تدعى السماري ومنها أطلق عليهم هذه التسمية. ينظر:

Leila Babes, Tribus et structures, P : 115.

⁶ الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

(1)

ويضيف أحمد باي بأنّ عملية السرقة هذه كانت على علم من كلّ الرعية التي استخلصت منها هذه المطالب العينية وبوثائق تثبت ذلك (التذاكر)⁽²⁾. لهذا أمر أن يجمع كلّ "التذاكر" حتى يتم تقدير القيمة الحقيقية⁽³⁾.

أمّا بخصوص الادّعاء الذي سوف يتخذه السماري حتى يبرأ ذمته، فذكر أحمد باي بخصوصه ما يلي: أنّ السماري سوف يدّعي بأنّه استعمل هذا القمح والشعير لتسديد "حاجيات البايك". وهذا كلام كاذب على زعمه، إذ أنّ كلّ ما استعمله أخذ جزءاً منه من المحصولات التي جمعت من الرعية على عهد محمد المناني -الباي السابق-، والجزء الآخر اقترضه من بعض الأتراك ومن أهل قسنطينة ومن "الدائرة"⁽⁴⁾، على أساس أن تردّ كلّ هذه الديون إلى أصحابها في أقرب الأجال، لكنّه لم يفعل ذلك. وهذه جريمة أخرى تضاف إلى تهمة السرقة⁽⁵⁾.

وبالرغم من كلّ هذه التهم الثابتة على المدعو السماري، إلا أنّ أحمد باي لم يتخذ أيّ إجراء ضده، إذ بعد عملية حسابية بسيطة نجده قد سرق 3200 صاعاً من الجابرية و3684 صاعاً من العشر. كما أنّه لم يسلم ما كان عليه من الديون لأصحابها. وعندما كتب أحمد باي هذا التقرير المفصل كان ينتظر من الباشا أن ينصحه في نوع العقوبة الواجبة في شخص القايد⁽⁶⁾. وعموماً لم تكن السلطة

¹ الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

² التذاكر: جمع تذكرة وهي الأوامر اليومية للشؤون العامة. ينظر: أحمد توفيق المدني، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 181. وكانت هذه التذاكر تقدم للفلاحين أو الرعية بصفة عامة عندما كانوا يقومون بتسديد المطالب المخزنية؛ إنّه هي بمثابة وصول بمصطلح العصر يثبت من خلالها الفلاح سدادها لما عليه من مطالب السلطة، كما كانت تكتب فيها القيمة المدفوعة؛ وبهذا لا يستطيع القايد الذي يستخلص هذه المطالب أن يزيد فيها أو أن ينقص من قيمتها. ينظر: حمدان خوجة، المرأة، ص: 114. ومن هنا تعتبر هذه التذاكر التي كانت تسلم للرعية عند تسديد ما عليهم من مطالب مخزنية بمثابة وثيقة رسمية تستعمل في حالة الضرورة.

³ الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ الدائرة: كانت تتشكل من الفرسان الذين كانوا يتمركزون بأراضي العزل المحيطة بمدينة قسنطينة، ويتشكون من بني عيشة والسراوية وبني نشامية وعبد النور والتلاغمة وقبائل الزمور الزناتية وتملوكة التابعة لقائد الحركة. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 27.

⁵ الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ الرسالة نفسها.

العثمانية تتساهل مع كل من سولت له نفسه سرقة أموال البايك⁽¹⁾.

هذا فيما يخص جرائم السرقة التي كانت تحدث على مستوى بعض المناطق من البايك، وما يلاحظ عليها أنّ مرتكبيها كانوا كلّهم عمالا تحت سلطة وإدارة أحمد باي.

أمّا فيما يخص بعض النماذج الأخرى من الأعمال المنافية للقانون والنظام العام نذكر عملية النصب والاحتيال التي حدثت أثناء عهده؛ إذ تحايل المدعو مصطفى ابن الأبيض⁽²⁾ على أحد الرعية، إذ باع لهذا الأخير قطعة أرضية، تعتبر ضمن ممتلكات البايك (أراضي المخزن). وبهذا فإنّ هذه الأرض ليس لأحد حق التصرف فيها سواء كان ذلك بالبيع أو بالكراء، وكلّ من تعدى على هذا المبدأ فإنّ مصيره حتما العقاب. وقد تم هذا البيع بعقد مزور وشهود زور، هؤلاء كانوا من أولاد بن زكري. وأمّا عن كاتب العقد، فكان طالبا يقوم على خدمتهم⁽³⁾.

ومن العادة أنّ مهمة تحرير العقود بكلّ أنواعها تعود إلى العدلين؛ فكلّ وثيقة مكتوبة وممضية من كلي الطرفين المتعاقدين وتحمل شهادة شاهدين من العامة وتحمل أيضا خاتما فإنّه لا يعمل بها ولا يعترف بأثبات قانونية ويمكن أن ينكرها القاضي إذا لم يحررها العدلان⁽⁴⁾.

ومن هذا المنطلق فإنّ تسجيل هذا العقد باطل بالحجج التي ذكرت. ومن أجل استرجاع أملاك البايك أمر أحمد باي أحد عماله بالتحقيق في القضية⁽⁵⁾. ولم يبين من خلال تقريره نوع العقوبة التي أوقعها على بن الأبيض وشركائه.

¹ استنتاج عام من خلال ما ورد في معظم الرسائل، بحيث كلّ الحملات التي شنّها أحمد باي على بعض القبائل، ومجمل قرارات العزل التي اتخذها في شأن البعض من عماله كان سببها عدم تسديد ما كانت تفرضه المصلحة العثمانية من مطالب مخزنية.

² لقد كانت هناك محاولة للعثور على ترجمة لهذه الشخصية إلا أنّه لم يعثر على مادة تاريخية تسد هذا الفراغ ذلك أنّ المراجع التاريخية لم تهتم بدراسة حياة الشخصيات المغمورة كما أن تقرير أحمد باي لم ينكر في شأنها أية معلومات.

³ الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة، مؤرخة في: 16 من ذي الحجة 1244هـ/1828م.

⁴ أحمد توفيق المنفي، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 171.

⁵ الرسالة السابقة.

بل بعث يستشير الباشا حسين في أمرهم⁽¹⁾.

هذه بعض النماذج من المسائل القضائية التي بت فيها أحمد باي، ممّا يبرهن على أنّ العمل القضائي لم يكن حكرا على القضاة والمفتيين فقط، بل كان أيضا من صلاحيات الباي، والذي قليلا ما تناولته المصادر والمراجع التاريخية بهذا التفصيل. كما تؤكد هذه النماذج حرص الباي على إدارة ورعاية شؤون الرعية ومصالح البايك، لا يشغله في ذلك لا أعماله ومسؤولياته الكثيرة ولا السلطة أو الحكم.

2- القضاء العسكري:

كان كلّ القضاء من صلاحيات الداوي وهي قاعدة قديمة استعملت أثناء الخلافة العباسية، بحيث كانت العدالة من صلاحيات الخليفة. لهذا كان الداوي أو الباي هما اللذين يبتان في القضايا الخاصة بأعضاء السلك العسكري، فهؤلاء لم يخضعوا أبدا للقانون المدني⁽²⁾. كما كان للديوان صلاحيات تطبيق العدالة إزاءهم؛ وبهذا فلم يكن لأية هيئة أخرى الحق في محاكمتهم، إذ كان الأغا وكاهيته برتبة آغا باشي⁽³⁾ بمثابة القضاة يساعدهما في ذلك شاوشان⁽⁴⁾.

ومن أجل ذلك سخرت السلطة جهازا قضائيا ممثلا في المحاكم العسكرية لتبت في مختلف القضايا التي كانت تحدث بين أعضاء السلك العسكري. ذلك أنّ هؤلاء لم يكونوا دائما على انضباط، كما أنّ البعض من عناصره اتصفت بالعنف والقسوة أحيانا، وبالتسيب والتجاوز على ما كانت تنصه القوانين والأعراف أحيانا أخرى؛ لهذا كان على الداوي والباي السهر على السير الحسن للنظام، وتطبيق العدالة حتى وإن تعلق الأمر بهؤلاء، رغم تمتعهم بامتيازات خاصة، لكنّها لم تكن لتشفع لهم في حالة ارتكابهم لمخالفات.

¹ ينظر الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

² حمدان خوجة، المرأة، ص: 95.

³ الأغا باشي: ينتمون إلى فئة القضاة، كان الداوي يرسلهم لتنفيذ الأوامر المهمة، فينتشرون في كلّ أنحاء القصر، كما أنهم يقومون بالتناوب بزيارات تفقدية للسفن التجارية الخارجة من الميناء وذلك لمنع العبيد من الاختباء والهروب. ينظر:

Auteur inconnue, Histoire des états barbaresques, P: 42.

⁴ -Ibid. P: 153.

فالدراسات التاريخية أثبتت انتشار بعض الجرائم في الوسط العسكري، والتي اختلفت درجة خطورتها، منها قضايا القتل والضرب والغش، لكنّ هذا لم يمنع مرتكبوها من التحقيق معهم، وهذا ما سوف يتبين من خلال عرض بعض المسائل القضائية التي تطرق إليها أحمد باي في رسائله.

ومن بين هذه القضايا، جريمة قتل حدثت خلال سنة 1243هـ/1828م، في شخص ثلاثة رجال من الرعية كلهم ينتمون إلى طبقة اجتماعية بسيطة إذ وصفهم أحمد باي بالفقراء، هؤلاء وجدت جثثهم خارج مدينة قسنطينة، وبعد عملية البحث والتحقيق، لم تتمكن السلطات من ضبط الجاني، فقيدت الجريمة ضد مجهول⁽¹⁾.

وتفاديا لتكرار الأحداث نفسها ونشرا للأمن والاستقرار في المنطقة، قام أحمد باي باتخاذ إجراءات أمنية مشددة؛ فسخر لذلك كل من الطرف المدني والعسكري. فأما الطرف الأول فتمثل في قبيلة الزوارة⁽²⁾. في حين اشتمل الطرف الثاني على المحلة المتكونة من مائة وعشرين يولداش، والتي تمركزت بالقرب من وادي الرمل⁽³⁾، يحكمها كل من الكاهية وشاوش الكرسي⁽⁴⁾. وبالرغم من كل هذه الإجراءات الأمنية المشددة، إلا أنه وقعت جرائم قتل أخرى، إذ عثرت على جثت خمسة رجال من الرعية على أطراف المدينة⁽⁵⁾، "وقد قتلوا كلهم بغير بارود"⁽⁶⁾.

ولمّا شدّد أفراد قبيلة زوارة الحراسة تمكنوا من اكتشاف الفاعل. إذ بعد عملية

¹ الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

² الزوارة: قبيلة بربرية كانت تسكن منطقة الميله. ينظر:

Jean despois René, Géographie de l'Afrique du nord ouest, P : 114.

³ وادي الرمل: يأخذ منبعه على بعد مسافة خمس أيام من مدينة قسنطينة، يمكن اجتيازه طيلة فصول السنة كلها ولا يتعد عبوره إلا في فترات نزول الأمطار الغزيرة إذ يبلغ ارتفاع مياهه حينئذ أربع أقدام، في حين لا يزيد عمقه عادة عن قدم أو قدمين فقط، وعلى حافة وادي الرمل اليسرى عند مشارف مدينة قسنطينة يوجد سهل زراعي يحف بها جبل المنصورة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 182.

⁴ شاوش الكرسي: ينتمي إلى الأتراك، وكان يتولى وظيفة الجلد -أي تنفيذ العقاب بالجلد-. ينظر: أحمد سليمان، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، ص: 42.

⁵ الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ تم القتل "بغير بارود"، وهذا يعني أنه لم يتم استعمال البنادق. ولعلّ هذا الأمر يعود لسببين: حتى لا يحدثوا صوتا فيكتشف أمرهم. أو خوفا من ضياع الذخيرة والتي كان يشتريها الجندي بنقوده الخاصة. ينظر: شارل، مذكرات شارل قنصل أمريكا، ص: 54.

التحري والبحث الجيد، وبعد جمع كل الأدلة الكافية وقعت التهمة على مجموعة من اليولداش، عددهم ثلاثة، كلهم من الدفعة الجديدة، إذ لم تتعد فترة خدمتهم نحو ثلاث سنوات وهم من أفراد المحلة التي وضعت في المنطقة. وكل هذه الجرائم التي وقعت كانت على علم شاوش الكرسي⁽¹⁾، إلا أنه أخفى الأمر على الباي⁽²⁾.

ولم يصدر أحمد باي حكماً في شأنهم، بل بعث بتقريره المفصل إلى الباشا حسين ليستشيره في الأمر، ويطلب منه النصح والتوجيه⁽³⁾، وقد ذكر أن المقصود والهدف من ارتكاب هذه الجرائم هو زرع الخوف في المنطقة، وبالتالي زعزعة حكمه وسلطانه، فقد ذكر بصريح العبارة ما يدل على ذلك، إذ كتب يقول: "وان قتل هؤلاء الفقراء القليلين لا سبب باعث لهم على قتلهم من مال أو عداوة أو غير ذلك وإنما امرهم مدسوس اغراهم اهل الفساد ليشتيع ذلك كما صنعوا في ايام محمد باي"⁽⁴⁾. ومن خلال هذه العبارة يحاول أحمد باي إظهار أمر مهم، وهو أن أعداءه يتربصون له ويعملون على الإطاحة بحكمه كما فعلوا بغيره.

وعادة ما كانت العقوبة المترتبة من جراء ارتكاب عملية القتل مع ثبوت الأدلة، الحكم بالإعدام⁽⁵⁾، إذ يساق المتهم إلى منزل آغا ذو القمرين بعيداً عن أعين الرعية، ليتم قتله خنقاً⁽⁶⁾. ولكن الأمر مختلف في هذه القضية، إذ كان مرتكبوا الجريمة ثلاثة من اليولداش وليس فرداً واحداً، ولم يفصح أحمد باي في رسالته على الحكم الصادر في شأنهم، إلا أنه يلح على حسين باشا بتوقيع أقصى العقوبة على الجناة زجراً وردعاً لغيرهم، إذ كتب يقول: "أن السكوت والتجاوز عن هذا الامر

¹ ارتكبت هذه الجرائم على علم شاوش الكرسي والتستر عليها هو توطأ مع الجناة وهذا الأمر يعاقب عليه القانون، ولكن لماذا هذا التستر؟ أخوفاً من أن يتهم بالتهاون في أداء مهامهم؟ أم لغرض آخر؟

² الرسالة رقم : (30) في الترتيب العام للمجموعة.

³ الرسالة نفسها.

⁴ الرسالة نفسها.

⁵ لا يمكن تنفيذ حكم الإعدام على أحد من الجنود إلا بعد مشاورة الباشا. ينظر: الزباني، دليل الحيران وأنيس لاسهران في فتح مدينة وهران، ص: 190. فقد كان هؤلاء اليولداش لا يخضعون إلى القانون والداي هو الوحيد الذي كان له الحق في محاكمتهم. ينظر: أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 18.

⁶ Mouloud Gaid, Les Turcs en Algérie, P : 203.

الفساد ومريدي الفتنة ويجب امضاء الحكم فيهم⁽¹⁾.

ومن بين القضايا التي كانت أقلّ خطورة من القتل، الضرب، وأعمال الغش وأكل أموال الجند بالباطل.

فأما جريمة الضرب التي وقعت على عهد أحمد باي، فقام بها أحد اليولداش في حق امرأة من الرعية، تسبب لها في جروح خطيرة. وعندما علم الشاوش بأمره أراد القبض عليه من أجل معاقبته، إلا أنه هرب وتسلل إلى مقهى اليولداش⁽²⁾، أين وجد الحماية⁽³⁾. وعندما علم أحمد باي بالأمر أصدر أمرا بالقبض على اليولداش وإحضاره، وفعلا تم له ذلك بعد إكراههم⁽⁴⁾.

عندها بعث أحمد باي إلى حسين باشا يستشيريه في أمر هذا اليولداش⁽⁵⁾، ويشتكي من التصرفات التي لا تمد بصلة لا للدين أو العرف فقد كتب بصريح العبارة: "هو سيدي أن هذا الزمان الفارط كان الحكم غير مضبوط والقهر وكل من يهرب إليها ينجوا انحل الأمر سبب ذلك وكذلك قهوة عنابة صارت كذلك وأن يولداش كثر افسادهم في أولاد الناس"⁽⁶⁾. فهو بهذا الكلام يتهم عناصر السلك العسكري بالتجاوز والخروج عن الحدود.

وما جعلنا أمام حيرة من هذه المادة التاريخية المتواجدة في تقرير أحمد باي تعارضها مع ما ورد في إحدى الوثائق التي عرضت قضية مماثلة وقعت في مدينة مستغانم، وذلك سنة 1244هـ/1828م، إذ قام أربعة من اليولداش بالاعتداء على امرأة من الرعية بالضرب؛ عندها حقق معهم آغا النوبة وأصدر في حقهم حكما

¹ الرسالة رقم : (24) في الترتيب العام للمجموعة.

² اعتبرت المقاهي في تلك الفترة وغيرها من الفترات أماكن للترفيه والتسلية في تلك الحقبة التاريخية، فكانت تقدم فيها القهوة والشاي. ينظر: حمدان خوجة، المرأة، ص: 60. ومن بين المقاهي التي كانت موجودة في مدينة قسنطينة مقهى الديان. ينظر:

Ernest Mercier, Constantine avant la conquête, R.A. 1878, P : 74.

وبهذا فإن المقاهي التي كانت مقرا للتسلية بالنسبة لليولداش كان لها أيضا دور سياسي تمثل في حماية كل لاجئ يقصدها وحتى وإن كان هذا الأخير قد ارتكب جريمة.

³ الرسالة رقم : (24) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ الرسالة نفسها.

⁵ الرسالة نفسها.

⁶ الرسالة نفسها.

بجلدهم خمسمائة جلدة زجرا وردعا لغيرهم⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق فإنّ آغا النوبة هو المسؤول على تطبيق الأحكام على البولداش، كما حددت نوع العقوبة المترتبة على مثل هذه الأعمال المنافية لحسن السلوك والأدب، بعكس ما وجدناه في تقرير أحمد باي.

وعموما ما ذكره أحمد باي في تقريره هذا وما ورد في نص الوثيقة المذكورة آنفا، يؤكد المعلومات التاريخية التي ذكرت بأنّ هؤلاء البولداش "وإن كانوا ملتزمين بحسن السلوك واحترام تعاليم الدين الإسلامي التزاما بمبدأ سياسي حسن"⁽²⁾ فإنّ التجربة أثبتت أنّ هذا لم يكن ليمنعهم من التحلل أحيانا، بحيث كثيرا ما كانوا يرتكبون المخالفات ضد البدو والقبائل⁽³⁾. فقد وصفوا "بالخشونة، التهور والتعالي اتجاه الأهالي"⁽⁴⁾.

أمّا عن قضايا الغش التي ارتكبتها بعض البولداش، ما حدث على عهده؛ إذ بعد وصول رسالة من حسين باشا، يوبخ فيها أحمد باي بخصوص ما ورد عليه من أخبار حول عملية الغش التي حدثت في وزن خبز الجنود، أصدر الباي أمرا لأعضاء ديوان وعلماء مدينة عنابة بالتحقيق في المسألة. فذهب العلماء على حين غفلة إلى القرن⁽⁵⁾ الذي كان يطبخ فيه هذا الخبز⁽⁶⁾، فأخذوا منه عينة، عندها وجدوا بأنّها ليست "من خبز عنابة بل هي من خبز الجزائر يقال له الحراق"، هذا الأخير كان ناقصا في الوزن مقارنة مع خبز عنابة، فبعثوا بالعينة إلى الباي⁽⁷⁾.

عندها بعث أحمد باي إلى كلّ من الكاهية وأدباشي⁽⁸⁾ والشاوش يستفسرهم على الأسباب التي دفعتهم للقيام بمثل هذا العمل، فإذا بهم يقرون بأنّهم كانوا يأخذون

¹ ملف الوثائق العثمانية، مجموعة: 3190. الملف الأول.

² شارل، مذكرات شارل، ص: 55.

³ حمدان خوجة، المرأة، ص: 149.

⁴ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج: 2، ص: 49.

⁵ ورد في الرسالة كلمة "الكوشة"، وهو ذلك المكان الذي كان يطبخ فيه الخبز.

⁶ كان هذا القرن موجود داخل مقر النوبة الموجودة بالقصبة. ينظر: الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

⁷ الرسالة رقم: (18) في الترتيب العم للمجموعة.

⁸ أدباشي: كان قبطان السرية. ينظر: بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، ص: 38.

كفائتهم من المؤونة. ولما بحث أحمد باي في الأمر وجد أنهم كانوا يبيعون "مؤونة شهر" من قمح، وسمد، وصابون وزيت، ويستهلكون "مؤونة شهر آخر"⁽¹⁾.

وكالعادة لم يتخذ أحمد باي أي إجراء ضد من كان وراء عملية الغش هذه، وإن كان الفعل جماعي، لكنه قام بإرسال عينات من الخبز إلى الباشا حسين، متمثلة في أربع خبزات اثنتين من الخبز الأبيض والأخرى من النوع الأحمر، بعدما طبخت أمام مرأى وبمراقبة "أعضاء النوبة والسادة العلماء"، كما أرفق تقريره هذا بشهادة حررها وأمضاها علماء المدينة، وهو في انتظار النصيحة والتوجيه من الباشا حسين⁽²⁾.

وما يستنتج من خلال هذه المسألة أنّ التهمة كانت جماعية بحيث اشتركت فيها عناصر من النوبة، ولم تقتصر التهمة على عملية الغش فقط بل تعدت ذلك، بحيث قام هؤلاء الجند بسرقة المؤونة التي كانت تعطى لهم شهريا، وهذا ما يوضح غياب المراقبة.

وعلى العموم فإذا ما تبنت عملية الغش في الموازين بصفة عامة، فإنه تقطع يد الغاش أو يطاف به أمام العامة على ظهر حمار. أما إذا تبث غش الخباز في وزن الخبز الذي يقوم بطبخه، فتصادر مخبزه ويضرب ضربا مبرحا على قدميه⁽³⁾؛ لكنّ هذه العقوبات كانت تطبق على المدنيين، في حين لم تتناول المراجع نوع العقاب المسلط على اليولداش إذا ما قاموا بعملية الغش في مادة الخبز.

أيضا من بين الأعمال المنافية للشرع والعرف معاً، أكل أموال الناس بالباطل. فقد قام أحد الشواش الذي كان مسؤولا على تسجيل الديون المترتبة على اليولداش بمضاعفة الديون عليهم، إذ "كلّ من كان عليه ريال دين احتسبه ريالين". وقد تضرر "أهل عنابة" كثيرا من ذلك⁽⁴⁾، فكتبوا لأحمد باي يشتكون من تصرفات

¹ الرسالة رقم : (18) في الترتيب العام للمجموعة.

² الرسالة نفسها.

³ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج: 2، ص: 54.

⁴ يقصد أحمد باي بأهل عنابة جنود النوبة. ينظر: خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص: 321.

هذا الشاوش (1).

عندها وجه أحمد باي إنذارا كتابيا لكل من أحمد بن حمزة (2) وأعضاء الديوان أمرا بإيهم بمعاقبة هذا الشاوش "لأنه أكثر في الباطل وعليه أن ينتهي عن مثل هذا العمل" (3). والسبب في توجيه هذا الخطاب الصارم إلى الديوان، هو أن هذا الأخير تكفل بتنفيذ الأحكام الصادرة في حق أعضاء السلك العسكري، كما كان من اختصاصات رئيس الديوان تطبيق العدالة في منزله على الأتراك الذين يخلون بقواعد الانضباط أو يتعدون على القوانين (4).

وقد هدد أحمد باي الآغا وأعضاء الديوان في خطابه بقوله "إن الجزائر بلاد إسلام وإن لم ينته هذا الشاوش من أخذه أموال الناس بالباطل فلا يلوم إلا نفسه" إذا ما حلّ عليه العقاب الصارم (5).

واعتمادا على ما ورد في نص هذه الرسالة، فإن هذا الشاوش أخذ فوائد ربوية من اليولداش المدينين، وبالنسبة لأحمد باي أخذ الربا حرام بناء على النص القرآني القائل: "وأحلّ الله البيع وحرم الربا" (6). فقد أكد صالح فركوس "أن تمسك أحمد باي بالدين الإسلامي وإيمانه الراسخ به جعلاً منه حاكما عادلا" (7).

كما وردت في أحد التقارير التي حرّرها أحمد باي قضية اشترك فيها الطرف المدني والعسكري (8)؛ إذ وقع نزاع بين ديوان نوبة بسكرة والمدعو عشمي باشا حول قضية الحطب المخصص للنوبة (9)، ذلك أن ديوان بسكرة يقر على "مسألة الشراكة" في حين كان المدعو عشمي يصر على "مسألة التخصيص"، فاحتار أحمد

¹ الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة.

² أحمد بن حمزة: كان آغا نوبة عنابة. ينظر: خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص: 321.

³ الرسالة السابقة.

⁴ أحمد سليمان، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، ص: 21.

⁵ الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ سورة البقرة، الآية رقم: (28). (215)

⁷ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 42.

⁸ الرسالة رقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة، مؤرخة في: 19 محرم 1244هـ/1828م.

⁹ كان يستعمل هذا الحطب لغرض الطبخ أو التدفئة.

باي في شأنهم، لهذا راسل الباشا حسين طالبا منه المشورة والنصيحة، والتدخل لحل هذا النزاع القائم وإيجاد حل سريع لهذه القضية⁽¹⁾.

ولقد حدثت قضية مماثلة على عهد أحمد باي وكان ذلك في سنة 1244هـ—/ 1828م، إذ كتب آغا نوبة بسكرة للباشا يشكو له أمر تخصيص الحطب. ويعتبر نص هذه الوثيقة نموذجا على ما كتبه أحمد باي عندما أرسل هذا التقرير للباشا، ولأن عرض نص هذه الوثيقة قد يوضح أموراً كثيرة غيبت في تقرير أحمد باي فهذا نصها⁽²⁾:

"عرض المربوط بخدمتكم ما يذكر بهذه السنة المباركة بعد دخولنا لبلاد بسكرة بمدة يوم بحضرة جملة الديوان خدامك وأولادك اليلداش لار وساير [كذا] فتحنا عهد الأمان وبعد قراءته ذكروا أشياخ الحطابة يجب لكل صفرة كل يوم حمل واحد حطب وفي كل أزف خمسة أحمال حطب من شان تطيب قمح البرغل^(*) فلما سمعوا أولادك اليلداش لار جاوبوا بلسان واحد باختصاص الحطب وصدر التنازع في ذلك وعلى هذا الحال قدموا شيوخ [كذا] ورقة مكتوبة مضمن ما فيها لكل صفرة ما تقدم ذكره فقالوا للشيوخ هذه الورقة [كذا] ووقع من الديوان تعزير ومن شان الواقع هنا كتبنا لحضرة الباي أفندي وأعلمناه بالواقع فجاوب بهذا أنه لا يقدر على فصل الحكم ولا بد من إعلام باشا على شان أفندي هكذا كان جوابه ثم بعد ذلك بعثنا يلداش من يولدش لار لقسنطينة في شان مصالح القصور وذكر اليلداش في شان مصلحة الحطب وبعثهم ثلاثة دفعات مكاتب في شأنه فجاوبه بالذي يصل له شيء أو على هذه الحالة كل شهر يدفع ثمن الحطب".

"1244^(**) من المربوط بخدمتكم أغة بسكرة وديوانه"⁽³⁾.

ومن خلال نص هذه الوثيقة التي حررت على عهد أحمد باي تتأكد لنا أن

¹ الرسالة رقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة.

² نقادينا عرض المقدمة اجتنابا للإطالة ولأنها كانت باللغة التركية.

* كان الحطب يستعمل من أجل طبخ الخبز الذي كان من المواد الرئيسية في غذاء الجندي خاصة والجزائري على وجه العموم.

** 1244هـ توافق سنة 1829م.

³ ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3204، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

أمر كثيرة منها:

* لم يكن للباي حق التدخل في مثل هذه المسائل، ولا ندرى إن كان الأمر يتعلق بكل أنواع القضايا التي كانت تقع بين الطرف العسكري والمدني أو كان ذلك يخص إلا القضايا الخاصة بمسألة الحطب؟

* كما يستنتج أن السلطة العسكرية كانت تقيم شراكة مع الطرف المدني.

* ذكر عبارة "أشياخ الحطابة" تكشف وجود هيئة كلفت بالتعامل مع السلطات في شأن الحطب. وهذا دليل على التنظيم الدقيق الذي كانت تسير عليه الأمور خلال العهد العثماني.

وخلاصة ما يمكن استنتاجه من كل ما عرض من معلومات تاريخية مقارنة مع ما ورد في بعض المصادر والمراجع هو أن:

القضاء على العهد العثماني تميز بثنائية الهياكل والأحكام القضائية⁽¹⁾، فمن خاصيته العمل بالوكالة، سريع التنفيذ وقليل التكاليف، والعمل بمقتضى الشريعة الإسلامية⁽²⁾.

فأما القضاء بالوكالة أو بالنيابة: بمعنى أن كل القضاء كان من صلاحيات الحاكم العام، فيمكن للداي أن يوكل هذه المهمة لأتباعه مثل البايات. وهذا ما وجد مجسدا في تقارير أحمد باي.

سريع التنفيذ: فقد عرف على القضاء أثناء الحكم العثماني بأن تنفيذ الأحكام الصادرة في حق الجناة كان يتم بصورة سريعة ودون تعطيل⁽³⁾، بحيث كان يتم حضور الخصوم في الحال، وهذا أيضا ما وجد حاضرا في المسائل التي بت فيها أحمد باي. في حين عندما يقال بأن الأحكام التي كان يصدرها القضاة سريعة، إلا فيما ندر من القضايا التي يرى القاضي أنها تستدعي أن يطالع حولها بعض المصادر في أصول الشريعة. فهذه قاعدة لا يمكن تعميمها، بحيث في كل القضايا

¹ Louis de Boudicourt, La Guerre de l'Algérie, P : 281.

² Boutems, Les institutions Algériennes durant l'époque ottomane, P : 40.

³ Op. Cit, P : 279.

التي عرضت لم تكن الأحكام سريعة التنفيذ ودون تعطيل.

وكما ذكر آنفا في مقدمة هذا الفصل، فإنه سوف يتجاوز عن الحديث على القضاء الذي يخص الطرف الأجنبي تجنباً للإطالة، ولأنّ الرسائل لم تتطرق لهذا العنصر. كما أنّ هذا النوع من القضاء لم يكن من اختصاص السلطة العثمانية الممثلة في شخص أحمد باي، والذي لم يكن له ليتدخل في المسائل التي كانت تخص العنصر الأجنبي الذي كان مقيماً في بايلك الشرق، ذلك أنّه خصصت لهم محاكمهم الخاصة بهم والتي كانت تبت في قضاياهم.

وانطلاقاً من المادة التاريخية التي وفرتها هذه المجموعة من الرسائل ومن خلال ما تم عرضه من القضايا مهما اختلفت درجة خطورتها، أو كان الانتماء العرقي أو الاجتماعي للجاني فيها فإنه تبين ما يلي:

1- أنّ أحمد باي كان المحقق في كلّ المسائل التي وردت سواء كانت مدنية أو عسكرية.

2- لا يصدر الباي أيّ قرار دون الرجوع إلى الباشا، الذي كان بيده مقاليد الحكم. وهذا ما يؤكد الفكرة القائلة بأنّ القضاء كان من اختصاص الداي ولم يكن للباي حق التصرف في إصدار الأحكام.

3- كما أظهرت المادة الموجودة في الرسائل، كيفية مزاوله الباي للعمل القضائي على المستويين، المدني والعسكري، وعلى مستوى المدينة والأوطان. وهذا يضيف معلومات مهمة لموضوع القضاء والذي لم تتطرق إليه المصادر والمراجع وحتى الوثائق الأرشيفية المعتمد عليها في إنجاز هذا البحث إلا نادراً أو بصورة مختصرة جداً.

كما تؤكد صرامة أحمد باي في مواجهة المشاكل اليومية للمواطن القسنطيني، بدليل ما كتبه الرعية عنه: "...لقد كنا من المهمشين إلى أن عين الحاج أحمد باي حاكماً علينا فأحل السلام في البايك ورفع الظلم ومنح الأمل لفاقيده..."⁽¹⁾.

¹-Abdel Jelil Temimi, Le Beylic de Constantine et Hadj Ahmed Bey, P P: 60-71.

الفصل الثاني

علاقات أحمد باي الداخلية

(1/2)- المبحث الأول: علاقة أحمد باي مع الأعيان

- موقفه من العائلات

- معاملته لجماعة المرابطين

- مكانة العلماء ودورهم في شتى الميادين

(2/2)- المبحث الثاني: علاقة أحمد باي مع مختلف القبائل القسنطينية

- معاملة السلطة لقبائل الرعية والحليفة

- مساندة أحمد باي لقبائل المخزن ودورهم في فرض الأمن

- مواجهة أحمد باي لقبائل المتمردة

(3/2)- المبحث الثالث: علاقات أحمد على مستوى الأيالة

- الولاء والتبعية لعسك باشا

- علاقته مع كبار موظفي السلطة

- موقفه من باي تيطري

1/2- المبحث الأول: علاقة أحمد باي مع الأحميان

تميزت العقود الأربعة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر (252-1245هـ/ 1790-1830م) بعدم استقرار نظام الحكم، فساد الفساد وعمت الفوضى مختلف قطاعات البلاد⁽¹⁾، إذ تولى الحكم خلال تلك الفترة ثمانية دايات، اغتيل منهم خمسة. كما شهدت الفترة نفسها عدة اضطرابات داخلية تمثلت في تمرد بعض القبائل والطرق الصوفية⁽²⁾ على نظام الحكم. وعموما فقد تميز هذا العهد بشبه فوضى سياسيا، حيث غابت السلطة المركزية تقريبا عن الساحة، الشيء الذي فسح المجال واسعا لتجاوزات عسكرية وإدارية خطيرة، أدت إلى ظهور عدة حركات عصيان⁽³⁾. ولم يكن بايلك الشرق بمعزل عن الأحداث التي كانت واقعة في كل أنحاء الجزائر، فقد تأثر بموجة الاضطرابات، فتمرد كل من أصحاب الطريقة التجانية سنة (1230هـ/1815م)، وقبيلة النمامشة سنة (1234هـ/1818م)⁽⁴⁾.

أما على عهد الباي محمد المنماني فقد أخذت الأوضاع الأمنية منعرجا خطيرا بشهادة أحمد باي الذي ذكر بأنّ على عهده "كان الحكم غير مضبوط والقهر وانحل الامر وان اليولداس كثر افسادهم في اولاد الناس"⁽⁵⁾. الرأي نفسه أيده مجمل المصادر والمراجع التي تناولت سيرة هذا الباي، مثال ذلك ما كتبه صالح بن العنتري في شأنه قائلا: "انحلت الأحكام وتصب الوطن وضعفت الرعية ووقع الصف بين المخازنية وعظمت بينهم الفتنة"⁽⁶⁾. وبهذا أصبحت معظم القبائل ترفض دفع مستحقاتها المخزنية، مما أثر سلبا على الأوضاع السياسية والاقتصادية في

¹ لا يجب تعميم هذه الفكرة على كل أواخر الحكم العثماني في الجزائر، إذ يوجد من الدايات من استطاع أن يقر الأمن والاستقرار في الداخل، وهيبة الجزائر على المستوى الخارجي.

² أشهر في الجزائر ثمان طرق وهي: القادرية، والشاذلية، والخلوتية، والرحمانية، والتيجانية، والعيساوية، والطيبية، والسوسية، والعمارية. ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام: ج: 3، ص: 251.

³ أبو القاسم سعد الله، آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج: 2، ص: 20.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 272-273.

⁵ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 89.

(1) البايك

وعلى ضوء هذه الأوضاع المتردية استلم أحمد باي زمام الحكم، وهو يدري أنه من الصعب إعادة الأمن والنظام. لهذا كان عليه أن يعيد بناء مختلف العلاقات التي كانت قائمة بين السلطة والمجتمع القسطنطيني بكلّ فئاته.

1- موقفه من العائلات:

إنّ بايالك الشرق بحكم شساعة مساحته وأهميته الاقتصادية والسياسية ضم في مجاله الجغرافي العديد من العائلات الكبيرة التي توارثت النفوذ والسيادة على القبائل من جيل إلى جيل، وعبر مر الأزمنة. وتجاهلها من طرف الحكام يعني الدخول معها في صراع، والإسراع بنهاية هذا الحكم القائم؛ لهذا كان من الحكمة والتعقل إتباع سياسة حكيمة ونكية مع هذه العائلات من أجل بسط نفوذ السلطة ونشر الأمن والاستقرار، ولو بصورة نسبية. وكان الشرق الجزائري مقسما بين خمس أسر كبيرة هي: أسرة أولاد مقران في الغرب، والأحرار في الشرق، وأسر ابن غانة، وبوعكاز وابن جلاب في الجنوب، وبن عز الدين في فرجيو.

وأحمد باي كغيره من البايات الذين حكموا المنطقة، ومثلوا السلطة العثمانية تأكد من ضرورة استعمال أساليب سياسية كقيلة بأن تضمن له بقاء حكمه وبسط نفوذه على كلّ المنطقة. فلقد تأكد من أنّه لن يستطيع أن يحكم البايك إذا ما تجاهل قوة هذه العائلات؛ وتهميشها يعني الدخول معها في صراع هو في غنى عنه. ذلك أنّ هذه السياسة لم تكن دائما تحمل الطابع المرن، والطريقة الودية لكسب بعض الزعماء، ومن تم القبائل التي يمثلون مصالحها، فقد حاول أحمد باي أن يقرب طرفا على حساب طرف آخر، و طبعاً كان يتم ذلك وفق معطيات فرضت عليه، أو فرضها هو على أرض الواقع، وهذا ما سوف يتضح جلياً من خلال عرض علاقات أحمد باي بأهم العائلات وزعمائها الذين كان لهم نفوذ قوي على الرعية.

فقد تميزت سياسته اتجاه العائلات الكبيرة بطابع خاص يختلف عن الطابع

¹ ما جاء في نص الرسالة التي بعثها منماني باي إلى حسين باشا لدليل صادق على الوضعية الاقتصادية المزرية التي كان عليها بايالك الشرق. ينظر: الرسالة رقم: (8) في الترتيب العام للمجموعة.

الذي استمدت منه سياسة أسلافه من البايات في هذا المجال، ذلك أن سلطة العثمانيين، بباييك الشرق، كثيرا ما كانت تبوء بالفشل في ممارستها السياسية مع هذه العائلات⁽¹⁾، وذلك بحكم عراقتها وأصالتها ونفوذها على القبائل؛ فقد كانت تتقاسم قيادة البايك تقريبا، حيث كانت تشرف على تسيير شؤون معظم القبائل⁽²⁾. وبهذا تميزت سياسته بطابعين: أحدهما إيجابي والآخر سلبي.

عائلة ابن غانة: المعروف لدى كل الباحثين أن أحمد باي كان ينتمي إلى هذه العائلة بالأصل، ذلك أن والده تزوج من بنت أحد كبار مشايخ الصحراء؛ ابن غانة بن الشريف، فقد كان يكنى باسم أمه فيقال له "الحاج بن الحاجة شريفة"⁽³⁾.

وبحكم صلة الدم التي كانت تربطه بهذه العائلة، وأيضا بحكم أنه نشأ وترعرع بين أحضانها، فقد رأى أحمد باي أنه لا بد من أن يستغل ذلك، لهذا عمل على تقريبها منه حتى تكون له العين الساهرة واليد الضاربة على كل من كان يكنّ له العداة والحقد، أو يحاول زعزعة الأمن والنظام. كما أقرها على ما كانت تملكه من أراضي، وأبقى على كل الامتيازات التي تحصلت عليها منذ العهود السابقة. ومثال ذلك ما فعله عندما قدّمها على حساب عائلة بوعكاز، بإسناد وظيفة شيخ العرب لأحد أفرادها بعدما نزعها من فرحات بن سعيد⁽⁴⁾، والسبب في ذلك يعود إلى أن أولاد بوعكاز كانوا يكونون لأحمد باي خاصة ولعائلة ابن غانة على العموم عداة كبيرا⁽⁵⁾.

عائلة أولاد مقران: إن هذه الأسرة لا تقل أهمية ومكانة عن ابن غانة، لهذا قربها أحمد باي وحاول كسب ثقته. فمنذ نهاية القرن الثامن عشر للميلادي وهذه العائلة تمارس سلطتها على قبائل مدجانة وتدير شؤونها البحرية، مع خضوعها

¹ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 52.

² ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 50.

³ أحمد باي، منكرات أحمد باي، ص: 115.

⁴ ورد اسمه في الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة. وهو من بين الذين مارسوا هذه الوظيفة من عائلة بوعكاز، وقد خلف دباح بوعكاز لكبر سنه وعدم قدرته على ممارسة مسؤولياته وكان ذلك على عهد الباي محمد المملوك سنة 1237هـ/1821م، واستمر ذلك إلى غاية سنة 1240هـ/1826م، عندما لقب الحاج أحمد بن غانة بباي على باييك الشرق. ينظر:

Bouaziz Ben Gana - Chiekh El Arab, P : 34.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 50.

لسلطة بايات قسنطينة؛ إذ كان يتم اختيار ممثليها من بين أفرادها مقابل مطالب يدفعونها سنويا. ونظرا للتأثير الكبير والنفوذ الواسع الذين كانت تحظى بهما هذه العائلة، رأى أحمد باي أنّ من صالحه كسب تأييدها من أجل ضمان مساندها لبسط سلطة الحكم والأمن⁽¹⁾. فأقرها على ما كان بيدها من سلطة على منطقة مدجانة، وأيضا على ما كانت تملكه من امتيازات تجارية خاصة البحرية منها⁽²⁾.

ولكنّ العلاقة لم تكن تسير بالمثل مع كلّ أفراد هذه العائلة، فهذه الأخيرة كانت مقسمة إلى ثلاث صفوف، صف أولاد الحاج⁽³⁾ وأولاد السلام، ويعتبر هذا الأخير الصف الرئيس في العائلة، ثم صف أولاد بورنان⁽⁴⁾، وصف أولاد قندوز⁽⁵⁾؛ وللتخلص من معارضة كلّ من الصف أولاد بورنان وأولاد قندوز، وتمكين صف أولاد عبد السلام وأولاد الحاج من زعامة هذه العائلة⁽⁶⁾، عمل أحمد باي على إقصائهم⁽⁷⁾. فعمد إلى إصدار أمرا بالقبض على ابن عبد السلام⁽⁸⁾، ومسي الباي الكنوري⁽⁹⁾، وصالح بلقندوز⁽¹⁰⁾. وعندما تمكن له ذلك أصدر حكما بإعدامهم⁽¹¹⁾.

¹- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 55.

²- بما أنّه لم يعثر على معلومات تؤكد عكس ما ذكر أعلاه، فإنّ كلّ ما كانت عليه هذه العائلة من وضعية اقتصادية (امتيازات) يبقى على ما هو عليه إلى حين ظهور مادة تاريخية وثائقية جديدة تثبت عكس ذلك.

³- أولاد الحاج: ورد ذكرهم في الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة. وقد ذكر أحمد باي أنّهم كانوا يتماطلون في دفع ما عليهم من مطالب مخزنية.

⁴- أولاد بورنان: ورد ذكرهم في الرسالة نفسها. وقد اشتكى أحمد باي من تماطلهم في دفع مستحقّاتهم المخزنية.

⁵- أولاد قندوز: لقد كان لجزء من أولاد المقراني وعلى رأسهم أولاد قندوز نفوذا كبيرا على سكان سطيف والعملة وعامر، وتحت إشارة منهم تتحرك عناصر هذه القبائل لترفع راية العصيان معلنة بذلك رفضها للخضوع. ينظر:

Bouaziz Ben Gana - Chiekh El Arab, Etude Historique sur la famille Ben Gana, P : 36.

⁶- Charles Féraud, Province de Constantine (Ain Baida) R. C. 1871-1872, P P : 299-300.

⁷- Ibid, PP : 299-300.

⁸- الشيخ عبد السلام: اعتبر من بين الشخصيات البارزة في عائلة أولاد المقراني، وكان والد عيشوش زوجة أحمد باي. ينظر:

Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 372.

⁹- مسي الكنوري: من بين الشخصيات البارزة التي لعبت دورا مهما في قبيلة بورنان. ينظر: Ibid. P : 375.

¹⁰- صالح بلقندوز: زعيم صف أولاد قندوز، ومن أهم الشخصيات البارزة والموقرة في هذا الصف. ينظر:

Bouaziz Ben Gana, Op. Cit, P : 36.

¹¹- Ernest Mercier, Op. Cit, P : 375.

ولمّا علم الشيخ عبد الله⁽¹⁾ بالخبر كتب رسالة يستعطف من خلالها أحمد باي ويتشفع فيها لهم، فجاء نصها: "لقد استبشرنا خيرا بتصديقك بايا علينا، أنت من بجري دمنا في عروقه، فلقد كنّا أثناء حكم البايات السابقين في حرب دائمة مع أولاد بورنان وأولاد قندوز، ولا تدري كم أضربنا هذا الوضع. وكنّا نتمنى تحت حكمك أن الأمور سوف تتغير، ولكن قرارك الأخير يثبت أنك نسيت أو تناسيت أو اصل القرابة التي تصل بيننا وبينك"⁽²⁾. وعند قراءة أحمد باي لهذه الرسالة وتحت ضغوط وتوسلات كل من والدته وزوجته عيشوش أصدر قرارا بالعفو على أحمد بن عبد السلام، في حين أمر بقتل كل من سي الباي الكنوري وبلقندوز⁽³⁾. ولكن أيضا بعد تدخلات قامت بها بعض الشخصيات المرموقة في البايك، أمر بالعفو على سي الباي الكنوري، في حين أعدم المدعو بلقندوز⁽⁴⁾.

ومما يؤكد سوء العلاقات التي كانت بين أحمد باي وجزء من هذه العائلة، تلك الغرامة المالية التي فرضها عليهم وألزمهم بالدفع وإلا فسوف يكلفهم ذلك عقبا صارما⁽⁵⁾.

عائلة بوعكاز بن عاشور: لقد كان لعائلة بوعكاز⁽⁶⁾ نفوذا واسعا وتأثيرا كبيرا على مستوى منطقتي فرجيوة وزوارة. وكانت علاقة أحمد باي بزعيمها "بوعكاز بن عاشور" قوية ومتينة، وبفضل ذلك تمكن أحمد باي من المحافظة على الأمن

¹ الشيخ عبد الله: لقب شيخا علي مدجانة، كان من بين الشخصيات المرموقة أثناء حكم أحمد باي. قام بمرافقة الباي أثناء رحلته الدنوشية إلى الجزائر، وعند عودتهم وفيما كانوا يعبرون منطقة سور الغزلان هاجمتهم مجموعة من رجال بايلك تيطري، فتصدى لهم بن عبد الله وقواته بكل قوة وشجاعة وتمكن لوحده من قتل مجموعة كبيرة منهم فيما ولت البقية هاربة. ومكافأة لعمله هذا، أسند له أحمد باي مهمة جمع المطالب المخزنية من الرعية على مستوى منطقة ونوغة. ينظر: Ernest Mercier, Histoire de Constantine, PP : 301-302.

²-Ibid, P : 302.

³-Bouaziz Ben Gana, Chiekh El Arab, Etude Historique sur la famille Ben Gana, P : 372.

⁴Ibid, P : 372.

⁵ الرسالة رقم: (25) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 11 من ذي القعدة من سنة 1243هـ/1827م.
⁶ عائلة بوعكاز بن عاشور: تنحدر أسرة ابن عاشور من سلالة عاشور الذي بناه شيخ فرقة (ورزيقة) سيده قبيلة فرجيوة في نهاية القرن السابع عشر، فيعد هذا الرجل مؤسس الأسرة، التي مارست السلطة على مجموعة كبيرة من أعراش المنطقة السهلية والجبلية لفرجيوة مثل أراس، وزرزة وجميلة، وغيرها من الناحية الغربية لولاية الميلة حاليا. ومن بين أشهر قيادها، سي مصطفى بن عاشور الذي شارك الباي حسن في الحملة التأديبية ضد باي تونس سنة 1222هـ/1807م. ينظر:

Charles Féraud, Notes historique sur la province de Constantine, (Ferdjioua et Zouar'a), R. A. 1878, P : 128.

والاستقرار خاصة بين أوساط القبائل الصغرى. وقد دامت تلك العلاقة الطيبة حتى بعد سقوط مدينة قسنطينة⁽¹⁾، بالمقابل أقرها أحمد باي علي بعض الامتيازات، كما عمل على حماية مصالح هذا الجزء من العائلة⁽²⁾.

لكن علاقة أحمد باي مع هذه العائلة لم تكن تسير دوما على هذا المنوال، فقد كان جزءا منها في صراع على أشده مع عائلة بن غانة من أجل قيادة الصحراء والحصول على منصب (شيخ العرب)⁽³⁾، خاصة بعدما قدم أحمد باي عائلة بن غانة على حسابها، هذا ما حقز أفراد هذا القسم وزادهم إصرارا وعملا على تكوين ما كان يسمى بـ "الحلف"⁽⁴⁾ المضاد بزعامة "قرحات بن سعيد"، الذي كان يلقب بـ "أفعي الصحراء"⁽⁵⁾؛ هذا الأخير عزله أحمد باي بعدما اتهمه بسرقة أموال البايك⁽⁶⁾. وبهذا كان تأثيرهم واضحا على مختلف جهات الصحراء القسنطينية ما عدا منطقة الزيبان أين كان تواجد عائلة ابن غانة قويا⁽⁷⁾.

عائلة ابن عز الدين بالزواردة: كانت لأحمد باي علاقات طيبة معها، فقد عملت هذه الأسرة على إقرار الأمن في المنطقة⁽⁸⁾، كما ظلت مخلصه له على مدى فترة حكمه على البايك⁽⁹⁾. ولم تقدم لنا المصادر والمراجع معلومات حول ما كان يقدمه أحمد باي لهذه العائلة من أجل كسب ودها ومساندتها له.

¹ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينية، ص: 57.

² لم يثر على معلومات تاريخية وافية تبين نوعية هذه الامتيازات التي كان يملكها هذا الجزء من العائلة، ذلك أن معظم المصادر والمراجع التي درست سيرة هذا الباي لم تتناول الجوانب الإيجابية من هذه العلاقات.

³ لقد احتكرت هذه العائلة منصب شيخ العرب لفترة طويلة، وبالتالي حكمت كل منطقة الجنوب الصحراوي لقسنطيني المتكون من منطقتي الزاب وبسكرة وهو يزعم إحدى عشر قبيلة. ينظر:

Abdel Jelil Temimi, Le Beylic de Constantine et Hadj Ahmed bey, P : 136.

⁴ الحلف: قسم إخلاص. ويتم بين عدد كبير من العائلات تجمعها مصالح مشتركة فتتحالف من أجل محاربة العدو المشترك، وهدفها كان دفاعيا أكثر منه هجوميا. ينظر:

Leila Babes, Tribus, structures sociales, P : 49.

⁵ Sèroka, Le sud Constantinois de 1830 à 1855, R. A. 1912, P : 381.

⁶ الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

⁷ ناصر الدين معديوني، النظام المالي، ص: 50.

⁸ تميزت المنطقة التي كانت تحت نفوذها بتضاريسها الوعرة وأشجارها الملتفة، كما شملت القيادة داخل حوزتها قيادة فرجوية والبايور. ينظر: صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 26.

⁹ المرجع نفسه، ص: 57.

الاستقرار خاصة بين أوساط القبائل الصغرى. وقد دامت تلك العلاقة الطيبة حتى بد سقوط مدينة قسنطينة⁽¹⁾، بالمقابل أقرها أحمد باي على بعض الامتيازات، كما عمل على حماية مصالح هذا الجزء من العائلة⁽²⁾.

لكن علاقة أحمد باي مع هذه العائلة لم تكن تسير دوما على هذا المنوال، فقد كان جزءا منها في صراع على أشده مع عائلة بن غانة من أجل قيادة الصحراء والحصول على منصب (شيخ العرب)⁽³⁾، خاصة بعدما قدم أحمد باي عائلة بن غانة على حسابها، هذا ما حقز أفراد هذا القسم وزادهم إصرارا وعملا على تكوين ما كان يسمى بـ "الحلف"⁽⁴⁾ المضاد بزعامة "فرحات بن سعيد"، الذي كان يلقب بـ "أفنى الصحراء"⁽⁵⁾؛ هذا الأخير عزله أحمد باي بعدما اتهمه بسرقة أموال البايك⁽⁶⁾. وبهذا كان تأثيرهم واضحا على مختلف جهات الصحراء القسنطينية ما عدا منطقة الزيبان أين كان تواجد عائلة ابن غانة قويا⁽⁷⁾.

عائلة ابن عز الدين بالزواردة: كانت لأحمد باي علاقات طيبة معها، فقد عملت هذه الأسرة على إقرار الأمن في المنطقة⁽⁸⁾، كما ظلت مخصصة له على مدى فترة حكمه على البايك⁽⁹⁾. ولم تقدم لنا المصادر والمراجع معلومات حول ما كان يقدمه أحمد باي لهذه العائلة من أجل كسب ودها ومساندتها له.

¹صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينية، ص: 57.

²لم يعثر على معلومات تاريخية وافية تبين نوعية هذه الامتيازات التي كان يملكها هذا الجزء من العائلة، ذلك أن معظم المصادر والمراجع التي درست سيرة هذا الباي لم تتناول الجوانب الإيجابية من هذه العلاقات.

³لقد احتكرت هذه العائلة منصب شيخ العرب لفترة طويلة، وبالتالي حكمت كل منطقة الجنوب الصحراوي القسنطيني المتكون من منطقتي الزاب وبمسكرة وهو يزعم إحدى عشر قبيلة. ينظر:

Abdel Jelil Temimi, Le Beylic de Constantine et Hadj Ahmed bey, P : 136.

⁴الحلف: قسم إخلاص. ويتم بين عدد كبير من العائلات تجمعها مصالح مشتركة فتتحالف من أجل محاربة العدو المشترك، وهدفها كان دفاعيا أكثر منه هجوميا. ينظر:

Leila Babes, Tribus, structures sociales, P : 49.

⁵Séroka, Le sud Constantinois de 1830 à 1855, R. A. 1912, P : 381.

⁶الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

⁷ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 50.

⁸تميزت المنطقة التي كانت تحت نفوذها بتضاريسها الوعرة وأشجارها الملتهقة، كما شملت القيادة داخل حوزتها قيادة فرجوية والبايور. ينظر: صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 26.

⁹المرجع نفسه، ص: 57.

عائلة بن جلاب⁽¹⁾: كانت لهذه العائلة أوامر صهرية مع عائلة ابن غانة مما سهل لأحمد باي التعامل معها وإقامة علاقات طيبة معها، وبهذا خالف ما سار عليها غيره من البايات الذين سبقوه في الحكم. مثال ذلك ما فعله أحمد باي القبائلي عندما ناصر عائلة ابن غانة بالزيبان في نزاعها مع ابن إبراهيم بن جلاب بحكم المصاهرة والمصالح المشتركة بينهما، مما اضطر الشيخ ابن جلاب إلى الفرار والتخلي عن زعامة تقرت إلى ابن الحاج بن غانة، لكن هذه النتيجة لم ترض الباي أحمد القبائلي، لهذا سعى جاهدا لتدبير أمر قتل إبراهيم بن جلاب، وذلك بتحريض أفراد عائلته للتخلص منه⁽²⁾.

كما كان صالح باي يتعامل معها الند بالند، ولم يستطع أن يخضعها ويجعلها تنفع ما كان يترتب عليها من مطالب مخزنية، الموقف عكسه اتخذه أحمد باي في هذا الشأن. النهج نفسه سار عليه الباي أحمد المملوك؛ إذ حاول الانتقام من محمد بن جلاب ومناصرة فرحات بن سعيد من أجل حكم تقرت مقابل مبالغ مالية⁽³⁾.

عائلة بوشنتوف: من أنسال جعفر البريتكي، هؤلاء حملوا السلاح بالصحراء إلى جانب أولاد بو عكار ضد أحمد باي وأنصاره، ذلك أن بن شنتوف زعيم أولاد بن شنتوف كان يحكم الزاب الشرقي ويعمل دون هوادة للثأر من ابن غانة الذين قتلوا والده، لهذا كان على أحمد باي أن يتدخل بين الحين والآخر لتثبيت سلطة أفراد ابن غانة ونصرتهم على أعدائهم. كما لم يتساهل أبدا، أو يتوانى على معاقبتهم والنيل منهم، حتى لا تزداد قوتهم ويذيع صيتهم بين القبائل فيمسلك غيرهم طريقهم⁽⁴⁾.

¹ عائلة بن جلاب: يروي أن أصلهم يعود إلى سلالة الشيخ أحمد بن جلاب، الذي كان ينتسب إلى بني مرين؛ فقد كانت هذه العائلة في أوائل عهدها تحكم مناطق شاسعة من وادي ريغ، ولكن نتيجة للصراع الدائم الذي كان بينها وبين أفراد الأسرة الواحدة تقلصت مساحة المنطقة التي كانت تحكمها فأصبحت لا تتعد تقرت وواحة تماسين القريبة منها وذلك على عهد محمد بن محمد بن جلاب، الذي اشتهر بفساد أخلاقه، وبقتله لإخوته ليأمن من منافستهم. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 239.

² المرجع نفسه، ص: 240.

³ المرجع نفسه، ص: 243.

⁴ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 54.

وعلى العموم يمكن استنتاج دوافع عديدة كانت وراء وقوف بعض العائلات إلى صف أحمد باي، وعداوة البعض الآخر له. ومن أهم الدوافع التي جعلت من بعض العائلات تساند أحمد باي في سلطته نجد:

*-الدافع السياسي: لقد اكتسبت هذه العائلات سلطة ونفوذ كبيرين بسبب مساندتها للسلطة العثمانية الممثلة في شخص أحمد باي، إذ أقرها هذا الأخير على ما كانت تملكه من امتيازات، كما ناصرها ضد كل من كان يكن لها العدا. مقابل ذلك كانت تمد أحمد باي بقوات عسكرية هامة⁽¹⁾، مثال ذلك نجد: الشيخ بن غانة الذي كان يدعمه بأربع مائة فارس، والشيخ بورنان بفرجية بثلاث مائة فارس، وشيخ الزوارة بن عز الدين بمائتي فارس، وابن عبد الله شيخ البيبان بثلاث مائة رجل⁽²⁾.

*-الدافع الاقتصادي: لعل حرص هذه العائلات على أراضيها وأسواقها وتجارتها هو الذي دفعها لتأييد السلطة الممثلة في شخص أحمد باي ضد كل ما كان يقع من حركات تمردية. كما حدا بها إلى أن تتدخل بالصلح وإصلاح ذات البين والتوسط من أجل الإبقاء على الأمن والاستقرار الذين بدونهما تحل الفوضى وتتبعثر الجهود ويسود الخوف والخراب⁽³⁾.

*-الدافع الاجتماعي: إن مساندة هذه العائلات لسلطة أحمد باي على مختلف أرجاء البايك، قد مكّتها من الحصول على تقدير واحترام الجميع، سواء كان ذلك بصفة اختيارية أو إجبارية، فكل من كان يتعرض لهذه العائلات، فكأنما يتعرض لأحمد باي شخصيا.

أما فيما يخص الدوافع التي جعلت البعض من العائلات القسنطينية والتي لم تكن نقل أهمية عن الأولى لاتخاذ موقف العدا ضد سلطة أحمد باي، نذكر بعضها:

*-الدافع الانتقامي: نظرا لموقف أحمد باي العدائي من زعماء هذه العائلات الذين كانوا بمثابة الرمز بالنسبة لأفراد قبائلهم، وأيضا نظرا لتفويض

¹ هذا العمل كان جاري به على مختلف فترات الحكم العثماني على الجزائر.

² Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 275.

³ جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج: أوج:2، منشورات الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، ع: 1121هـ - 1988م، ص: 120.

شخصيات أخرى لا تفوقهم نسبا أو نفوذا على حسابهم، عمدت هذه القبائل وبقية زعمائها على رفع لواء العصيان والتمرد على سلطة أحمد باي وزعزعة حكمه.

*-دافع المحافظة على البقاء: إن القاعدة المعمول بها في تلك الحقبة من تاريخ الجزائر اقتضت أن يكون البقاء للأقوى، وحتى تتمكن هذه العائلات التي كانت تمثل مصالح قبائلها من فرض وجودها وسيطرتها، كان لا بد عليها أن تلجأ إلى سياسة المعارضة والعصيان من أجل استرداد مكانتها التي كانت عليها من قبل حكم أحمد باي. كما تعودت بعض العائلات على رفع لواء العصيان والتمرد على كل من كان يمثل السلطة العثمانية والتي كانت ترى فيها كل أنواع الاستبداد والظلم؛ إذ أنها كانت ترفض أن تفرض عليها أي نوع من المطالب.

ومن خلال السياسة المنتهجة من طرف أحمد باي الممثل الأول للسلطة الحاكمة على مستوى البايك مع أهم العائلات عامة ومع أبرز الشخصيات فيها على وجه الخصوص يتبين اتجاهين، أحدهما معارض والآخر مؤيد:

-الاتجاه المعارض: لقد حاول أحمد باي الحصول على مساندة بعض العائلات لكي توازره في مقاومة عائلات أخرى وبهذا فإنه تمكن من السيطرة عليهم. كما أن هذه السياسة لم تحقق دوما الأمن والاستقرار بعدة نواحي، خاصة الجهات الصحراوية منها والتي كان فيها الصراع على أوجه بين عائلتي بن غانة وبوعكاز. كما أحدثت نوعا من الاختلال في التوازن السياسي بين تلك العائلات⁽¹⁾.

-الاتجاه المؤيد: من خلال تلك السياسة، يمكن تفسير سر نجاحه في حكم مناطق واسعة في وقت عمّت فيه الفوضى واختفت سلطة الحكم. وبالرغم من العيوب التي اتسمت بها سياسته اتجاه بعض العائلات، إلا أنها تضمنت جوانب مشرفة، تمثلت في إعادة الكثير من القبائل إلى الطاعة وجلبهم لتأييده، فاطمان بذلك الناس وساد الأمن في ربوع البايك إلى حد كبير بالقياس مع العهود السابقة⁽²⁾.

¹ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 55.

²صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 584.

(2) - معامته لجماعة المرابطين:

لقد لعب المرابطون⁽¹⁾ دورا حاسما وفعالا طيلة الحكم العثماني على الجزائر، لهذا كان على البايات أن ينتهجوا معهم سياسة خاصة تضمن لهم ولاءهم ومساندتهم في بسط حكمهم، وفرض النظام والأمن بين القبائل. ولم يتسن لهم ذلك إلا من خلال تحالفهم مع المرابطين الذين كانت لهم مكانتهم وكلمتهم على معظم القبائل. وما يلاحظ على هذه السياسة المنتهجة أنها كانت تقليدا متبعا بين معظم البايات على مختلف الفترات، نظرا لما كان له من تأثير واضح ونتائج ايجابية. فالمرابط كان بمثابة حلقة وصل بين الحكام العثمانيين والرعية خاصة على مستوى الأوطان أين شاعت الروح القبلية.

لكن هذه العلاقة لم تكن دوما على أحسنها بين السلطة الحاكمة وجماعة المرابطين، فلقد شهد بايالك الشرق على غرار من مناطق الجزائر موجة من الغضب والتذمر بين أوساط هذه الفئة وأنصارها من الرعية التي كانت تطيع بأمرها وتثور بأمرها، مما أدى إلى اندلاع حركات عصيان مسلحة زعزعت الأمن والسلطة في مناطق عديدة على مستوى البايك⁽²⁾.

ولكن ما يلاحظ على فترة حكم أحمد باي أنها خلت من مثل هذه الموجات من التمرد والعصيان؛ فقد عرف هذا الباي كيف يتعامل مع هذه الفئة الحساسة من المجتمع القسنطيني، وأدرك جيدا أن كسبها إلى صفه يعني اكتساب طاعة الرعية، أما الدخول معها في صراعات فيعني هذا، الدخول في معركة مع الرعية لا بد في أن يكون الخاسر فيها الباي وسلطته⁽³⁾.

وكانت تتدخل السلطة في تعيين المرابطين وتمكينهم من بسط سلطتهم على

¹ ورد تكرهم في كل من الرسالة رقم: (4-30) في الترتيب العام للمجموعة.

² حول هذا الموضوع ينظر: العربي الزبييري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1، 1984، ص: 28.

³ لم يعثر في مجموعة المصادر والمراجع المعتمد عليها على مادة تاريخية تثبت أن أحمد باي دخل في صراع مع المرابطين، أو أن فترة حكمه شهدت موجات من التمرد والعصيان بين صفوف هذه الفئة الفعالة.

المنطقة التي أقرتهم عليها، مثال ذلك نص هذه الوثيقة التي من خلالها يتم تعيين مرابط في ناحية جيجل، فجاء نصها كما يلي:

"أما بعد فإن حاملة المعظم الفقيه الأجل السيد المولى الأعلى البركة السيد عبد القادر ابن المرحوم الولي الصالح القطب الناصح الشيخ البركة سيدي محمد أمقران نفعنا الله ببركاته وافاض علينا انعمنا عليه بكافة عرش برباشة الذي هما على ثلاث فرقات فرقة يقال لها اولاد عبد الله والفرقة الثانية تسمى بيروي والفرقة الثالثة التي تجمع الجميع يقال لها برباشة يكون الجميع كلهم زاوية من جميع زواياه ويكون كلهم حسبما عليه وعلى اعقاب اعقابه ينتفع بمقرهم وزكاتهم له".

عن ابن المعظم الارفع الدولتلي الحاج محمد باشا ايده الله بمنه امين. (1)

ومن خلال هذه الوثيقة يتضح جليا أن المرابط كان يتم تعيينه من طرف الداوي أو الباي شخصيا، ويتم ذلك بإصدار فرمانات التي تؤكد على ترسيمه وتعطي له كافة الصلاحيات على المنطقة التي وكل بالسهر على رعاية وحل مشاكل الرعية القاطنة بها.

ولقد ازدادت سلطة المرابطين (2) اتساعا نتيجة لعدة عوامل منها؛ أن الحكم العثماني على مستوى الأوطان كان يسير بطريقة غير مباشرة، فكانوا يعملون على إقرار السلام، والسهر على تطبيق العهود الموضوعية بين القبائل، والتدخل في النزاعات القائمة بينها (3)، ومحاولة تهدئة الأمور وحلها بالطريقة التي ترضي الطرفين (4). ومقابل ذلك كان البايات يتقربون إليهم بشتى الوسائل.

¹ - خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص: 20-21.

² - أهم المناطق التي برزت فيها سلطة المرابط على مستوى بابك الشرق: كانت الأطراف الساحلية للأسر المرابطية، وأشهرها في نهاية العهد العثماني أسرة "أمقران" شرق الشقفة بشرق جيجل، وبين فيالا والعايد بمنطقة غرب الميلية وزوليا سيدي بغديش، وسيدي إدريس جنوب القل وغيرهم ممن انتشرت أسماؤهم. أما وسط المنطقة الجبلية فكان هناك خليط من المرابطين وشيوخ الجماعة، وطلبة القرآن، فكان لا يخل أي عرش من زاوية يكون مقدمها هو الحاكم الفعلي للعرش. ينظر: المرجع نفسه، ص: 47.

³ - عندما كانت تقوم نزاعات بين القبائل كان المرابطون يتدخلون، سواء لإقرار الأمن، أو لفرض هدنة. ينظر:

Laila Bebes, Tribus, structures sociales, P : 88.

⁴ - Jean Morisot, L'Aurès ou la mythe de la montagne rebelle, Edition l'Harmattan, Paris, 1992, P : 116.

*- الامتيازات السياسية: وتمثلت في بناء الزوايا⁽¹⁾، التي كانت تتمتع بما نسميه حالياً "بالحصانة السياسية" والأضرحة والوقف عليها؛ فلقد حرص خلفاء خير الدين على كسب هذه العناصر الدينية بمنح زواياهم حرمة خاصة وحظراً لملاحقة كل من يلتجأ إليها⁽²⁾. فكانت هذه الأماكن المقدسة بمثابة حصناً لكل من احتفى بها، وطلب الاستجارة من المرابط القائم عليها.

وهذا ما تؤكدته المعلومات التي وردت في إحدى الرسائل التي بعثها أحمد باي لحسين باشا، فمن بين ما ورد فيها من موضوعات لجوء كل من بوزيان وقريبه السماري إلى المرابط خوفاً من انتقام الباي، هذا الأخير اعتبرهما من الشخصيات المتمردة التي كانت تعمل على نشر الفتنة⁽³⁾. وهذا إن دل على أمر فإثماً يدل على مكانة الزاوية والمرابط القائم عليها، فكل من بوزيان والسماري أدركا بأن لجوءهما إلى هذا المرابط سوف يحميها من انتقام الباي⁽⁴⁾.

ولكن هذه القاعدة لم يعمل بها في كل الحالات، فأحمد باي لم يكن ليرحم كل من حاول زعزعة حكمه حتى وإن لجأ إلى المرابط وزاويته، وهذا ما ذكرته أحد المصادر عندما كتبت حول هجوم قوات الباي على جماعة صنفت ضمن المتمردين على السلطة وإبادة معظمهم، على الرغم من تحصنهم بزاوية "سيدي زواوي"⁽⁵⁾. وإن صدقت هذه المعلومات فسوف يجعلنا نأخذ بعض التحفظ على القاعدة التي تقول بأن كل من قصد مرابطاً أو زاوية فإنه يكون في مأمن من غضب السلطة، وذلك طبقاً لما ورد في فرمانات والتي كانت تصدرها السلطات العثمانية.

فقد كانت تنص هذه فرمانات على حرمة المكان وإعطاء الأمان لكل من

¹ أهم الزوايا المنتشرة في بابلك الشرق: زاوية ابن العباس بالمنعة، وزاوية سيدي أحمد بن بوزيد ومسولي الفرقور ببلزمة، وزاوية سيدي عيسى ببني معافة، وزاوية بلقاضي بجرمة، وسيدي مسعود بأراضي بسابور، زاوية البنيان، سيدي ناجي بالحنقة، وزاوية سيدي علي بن عمر بطولقة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق، ص: 65.

² محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني للاحتلال الفرنسي، د مط، ط: 1، 1969، ص: 77.

³ الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة، مؤرخة في: 24 جمادى الأولى من سنة 1245هـ/1829م.

⁴ الرسالة نفسها.

⁵ -Bouaziz Ben Gana -Chiekh El Arab, Etude Historique sur la famille Ben Gana, P : 35.

فصده، ومثال ذلك نص هذه الوثيقة التي يتبين لنا جليا من خلالها كيفية إعطاء الأمان والحرمة المطلقة لأحد أفراد عائلة الفكون⁽¹⁾ المدعو "عبد الكريم الفكون"⁽²⁾ وعلى الزاوية⁽³⁾ التي كان قائما عليها فجاء في الوثيقة⁽⁴⁾:

..مع الإيضاء عليه بالحرمة الكاملة وحفظ من استجار بها كعادتها من سالف الزمان وهي منجا للهاربين ومنفذ للخائفين ومأمن لهم وإن جميع الهاربين لها والحالين بساحتها لهم الأمان والعافية والإحسان ولو أذنب الكبير من الذنب لا يخرجها أحد منها ويهتك حرمتها كما جرت بذلك العادة القديمة والطريقة السالفة المستقيمة وكذا خدامه وزواياه مثل أولاد جبارة وبني وفتين والثورة وجميع الخماسة ولا يقربهم أحد أحد بإداية ولا بمكروه"⁽⁵⁾.

*-الامتيازات الاجتماعية: اعتبر المرابط من أهم الشخصيات في المجتمع الجزائري عامة والقسنطيني على وجه الخصوص، فكان فرضا على الجميع احترامه وتقديره، سواء الطرف المدني، أو العسكري، وبالنسبة لهذا الأخير، فكان لا يتم ذلك إلا بإصدار الأوامر والفرمانات من الدايات والبايات.

وأصدق مصدر يمكن الاستفادة منه هو ما ورد في نص الوثيقة التي أمضاها علي باشا في شوال 1168هـ/جويلية 1755م⁽⁶⁾، وكان نصها كما يلي بعد المقدمة:

¹ مرات يكتب هذا الاسم بالكاف أي "الفكون"، ومرات أخرى يكتب بالقاف أي "الفقون". ولقد تم الاعتماد على صيغة الفكون بناء على ما جاء في دراسة أبي القاسم سعد الله حول هذه العائلة.

² عبد الكريم الفكون: هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم من عائلة الفكون القسنطينية العريقة التي توارثت العلم والوظائف المخزنية، واشتهرت بوفائها للسلطة العثمانية. ولد بقسنطينة سنة 988هـ/1580م وتلقى تعليمه بها فاكسب ثقافة وإطلاعا واسعا. تولى التدريس ثم أسندت إليه مهمة الإمامة والخطابة باعتباره شيخ الإسلام بالجامع الكبير بقسنطينة حتى وافته المنية سنة 1073هـ/1662م. ترك العديد من التصانيف اللغوية والفقهية منها مؤلفه منشور الهداية الذي اشتهر به. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، من الثرات الجغرافي للغرب الإسلامي. تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 1999، ص: 353.

³ تعتبر هذه الزاوية من مرافق الجامع الكبير الموجود بالبطحا، وهذه الزاوية موجودة براس الخرازين. ينظر: Ernest Mercier, Evaluation de la famille El Feggoun, 1878, R. C. PP : 245 246.

⁴ -Ibid, PP : 243-251

حملت الوثيقة ختم أحمد باي مؤرخة في أواخر محرم 1242هـ/1827م. نشرها مارسي بنصها العربي وأرفقها بترجمة فرنسية. ويعتبر نص هذه الوثيقة نموذجا على سلطة المرابطين، ومن خلال ما ورد فيها من إعطاء الأمان حتى للذي ارتكب أعظم الأخطاء لذليل قاطع على مدى المكانة التي كانت عليها الزاوية.

⁵ -Ibid, PP : 243-251.

⁶ بالرغم من تباعد السنوات إلا أن هذه الأمور لم تكن لتتغير مهما تغير الحكام، لهذا ارتأينا تقديم وثيقة تخصص الموضوع نفسه ولكن متباعدة معها في الإطار الزمني، حتى يتضح بأن مثل هذه الأمور لم تكن لتتغير.

"حامله الأجل السيد الحاج أحمد المكي نجل القطب سيدي محمد أمقران...

قدمناه مرابط بقرية جيجل ولا يتعدى عليه أحد من أهل النوبة ولا من يكسر له حرمة، لا أغا النوبة ولا غيره من سكان جيجل من العسكر، هذا كله حرمة منا"⁽¹⁾.

كما كان المرابط مسموع الكلمة إذا ما قصد الحاكم في شأن من شؤون الرعية، وهذا ما أكدته بعض المراجع، إلا أنه وجد أن خرج أحمد باي عن هذه القاعدة، وذلك عندما عرض عليه مرابطان التوسط من أجل قبول دخول أولاد سحنون في طاعة السلطة، ولكن الباي رفض محتجا بأن هؤلاء استولوا على ممتلكات غيرهم ولا يقبلهم في طاعته إلا إذا أعادوا كل ما سلبوه لهم⁽²⁾.

وأیضا كان السكان يتقون في المرابطين ويفوضونهم في قضاء حاجاتهم، مثال ذلك ما فعله مشايخ بني مسعود⁽³⁾ عندما قصدوا بعض مرابطي المنطقة وكلفوهم بحمل رسالة "كتابا" إلى أحمد باي⁽⁴⁾ وعرض قضيتهم عليه، إلا أن الباي رفض التدخل وفضل أن يرفع قضيتهم إلى الباشا حسين في الجزائر⁽⁵⁾.

كما كانت تقدم الزوايا بمباشرة القائمين عليها خدمات للسكان المعوزين، وإكرام كلّ عابر سبيل، وهذا ما ورد في الوثيقة المحررة بأمر من أحمد باي إذ ذكر فيها ما نصه: "... وهي مأوى للفقراء وللمساكين غريبا وابن السبيل..."⁽⁶⁾. والمعلومات نفسها دعمتها نص وثيقة أخرى بدليل عبارة: "ولطعمه الفقراء والمساكين"⁽⁷⁾، هذا من باب الإعانة الاجتماعية. أمّا فيما يخص التعليم، فقد احتلت الزوايا مكان الصدارة وكانت من بين مراكز الثقافة من ناحية تعليم المعوزين

¹ -خوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص: 21.

² -ينظر الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

³ -بنو مسعود: عرش من الأعراس المتواجدة على مستوى منطقة بجاية. ينظر: الرسالة نفسها.

⁴ -لم يذكر أحمد باي في رسالته الموضوع الذي أراءوا عرضه عليه. ينظر: الرسالة نفسها.

⁵ -الرسالة نفسها.

⁶ -Ernest Mercier, R.C. 1878, P P : 246-247.

⁷ -خوف علي، المرجع السابق، ص: 21.

والفقراء من أبناء الشعب⁽¹⁾.

*-الامتيازات الاقتصادية: لقد شاع في الجزائر التحالف بين العثمانيين والمرابطين حتى عرفت الرعية أنّ هناك سياسة خاصة، فقد كان المرابطون يحرصون على تقديم خدماتهم للإدارة العثمانية والقيام بدور المدافع عن مصالح الباباك، لكنّ الأمور لم تكن دوماً تسير على هذا المنوال، فكثيراً ما شهدت عدة مناطق من الجزائر حركات عصيان خطيرة أضرت بالأمن والاقتصاد معاً.

وما يبين الاتجاه الأول من الصلة الجيدة بين الطرفين، نص الوثيقة المذكورة أعلاه مفادها: "...هذا كله حرمة منا ولوقوفه مع النوبة في إتيان الأرزاق..."⁽²⁾. ومن هذا المنطلق يتبين أنّ السلطة الحاكمة الممثلة في شخص أحمد باي كانت تعتمد على المرابطين في جمع المطالب المخزنية من الرعية. وبالمقابل عمدت إلى إسقاطها عنهم وعن كلّ الزوايا القائمين عليها⁽³⁾، طبعاً كلّ هذا كان يتم بإصدار الأوامر إلى القائمين على جمع هذه المطالب.

ومن بين هذه الفرمانات التي نصت على ذلك ما ورد في نص الوثيقة المذكورة أنفاً، والتي تحمل ختم أحمد باي حيث ذكر فيها ما نصه: "...ولا يطلب الباي لار زواياه بشيء من المطالب إنعاماً تاماً وتجديداً مباركاً"⁽⁴⁾.

كما نشر ناصر الدين سعيدوني وثيقة حملت ختم أحمد باي وتؤكد ما ذكر في الوثائق المعروضة سابقاً، وكان نصها ما يلي؛ بعد الحمدلة والصلاة على أشرف خلق الله:

" يعلم من يقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم، العلي شأنه النافذ حكمه وسلطانه من العمال والقواد وسائر المتصرفين في الأحوال من العرب والأجناد سدد الله الجميع ووفق الكل لصالح العمل وحسن الصنيع أنّاً أنعمنا على

¹ جمع وتقنين: عبد الجليل التميمي، الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج: 1، منشورات الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، 1990، ص: 193.

² -خوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية، ص: 21.

³ -أكدت هذه المعلومات جلّ المراجع المستعملة في هذا البحث نذكر على سبيل المثال: خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ص: 77.

⁴ -Ernest Mercier, Féraud, R. C. 1878, P: 247.

العز سي محمد الصالح وإخوته عبد القادر بن محمد الصغير وحما وابن عمهم إبراهيم، أولاد المرحومين السيد محمد وسي أحمد ولدى المرحوم الصالح السيد إبراهيم بن السيد أحمد بن السعيد الشريف^(*) وجردنا لهم بمقتضى ما بيدهم من الأوامر إخواننا الباي لار المتضمنة تحريرهم من جميع المطالب المخزنية والوظائف السلطانية، قلت أجببت بحيث لا يتعدى عليهم أحد ولا يطالبهم بشيء. فصب الواقف على أمرنا هذا أن يعمل به ولا يخالف عليه⁽¹⁾.

وما يلاحظ على كل هذه المعطيات أنّ أحمد باي حاول استمالة المرابطين، بخلاف ما فعله الكثير من البايات الذين سبقوه على حكم البايك، فلقد استفاد كثيرا من أخطائهم وحاول أن يتفادها، مثال ذلك ما كانت عليه قبيلة أولاد سيد عبيد من مكانة معتبرة إذ لم يكن اهتمام الحكام العثمانيين بتلك القبيلة في البداية الأمر إلا نادرا جدا، فكانت تعيش في زاوية "قتينس" في سلام دائم مقابل تقديم بعض الهدايا إلى بايات قسنطينة، من أجل أن تحظى بالأمن والاعتبار وسط القبائل المجاورة. وقد استمرت تلك الحالة إلى غاية أن تولى صالح باي الحكم، فشن حملة على قبيلة النمامشة، وفاجأ في آن واحد تلك الزاوية مجبرا أولاد سيد عبيد على تقديم اللزمة التي قدرت بقيمة فرنكين للخيمة الواحدة.

هذه السياسة أدت بالكثير من القبائل المرابطية إلى الهجرة وإخلاء المكان طلبا للأمن والاعتبار. بعكس ما عمل به أحمد باي، فقد أصبحت على عهده معفاة من المطالب المخزنية⁽²⁾. وكان هذا كله يخضع لاعتبارات دينية وأهداف سياسية، بحيث كان كل طرف يدافع على مصالحه، بغض النظر عن من هو المنتفع الحقيقي وراء هذا التحالف.

* ينتمي كل هؤلاء الأفراد إلى أسرة أحمد بن بوزيد التي كانت تتمتع بكل الاحترام والتقدير لدى سكان بلزمة، هؤلاء اعتكفوا في صلاح وتقوى مؤسس هذه الأسرة الشيخ أحمد بن بوزيد، والذي يوجد ضريحه بزوايته الواقعة بالقرب من قرية واد الماء. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 297. كما نشر هذا الباحث وثيقة من النوع نفسه من تحرير وإمضاء الباي المنماني تخص هذه العائلة بالامتيازات نفسها. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنّ هذا العمل كان جاري به بين البايات حتى أصبح عرفا يتداول بينهم على مر الأزمنة.

¹ المرجع نفسه، ص: 303. الوثيقة حملت ختم أحمد باي ومؤرخة في أواسط شوال من سنة 1243هـ/1827م.

² صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص ص: 50-51.

وعموما ما يمكن استنتاجه هو أنّ العلاقة بين الطرفين كانت مبنية على المصالح المشتركة، فأحمد باي لم يكن زعيما دينيا أو شيخ زاوية أو صاحب طريقة، وإنما كان قائدا حرييا يعتمد نفوذه على خبرته التي أهلته ليكون حاكما على أغنى وأوسع المناطق في القطر الجزائري، فيفعل غياب عامل الزعامة الدينية وقف المرابطون من أحمد باي موقف المساند والمتعاطف، وليس موقف التابع والمطيع. لهذا كان عليه أن ينتهج معهم سياسة خاصة من خلالها تمكن من كسب ثقتهم، وبالتالي ضمن مساندتهم له وإخلاصهم في خدمته، ففقد بذلك على عدة عوامل يمكن لها أن تزعزع النظام العام وبالتالي الاستقرار في المنطقة. فأهم ما يلاحظ على فترة حكمه أنّه لم تحدث هناك تمردات أو حركات عصيان من طرف بعض الطرق مثلما حدث في العهود السابقة.

(3) - مكانة العلماء:

كان العثمانيون في بداية الأمر يجلبون معهم علماءهم من أجل قيامهم بشؤون المذهب الحنفي الذي كانوا يتبعونه على أنّ الوظيفة التي كان يتولاها العالم هي الفتوى والقضاء.

فبايالك الشرق كغيره من المناطق الأخرى الموجودة في الجزائر كان له علماءه الذين عرفوا بعلمهم وتقواهم، بل كانت مدينة قسنطينة من بين مراكز الإشعاع العلمي في الجزائر ليس على العهد العثماني فقط بل على مر كلّ العهود. فقد اشتهرت بمجموعة من العائلات التي كانت لها شهرتها العلمية، توارثتها على مدى الأجيال، والتي كان من الضروري كسب تأييدها ومساندتها. لهذا كان يتقرب إليها أحمد باي بشتى الهدايا والعطايا المختلفة، كما أسقط عليها بعض المطالب المخزنية، بالإضافة إلى منحها الزعامة الروحية، كما كان يستشيرها في مختلف القضايا، لما كانت تتمتع به من حكمة ورجاحة عقل. ومن بين العائلات التي اشتهرت بالعلم الواسع والورع والعمل للمصلحة العامة بمساعدة السلطة، عائلة

بن فكون⁽¹⁾ وعائلة بن مومن⁽²⁾.

ولم يكن كلّ الحكام على سواء في علاقتهم مع العلماء⁽³⁾، بالرغم من أنّ ذلك كان يضر بالمصلحة العامة للبلاد، ويعرقل السير الحسن للحركة العلمية والثقافية، والتطور الاقتصادي والاستقرار السياسي، فلقد انقسم الحكام إلى قسمين، قسم ساء على العلماء كلّ أنواع الاضطهاد الفكري والاقتصادي. وقسم آخر أبقى على علاقة طيبة معهم⁽⁴⁾، ذلك لأنّه علم بأنّه لا بد من التحالف معهم حتى تسير الأمور بصورتها الطبيعية، ومن بين هؤلاء أحمد باي.

1- دور العلماء في الحياة العامة: لعبت هذه الفئة دوراً فعالاً في جميع ميادين الحياة اليومية. ومن أبرز هذه الأدوار نذكر:

أ- على الصعيد العلمي: لقد كان التعليم من اختصاص العلماء، وكانوا يلقبون بالمدرسين⁽⁵⁾. ولقد خصصت لهم السلطات العثمانية رواتب يتقاضونها، تضمن لهم الحياة الكريمة، وتجعلهم يتفرغون للعلم والتدريس⁽⁶⁾، هذا الأخير كان يتم على مستوايين:

على مستوى الرعية: وكان يتم في المساجد⁽⁷⁾؛ إذ كانت هذه الأماكن المقدسة، فيما عدا أوقات الصلاة، ميداناً لحلقات الدروس اليومية، وتحصيل مختلف العلوم، التي كانت تدرس خلال ذلك العهد، ولا سيما في المدن.

¹ عائلة بن فكون: من أقدم العائلات في قسنطينة. اشتهرت بالعلم والصلاح. تنتسب إلى بني تميم ومن ثمة فهي من القبائل العربية العريقة وجددهم الفكون من قبل الأم من الأشراف الحسينيين. وكان قد تولى في قسنطينة وظيفة المزوار. ومهما يكن فإنها عائلة قديمة في التاريخ. ينظر: عبد الكريم فكون، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 1، 1406هـ/1976م، ص: 38.

² عائلة بن مومن: من بين أشهر العائلات في قسنطينة، ومن بين الصغوف القوية، تمتع أفرادها بالمكانة والحرية والسلطة والنفوذ الديني والسياسي والاجتماعي لسنوات طويلة، كانت إقامتهم بحي الجابية بمدينة قسنطينة. ينظر: صالح بن العنثري، تاريخ قسنطينة، ص: 38.

³ ورد الحديث على موضوع العلماء في كلّ من الرسالة رقم: (11-18)، ورسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) لا تحمل رقماً أو تاريخاً.

⁴ من بين الذين شجعوا ازدهار العلم في بايلك الشرق، صالح باي الذي قام بإنشاء المدرسة الكتانية، كما ألحق بالجامع الأخضر مدرسة أخرى. ينظر: حميدة عميراي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 37.

⁵ رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) لا تحمل رقماً أو تاريخاً.

⁶ الرسالة نفسها.

⁷ الرسالة نفسها.

كما كان تحصيل العلوم يتم أيضا في المدارس التي خصصت لإلقاء دروس الفقه واللغة، وما شابهها من العلوم الدينية، والرعية كانت تفضل هذا النوع من الدروس⁽¹⁾. وقد عرف على أهل قسنطينة أنهم كانوا مولعين باقتناء الكتب والبحث عن نفايس المخطوطات أينما وجدت، حتى إن فرنسا عند احتلالها للمدينة وجدت 17 مكتبة خاصة تحتوي على ما لا يقل 14000 من المجلدات القيمة⁽²⁾.

على مستوى أعيان المدينة والحكام: كان يتم ذلك في منازل بعض الوجهاء وأعيان المدينة من ذوي النفوذ والسلطة المحلية، وقد استمرت هذه العادة إلى عهد الاحتلال الفرنسي؛ فقد كان الباي أو القاضي أو المفتي يجمع لديه بعض الرعية بعد تناول العشاء في منزله، ثم يشرع هؤلاء العلماء في قراءة كتابا قد تم الاتفاق عليه، هذا في غير شهر رمضان، أما فيه فإنهم يواظبون على صلاة التراويح هناك، وبعد الانتهاء منها يشرعون في إلقاء الدروس الدينية حسبما جرت به العوائد⁽³⁾.

2- دورهم على الصعيد الإداري: نظرا للحكمة التي كان يتمتع بها العلماء فقد كان يستفاد من خبرتهم في شتى المجالات، بحيث لعبوا دورا بارزا في المجال الإداري، إذ كانوا يشاركون في تعيين أو مباركة مشيخة المدينة، التي كانت تعمل على تنظيم الشؤون العامة للسكان. فقد تقلد هذا المنصب على عهد أحمد باي المدعو أبي عبد الله السيد محمد وذلك سنة 1246هـ/1830م، وقد وصفه أحمد باي بـ "العلم الجليل والخطيب الأصيل"⁽⁴⁾.

وعملت السلطة العثمانية باستشارة العلماء في أمر تعيين الشخصيات المهمة واتخاذ القرارات الحاسمة، فبدون مباركتهم لا يمكن للباي أن يستمر في حكمه لمدة طويلة، وحتى وإن استمر فسوف تكون فترة حكمه كلها صعوبات ومشاكل والتي لا

¹ - بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية، ص: 61.

² - المصدر نفسه، ص: 60.

³ - أبو القاسم سعد الله، مجتمع قسنطينة في كتاب منشور الهداية للفكون، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج: 1-2، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموركية والتوثيق والمعلومات، العدد مطبوع بالشركة التونسية، شهر مارس 1121هـ/1988م، ص: 388.

⁴ - صالح بن العنتر، تاريخ قسنطينة، ص: 71-72.

كنه حلها دون الرجوع إليهم.

ومثال ذلك نص وثيقة التي أمضاها أحمد باي وصادق عليها بعض علماء مدينة قسنطينة، والتي جاء فيها: "ليعلم الواقف على هذا المكتوب الأعظم والمنشور ببارك الأفخم الجالب للخير والسرور والمضاعف بحول الله وقوته للبركة لخبور، وبه تكون إنشاء الله عافية البلاد وهناء العباد وعمارة الوطن وذهاب رأس والمحن، وهو أن الأمير المتفق على إمارته، والنظر في كافة المصالح، عامة المطالب والمآرب، وهو السيد الحاج أحمد باي المذكور لا خلاف عند أحد من ذلك، وأنه حرر الرعية من كافة المظالم السابقة، لا يطالبون بمغرم ولا جابدة لا غير ذلك من التكاليف الفارطة ولا يأخذ منهم شيئاً سوى الزكاة والعشور بوجه حكمه قانون الشرع العزيز للاستعانة على جهاد الكفرة دمرهم الله. كتب بإذن سادات العلماء والأمير بتاريخ⁽¹⁾، أواخر جمادى الأولى 1246^(*).

كما كانت وظيفة القضاء حكراً على العلماء؛ لما كان لها من أهمية في الحياة العامة والخاصة للرعية. حتى في القضايا التي كانت تخص بعض أعضاء السلك العسكري، إذ نجد أحمد باي يستشير العلماء ويكلفهم بمهمة البحث في قضية الغش التي حصلت في خبز النوبة وأن يقدموا له تقريراً على ذلك، وبعد إتمام المهمة ملهم مسؤولية كتابة تقرير آخر للباشا حسين عن كل ما سجلوه من مخالفات⁽²⁾.

وهذا النموذج من عمل العلماء لدليل واضح على تدخلهم في الشؤون العامة الخاصة للرعية. ومن بين الذين اشتهروا في هذا المجال على عهد أحمد باي بكر: "مصطفى مفتي السادات الحنفية"، و"السيد أحمد العباسي قاضي السادة مالكية"⁽³⁾.

من خلال وثيقة أمضاها أحمد باي وصادقت عليها مجموعة من العلماء. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 71-72. وقد ألحق أحمد باي بهذه الأسماء لقب، "العالم العلامة".
1246هـ موافقة لسنة 1830م.

ينظر الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.
صالح بن العنتري، المصدر السابق، ص: 137-138.

3- دورهم على الصعيد الاجتماعي: بحكم مكانتهم، حظي العلماء باحترام وتقدير جميع عناصر المجتمع الجزائري، لهذا كانت كلمتهم مسموعة ومطاعة. فعمل العلماء على نشر الوعي بين أوساط الرعية خاصة أثناء الخطب التي كانت تلقى في المساجد عند صلاة الجمعة، بحيث كان معظم علماء مدينة قسنطينة أمتها وخطباءها.

ومن بين الذين اشتهروا بهذا على عهد أحمد باي نذكر على سبيل المثال، أبو المنصور عمار الشريف (1242هـ/1826م)، الذي كان إماما وخطيبا برحبة الصوف، اشتهر بنبوغه في الفقه والأدب والأصول. أيضا المدعو محمد بن المسبح (1242هـ/1826م) والذي اعتبر من بين أكبر الأئمة والخطباء بمدينة قسنطينة، ومن رجال العلم والورع والصلاح⁽¹⁾.

بالإضافة إلى دورهم التعليمي والتثقيفي، كانوا ينشطون أيضا ويتحركون عندما تحل الأزمات بالبلاد، خاصة الطبيعية منها، كالمجاعات، والأوبئة والفيضانات؛ فيسخرون كل الطاقات الموجودة من أجل تقديم المساعدات للضحايا، ويعملون مع أثرياء المدينة ووجهائها على تقديم الدعم المادي للسكان⁽²⁾.

4- دورهم على الصعيد السياسي: حتى المجال السياسي شارك فيه العلماء، فكثيرا ما نجد البايات يستعينون بهم من أجل حل النزاعات القائمة بين العائلات، خاصة، والرعية عامة؛ كما كانوا يقومون بتعبئة السكان في حالة وجود خطر أجنبي، من أجل أن تكون السلطة والرعية يدا واحدة للتصدي لذلك.

مثال ذلك ما فعله أحمد باي عندما قصد علماء مدينة قسنطينة من أجل توعية السكان بضرورة التحلي باليقظة والحيطة وكان ذلك أثناء الحصار الفرنسي المضروب على السواحل الشرقية سنة (1243هـ/1827م)، كما طلب من العلماء بضرورة توعية السكان بالدفاع على البلاد من الخطر الخارجي⁽³⁾.

¹ أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا، ص ص: 71-72.

² أبو القاسم سعد الله، مجتمع قسنطينة من خلال كتاب منشور الهداية للفكون، ص: 38.

³ الرسالة الرقم: (11). - مؤرخة في: 29 من ذي القعدة سنة 1242هـ/1826م.

لأجل هذا كله كان علي أحمد باي أن يتعامل مع العلماء بكل احترام وتبجيل، لما كانت لهم من مكانة بين أوساط المجتمع القسطنطيني، فهو يعلم جيدا أنه بدون الحصول على تأييدهم ومساندتهم له سوف يعرضه ذلك إلى مشاكل عدّة، قد تتجلى بزوال ملكه وسلطانه، وهذا ما تبين من خلال العريضة التي قدّمها أعيان قسطنطينة وعلماؤها إلى السلطان العثماني، قصد إعطائه لقب الباشا، وتوليّه حكم المنطقة باسم الخلافة العثمانية بعد سقوط مدينة الجزائر⁽¹⁾.

وانطلاقا مما تم عرضه من معطيات فإنّه يتبين أنّ أحمد باي كان يقدم العلماء ويسمع كلمتهم ويأخذ برأيهم، لأنّه كان يعلم جيدا مكانتهم بين المجتمع الجزائري، وأنّه بمساعدتهم سوف يلغي الكثير من الصعاب والمشاكل. فالعقل والحكمة يقولان بأنّ يستفيد الحاكم من كلّ الطاقات التي لها تأثير على الرعية.

2/2- المبحث الثاني: علاقة أحمد باي مع مختلف القبائل القسطنطينية

تقد احتوى باييك الشرق كغيره من المناطق الجزائرية تشكيلة بشرية مميزة، لهذا كان لا بد على الحكام مراعاة ذلك من أجل بناء علاقة سليمة بين السلطة والرعية. فكان من الحكام من أدرك ذلك، فعمل بهذه القاعدة، ومنهم من غاب عنه هذا، فعجل بنهاية حكمه. وأحمد باي علي غرار البايات الذين حكموا باييك الشرق قد نشأ في الوسط الجزائري وبين المجتمع القبلي، فسمح له ذلك بالتعرف على مميزات المجتمع القسطنطيني، لهذا حاول أن يترجم تلك المعرفة على أرض الواقع، مستعملا في ذلك جميع الوسائل الكفيلة بتحقيق التوازن الذي طمح إليه كلّ من حكم المنطقة. ولا يمكن الجزم بنجاحه، ولكن الإشادة على الأقل بقدرته على إرساء الأمن، ولو بصورة نسبية، مقارنة بالعهود السابقة.

ومن ثمة اتخذت سياسة أحمد باي مع القبائل ثلاث اتجاهات على حسب نوعية العلاقات التي كانت قائمة بين الطرفين. فلقد انتهج في بعض الأحيان اللين،

¹ من خلال وثيقة نشرها عبد الجليل التميمي في مرجعه "بحوث ووثائق في التاريخ المغربي" وقد أمضاها عثمان خوجة باسم الشعب الجزائري بكل ما كان يحويه من فئات، وكانت من ضمنها فئة العلماء والتي بدونها لا يمكن أن تكون لهذه الوثيقة مصداقية. ينظر: ص: 196.

محاولة منه كسب ود بعض القبائل وتغاديا للدخول في صراعات على كلّ الجبهات، مما سيعجل حتماً بنهاية ملكه. وفي أحيان أخرى اتسمت بالحذر مع أخذ التدابير الكفيلة لتفادي الدخول معها في مواجهات عسكرية يمكن تفادي خسائرها. ومرات أخرى اتصفت بالعنف فاتخذت صفة شن الحملات التي كانت لأغراض تأديبية أكثر منها سياسية، وبخاصة مع تلك القبائل المتمردة التي شقت عصا الطاعة، رافضة بذلك دفع ما عليها من مطالب أو لقيامها ببعض الأعمال المنافية للنظام العام.

1- معاملة السلطة للقبائل الحليفة والرعية:

أمّا عن علاقته بالقبائل الحليفة فلم يذكر أحمد باي في رسائله أية معلومات يمكن من خلالها رسم صورة واضحة على نوع العلاقة التي كانت تربطه بها⁽¹⁾، لأنّ محور رسائله كله كان مركزا على التفصيل في طبيعة علاقاته مع القبائل المتمردة. وقد كانت هناك محاولة للبحث على مادة تاريخية يمكن من خلالها سد هذا الفراغ، وما عثر عليه سوى مجرد عموميات، فحاولنا أن ننسق فيما بينها، حتى ينسئ محورة هذا العنصر، بطريقة يفهم من خلالها نوعية هذه العلاقات.

فعندما يكون الكلام على القبائل الحليفة، فنعني بها تلك التي كانت تُساند أحمد باي بطرق شتى سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة. ومعنى ذلك أنّها كانت تدفع ما عليها من مطالب مع الإبقاء على بعض الامتيازات التي كانت تخص لها، بالمقابل كانت تمد أحمد باي بكلّ ما كان يحتاج إليه من دعم ومساندة. وهذا بالطبع كان يرتكز بكلّ بساطة على نوعية العلاقة التي كانت بين الباي وزعماء هذه القبائل⁽²⁾.

فقد كانت السلطة العثمانية والممثلة في شخص أحمد باي تتعامل مع هذه القبائل عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها، معتمدين في ذلك إمّا على نفوذهم الديني، أو لكفاءتهم الحربية، أو لأصالة نسبهم، وقد غلب على هذه العائلات أحيانا الطابع الحربي، وفي أحيان

¹ من أجل الإطلاع على خريطة تبين انتشار هذه القبائل في بايك الشرق ينظر الملحق الخاص بالخرائط رقم: (4)، ص: 301.

² من أجل تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع ينظر: علاقة أحمد باي مع العائلات من هذه الجزئية.

أخرى اعتمدت في فرض زعامتها على أصولها العريقة، مثال ذلك ما كان جاري العمل به على مستوى منطقة البابور.

كما ساعدت طبيعة الشرق الجزائري الجبلية على تزايد نفوذ المجموعات القبلية الكبرى التي أصبحت تسيطر على ثلثي بايك الشرق حتى اضطر البايات إلى التعامل معها، والاعتراف بزعامة شيوخها؛ مثل مشيخة النمامشة، والحراكتة وقصر الطير⁽¹⁾ وأولاد بوعزيز ببلزمة⁽²⁾، وأولاد بوضياف⁽³⁾، وأولاد قاسم⁽⁴⁾، وأولاد عبيدي⁽⁵⁾، وأولاد عاشور بفرجيوة، وأولاد مقران بمجانة، وبني جلاب بتقورت، وأولاد ابن غانة بالبيبان⁽⁶⁾.

وبهذا أصبح التعامل مع هذه القبائل من خلال زعمائها، لأنّ الزعيم كان يمثل بالنسبة لها ذلك الرمز الذي يؤمن به أفراد القبيلة، فاحترام هذا الرمز والعمل على كسبه بكلّ الوسائل، يعني ضمان ولاء أفراد القبيلة كلّها بحيث عندما يمس هذا الرمز فإنّ كلّ أفراد القبيلة ينتقمون له، وكأنّهم ينتقمون لكرامتهم التي مست في صميمها. وهذا ما حدث في الكثير من الحالات أثناء حكم أحمد باي، ومن بين الأمثلة على ذلك، ردود فعل كلّ من قبيلتي بورنان وبن قندوز عندما أصدر أحمد باي حكما بإعدام بلقندوز، فشقت عصا الطاعة، وبهذا دخل معها في صراعات طويلة⁽⁷⁾. ومن المفروض أنّ كلّ حاكم عندما ينصبّ على إحدى المناطق، يكون شغله الشاغل العمل والسعي على تلبية حاجيات الرعية ومتطلباتها، والبحث عن الوسائل الكفيلة لتحقيق الأمن والاستقرار، الذين بدونهما لا يكون الازدهار الاقتصادي ولا نشاط الحركة الثقافية. ولكن ما عرف على بعض الحكام الذين حكموا البايك

¹ مشيخة قطر الطير: كانت تسيطر على الهضاب العليا الغربية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 272.

² مشيخة بوعزيز: كان يمتد نفوذها من بلزمة إلى شمال بركة. ينظر: المرجع نفسه، ص: 271.

³ مشيخة أولاد بوضياف: كان يمتد نفوذها بالأوراس الأوسط والشمال. ينظر: المرجع نفسه، ص: 271.

⁴ مشيخة أولاد قاسم: امتد نفوذها جنوب شرق قسنطينة بنواحي الشلية. ينظر: المرجع نفسه، ص: 271.

⁵ مشيخة أولاد عبيدي: امتد نفوذها بجهات المنعة. ينظر: المرجع نفسه، ص: 271.

⁶ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984. ص: 108.

⁷ Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 370.

أنهم عملوا عكس ذلك، لأنهم لم يستطيعوا تفهم طبيعة البنية الاجتماعية التي كان يتميز بها المجتمع القسنطيني على غرار المجتمعات الأخرى.

فلقد كانت قبائل الرعية تتألف من المجموعات السكانية الخاضعة مباشرة لسلطة البايك، المقيمة بالأوطان⁽¹⁾. ومما لا شك فيه أن أحمد باي كان يتمتع بصفات ساعدته على أن يحكم بايك الشرق لمدة طويلة بالرغم من كل ما كان يحويه هذا الأخير من متناقضات⁽²⁾؛ فكونه ابن لأب تركي، وأم عربية جزائرية مكّنه من الوقوف تماما على عادات الأهالي، كما ساعده ذلك على أداء مهامه بكل لباقة⁽³⁾، فلم تكن تنقصه مميزات الحاكم؛ إذ كان يتمتع بثقافة عملية مناسبة لمكانته، فجمع بين فنون العرب وسلوك الترك، وبهذا كان حلقة وصل بين نظام البايات القائم على تكاثف الأقلية التركية، والمعتمد على القوة العسكرية، وبين واقع المجتمع الجزائري الذي كانت تتحكم فيه العادات العربية، وتستند به التقاليد القبلية، وتسود فيه الروح العشائرية في الأوطان. فعرف كيف يتعامل مع نوي النفوذ والتأثير والمكانة من الأعيان، والشيخوخة وبذلك عرف كيف يتعامل مع رعية⁽⁴⁾.

ومن خلال وثيقة كتبها القسنطينيون، وبعثوها إلى حسين باشا، والتي نشرها عبد الجليل التميمي يتبين رأي قبائل الرعية في أحمد باي وموقفهم منه، فجاء نصها: "مند فترة حكم صالح باي، ونحن نعيش على الهامش، حتى ولي علينا أحمد باي، هذا الأخير وفر لنا الأمن والاستقرار في المنطقة، وأعطى الأمل لكل اليائسين، نتيجة لذلك انشغلنا ببناء المنازل وجلب المياه، كل هذا تمكن لنا بفضل الله، ثم بفضل عدله وإنصافه. نطلب من الله أن يجازيه"⁽⁵⁾.

فهذه الوثيقة تعبر بصدق على موقف الرعية من حاكمهم، وإن كان هذا

¹ من أجل الإطلاع على خريطة تبين انتشار هذه القبائل في بايك الشرق ينظر الملحق رقم: (4)، ص: 301.

² ذهب إلى هذا الرأي كل من: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر أفق ومنطلقات، ص: 59. أيضا:

Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 372.

³ كوران، السياسة العثمانية تجاه احتلال فرنسا الجزائر، ص: 84.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 59.

⁵ -Temimi, Le Beylik de Constantine et Ahmed Bey, P P : 61-62.

لموقف لا يمكن تعميمه أما بهذا الصدد ومن خلال فهمنا لمضمون الرسائل، والتي لا نملك غيرها في سد هذه الجزئية، أن أحمد باي كان يسهر على مصالح قبائل الرعية وينتقم من كل من يحاول سرقة أموالها وانتهاك أعراضها؛ ويحقق مع كل من يحاول التعدي على فرد من أفرادها⁽¹⁾.

مثال ذلك، شأنه لمختلف الحملات العسكرية ضد بعض القبائل التي كانت تحاول أن تتعدى على ممتلكات قبائل الرعية⁽²⁾. ومن بين هذه الحملات التأديبية تلك التي شنّها على فرقة من قبيلة النمامشة، هذه الأخيرة كانت تبتث الخوف والفساد، فقام بتأديبها وسبب لها خسائر كبيرة، وبالتالي أراح الرعية منهم -على زعمه-؛ فقد قال بصريح العبارة: "إن كل الرعية التي تقطن تلك الناحية فرحوا بذلك لأنهم كانوا مصدر قلق ورعب، فلقد كانوا يقطعون الطرقات، ويتعرضون للقوافل، وينهبون أموال الناس، كما كانوا يتصرفون في أرزاق الرعية بالبيع والشراء، فكان السكان دائمي الشكوى"⁽³⁾. وقد بعث بجنتهم إلى قسنطينة عبرة لغيرهم من "أهل الفساد"⁽⁴⁾.

كما كان لا يهمله مكانة بعض الأطراف، إذا ما استغلت تلك المكانة، وتعدت على ممتلكات الرعية. وما يترجم ذلك، ما فعله للصحاري⁽⁵⁾ عندما وصلتته شكوى من الرعية القاطنة ببسكرة؛ وما جاء في مضمونها أن أفراد من هذه القبيلة "نزلوا بسعيهم وبيوتهم على أراضيهم"، فصارت مواشيتهم تأكل الزرع، ممّا سبب لهم أضرارا كبيرة. حينها قرر أحمد باي أن يبعث "مكتوبان"، أحدهما للصحاري والآخر لشيخ العرب، وجههما مع رجل وصفه بالحكمة ورجاحة العقل، ومن خلالهما وبخ كل من شيخ العرب والصحاري وتوعدهم بالزجر العظيم والعقاب الشديد، إذا لم يتم

¹ ينظر كل من الرسالة رقم: (16-18) في الترتيب العام للمجموعة.

² ينظر الرسالة رقم: (14-24-28-28) في الترتيب العام للمجموعة.

³ الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في سنة 1242هـ/1826م.

⁴ الرسالة نفسها.

⁵ الصحاري: تكتب في المراجع بالسين أي "الصحاري" بينما كتبت في رسائل أحمد باي بالصاد أي "الصحاري". وقد أخذنا بما ورد في رسالة أحمد باي. وقد كانت تشكل قبيلة مخزن؛ كلفت بحراسة الجهات الشمالية والشرقية لبسكرة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 281. وكان يتكون هذا المخزن من حوالي 800 فارس وعرف عن أفراد القوة والبأس. ينظر:

رحيلهم فورا وابتعادهم عن "أراضي أهل بسكرة". كما أمر عامله المبعوث إليهم بأن يعاين ويقدر قيمة الخسائر والأضرار التي ألحقوها بالمنطقة⁽¹⁾، لتقدم التعويضات اللازمة للمتضررين⁽²⁾، وكان هذا العقاب ردعا وزجرا لغيرهم⁽³⁾.

كما تصرف أحمد باي بالمثل مع إحدى القبائل، حتى وإن حاولت تقديم ولاءها وخدماتها. فلقد تقدم أولاد سحنون⁽⁴⁾ بطلب خضوعهم وقبولهم للانصياع، ولكن أحمد باي رفض طلبهم هذا مشترطا عليهم أن "يردوا كل ما أخذوه لأولاد نايل⁽⁵⁾ وأولاد ماضي⁽⁶⁾ والصحاري". كما اشترط عليهم أن يكفوا أيديهم عن "أكل أموال الناس بالباطل والفساد في الأرض"، فإن نقضوا هذه الشروط "فلا أمان لهم"⁽⁷⁾.

كما لم يبال أحمد باي بالنتائج الوخيمة، إذا ما تعلق الأمر بملاحقة أحد أعضاء السلك العسكري، فكثيرا ما حاول أن يرجع الحقوق إلى الرعية إذا ما واجهت هذه الأخيرة ظلما أو تعدي من طرف أحد السيولداش، فإنه لا يتوان أو

¹ تذكر أحمد باي أنه عند قدوم "خديمه" إلى بسكرة حدث قتال بين أهل بسكرة وعرب الصحاري والبعوض من يولدش النوية، فجرح من هؤلاء ثلاثة وقتل من عرب الصحاري سبعة عشر رجلا، وبعد تدخل "خديم" أحمد الباي هدأت الفتنة كما سماها هذا الأخير. ينظر: الرسالة رقم: (16) في الترتيب العام للمجموعة.

² إن القرار الذي اتخذته أحمد باي في شأن الصحاري بأن تفرض عليهم غرامة مالية كان بمثابة تعويضا لأهل بسكرة عن الأضرار التي تلقوها، وكان أيضا تقليدا لما فعله جاجر باي عندما قامت إحدى القبائل بالأعمال نفسها المخلة بالنظام العام، إذ فرض عليهم غرامة مالية عقابا لهم وزجرا لغيرهم. ينظر: الرسالة رقم: (16) في الترتيب العام للمجموعة. وبهذا يستنتج بأنه كانت تتخذ بعض القرارات بناء على ما كان يطيقه بعض البيات، فكأنما تصبح هذه القرارات بمثابة أعرافا متداولة متى كانت هذه الأخيرة صالحة ومناسبة للزمن والحدث.

³ الرسالة رقم: (16) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ أولاد سحنون: استقرت هذه القبيلة في بداية الأمر بالهدنة، ثم انضمت تحت لواء فرحات بن سعيد وذلك خلال سنة 1253هـ/1837م من أجل محاربة أحمد باي وعزله. ينظر: Charles Féraud, Histoire des villes de la province de Constantine, R. C. 1871-1872, P: 308

⁵ أولاد نايل: لقد تضاربت الروايات وتعددت الاتجاهات حول نسب هذه القبيلة، فيعضهم أخلط بين أبناء زكري وأبناء نايل والذي هو جد أولاد نايل في الشرق، فعند قدوم أولاد نايل إلى المنطقة ونظرا لقوتهم تمكنوا من طرد كل من الصحاري وبعض القبائل المرابطية مثل أولاد يعلى من أراضيهم واستقروا عليها. ينظر:

Emile Dermenchen, Le pays d'Abel, Le Sahara des ouled Nail des Larbaa et des Amour, Imprimerie moyenne, Libraire Gallimard, 14 Octobre 1960, Paris, PP: 36-37.

في حين ذكر ناصر الدين سعيدوني أن مواطنهم الأصلية كانت في الأطلس الصحراوي والهضاب العليا جنوب تطري. ينظر: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 288.

⁶ أولاد ماضي: التحمت هذه القبيلة مع بعض القبائل البربرية بالمصاهرة والجوار، فحصل بينها امتزاجا كبيرا بابتلاع العرب للبربر، وأشهرها وكلها في قسنطينة، فهي تتمركز قرب منطقة برج بوعريج. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 133.

⁷ الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

يتخاذه في التحقيق حول المسألة والمطالبة بتطبيق العقوبة على الجناة⁽¹⁾.

ومن خلال هذه الأمثلة الحية على الواقع الاجتماعي الذي أظهرته نصوص رسائل أحمد باي، يتضح أنّ علاقة هذا الأخير مع القبائل الرعية كانت مبنية على مسؤولية الراعي اتجاه رعيته بحمايتها ونصرتها في حالة ما إذا حاول أي طرف أن يخرق الحدود التي رسمها في هذا المجال. وهذا العمل كان ساري المفعول طالما لم يتجرأ أحد الأطراف من هذه القبائل على عصيان السلطة الحاكمة الممثلة في شخصه، إما برفضها لدفع ما كان يجب عليها من مطالب، أو لقيامها بأعمال منافية للنظام العام.

(2)- مساندة أحمد باي لقبائل المخزن ودورهم في فرض الأمن في البايك:

يعود تكوين قبائل المخزن إلى عهد خير الدين، والذي من خلال تكوينهم حاول أن يجعل له قوات عسكرية ثابتة يستطيع أن يعتمد عليها، والتي كان لها نفوذاً على المنطقة⁽²⁾. فحينما نتكلم عليهم فإثنا نشير مباشرة إلى نطاق الولاء السياسي، فحيث تمتد هذه السلطة وتمارس وظائفها الردعية والجبائية بشكل مباشر وفعال كانت تعرف بالمخزن، وهذا الأخير هو تعبير فعلي ومجازي عن "بيت المال" الذي كانت السلطة السياسية تضع ما تجمعه من مطالب مخزنية، وحبوس، وإتاوات نقدية وعينية من أولئك الخاضعين لها مباشرة سواء كانوا أفراداً، جماعات، أو قبائل⁽³⁾. في حين يرى "فايست" Vayssette "أنّ المعنى الحقيقي للمخزن هو "الحكومة"، وأمّا المخزني فهو "رجل الحكومة"⁽⁴⁾.

فقد اعتبرت هذه القبائل الوسيلة الفعالة واليد القوية للحكام العثمانيين، فكان بذلك المحور الأساسي الذي كانت ترتكز عليه السياسة العثمانية مع باقي سكان الجزائر، تلك السياسة التي كانت تهدف أساساً إلى فرض النفوذ⁽⁵⁾. لهذا كان من

¹ مثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

² Vayssette, R. C. 1869, P : 42.

³ سعد الدين إبراهيم وآخرون، مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي، منتدى الفكر العربي، عمان، الأردن، ط: 2، أكتوبر 1988، ص: 112.

⁴ Op. Cit, P : 41.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 113.

الضروري أن يتعامل معها أحمد باي بكلّ لين وكرم، وذلك لما كانت تمثله بالنسبة لدوام حكمه وبسط سلطانه على كلّ مناطق البايك.

وأما وسائله في جلب هذه القبائل، فكانت متعددة، إذ حاول أحمد باي أن يمنح لها عدّة امتيازات مقابل خدماتها المستمرة ونذكر منها:

المكافآت والتشجيعات: فبالإضافة إلى العديد من المنح التي كانت تقدم لهم من طرف السلطة كالفرس، والسلاح، وأدوات العمل الفلاحية التي كانت طبعاً دون مقابل، أيضاً كانت تعطى لهم أجوراً تماثل الأجرة التي كانت تصرف لأفراد الجيش الانكشاري. وما يثبت ذلك ما ورد في إحدى الرسائل التي بعثها أحمد باي إلى حسين باشا يعلمه من خلالها أنّه أرسل "جرائد" سجلت فيها مرتباتهم من أجل مراجعتها وتسليمها لهم⁽¹⁾.

هذا بغض النظر عما كانوا ينتفعون به من الغنائم التي كانوا يتحصلون عليها أثناء مشاركتهم في الحملات العسكرية التي كان يشنها أحمد باي مرفقاً بقواته التركية على البعض من القبائل المتمردة⁽²⁾؛ ومثال ذلك ما قدمه أحمد باي لرجال المخزن عندما أراد الانتقام من أولاد عبد النور، إذ أعطى لكلّ فارس ثلاثين ريالاً أي ما يعادل (ستين فرنكاً)، مع الاحتفاظ بكلّ ما تم الاستيلاء عليه من أمتعة⁽³⁾.

إسقاط بعض المطالب المخزنية: كانت السلطة الحاكمة تقدم بعض الإعفاءات المخزنية والمساعدات المادية لأفراد هذه القبائل، مثال ذلك ما كانت تدفعه قبيلة أولاد علوين لأحمد باي من مبالغ رمزية قدرت بـ عشر فرنكات لكلّ سنتين مقابل مشاركتها في الحملات. أمّا الفرسان فكانوا يدفعون بالنسبة للحكر ما قيمته 16، 25 فرنكاً للمحراث الواحد، في حين بقيت قيمة العشور ثابتة⁽⁴⁾.

الحق في استغلال بعض الأراضي الزراعية: كان أحمد باي يتعامل مع قبائل

¹ الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

² ينظر كلّ من الرسالة رقم: (19-22-27-28-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

³ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 267.

⁴ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 43.

المخزن عن طريق شيوخها وقادة فرسانها، الذين كانوا يتسلمون الأرض المخصصة لرجالهم ليقوموا بعد ذلك بتوزيعها على كل فرد من أفراد القبيلة حسب إمكانيات واستعداد هذا الشخص⁽¹⁾، بعدما يتم التقييد بشروط متفق عليها⁽²⁾، من أهمها أن لا تخضع هذه الأراضي لمعاملات الملكية الفردية، بحيث لا يسمح بيعها أو تأجيرها لأي فرد كان⁽³⁾. وهذا ينفي ما أورده ناصر الدين سعيدوني حين ذكر بأنه يجوز تأجيرها لكل فرد ينتسب لعشيرة المخزن المتعاملة مع البايك⁽⁴⁾.

ومقابل إسقاط هذه المطالب المخزنية (الامتيازات)، كانت السلطة العثمانية والممثلة في شخص أحمد باي تستغل خدماتها من أجل بسط نفوذها على الرعية، سواء كان ذلك من أجل جمع المطالب المخزنية أو معاقبة بعض القبائل التي كانت تشق عصا الطاعة بين الحين والآخر. فلعبت بذلك أدوارا ثلاثة:

الدور العسكري: عندما كان أحمد باي يخرج لمعاقبة القبائل المتمردة، فإنه كان يدعم قواته العسكرية التركية بفرسان قبائل المخزن والتي كان يطلق عليها تسمية "القوم"⁽⁵⁾. في حين أطلق على القوات التركية مصطلح "العسكر"⁽⁶⁾.

هذه القوات كان لها دور كبير في نجاح العمليات العسكرية التي كانت تتم على مستوى مناطق متفرقة من البايك، بخاصة على مستوى منطقة الأوراس التي شهدت على عهده بعض حركات التمرد والعصيان. ذلك أن العامل البشري كان مهما من أجل إحراز النصر، فالفرد المحارب، أو الرجل الذي يحمل السلاح ويخوض المعركة ويواجهها هو أداة الحرب الأساسية وعنصر النصر الحقيقي،

¹ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 113.

² تمثلت هذه الشروط في أن تترك مساحات كافية للرعي تكون مشاعة بين أفراد القبيلة. أيضا لا يجوز اقتسامها بين الورثة في حالة وفاة الشخص المكلف باستغلالها. ينظر: المرجع نفسه، ص: 114.

³ الرسالة رقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ المرجع السابق، ص: 113.

⁵ ورد هذا المصطلح في كل من الرسائل التالية: (4-7-13-15-16-18-19-29-30). وقد اعتمده عثمان الكعاك في مرجعه: موجز تاريخ الجزائر العام. وذكر أنه يعبر عن قوات من الرعية جندت من أجل مساعدة السلطات في نشر الأمن والنظام. وتعرف ببعض التسميات منها: دوائر، وزمول، وعبيد، ومكاحية، ومخازنية. ينظر: ص: 282.

⁶ ورد ذكره في كل من الرسائل التالية: (4-7-13-15-16-18-19-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

ولكن بعد أن تتوافر له القدرة والإمكانية والمعنويات التي تجعله يخوض المعركة دون تردد وبموقف ثابت خاصة إذا علمنا أن هذه المعركة كانت ضد الإخوة بالمواطنة. لهذا عمد أحمد باي إلى اختيار فرسانه من القبائل القوية وشديدة البأس، والتي يضمن إخلاصهم وعدم غدوهم.

وكان اعتماد أحمد باي على هذه القوات المخزنية لأسباب اتضحت جليا من خلال قراءة استقرائية لما ورد في رسائله، فكان اعتماده عليها يعود لمعرفة ما دروب وممرات البايك، خاصة تلك التي كانت موجودة بين الجبال، فاستغل بذلك تلك المعرفة وسخرها لصالحه. فقد جعلها العين الساهرة والحارسة على بعض المناطق، من أجل الحد من حركات التمرد والعصيان التي كانت تقوم بها بعض القبائل بين الحين والآخر، هذه الأخيرة كانت تشكل مصدر تهديد دائم لتنفيذ السلطة مطبقا في ذلك بما كان يسمى بـ "سياسة الحزام الأمني"⁽¹⁾، هذه الإستراتيجية⁽²⁾ طبقت على مستوى نقاط مهمة نذكر منها:

حول الأبراج والحصون التي كانت تقيم بها الحاميات الصغيرة، وفي هذه الحالة يكون فرسان المخزن على أهبة الاستعداد لحمل السلاح، وخوض المعارك إذا طلب منهم قائد الحامية ذلك. ومن أشهر القبائل التي وضعها أحمد باي حول هذه الأماكن، قبيلة أم نايل ببرج يسر، وهاشم ببرج بو عريريج⁽³⁾.

وبالقرب من الخزائن الجبلية والممرات الصعبة وعند الجسور والقناطر الرئيسية. ومن بين أهم هذه القبائل المتمركزة في هذه الأماكن نذكر، أولاد إبراهيم⁽⁴⁾

¹ سياسة الحزام الأمني: اعتمد هذا المصطلح خير فارس في مرجعه تاريخ الجزائر الحديث، ص: 76. وقد كان ملائما للوضع الذي كانت عليه هذه القبائل. فاستعمال أحمد باي لهذه الاستراتيجية مكنته في العديد من المرات من تحقيق نتائج إيجابية.

² الاستراتيجية: وتعني في مدلولها: "علم وفن وضع للخطط العامة المدروسة بعناية والمصممة بشكل متلاحق ومفصل ومنسق لتحقيق أهداف معينة". ينظر: رينسي، عبد الوهاب الكيالي، مع مشاركة مجموعة كبيرة من المؤلفين في التحرير، موسوعة السياسية، ج: 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: 1، 1979، ص: 169. وإن كان هذا المصطلح لا يتلاءم والحقبة الزمنية المدروسة إلا أن مفهومه يحمل مضمون ما كان أحمد باي الممثل الأول للسلطة على مستوى البايك يقوم به من أجل فرض النظام والأمن في منطقته.

³ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 107.

⁴ أولاد إبراهيم: قبيلة متفرعة، جزء منها موجود بالعلمة، أما الجزء الآخر فموجود بمنطقة سطيف. ينظر:

في ممر الكنتور الموجود بين سطورة⁽¹⁾ وسطيف، ودائرة الزناتية⁽²⁾.

أيضا حول الجبال ذات المسالك الخطرة. ومثال ذلك ما قام به أحمد باي مع قبيلة أولاد سلطان⁽³⁾. فقد استعمل معهم سياسة الحذر قلما عهدتها في حملاته الأخرى، وذلك نظرا لتمرزهم بين كهوف الجبل⁽⁴⁾ المعروف بمسالكه الخطرة. لهذا وضع عليهم "عيونا" من رجاله يتحسسون وقت نزولهم⁽⁵⁾، وقد استعمل أحمد باي في تقريره مصطلح "الشواف"، وهي عبارة عن عملية الاستطلاع أو الاستكشاف بمصطلح العصر، وكان يقوم على حجم المعلومات التي تكون تحت بصر الباي، وحجم المعلومات كان يتوقف على الجهد الذي كان يبذل في جمعها، فلا بد أن تكون صادقة، فعلى ضوءها يدرس الموقف ويوضع له خطته.

وهذا ما حصل فعلا، فلقد تمكن هؤلاء "الشواف" من قبائل المخزن أن يرصدوا تحركات أفراد هذه القبيلة، وعندما تأكدوا من نزولهم "لكيل زرع" أعلموا أحمد باي بذلك، هذا الأخير اتخذ كافة الإجراءات والتدابير الكفيلة لتأديبها⁽⁶⁾.

وما ذكره أحمد باي في موضوع الشواف يؤكد صحة ما ورد عند ناصر الدين سعيدوني بهذا الصدد إذ ذكر "بأنه كان يتم خط سير المحلات من استقصاء المعلومات التي يوفرها الشواف، العارفين بمضارب خيام القبائل"⁽⁷⁾.

أيضا بتطبيق سياسة "الحزام الاقتصادي"، ويظهر ذلك جليا في استخدام

¹ سطورة: تقع في خليج طوله 34 ميلا وعرضه 13 ميلا، وتبعد عن سكيكة بـ 3 كلم برا وميلين بحرا. ينظر: E. Dubouchage, *Etude sur les ports de commerce de la province de Constantine*, R. A. C. Octobre 1859, Librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1838, P: 231.

² الدائرة الزناتية: موجودة على ممر رأس العقبة بين القالمة وقسنطينة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 107.

³ أولاد سلطان: قبائل بربرية مستعربة، سكنت منطقة النقاوس. ينظر: أحمد توفيق المنني، كتاب الجزائر، ص: 126. وسبب تسميتهم بأولاد سلطان أن جدهم الأول تزوج بأختين، فاطمة وسلطانة. أما الأولى فكان لها أربعة أولاد، في حين كان لسلطانة سبعة، فوقع بينهم قتال قمامت من أولاد سلطانة ثلاثة، عندها تفرق أولاد فاطمة وتركوا المكان، بينما بقي أولاد سلطان في جبلهم، والذي لا يزال لحد الساعة يسمى باسمهم. ينظر: صالح بن العنصري، تاريخ قسنطينة، ص: 90. وطيلة سنة 1243-1244هـ/1827-1828م صمدت هذه القبيلة للحملات التي كان يشنها عليها أحمد باي. ينظر: Vayssette, R. C. 1869, P: 587.

⁴ لم يذكر أحمد باي في رسالته اسم هذا الجبل.

⁵ الرسالة رقم: (26) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ الرسالة رقم: (26). ومن هذا المنطلق يستنتج بأن الموقع الجغرافي وبخاصة الجبال كان لها دور كبير في حالة العصيان الذي كانت عليه القبائل. فالدور نفسه لعبته هذه الجبال أثناء الثورة الجزائرية المضفرة.

⁷ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 123.

التدابير الاقتصادية الفعالة ضد بعض القبائل التي كانت لا تظالها يد السلطة. فكان أحمد باي يستغل الأوضاع الاقتصادية للضغط عليها وإنزال العقاب بها. وعند تطبيق هذا الحزام كان يمنع أي نوع من التعاملات الاقتصادية مع القبائل.

ومثال ذلك، ما حدث بتاريخ 30 شوال من سنة 1244هـ/1828م. وكان ذلك عندما وقع خلافا بين أفراد قبيلة أولاد سحنون حول قبول شروط الخضوع والولاء التي فرضها أحمد باي، ففريق استجاب لهذه الشروط، والفريق الآخر عارض. وكان من وراء هذا الموقف المعارض المدعو أحمد بن الشريف بن بو عبد الله⁽¹⁾، فقد ذكر أحمد باي بصريح العبارة: بأنه هو الذي أشار عليهم "برأيه الفاسد أن يفرقوا بلهم وغنمهم وجميع سعيهم ويخبؤه عند الجبابلية بعدما ضاع جله بالجوع والنهب". فاستجابوا لرأيه ورحلوا مع عائلاتهم⁽²⁾ وسكنوا أوعار جبل بو طالب⁽³⁾.

حينها عزم أحمد باي على معاقبتهم، لكنه بعدما درس المسألة من كل جوانبها وأدرك خطورة الموقع الذي تحصنوا به، وأنه سوف تقع له خسائر في صفوف قواته من غير تحصيل فائدة، ولحرصه الشديد على سلامة قواته بدليل هذه العبارة: "شفقنا على القوم والعسكر". أيضا بقوله: "ولو مات منا واحد فيزيد فيهم ولو مات منهم الكثير⁽⁴⁾؛ لكل هذه الأسباب تراجع عن قراره ولكن لم يعن ذلك الاستسلام؛ فقد فكر في طريقة أفضل للنيل منهم، إذ وضع "عليهم شوافا من وطن ريغة"⁽⁵⁾ وكان

¹-أحمد بن الشريف بن بو عبد الله: من بين الزعماء البارزين في قبيلة أولاد سحنون. وكان له رأي يؤخذ به بين جزء من القبيلة. ينظر: الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.
²-الرسالة نفسها.

³-جبل بو طالب: عبارة عن سلسلة جبلية موجودة في منطقة الهدنة تمتاز بمضاربه الوعرة ومسالكه الخطرة، وكهوفه الكثيرة. ينظر: Endrè Nouchi, Enquête sur le niveau de vie des population rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919 (Essai d'histoire économique et sociale), Presses universitaires de France, Paris, 4^{ème} série, 3^{ème} volume, 1961, P : 4.

⁴-الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵-سكان ريغة: غالبا ما تكون القبائل المستقرة في هذه المنطقة سوداء البشرة ولكن نون أن تكون من طبقة الحراثين، وهي تسمى الحشاشنة، هذه الأخيرة كانت تملك وسائل عمل فلاحية تقليدية ولكنها جد فعالة. ومن أهم فروعها نجد: بين نقرت وجمعة، ففي الشمال نجد عرب الشرافة، وفي الجنوب أولاد سايح، وأولاد سعيد وأولاد عمور. ينظر: Jean Jacques Premas, Structures agraires et de colonisation L'oud Rhir,

L'hamattan office des publications universitaires, Alger, Editeur, Librairie Paris, ISBN, 1979, P : 37.

منهم، شيخ ريغة وأولاد يلس⁽¹⁾ وأولاد موصللي وجميع الرعية المستقرة في المنطقة، وبعض من شواش الدايرة وأوصاهم في حالة ما إذا ظهر أحد من أفراد قبيلة أولاد سحنون "لكيل زرع"⁽²⁾ أو لقضاء حاجة فلا يقتلونه، وأما الذي ظهر من أجل نشر الفساد "قتلزمه العقوبة"⁽³⁾.

فأخذ المكلفون بالحراسة بتحسس أخبار أفراد هذه القبيلة⁽⁴⁾، فلما اشتد على هؤلاء الحصار ونفذت مؤونتهم، ولم يكن لهم موضعا آخر "يكتالون منه إلا وطن ريغة"، رضخوا أمام الأمر الواقع واستسلموا لإرادة أحمد باي قابلين بذلك شروطه⁽⁵⁾. وبهذا يتبين نجاح هذه السياسة، خاصة عندما تكون المواجهة العسكرية لا توت بالنتائج المرجوة ولكنها تؤدي إلى خسائر بشرية ومادية، وهذا ما أكدته هذه العبارة: "وبهذا الحراسة والتضييق والتطويل عليهم لا بد ان ينقادوا للخدمة التامة ان شاء الله"⁽⁶⁾.

كما تمركزت أيضا بجوار الأسواق الرئيسية، والأسبوعية والفصلية؛ أين كانت تتم الحراسة بصورة مستمرة خوفا من تعرضها لهجمات بعض القبائل المتمردة قصد السرقة أو نشر الخوف والقلق بين أوساط الرعية ومن تم زعزعة أركان السلطة الحاكمة في المنطقة⁽⁷⁾. ومثال ذلك، تمركز الدائرة الصحراوية

¹ أولاد يلس: أصلهم من عائلة تركية، ملكت بزمام الأمور. كان أبوهم يدعى يلس، قدم من الجزائر ثم انتقل إلى زمورة، ومن هناك إلى المسيلة أين تزوج بامرأة تنسب إلى عائلة ذات نفوذ كبير في المنطقة، وبعد فترة عين من طرف باي قسنطينة قائدا على أولاد دراج. توفي يلس تاركا ولدين، أحدهما اسمه محمد صغير والآخر أحمد حوجة الذي عين قائدا على منطقة البابور. ينظر: Charles Féraud, Histoire des villes de la province de Constantine (Stif- Borj Bou Arreridj- Msila- Bou Sâda), R. C. 1871-1872, P : 87.

² امتازت المنطقة منذ القدم بطابعها الفلاحي، وجنى الثمار. فهذا ابن خلدون وصفها قائلا: "قد رف عليها الشجر، وكثرت النخيل وانساحت خلالها المياه وزهت ينابيعها الصحراء وكثر قصورها العمران من ريغة وبهم تعرف لهذا العيد". ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تاريخ ابن خلدون - المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج: 6، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت لبنان، 1871/1391، ص: 47.

³ من خلال رسالة مؤرخة في 30 شوال 1828/1244، تحمل الرقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ لقد كانت عملية فرض إرادة السلطة وتحصيل المطالب المخزنية على مستوى المنطقة لا تتم إلا عن طريق شن الحملات العسكرية. ينظر:

M. TH. Pein, Lettres Familières sur l'Algérie, un petit Royaume arabe, P : 60.

⁵ الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ الرسالة نفسها.

⁷ الرسالة نفسها.

ومخزن بوصلاح بالقرب من سوق العثمانية الموجود غرب مدينة قسنطينة⁽¹⁾.

ومن خلال هذا العرض التاريخي لعلاقة أحمد باي مع قبائل المخزن، فيمكن أن نستنتج بأن هذه العلاقة كانت مبنية أساساً على المصلحة المتبادلة، فكل طرف كان يحاول أن يستغل الآخر بالطريقة التي كان يرى فيها دوام وجوده، مما أثر سلباً على نظرة السكان في الأوطان للحكم العثماني. كما أن هذا النوع من العلاقة جعل من واقع الصلة بين قبائل المخزن والرعية، علاقة دافع المطالب بمستلمها.

وحتى لا تأخذ هذه الدراسة اتجاهها واحداً، فسناحاول فيما يلي تقديم صورة عن الجانب النقيض من تلك العلاقات ليس مع عنصر غريب من المجتمع، بل مع قبائل شكلت مجموعات سكانية هامة، ونقصد تلك التي رفعت لواء العصيان والتمرد؛ وما يلاحظ على هذا الموضوع أنه أخذ الحيز الأكبر في رسائل أحمد باي.

3- مواجهة أحمد باي للقبائل المتمردة:

لقد انتهج أحمد باي في مواجهته للقبائل المتمردة⁽²⁾ سياستين: إحداهما كانت سلمية، في حين اتخذت الثانية طابع العنف والانتقام.

¹ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 108.

² اختلفت المصادر والمراجع في استعمال المصطلحات التي خصت الوضعية الحقيقية التي كانت عليها هذه القبائل، فهناك من نعتها بالقبائل المتمردة والعاصية، مثال ذلك: صالح بن العنثري، وناصر الدين سعيدوني، وصالح فركوس. في حين وصفتها جلّ المراجع الأجنبية بالثائرة. أما أحمد باي فينعتها بـ "العاصية" ومثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم: (19-20-29-30) في الترتيب العام للمجموعة بقوله: "فرقة عاصية" وأما المفسدة، فمثال ذلك ما ذكره في إحدى رسائله: "أهل عسيان وفساد". ينظر: الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة. ولكي نتمكن من إيجاد المصطلح الصحيح الذي يكون الأقرب من وضعية هذه القبائل علينا أن نعطي شروحا موجزة لكل ما ورد أعلاه. فالثورة لغة هي: ثار الشيء ثوراً وثوراناً. ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج: 4، دار صادر بيروت، ط: 2، 1384هـ / 1992م، ص: 108. أما اصطلاحاً: فهو التغيير الجذري والسريع لنظام سياسي بأسره، وهي عملية تغيير سريعة تستلزم العنف في الكثير من الأحيان. أما العصيان فهو لغة: مرد، تطاول في المعاصي. ينظر: أحمد رضا، معجم متن اللغة، مج: 5، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1377هـ / 1985م، ص: 273. أما المتمرد اصطلاحاً فيقصد به ذلك الفرد الذي يقول لا، ولكن رفضه لا يعني الإنكار التام والمطلق، إن هو الشخص الذي لا يتجاوز الواقع بسبب قسوة الظروف التي تتحكم فيه، ولما كان الأمر كذلك، فيهدفه هو إحداث تغييرات جزئية في هذا الواقع، ويعني ضمناً رفض للثورة التي تتطوي على فكرة التغيير الجذري، أما الثوري فيقف في تضاد مع المتمرد ذلك "أن الثوري" لا يكتفي بأنصاف الحلول، بل يتجاوز الواقع. وبهذا يستخلص من هذا كله المقارنة الآتية: إن الثورة تختلف عن التمرد بالنظر إلى أهميتها والنتائج التي تترتب على إحداثها. كما أن الثورة تختلف عن التمرد من حيث تنظيمها ووضوح أهدافها. أما التمرد فيختلف عن الثورة، ذلك أنه ينقضي سريعاً، فالتمرد هو بمثابة حركة غاضبة تفتقر إلى الوضاحة. ينظر: محمد بحاتن، مفهوم التمرد عند البير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية التحريرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 5-23. ومن خلال ما ورد من تعريفات فإنه يرجح مصطلح التمرد لأنه أقرب من الوضعية التي كانت عليها تلك القبائل.

1- الأساليب السلمية: من بين الأساليب التي اتبعتها أحمد باي من أجل إخضاع هذه القبائل⁽¹⁾ واستخلاص المطالب المخزنية منها دون أن يدخل معها في مواجهات عسكرية ما عرف في تلك الحقبة التاريخية بالحملات العادية، هذه الأخيرة كانت عبارة عن قاعدة سياسية توارثها البايات على مرّ الأزمنة من الحكم العثماني في الجزائر، ومن خلالها كان يجوب أحمد باي مرفقا بقواته بعض أنحاء البايك من أجل جمع المطالب المخزنية، ومثال ذلك ما قام به في تاريخ 26 من ذي القعدة سنة 1241هـ/1826م على مستوى منطقتي بجاية وونوغة⁽²⁾؛ وأيضا الحملة التي خص بها بلاد الحنانشة أواخر صفر من سنة 1243هـ/1827م⁽³⁾. وما ميز هذه الحملات أنّها لم تكن تحمل طابع الانتقام والهجوم بل كانت غالبا سلمية.

ولمّا علم أحمد باي أنّه لن يستطيع مواجهة كلّ الجبهات بمفرده، جنح إلى استغلال ما عرف عند العرب بـ "العصبية"⁽⁴⁾ والتي بها تكون الحماية والمدافعة وكلّ أمر يجتمع عليه، والناس بالطبيعة يحتاجون في كلّ اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بدّ أن يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية وإلا لم تتم. وإنّ من فقدوا عجز عن جميع ذلك⁽⁵⁾. فهي لا تحصل إلا بالتحام النسب أو ما معناه.

أمّا عصبية النسب فتمثّلت في عائلة ابن غانة؛ فلا يخف على كلّ متتبع لحياة أحمد باي أنّ العناية به والإشراف على نشأته وتكوينه، يرجع فيهما كلّ الفضل إلى جده وأخواله⁽⁶⁾، هؤلاء أعطوا له كلّ الدعم والسند والرعاية الكافية ليكون فيما بعد رجل حكم. حتّى بعد تنصيبه بايا على بايك الشرق، نجده يتلقّى المساندة والمؤازرة

¹ للإطلاع على خريطة تبين انتشار هذه القبائل على مستوى البايك ينظر الملحق الخاص بالخرائط رقم: (5)، ص: 302.

² الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

³ الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ إن العصبية عند هذه القبائل نمط سياسي تقوم على التعاون بين أفراد هذه التشكيلات الاجتماعية، كما تقوم على جماعة قليلة العدد تتمثل في أفراد من الأسرة أو أكثر داخل القبيلة أو العشيرة نفسها، الأمر الذي ولد ما يمكن أن نسميه "بالأرستقراطية"، وإن كان هذا المصطلح لا يتماشى والحقبة التاريخية التي نحن بصدد دراستها ولكنه يعبر عن الوضعية التي نريد معالجتها حيث اتخذت هذه "الأرستقراطية" من الحروب وسيلة للحصول على امتيازات. ينظر: حميدة عمير اوي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 23.

⁵ سميج دغيم، موسوعة العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي والإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، د ط، ص: 722-723.

⁶ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 20.

في كل فترات حكمه؛ لهذا وذاك كله عمد إلى تقريبها وتفضيلها على كل العائلات الأخرى، مثال ذلك تسليم منصب شيخ العرب إلى أحد أفراد عائلته، بعد عزل فرحات بن سعيد⁽¹⁾ أحد الشخصيات البارزة في عائلة بوعكاز، هذه الأخيرة كانت في نزاع دائم مع عائلة بن غانة، وكثيرا ما شهدت منطقة بسكرة ونواحيها معارك متعددة بين أنصار عائلة بوعكاز ونذكر منهم: أهل بن علي، وشرفة، أيضا قمر، وأولاد أهل النور، وجزء من أولاد سحنون بالحضنة⁽²⁾ وأنصار ابن غانة، ونذكر منهم: الصحاري، والسالمية، وأولاد رحمون، وابن يزيد، وأولاد حديدجة، والخضر وجزء من أولاد صاولة⁽³⁾.

ومن بين المساعدات الميدانية التي كانت تدعم بها عائلة بن غانة السلطة الحاكمة والممثلة في شخص أحمد باي، عملية إمداده بأربع مائة فارس والذين كانوا يرافقونه في حملاته العسكرية⁽⁴⁾.

وبهذا "فإن صلة الرحم الطبيعية -غالبا- نعمة ذوي القربى بعضهم على بعض، حتى لا ينالهم ضيم أو هلكة. فإذا قرب النسب وحصلت به وصلة الالتحام استدعى بمجرد أقصى مقدور عليه في التناصر، ومتى بعد الشيء عفي في الحمل عليه ما هو مشهور منه"⁽⁵⁾.

ولأن عصبية النسب لا تكفي وحدها لبسط السلطة وفرض الطاعة على كل الرعية، عمد أحمد باي إلى اصطناع عصبية حصلت له بواسطة "الولاء" و"الحلف". فقد حاول أحمد باي كسب ود ومساندة أكبر عدد من العائلات والقبائل، من أجل ضمان الحد الأكبر من الولاء والطاعة، أيضا لمواجهة الحزب المعارض له؛ فلقد تبين من خلال قراءة استقرائية لبعض الرسائل أنه كان لبعض الشخصيات المناهضة والمعارضة لسلطته مساندة قوية من بعض القبائل، وقد تمكنت حقيقة من إثارة

¹ الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

² صالح فركوس، أحمد باي قسنطينة، ص: 53-54.

³ المرجع نفسه، ص: 56.

⁴ Mercei Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P: 275.

⁵ سميح دغيم، موسوعة العلوم الاجتماعية والسياسية، ص: 752.

الفتنة وزرع القلق في نفسية أحمد باي؛ مثال ذلك نذكر ما ورد في إحدى رسائله، والتي مفادها أن المدعو أحمد بن الشريف بن بو عبد الله أحد المتمردين على سلطة الباي كان يتزعم جزءا كبيرا من قبيلة أولاد سحنون ويحثهم على رفع لواء العصيان والتمرد، ولم يتمكن من القضاء على فتنته إلا بفرض حصار اقتصادي عليهم⁽¹⁾. أيضا ما ذكره بشأن مقورة بن عاشور وبوزيان بن علي، هذا الأخير سبب لأحمد باي قلقا كبيرا، لما أثاره من فتنة استطاع من خلالها جلب الكثير من المؤيدين له، بدليل هذه العبارة: "والحاصل سيدي أنني كتبت لك حتى تضررت كثيرا". وقد تزعم بوزيان بن علي مدعما ببعض الشخصيات نذكر منها السماري والعربي حركة عصيان لم تنته إلا بشن العديد من الحملات العسكرية⁽²⁾. أيضا ما ذكره في إحدى رسائله المؤرخة في أواخر صفر 1243هـ/1827م، أن سبب رحيل بعض القبائل إلى تونس يعود إلى رحيل زعيمهم بدليل هذه العبارة: "أن عمدهم ومن كان عليه أمرهم والمعول عليه" ذهب ولا بقاء لهم بعده⁽³⁾.

لأجل ذلك عمد أحمد باي إلى إيجاد طريقة سريعة وغير مكلفة تخلصه من كل هؤلاء المعارضين، تمثلت في استجلاب الكثير من الشخصيات البارزة وبالتالي ضمان إخلاص ومساندة أفراد القبائل التي يتزعمونها؛ مثال ذلك ما كان له مع أولاد مقران تحت قيادة أحمد بن بوزيد، هؤلاء كانوا يشكلون سندا قويا ودعما متينا لإدارة أحمد باي؛ إذ من خلال هذا التحالف استطاع أن يضمن ولاء العائلات والقبائل الداخلة تحت نفوذهم وسلطتهم⁽⁴⁾.

كما سعى إلى تأسيس علاقات مصاهرة مع كبار وأغنى العائلات على مستوى البايك، وما يمكننا أن نسميه **حاليا** بـ "الزواج السياسي"، هادفا من وراء ذلك نيل تأييد القبائل التي كانت تحت نفوذهم، فتصاهر مع قسم من قبيلة فرجيوة

¹ الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 30 من شوال سنة 1244هـ/1828م.

² رسالة موجهة من أحمد باي إلى إبراهيم الخرناجي تحمل الرقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

³ الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 55.

وتوحدهم حول غرض واحد، وهذه الحالة لا ينبغي أن يطمئن إليها من كان يريد السيطرة عليهم؛ إذ قد تأتي ظروف يتحد فيها هؤلاء الرجال كالأخوة، ويجدون أنفسهم منظمين للقيام بالثورة. وعلى العكس فإن وجدت الحرب أو العداوات بينهم فإن من يريد حكمهم يكون دائما متأكدا من إيجاد الأنصار. ومن المعلوم أن الحرب بين القبائل تقرب البلاد وتسهل السيطرة على من كانوا بعيدين عنها خاصة إذ لم تكن لها جيوش كبيرة أو حاميات متعددة الحصون عن السلطة تنفذ أوامرها⁽¹⁾.

على ضوء ما جاء في كلامه فيمكن استنتاج النقاط التالية:

*- كان كلامه موجه إلى كل الرعية دون استثناء في قوله: "العرب" وأيضا:

القبائل المختلفة الأصول والأجناس".

*- التحريض على روح المنافسة بين القبائل.

*- ضمان دوام ملكه واستمراره إذا ما نجح في بت روح النزاع والتفرقة.

*- هذه السياسة تمنحه القدرة على التحكم في المناطق البعيدة على أعين

السلطة.

هذا فيما يخص الوسائل السلمية التي استعملها أحمد باي في مواجهة القبائل التي وصفها بالعصيان والتمرد. أما في حالة فشل هذه الوسائل فإنه كان يلجأ إلى التدخل العسكري، وهذا الموضوع قد أسال حبر الكثير من المهتمين بتاريخ الجزائر العثماني، خاصة الفرنسيين منهم، واتخذوا منه وسيلة للتشجيع به وقذفه بكل الاتهام، غافلين في ذلك كل الأمور الإيجابية التي ميزت هذا الحكم.

ولا يثن أحمد باي أية حملة عسكرية دون مراسلة القبائل المعنية بالأمر، من خلالها ينذرهم ويتوعدهم بالعقاب الشديد إذا لم يستجيبوا لأوامره؛ وهذه ما صرحه في إحدى رسائله قائلا: "أنتي لم أغزو أحدا من هؤلاء وما قبلهم إلا بعد الكتب لهم المرة بعد المرة أن يعطوا ما عليهم ويتوبون ويكفون عن الفساد ولم نغز إلا بعد

¹ أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص ص: 40-41.

اليأس منهم وظهور عصيانهم وهذا دائما مع كل أحد⁽¹⁾.

فمن خلال كلامه هذا يستنتج أن شنه للحملات العسكرية لم يكن إلا بعد تتبع بعض الخطوات، منها الإنذار والتهديد، ثم في حالة العصيان وعدم الدفع تتم عملية التأديب والتي كانت تتم عن طريق التدخل العسكري. ولكي تكون لدينا فكرة بسيطة حول مضمون الرسائل التي كان يبعثها أحمد باي إلى هذه القبائل بهدف إنذارهم بطول العقاب عليهم إن لم تتم عملية دفع ما عليهما من مستحقات مخزنية، هذه الرسالة التي كتبها إبراهيم آغا إلى أفراد جماعة أولاد علي فبعد المقدمة كتب يقول: "إعلموا فإنّ بعثنا لكم خدامنا الاصباحية لأجل الخلاص وننظر في أمركم فإن خلصتم بالعزم والقوة من غير تاخير في أيام قلائل فذلك المراد وإن تراخيتم فإنتم أدرى بنفوسكم وإلا خلصتم بالعزم فإنكم خدام وعليكم أمان الله ورسوله لا تخافوا شيء وهذا آخر كتاب بيننا وبينكم. كتب عن إذن المعظم الأسعد إبراهيم آغا أيده الله ونصره بمنه أمين⁽²⁾. أو اخر جمادى الثاني 1243^(*).

وبما أن الرسالة تحمل الفترة نفسها التي نحن بصدد دراستها فيمكن أن تكون نموذجا على تلك الرسائل التي كان يبعثها أحمد باي للقبائل التي كانت ترفض دفع المطالب المخزنية.

2- الوسائل العسكرية: في حالة عدم نجاح كل هذه الطرق فإن السلطة تنتقل إلى التدخل العسكري المباشر ضد القبائل التي وصفت "بالاستقلال"⁽³⁾. وذلك من أجل سببين هما: رفض القبائل الممتنعة⁽⁴⁾ دفع المطالب المخزنية، أو لقيامها بأعمال

¹ الرسالة الرقم: (29) في الترتيب العام للمجموعة.

² رسالة في ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3205، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر.

* 1243 هـ موافقة لسنة 1827 م.

³ القبائل المستقلة: إن القبائل التي سوف يتم التطرق لها لم تكن بالمستقلة، وإلا فكيف كان أحمد باي يصل إليها ويقوم بمعاقبتها وتكليفها خسائر بشرية ومادية؛ فالقبائل المستقلة هي التي لا تصل إليها يد السلطة تماما ولا تقدر على ممارسة أية وظيفة ردية أو جبائية، وأقصى ما تطمح فيه السلطة في هذه مناطق هو استمرار الولاء الرمزي، كأن يذكر اسم الحاكم في خطبة الجمعة على منابر المساجد. ينظر: سعد دين إبراهيم، دراسات مستقبلية، ص: 112. وإن أخذ بهذا الشرح فإنها ليست قبائل مستقلة وإنما قبائل ممتنعة.

⁴ القبائل الممتنعة: وهي العبارة المعتمد عليها كلما كان الحديث عليها، بحيث المعنى الحقيقي لها يرمز بصدق إلى ما كانت عليه هذه القبائل من رفضها لدفع ما عليها من مطالب مخزنية، وبالتالي إعلانها الخضوع والطاعة للسلطة الحاكمة الممتنعة في شخص أحمد باي الذي لم يكن يتهاون أبدا في هذه المسألة.

تخريبية؛ وقبل الخوض في تفاصيل هذه الأحداث، ينبغي تحليل الأسباب المغيبة في رواية أحمد باي. فعندما يعالج مثل هذا الأمر، فإنه لا يعثر على معلومات وافية، ذلك أنه عندما تناول المؤرخون هذا الجانب من الدراسات التاريخية لم يقدموا إلا السرد التاريخي للأحداث دون تحليل الجوانب المؤثرة فيها. هذا ما يجعل من تلك الدراسات ناقصة، كما يجعل المنتبِع لهذه الأحداث يتخذ مواقف دون معرفة خصوصيات المجتمع أو السلطة، باعتبارهما شريكين في صنع الحدث التاريخي.

أرواية أحمد باي: فعندما يعرض أحمد باي تفاصيل حملاته على بعض القبائل يجب علينا أن نضع نصب أعيننا أنها تمثل رواية الغالب، إذ أن الأطراف المغيبة من طرف السلطة الحاكمة والذين لعبوا دورا كبيرا في سير الأحداث يعتبرون حقل المغيبين والمهمشين. فرواية أحمد باي ترجع الأسباب الرئيسة لمعاقبة هذه القبائل إلى:

- رفض هذه القبائل دفع ما عليها من مطالب مخزنية. وهذا ما صرحه في العديد من المرات، مثال ذلك ما ورد في الرسالة المؤرخة في أواخر من صفر سنة 1243هـ/1827م فذكر فيها بصريح العبارة: "قرقة عاصية لم يعطوا مطالبهم ولم تكن فيهم طاعة"⁽¹⁾.

- إثارة الفتنة والقلقلة بين أفراد القبائل. مثال ذلك ما ذكره أحمد باي في إحدى الرسائل بشأن بعض الشخصيات التي وصفها بالتمرد والعصيان، نذكر منهم، مقورة بن عاشور، والسماري، وبوزيان بن علي⁽²⁾.

- قيامها بأعمال التخريب والسلب والنهب لأموال الناس. مثال ذلك ما كانت عليه بعض القبائل على مستوى منطقة الأوراس⁽³⁾.

- انتهاك حرمان الرعية؛ ومن أخطر ما ظهره اختطاف النساء، وهذا ما حدث فعلا بتاريخ 19 من جمادى الثانية سنة 1242هـ/1827م، إذ قام عرش من

¹ الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.

² الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

³ الرسالة رقم: (26) في الترتيب العام للمجموعة.

أعراش بجاية بخطف امرأة محصنة، ولم يتم استرجاعها إلا بعد شن حملة عسكرية عليهم تم من خلالها تأديبهم⁽¹⁾.

ولهذا ففي نظر أحمد باي أن هذه الحملات كانت تقوم ببناء على إجارة لمستجير، واستجابة لحق مهضوم، أو محافظة على شرف طعن أو هذر. هذا فيما يخص الأسباب الظاهرة من خلال ما كتبه في رسائله. غير أن هذا لا يعني أنها الأسباب الوحيدة التي كانت من وراء هذه الحملات، إذ يمكن استنتاج أسباب أخرى غيبت في تقاريره من بينها:

الأسباب النفسية: إن ما حصل لأحمد باي وهو صغير، وما سمعه عن مقتل والده. جعله منذ الساعة الأولى يكن حقدا لا مثيل له لأعدائه⁽²⁾، وهذا ما سوف نراه ينعكس تماما على سلوكه وشخصيته. فمعظم من كتبوا في سيرته وصفوه بالقسوة الشديدة ضد أعدائه⁽³⁾، فلم تكن تأخذه الرحمة ولا الشفقة ضد كل من كان يشك فيه ولو للحظة أنه يحاول الإيقاع به، فيكون بذلك انتقامه شديد، كما يتضح ذلك جليا في استعماله لكلمة "الانتقام" فكثيرا ما تكررت في رسائله بهذا الشكل: "فانتقمنا منهم"⁽⁴⁾.

الأسباب السياسية: اتخذ أحمد باي من هذه الحملات وسيلة لتحقيق الزعامة المطلقة، وفرض سلطته والمحافظة على استمرار حكمه دون عراقيل، إذ كل نظام ليس قادرا ذاتيا على تأمين وسائل وجوده واستمراره ماله حتما إلى الزوال. كما أن السلطة التي لا تملك الطاقة على استخلاص المطالب المخزنية من أفرادها فإنها تفشل في تحقيق أهدافها⁽⁵⁾؛ فمن بين الأسس التي قام عليها الحكم العثماني في الجزائر، القدرة على تحصيل المطالب المخزنية من الرعية⁽⁶⁾. وهذا ما أكده أحمد باي حين صرح بذلك لحسين باشا قائلا: "... وتمنعوا من إعطاء المغرم منذ أعوام

¹ الرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة.

² صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 20.

³ من بين هؤلاء نذكر: (المرجع نفسه، ص: 21) (فتندين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 30). (عبد الجليل التيمي، بانيك الشرق وأحمد باي، ص: 61). (محمود قداش، الجزائر على العهد العثماني، ص: 156). أما من المراجع الأجنبية فنذكر على سبيل المثال: M.T.H. Print, Lettres familières sur l'Algérie, P: 192.

⁴ ورتت هذه العبارة في كل من الرسائل التالية: (19-20-26-27-28-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ حسن ملحم، التحليل الاجتماعي للسلطة، منشورات تحطب، الجزائر، ص: 56.

⁶ حميدة صيرواوي، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل في الشرق الجزائري، ص: 37.

فغزوتهم شهر التاريخ.... حتى ذلوا وتابوا وخرّوا....⁽¹⁾.

الأسباب الاقتصادية: يقاس على ما كان يتحصل عليه أحمد باي مع قواته من غنائم بعد نهاية كل معركة، إذ بعد كل "غزوة" كان يغتنم على كميات هائلة من المواشي، هذا طبعاً بناء على ما كان يقدمه من إحصاءات في تقاريره الموجهة إلى حسين باشا⁽²⁾، فضلاً على الأسلحة والملابس التي لم يرد ذكرها في الرسائل. وتجنباً لفرض اتجاه واحد أي رواية الحاكم (أحمد باي) على رواية المغلوب (القبائل المستهدفة)، هذه محاولة لوضع عرض لبعض الأسباب التي قد تكون وراء ظاهرة التمرد والعصيان.

الأسباب الاجتماعية: تمثلت في أمرين هما:

أ- الانتماء الطبقي: كان المجتمع الجزائري أثناء الحكم العثماني يتكون من فئتين: الحضر وسكان الأوطان. كما كانت الرعية تنقسم إلى طبقات، وكان ذلك على أساس درجة الثروة، أو درجة العلم، أو المهنة. وإظهار نسبة المتمردين في كل طبقة وبين مجموع أفراد المجتمع وتحديد نوع التمرد الذي كان يرتكبها هؤلاء الأفراد، يبين اختصاص هذه طبقة دون الأخرى بهذه الظاهرة.

فسكان الأوطان⁽³⁾ يندرج في صفوفهم جمع مختلف، ففيهم الفلاح، والأجير، ومالك الأرض ومستأجرها، وراعي الأغنام وقاطع الأشجار. وكل فئة من هؤلاء تتميز عن غيرها. ومعظم حملات أحمد باي كانت على فئة الرعاة، فهذا الصنف تفوق نسبة التمرد لديه على سائر سكان الأوطان، بل على سائر المهن الأخرى بصفة عامة⁽⁴⁾. وسبب ذلك أنهم لا يقضون كل أوقاتهم في الأوطان، وإنما يعتمدون على حياة الترحال، فتسود بذلك حياتهم نوع من الحرية مقارنة مع غيرهم، كما أن

¹ الرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة.

² ينظر كل من الرسالة رقم: (19-22-27-28-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

³ يتضح أن التكوين يشكل نموذجاً لمجتمع ثرائي، تتفاوت فئاته وشرائحه نتيجة لتفاوتها في ملكية وسائل الإنتاج من أرض، مراعي وماشية وفي الثروات الطبيعية والجماعية، فكل فرد في القبيلة موقع اجتماعي خاص به لا يستطيع تجاوزه بسبب المورث القبلي والأعراف. ينظر: إبراهيم القانري بوتشيت، تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط:1، سبتمبر 1994، ص: 26.

⁴ تبين ذلك من خلال ما ورد من إحصاءات حول قطعان الغنم والبقر وغيرها والتي كان يغتنمها بعد كل حملة كان يشنها على إحدى القبائل المستهدفة. ينظر كل من الرسالة رقم: (19-22-27-28-29-30).

عملية الترحال المستمرة تجعل من نسبة السيطرة عليهم ضئيلة⁽¹⁾، فكثيرا ما كان البايات يشكون من هذه القبائل إذ لم يستطيعوا التحكم فيها لسبب تنقلها المستمر.

ب-العامل النفسي: من المعلوم أنّ لكل فرد ميلا غريزيا إلى التعدي، والذي يصبح بفعل الظروف الاستثنائية ميلا إلى العنف، فقيمة المطالب الكثيرة المفروضة عليهم أثقلت كاهلهم، وبذلك يحاولون التخلص منها بشتى الطرق⁽²⁾. فهذا أحمد باي يصرح بذلك قائلا: "... هو كان في بطون الناس امتنعوا وتلذذوا وصار الذي يعطى العادة^(*) كأنه ظلم"⁽³⁾.

الأسباب الاقتصادية: تمثلت في أمور ثلاث، قد تكون واحدة منها سببا في حدوث ظاهرة التمرد والعصيان عند هذه القبائل:

الأمر الأول: إنّ الأحوال الاقتصادية للأفراد والجماعات في مختلف الأمكنة مع وحدة الزمن لها تأثيرها، والعامل هو ضغط الظروف الاقتصادية المحيطة بها وما تولده في النفوس من الشعور بالحاجة ("ويعبر عليه ضغط الشعور بالحاجة")، هذا الأخير ليس رهينا بضغط الظروف الاقتصادية السيئة بقدر ما هو مرتبط بتواتر هذا الضغط واستمرار تأثيره على الفرد وجماعته؛ فالبيوس العابر ليس خطيرا خطورة البيوس الدائم المتواتر، لأنّ استمرار البيوس على الإنسان ينزل الوهن بملكاته الجسمانية والنفسية ويسوقها إلى الانحلال⁽⁴⁾. لهذا فحركات العصيان بالنسبة لهذه القبائل هي وسيلة تعبير عن المعارضة بشكل مباشر وفوري، ومن خلالها تتحدى اللامبالاة أو الإهمال من جانب السلطة الحاكمة⁽⁵⁾.

الأمر الثاني: يتمثل في أنّ هذه القبائل لا تملك منتوجا فائضا عن الحاجة، تدفعه للسلطات الحاكمة، وأنّ هذه المنتوجات لا تسد إلا حاجياتها فقط، لهذا فهي مضطرة

¹ مسين بنهام، المجرم تكوينا وتقويما، ص: 181.

² المرجع نفسه، ص: 253.

* يقصد بـ "العادة" المطالب المخزنية.

³ الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ المرجع السابق، ص: 618-619.

⁵ توم بيتر مور، علم الاجتماع السياسي، ترجمة: وميض نظمي، دار الطليعة، بيروت، د ط، 2000، ص: 64.

إلى التهرب عن دفع هذه المطالب التي كانت ترى أنها تتقل كاهلها⁽¹⁾.

الأمر الثالث: إن السلطة الحاكمة التي تطالب الرعية بأداء ما عليها من مطالب مخزنية، والتي تعتبرها واجبا، لا يمكن إسقاطه في أي حال من الأحوال، كان يجب عليها أن تؤدي بالمقابل واجباتها ومهام في عملية البناء والعمران؛ كبناء المدارس، والمستشفيات، وإصلاح الطرقات وتوفير المياه، وبصورة عامة ما يسمى حاليا بـ "الأشغال العمومية". وإذا كانت هذه السلطة تتهاون أو تتخاذل عن أداء مسؤولياتها فإن هذا سوف يدفع بالرعية إلى التهرب من دفع ما عليها من مطالب متسائلة في ذلك لماذا عليها أن تدفع للسلطة ما دامت لا تتلق المقابل من العناية؟⁽²⁾

3- الأسباب السياسية: إن الأوضاع الاقتصادية كانت أو اجتماعية تلقي الضوء على حالة الانفعال والغضب السائدة على فئة من فئات الرعية. وهذه الدراسة تبدو بالغة الأهمية بالنسبة للقائمين على الحكم، إذ نجد أن مهتهم الأولى والأساسية تكمن في القضاء على أسباب العناء المادي والمعنوي، وبالتالي على مصادر الحقد والتذمر لديها. وقد دلت أحداث التاريخ وما صاحبها من حركات العصيان التي حدثت أن الرعية كانت دائما تقيم لإيمانها السياسي رمزا تحترمه لحد التقديس طيلة الوقت الذي يظل فيه هذا الإيمان⁽³⁾، فإذا ما ضعف الإيمان، انقلبت الرعية على الرمز عينه بعنف يزداد حدة كلما كان فقد الإيمان أكثر، وكلما طال الوقت الذي فيه الرمز منهارا مفروضا على الوعي العام⁽⁴⁾. فكون هذه القبائل ترفض الانصياع بدفع

¹-Ahmed Henni, Etat surplus et société en Algérie avant 1830, Entreprise national de livre, Alger, P : 36.

²اعتبر هذا المؤلف غزوات أحمد باي على القبائل طريقة عنيفة في معالجة الأوضاع. ينظر: Ibid, P : 36.

³عندما تتصاع القبائل وتقوم بدفع ما عليها من مطالب، فإنها تؤمن بالرمز، بحيث عندما سئلت القبائل المستقرة في جبال المنية سنة 1246هـ/1830م من طرف السلطات الاستعمارية عن سبب أدائهم للخراج وخضوعهم للعثمانيين، ردوا عليهم: "بأن نفس الدين الإسلامي يجمعنا ولن نطيع أحدا في وطننا هذا غير الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم". ينظر: أندري بريان، أندري نوشي، إيف لاكوس، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة: اسطانيولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1984، ص: 178.

⁴بنهاج مسين، المجرم تكويننا وتقويمنا، ص: 183. فبمجرد ما ضعفت القوات العثمانية وأصبحت غير قادرة على فرض سيطرتها وبالتالي حماية رعاياها من التسلط الأوروبي عليهم وكثرت الهجمات المسيحية على الدول الإسلامية التي كانت تحت حمايتها أصبح هذا الرمز يتلاشى مع مرور الزمن.

ما عليها من مطالب، فهذا يعني أنها أصبحت لا تؤمن "بشرعية"⁽¹⁾ الحكم العثماني عليها، وبذلك فهي تلغي وجود هذه السلطة من أذهانها.

مثال ذلك ما كانت عليه قبيلة السبانية⁽²⁾ التي شن عليها أحمد باي عدة حملات تأديبية؛ لأنها كانت لا تعترف بشرعية الحكم العثماني عليها، لهذا السبب كانت ترفض الانصياع ولم تكن تسدد ما عليها من مطالب مخزنية، وكلما قامت السلطة الحاكمة بتتصيب شيخا عليها كان مصيره إما القتل أو الطرد بأبشع الطرق، وكانت سيرتهم هذه كذلك طيلة حكم الحكم العثماني على باييك الشرق⁽³⁾.

وبعد هذه المحاولة لمعالجة بعض المعطيات التي غيبتها أحمد باي في رسائله، كما غيبتها معظم المصادر والمراجع المعتمد عليها في هذه الدراسة، مع إدراكنا التام أنها تنقصها الكثير من المعطيات، والتي من خلالها يمكن أن تفسر عدة ظواهر قد تم المرور عليها بطريقة سطحية، هذا عرض لبعض النماذج من حملات أحمد باي على القبائل التي وصفها بالعصيان، وقد خص بها فئة الرعية دون غيرها من فئات المجتمع القسطنطيني ويقصد بذلك "العصيان المدني"⁽⁴⁾، هذا الأخير أخذ عدة صور واختلف من حملة إلى أخرى، ولكن ما يمكن استنتاجه هو العامل المشترك بينها، وتمثل في أسباب شن هذه الحملات وارتكزت على دافعين: أمّا الأول فكان من أجل رفض هذه القبائل دفع ما عليها من مطالب مخزنية. في حين تمثل الثاني في قيامها بأعمال تنتافي والنظام العام.

فلم يتوقف أحمد باي طيلة حكمه لباييك الشرق (1240-1245هـ/1826-

¹ الشرعية: إن هذا المصطلح يشير بمدلوله الدقيق إلى شرعية السلطة القائمة من حيث صلاحيتها كسلطة بالأمر الذي يستوجب التكليف بالطاعة، لذلك تقع في جملتها في مجال "الإيديولوجيات". ينظر: محمد طه بنوي، ليلى أمين مرسي، المبادئ الأساسية في العلوم السياسية، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د ط، 2000، ص: 88.

² السبانية: كلن توأجدها قبيلة على بعد 40 كلم من جنوب قسنطينة، رفضت الاستقرار في السهول؛ لأنها لم تكن آمنة بالنسبة لها، فلم يتمكن بايات قسنطينة من تحصيل المطالب منها إلا بشن الحملات ضدها، فكان أحمد باي يلحقها في كل مرة خسائر بشرية ومادية. وبهذا لم تكن تؤمن هذه القبيلة بشرعية الحكم العثماني عليها وكلما نصبت السلطات شيخا عليها كان مصيره إما الطرد أو القتل. ينظر:

Leila Babes, Tribus, structures sociales, PP : 118-119.

³ Ibid, P : 119.

⁴ العصيان المدني: عمل أو سلسلة أعمال يكون القيام بها عمدا على سبيل التحدي للسلطات من أجل الوصول إلى هدف معين، ومن مظاهرها الامتناع عن دفع الضرائب. ينظر: أحمد زكي بنوي، معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، د ط، 1989، ص ص: 26-27.

1830م⁽¹⁾ عن شنّ الحملات⁽²⁾ "الغزوات"⁽³⁾ على القبائل التي شقت عصا الطاعة؛ وقد كانت منطقة الأوراس⁽⁴⁾ خاصة مسرحاً لها.

وعلى العهد العثماني كانت تسكن المنطقة ثلاث قبائل رئيسة هي: الحنانشة والحراكتة والنمامشة، التي كانت في صراع دائم، وكان البايات يبذلون كلّ ما في وسعهم لإشعال نيران الفتنة بينها، وكلّما توصلت قادتتها إلى التفاهم والاتحاد، ولو لفترة وجيزة⁽⁵⁾، لهذا كانت العلاقات الاجتماعية على مستوى المنطقة تتصف بالخشونة والقسوة، والعداء والتناحر، هذا ما جعل من سكان الأوراس على استعداد دائم لمواجهة المهاجمين دفاعاً على استقلالهم وذوداً على مواطنهم، وهو الذي دفع البعض إلى إطلاق العبارات القاسية عليهم⁽⁶⁾.

¹ لقد دام حكم أحمد باي على بايلك الشرق حتى سنة 1252هـ/1837م، ولكن قصدنا من وضع التاريخ المذكور أعلاه عدم الخروج عن نطاق الفترة التي دارت أحداثها في الرسائل المبعوثة إلى حسين باشا، بمعنى قبيل سقوط مدينة الجزائر ونهاية الحكم العثماني عليها. وإن كانت هذه النهاية غير كلية بحيث بقيت المنطقة الشرقية تحت حكم أحمد باي.

² تمّ الاعتماد في سرد الأحداث التاريخية على منهج التسلسل الزمني لها، وعلى الموقع الجغرافي.

³ إن أحمد باي عندما يتكلم على مثل هذه العمليات في رسائله فإنه يستعمل مصطلح "الغزوة"، والذي حافظ على استعماله. كما استعملته بعض المصادر والمراجع التي تطرقت لهذا الموضوع خاصة الفرنسية منها، فنذكر على سبيل المثال: (أرنست مارسلي في مرجعه: تاريخ قسنطينة). (شارل فيرو في مختلف مقالاته). (مارسيل امريت في كتابه: الجزائر في عهد الأمير عبد القادر). أمّا من بين المصادر والمراجع العربية فنذكر: (صالح بن المنري، تاريخ قسنطينة). (أحمد مبارك في: تاريخ حاضرة قسنطينة). (تاريخ بايات قسنطينة لمؤلف مجهول). (مولود قايد في كتابه: تاريخ بايات قسنطينة). في حين اعتمدت بعض المراجع الأخرى مصطلح "الحملة الانتقامية" أو "الحملة التأديبية" ونذكر من بينها: (سعيدوني في كلّ مرجعه المستعملة في البحث)، (فركوس في كتابه: الحاج أحمد باي قسنطينة). وإذا أردنا أن نرجح أيّ من هذه المصطلحات أكثر ملاءمة مع المعطيات التاريخية فعلياً أن نقدم شروحا لها من أجل أن يكون هذا الاختيار مبني على أسس علمية. "الغزوة" وردت في لسان العرب على شكل "غازية" وهي تأتي "الغازي". ينظر: ابن منظور، لسان العرب مج: 15، ص: 124-125. والغزوة تعني تجنيد قوات من الرجال وتسليحها من أجل النيل من قوة أخرى، وهي تحمل صفة الهجوم أكثر من الدفاع. وقد استعمل هذا المصطلح عند العرب في الجاهلية والإسلام. أمّا الحملة: فتعني: حمل القوات العسكرية قصد تأديب بعض الفئات من السكان. وبناء على هذا فإنه سوف يحافظ على مصطلح "الغزوة" كلما كان الحديث يتعلق برسائل أحمد باي، ولكن في غير ذلك فسوف يستعمل مصطلح "الحملة".

⁴ الأوراس: في اللغة البربرية تعني أراس والذي يعني أماناي أراس بمعنى فارس أصيل، وهو لا يعني جبل واحد بل هو سلسلة من الجبال الأكثر شهرة في إفريقيا، وهي تمتد على مساحة تقرب 11000 كلم مربع. ينظر: Mustafa Hadad, *Origines de la résistance dans le pays de Belzma*, R. H. centre nationale d'histoire historique, Alger, N : 17, 1984, P : 25.

أمّا العثمانيون فكانوا ينطقون أوراس "إيفريس" ينظر: Féraud, R. A. 1878, P : 111. ولقد ذكرت منطقة الأوراس في جلّ المصادر الجغرافية. ينظر: حسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ترجمة عن فرنسية: محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 2، ص: 102. و الإدريسي، المغرب العربي من كتاب زهرة المشتاق في اختراق الأفاق، حققه ونقله من الفرنسية: محمد حاج صادق، مطبوع في بلجيكا، 1983، ص: 66.

⁵ العربي الزبير، التجارة الخارجية، ص: 26.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 270-271.

وأمام هذا الوضع حاولت السلطات، وعلى رأسها أحمد باي الذي كان مسؤولاً على ضبط الأمور الأمنية، والقضاء على كلّ التيارات التي كانت تحاول تهديد الاستقرار والأمن في المنطقة، رسم سياسة حكيمة من أجل السيطرة وبسط نفوذ السلطة على الرعية خاصة المتمردة منها. ومن بين الأساليب الإدارية والإجراءات العسكرية المتخذة لإقرار هيبة السلطة على المناطق الجبلية نذكر إقرار الحاميات⁽¹⁾ العسكرية التي كانت تتكون من الجنود الأتراك، ووضعها بالمدن الرئيسية⁽²⁾. كما جندت بعض القبائل المخزنية على عدّة جهات من أجل رصد تحركات هذه القبائل.

وعندما كانت هذه الوسائل لا تكفي لبسط نفوذ السلطة وهيبتها كانت تشن حملات تأديبية ضد كلّ قبيلة شقت عصا الطاعة. ومن بينها، تلك التي شنّها بتاريخ 11/صفر/3 سبتمبر من سنة 1241هـ/1826م، على فرقة من قبيلة العمامرة⁽³⁾ في جبال الأوراس⁽⁴⁾. وصفها بأنّها "فرقة عاصية ولم تكن لها طاعة لأحد"، كما أنّها لم تسد ما كان عليها من مطالب مخزنية. "فأصبح عليها" بالتاريخ المذكور بمنطقة "الزانة"، فقتل منهم ستة عشر رجلاً واغتتم بـ 15600 من الغنم، و160 رأس بقر، و32 حصاناً و11 هويراً⁽⁵⁾. بعدها عاد رفقة قواته إلى المحلة⁽⁶⁾.

واستغلالاً لتواجده في المنطقة برفقة قواته، قام بعد يومين من الشهر نفسه

¹ الحاميات: مفرداً حامية. وهي عبارة على قوة عسكرية تقيم في موقع من المواقع ويشرف عليها قائد. وتضم قوات من مختلف الأسلحة والمصالح بشكل تحقق الاكتفاء الذاتي من الناحيتين القتالية والإدارية. ينظر: أكرم بيري وآخرون، الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:1، 1977، ص: 508.

² توزعت هذه الحاميات على مستوى المناطق القتالية: حامية تيسة، والتي كلفت بمراقبة تحركات النمامشة. ثم حامية يسكرة وخولت لها صلاحيات مراقبة الجهات الجبلية حول المنعة والخنقة. فحامية مركز البايك والتي كانت تقوم بإقرار الهدوء بالهضاب العليا الشمالية. ينظر: ناصر الدين سعديوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 281.

³ العمامرة: أصلهم من البربر وهم من سكان جبال العمامرة، وفي أسفل هذا الأخير توجد ثلاث مدن هي: باغاي، خنشلة وحسيمين، هذه الأخيرة تقع بالقرب من سمورة. ينظر: العدواني، تاريخ العدواني، ص: 306.

⁴ لقد قامت السلطات العثمانية بوضع قيادة العمامرة على مستوى منطقة الأوراس، وكانت تتكون من ثلاث قبائل: أولاد سعيد، وأولاد زرارة والعمامرة. ينظر: ناصر الدين سعديوني، المرجع السابق، ص: 290.

⁵ هوير: حاولنا البحث على مفهوم هذه الكلمة فلم نعثر في المعاجم على معلومات تفيدنا بشرح، إلا أنّه ومن خلال ترجمة عثرنا عليها في مرجع الجزائر في عهد عبد القادر فهمنا أنّه نوع من الحيوانات التي تنتمي

فصليتها إلى الغنم. ينظر: Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 257.

⁶ الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.

بش غزوة علي أولاد سيد الشيخ⁽¹⁾ وأولاد مسعود⁽²⁾، فقتل منهم أحد عشر رجلا، كما اغتتم ما قيمته 1260 من البقر، و1310 من الغنم وعددا من الخيل⁽³⁾. وعند إقامته هناك، ورد عليه خبر مضمونه أن كل من "بن زكري"⁽⁴⁾ و"بن نعمون"⁽⁵⁾ وأتباعهما عزموا على الهروب إلى "الشرق"⁽⁶⁾، ولعل هذا الخبر كان مصدره الشيخ بلقاسم⁽⁷⁾ وإن لم يفصح أحمد باي بذلك. عندها بعث عمالا له يتحققون من صحة الأمر، فأكدوا له ما ورد عليه من أخبار⁽⁸⁾.

بعدها بعث لهم شيخ العرب بورنان بن عاشور مع جماعة من الفرسان لإعطائهم الأمان"، وأتهم إن عادوا عن قرارهم هذا فلن يصيبهم أذى أو مكروه؛ وعند وصولهم إلى موضعهم وقفوا من بعيد، وبعث إليهم شيخ العرب بعضا من رجاله ليلغوا لهم الرسالة، فلم يكن منهم جواب "سوى البارود"، فقتل رجلين من جماعة بن عاشور وجرح آخرون. وبعد قتال طويل لم ينج منهم سوى أحد أبناء بن زكري⁽⁹⁾، وأخوين من بن نعمون، والسماري. ثم يضيف في آخر كلامه، "أنه صبر

¹ أولاد سيد الشيخ: كان موطنهم في بلاد الحنانشة. ينظر: الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.

² أولاد مسعود: موطن هذه القبيلة في بلاد الحنانشة وأصلهم من الخضر حلقاوي وأيضا من ريغة. ينظر:

Leila Babes, Tribus, structures sociales, P : 31.

³ الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة. كما قام عبد الجليل بنشر المعلومات الخاصة بهذه الغزوة في مرجعه: ببايك الشرق وأحمد باي، ص: 53. معتمدا على الرسالة المعروضة أعلاه في استقاء معلوماته.

⁴ أولاد سيدي يحي بن زكري: من القبائل القاطنة في منطقة الأوراس ومن أشد الأعداء للباي أحمد. ينظر:

Charles Féraud, Ferdjiousa et Zouar'a (Note Historique sur la province de Constantine, R. A. 1878, P : 20.

⁵ بن نعمون: من القبائل الحاقدة على أحمد باي والتي لم ترسخ أبدا لسلطنته وكانت دائما في حالة عصيان، وخوفا من انتقام أحمد باي فروا للاختباء في جبال القبائل. حيث كان مقورة بن عاشور يدعهم بالحماية

Ibid, P : 20.

ويعتزلما العيش هناك. ينظر:

⁶ بقصد بالشرق منطقة تونس. ينظر: الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.

⁷ بلقاسم ولد يونس: بعد سقوط مدينة قسنطينة، دبر لأحمد باي مكيدة بالتعاون مع أولاد سيدي يحي والزرانة، فكتب إلى القائد الفرنسي وقال له: "أعطوني 40000 دورو أوزعها على الأعراب وأتيكم برأس الباي"؛ وعندما علم هذا الأخير بهذه المكيدة حكم عليه وعلى ابنه بالإعدام. ينظر: أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 88.

⁸ ذكر أحمد باي في تقريره للباشا أن سبب رحيل هذه القبائل يعود إلى "أن عمدتهم ومن كان عليه أمرهم والمول عليه" ذهب ولا بقاء لهم بعده. ينظر: الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.

⁹ هو الحاج مسعود بن زكري: فر إلى مدينة الجزائر على إثر المجزرة التي وقعت لعائلته على يد أحمد باي سنة 1243هـ/1827م. وبعد سقوط مدينة الجزائر انضم إلى صفوف الجيش الفرنسي، فولى منصب شيخ العرب. شارك في الحملتين التي شنّها الاحتلال على مدينة قسنطينة (1252-1253هـ/1836-1837م). بعدها

ولي قائدا على أولاد عبد النور. ينظر: Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 114.

في حين علق يحي بوعزيز أنه من نجا من هذه الحادثة هو العربي بن نعمون في حين قتل كل من محمد بن زكري وعبد الله بن زكري وبن الأبيض والشيخ الزواوي. ينظر: صالح بن العنتر، تاريخ قسنطينة، ص: 93.

كثيرا على فسادهم إلى حين هذه الواقعة، والتي فيها نفذ صبره، فأراح منهم البلاد والعباد ولم يحزن أحد على ما أصابهم⁽¹⁾.

وقد أضاف أرنست مارسى بعض المعلومات المغيبة في تقرير أحمد باي، وعدم إدماج هذه المعطيات مع ما ورد في نص الرسالة يعود إلى عدم تأكدنا من أنه كان يتكلم على الموضوع نفسه، وإنما هذا الطرح كان مجرد فرضيات قد يحتمل الحقيقة، كما يحتمل غير ذلك.

فقد ذكر أرنست أنه عندما ذهب أحمد باي إلى الجزائر لتقديم دنوش الربيع، استغل فرصة رضا الباشا وحاشيته عليه لما قدمه من عطايا نقدية وعينية، ففاتحه في أمر تأديب قبيلة الحنانشة، كما طلب منه الإذن بتصفية بعض الشخصيات التي وصفها بأنها تشكل عناصر مشاغبة تثير الفتنة وتزعزع الأمن، فكان له ما أراد⁽²⁾.

وعند عودته إلى قسنطينة قام باستدعاء كل من ابن غانة وابن عاشور وعز الدين وصرح لهم بأنه حان الوقت لتنفيذ الخطة التي اتفقوا عليها بتاريخ 1242هـ/ 1826م. فأمر أحمد باي محمد بن غانة على رأس قوة محاربة تضم في صفوفها فرسان من الجنوب بالتوجه نحو جبل شطابية⁽³⁾، في الوقت نفسه تحرك فيه بوعكاز ومعه فرسان من فرجيو، وكذا عز الدين وتحت قيادته فرسان من زوارة، وعند الإشارة المتفق عليها هاجمت كل القوات الثلاث الجبل عند زاوية الزواوي⁽⁴⁾ أين اجتمع الفارون واحتموا بخادم المرابط، معتقدين بأن تواجههم بالزاوية سوف يحميهم من القتل، لكن ما حدث هو العكس، بحيث قتل كل من كان متواجدا في الزاوية⁽⁵⁾. في حين ذكر آخر أنه لم ينج منهم سوى شخص واحد⁽⁶⁾، وهو المدعو "العربي بن

¹ الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.

² Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P, P : 377.

³ جبل شطابية: جبل موجود في المنطقة الغربية لقسنطينة. ويبلغ طوله 1316م. ينظر:

Jean Des Pois René Raynal, Géographie de l'Afrique du nord-ouest, Payot, Bibliothèque scientifique, Paris, 1967, P : 173.

⁴ زاوية الزواوي: تقع في الجنوب الشرقي لدوار بني زياد (روفاش) في منطقة الشرق الجزائري. ينظر:

Bouaziz Ben Gana -Chiekh El Arab, Etude Historique sur la famille Ben Gana, P : 35 .

⁵ Voir : Ibid, P : 35. Et: Ernest Mercier, Op. cit, P, P : 377.

⁶ Bouaziz Ben Gana, Op. Cit, P : 35.

(1) نعمون.

بعدها حملت جثث القتلى إلى مدينة قسنطينة لتعرض أمام الملء حتى تكون عبرة لكل من سولت له نفسه شق عصا الطاعة والخروج على السلطة الممثلة في شخص أحمد باي⁽²⁾.

ولم يهدأ أحمد باي؛ فأينما كان التمرد والعصيان إلا وجدناه يصحب قواته بنفسه لمعاقبة العصاة. ومثال ذلك، ما حدث بتاريخ 14 ربيع الأول من سنة 1242هـ/ 1826م، إذ قرر أن يشن غزوة على فرع من فروع قبيلة الحنانشة⁽³⁾ تدعى السبانية. وعند اللقاء القوتين وبعد قتال عنيف، سقط من الطرفين الكثير من الرجال، عندها اضطر أحمد باي وقواته للانسحاب تفاديا لخسائر أكثر، ولكن لم يكن يعنى ذلك الاستسلام، فالمعروف على شخص أحمد باي أنه كان يرفض الهزيمة؛ لهذا أخذ ينتظر الفرصة الملائمة للانتقام منهم، فكان له مراده وتم له ذلك بمساعدة الزمول⁽⁴⁾، وقد تسبب لهم في خسائر بشرية ومادية⁽⁵⁾.

ولعل هذه الحملة هي التي ذكرها أحمد باي في تقريره للباشا المؤرخ في 12 من ربيع الثاني 1242هـ/ 1826م، بحيث أعلمه بأنه شن غزوة ضد هذه القبيلة بسبب امتناعها على تسديد ما كان عليها من مطالب مخزنية منذ فترة طويلة "فأصبح عليهم يوم الخميس في جبلهم"، وبعد قتال عنيف تمكن مع قواته من إحراز النصر.

العربي بن نعمون: كان جابيا للمطالب المخزنية على عهد أحمد باي، ثم اعتزل وبقي خارج قسنطينة يكشف عن نقاط ضعف الباي للفرنسيين. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج: 1، ص: 144. نسوفي سنة 1856/1273م، ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 93.

² الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة.

³ قبيلة الحنانشة: كان جددهم الأول يدعى حناش، أحد أشهر فرسان الفتح الإسلامي، وهم من نسل الأحرار النبلاء. ينظر: Charles Féraud, Histoire des villes de Constantine, R. C., 1871-1872, PP : 128-129. وتكونت هذه القبيلة من ست عشرة فرقة، وهم من الأشراف. وكان شيخها يحمل ختماً وقطانا مزينا بالخيوط الذهبية. ينظر:

Charles Féraud, Les Harar seigneurs des Hannencha, R. A. N : 18, 1874, PP : 364-365.

⁴ الزمول: قبيلة موجودة على بعد 40 كلم من جنوب شرق قسنطينة، كان استقرارهم في بداية الأمر في عين سارة. وكانت هذه القبائل تخرج مع الباي عندما كان يشن حملاته، فهي قبائل مخزنية متكونة من 500 فارس كلهم يمتازون بالمهارة والقوة القتالية. وكان يشرف عليهم قائدا تركيا. ينظر: Leila Babes, Tribus, P : 55. ويضيف آخر بأنها قبيلة عسكرية وإدارية في أن واحد من أقوى وأقدم القبائل في البايك، استقروا في هضبة مليحة. ينظر:

Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine: P : 139.

⁵ Charles Féraud, R. C., 1871-1872, P : 365.

فقتل منهم 52 رجلا بعث "برؤوسهم إلى قسنطينة"⁽¹⁾. كما اغتتم بـ 200 هوير، و3000 رأس بقر، و3000 رأس غنم، و77 ما بين خيل وبغال؛ ومما زاد من نسبة نجاح العملية أنه لم يقتل أحد من رجاله إلا اثنين "من الدائرة" الذين جرحا⁽²⁾. وخلال السنة نفسها، توجه إلى ناحية القبلة قاصدا بلاد الحنانشة⁽³⁾ لإصلاح بعض أمور الرعية هناك، فبلغه أن بعضا من "الجبابلية" امتنعوا طيلة السنوات الماضية عن أداء واجباتهم والمتمثلة في تسديد ما كان عليهم من مطالب مخزنية، لذلك وجب على أحمد باي "كسر شوكتهم". فشن عليهم غزوة، عندها لم يكن أمامهم حل سوى الفرار، فاستحوذ على 615 رأس من البقر، و63 ما بين خيل وبغال، و1000 رأس من الغنم⁽⁴⁾.

كما استغل فرصة تواجده بالمنطقة فقام بمعاينة قبيلة أخرى تدعى وشتاتة⁽⁵⁾. وصفها بالعصيان وعدم الخضوع لواجباتها اتجاه السلطة، فهي لا تدين بالولاء لا لقبيلة الحنانشة أو لسلطة الباي⁽⁶⁾، كما أن أهل المنطقة اشتكوا من ظلمهم وفسادهم، فأخذهم أخذا ذريعا، إذ قتل منهم الكثير⁽⁷⁾.

أما بتاريخ 29 رجب من سنة 1242هـ/1826م فقام بتأديب قبيلة تدعى أولاد ضيا⁽⁸⁾، عندها لم يكن لها حل سوى الفرار والاختباء خوفا منه. لهذا لم يتمكن منهم،

¹ عندما كان يتعلق الأمر بذكر القتلى، فإن أحمد باي كان يستعمل في رسائله العبارة التالية: قطعت منهم كذا رأس" وأيضا عبارة: " حملت رؤوسهم إلى قسنطينة". ينظر كل من الرسالة رقم: (19-28-29-30).

² الرسالة رقم: (29). وقد نشر مرسيل أمريت في مرجعه، "الجزائر على عهد الأمير عبد القادر ترجمة لها.

³ وصفت هذه القبيلة بالقوة والغنى، إذ شغلت المنطقة الأكثر خصوبة وإنتاجا وقد استغلت مكان استقرارها الحدودي بأن تنهرب من السلطة العثمانية. ينظر: Jean Morisot, L'Aures, P: 109. فلقده كانت قبيلة الحنانشة تتحكم في الطريق الذي يصل قسنطينة بتونس وهذا يعني بالنسبة للسلطة ضرورة التحكم والسيطرة على هذه القبيلة حتى يبقى الطريق مفتوحا أمام الجميع.

Charles Féraud, R. C, 1871-1872, P: 365. وقد دخلت هذه القبيلة منذ البداية في صراع عنيف مع أحمد باي، ويرجع السبب الرئيس في ذلك إلى القرار الذي اتخذ بشأن تنصيب رزي شيخا عليها مع أنه غريب عن القبيلة ولا ينتسب إلى سلالة الأشراف مما أثار غضبها. ينظر: Temimi, Beylec de Constantine et Hadj Ahmed bey, P: 140.

⁴ الرسالة رقم: (29) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ قبيلة وشتاتة: كان موطنها براس الدخلة ببلاد الحنانشة في منطقة الأوراس. ينظر: الرسالة نفسها.

⁶ أمنا أحمد باي بمعلومات قيمة حول هذه القبيلة والتي لم نعرث عليها في المصادر أو المراجع المستعملة في هذا البحث.

⁷ الرسالة رقم: (29) في الترتيب العام للمجموعة.

⁸ أولاد ضيا: فرع من فروع قبيلة الحنانشة، كان موطنها بمنطقة الأوراس. ينظر: الرسالة رقم (15).

ولكنه اغتتم بـ 113 رأس من بقر، و 114 رأس شاة غنم و 30 مابين بغال وخيل⁽¹⁾.
 أما بتاريخ 7 من رجب سنة 1243هـ/1827م، فقد قام أحمد باي رفقة قواته
 بشن غزوة على أولاد سلطان، وعند وصولهم إلى موطنهم، وجدوا المكان خالياً،
 ذلك أنه تم إعلام أفراد القبيلة بأمر الغزوة، لهذا جمعوا أمتعتهم وتحصنوا بالجبل،
 عندها ولى أحمد باي رفقة قواته دون أن يتمكن منهم⁽²⁾. ولكنه لم يستسلم لهذا
 الأمر، بل أخذ ينتظر الفرصة الملائمة لمعاقتهم، وقد تم له ذلك في السنة الموالية
 أي في 1244هـ/1828م فأوقع بهم خسائر معتبرة⁽³⁾.

واستغلالاً لتواجده بالمنطقة قرر أن يشن غزوة أخرى على "فرقتين من
 جبابلية"، هذه الأخيرة كان موطنهما بسرج الغول⁽⁴⁾، "فأصبح عليهما يوم السبت
 الثالث من رجب فأخذهما أخذا ذريعاً"، إذ قتل منهما البعض، ولكنه أعتق البقية، أما
 في صفوف أحمد باي فقد جرح اثنين و"الأغلب سلامتهم". كما اغتتم غنائم كثيرة
 قدرت بـ 4000 من الغنم، و 400 من البقر و 100 ما بين خيل وبغال⁽⁵⁾.

وفي 18 من ذي الحجة سنة 1243هـ/1827م، قام بتأديب فرقة من قبيلة
 النمامشة، تدعى "أولاد رشاش"⁽⁶⁾، تقيم بوطن يسمى "المحمل"، الذي كان يقع بناحية
 القبلة⁽⁷⁾. فبعدما بعث لهم رسائل تهديد وإنذار⁽⁸⁾ ليكفوا عن أعمال "الفساد"

¹ الرسالة رقم (15). ولقد تناولت بعض المراجع أحداث غزوات أحمد باي على قبيلة الحنانشة ولكن دون أن
 تذكر تفاصيلها، فيما بينها أحمد باي في رسالته هاته. ينظر كل من: محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة
 ومذكراته، ص: 53. أيضا الرجوع إلى كل من: Mouloud Gaid, *Chronique des beys de Constantine*,
 P : 91. Aussi : Pechot, *Histoire de l'Afrique du nord avant 1830*, P : 135.

² الرسالة رقم: (26) في الترتيب العام للمجموعة.

³ ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3206، الملف رقم: 3، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية.

⁴ سرج الغول: منطقة موجودة بناحية الجوف ما يقرب وبلي جهة البحر. ينظر: الرسالة: (26).

⁵ الرسالة نفسها.

⁶ أولاد رشاش: تعود أصولهم إلى الفتوحات الإسلامية، والمؤسس الأول رشاش استقر منذ القدم في المنطقة،
 فأنصهرت هذه الفرقة مع النمامشة. ينظر: Babes, Tribus et structures P : 94. في حين ذكر آخر أن
 أصول هذه الفرقة من أولاد سحاولة من الصحراء، لهم عين رائعة تدعى عين حوش بالقرب من الأثار
 الرومانية تسمى القصر. ينظر: Vayssette, R.C. 1869, P : 62.

⁷ كانت هذه القبيلة تقصد المراعي الشتوية الواقعة إلى شرق من خنقة سيدي ناجي. ينظر: ناصر الدين
 سعيني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 282.

⁸ ينظر نموذجا من هذه الرسائل التي كان يبعثها أحمد باي إلى القبائل المتمردة من أجل إنذارهم الصفحة رقم:
 (143) من هذه الجزئية.

ويقوموا بتسديد ما كان في ذمتهم من مطالب⁽¹⁾، وبعدها تأكد له رفضهم وعدم إذعانهم للأوامر، لجأ إلى الحل الأخير، الذي تمثل في معاقبتهم بشن غزوة عليهم، وكان ذلك "ردعا وزجرا لغيرهم" - على زعمه - . فكلفهم بذلك خسائر بشرية ومادية، إذ قتل منهم 38 رجلا، في حين استحوذ على غنيمة كبيرة قدرت بـ 1621 رأسا من الغنم، و5850 من الإبل، و35 هويرا و33 رأسا من البقر⁽²⁾.

ويضيف أحمد باي بأن فرق النمامشة "ليسوا كلهم مثل أولاد رشاش عصاة، منافقين، يقطعون الطرقات ويأكلون أموال الناس ظلما وعدوانا"، ولا يدفعون ما عليهم من مطالب مخزنية، فهذه العللونة والبرارشة⁽³⁾ على عكسهم تماما، فقد أذعنوا له بالولاء والطاعة، كما سدّدوا ما كان عليهم من مطالب مخزنية⁽⁴⁾، عندها نصب قائدا عليهم⁽⁵⁾.

ولم تكن كلّ الحملات العسكرية التي كان يشنّها رفقة قواته على بعض القبائل سببها عدم تسديد المطالب المخزنية فقط؛ بل كانت أيضا استجابة لطلب أحد الشيوخ الذي لم يتمكن من السيطرة على الأوضاع داخل القبيلة التي كان مسؤولا على إدارة شؤونها.

فهذا شيخ الأوراس يستنجد بأحمد باي من أجل تأديب قبيلة أولاد سعيد⁽⁶⁾، هذه

¹ إن وضع التمرد الذي كانت عليه هذه القبيلة يعود إلى كونها كانت تعيش حياة قوامها الترحال والانتقال وراء فطعان المواشي وبحثا على مصادر المياه والكأ، الأمر الذي ساعدها كثيرا على التهرب من السلطة والامتناع عن الخضوع وتسديد المطالب. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 277.

² الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

³ العللونة والبرارشة: أصولهم عربية، وانصهروا مع النمامشة. ينظر: Babes, Tribus et structures, P: 92. في حين ذكر آخر أنهم كانوا منتشرين في البطاح الممتدة من خنشلة إلى باتنة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث، ص: 277. فكان العللونة يترددون على مراعي تفرين، في حين كان البرارشة ينزلون فركان. ينظر: المرجع نفسه، ص: 282.

⁴ من خلال هذه المقارنة يحاول أحمد باي أن يوضح أمرا مهما، وهو أن كل من سدّد ما عليه من مطالب مخزنية، ولم يقد بأعمال تنتافي والمصلحة العامة للرعية فإنّه في مأمن من العقاب، في حين كل من يتجرأ على نقد هذه القواعد فيحق عليه العقاب. هذه العدالة في رأي أحمد باي.

⁵ الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ أولاد سعيد: ظهرت هذه القبيلة في القرن الثالث عشر ميلادي. كانت تتفرع في مطلع العهد العثماني إلى فرعين رئيسيين: الفرع الأول يضم أولاد مولود الذين استقروا بنواحي تقرت، أما الفرع الثاني وهم سعيد عطية فاستقروا بنواحي نفوسة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 266. وخضعت هذه القبيلة لقيادة العمامرة بالأوراس. ينظر: المرجع نفسه، ص: 290.

الأخيرة شقت عليه عصا الطاعة، وخالفت أوامره، فلم يجد له طاقة في مواجهتها سوى طلب العون من أحمد باي. لهذا جهز لها هذا الأخير قوة عسكرية من أجل معاقبتها. فتم له ذلك، وقد قتل منهم الكثير، واستحوذ على غنائم قدرت بـ 6000 ما بين غنم وكباش، و 600 رأس بقر، و 70 هويرا وعددا من البغال والخيول. وتم له كل ذلك في 30 من شوال سنة 1244هـ/1928م⁽¹⁾.

وفي التاريخ نفسه، قام أحمد باي رفقة قواته بمعاينة فرقة من أولاد دراج⁽²⁾، هذه الأخيرة شقت عصا الطاعة على السلطة⁽³⁾، فبعد أن ألحق بها خسائر كبيرة، لم يعد أمامها حل سوى الرضوخ بالطاعة مقدمين له أربعة عشر فرسا⁽⁴⁾ كرمز لبداية عهد جديد⁽⁵⁾.

كانت هذه بعض النماذج الحية عن الحملات العسكرية التي كان يشنها أحمد باي رفقة قواته على القبائل المستقرة بمنطقة الأوراس⁽⁶⁾، هذه الأخيرة لم تكن الوحيدة التي كانت مستهدفة، بل كانت هناك مناطق أخرى غيرها على مستوى البايك أين قام أحمد باي بشن حملاته عليها، ولكن لم يكن هو قائدها، بحيث تمت عملية التأديب دون تدخله المباشر. مثال ذلك ما كان له على مستوى منطقة فرجيوه.

¹ الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة. وقد نشر أرست مارسيل ترجمة لها في مرجعه:

Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abd Kader, PP : 245-246.

² أولاد دراج: قدم أجدادهم من أولاد سلطان، وهم يشكلون دوارا واحدا يبلغ مساحته 3214 هكتار. ينظر:

Charles Féraud, Notes historiques sur la tribus des Ouled Abd Nour, R.C., 1861, P : 101.

في حين ذكر عبد الجليل التميمي بأنها تتكون من تسع دواوير مستقرة في جنوب منجانة من جانب مدينة مسيلة.

Abdel Jelil Temimi, Beylec de Constantine et Hadj Ahmed bey, P : 137.

ينظر: وأولاد دراج كانوا يملكون خيولا مدربة على الإغارة، لهذا عرفوا بأنهم قطاع طرق وسراق، وفي حالة تمرد وعصيان دائمة ضد السلطات العثمانية، ولهذا كثيرا ما فرضت عليهم عقوبات. ينظر:

Jean Morizot, L'auras ou la mythe de la montagne rebelle, P : 106.

³ بالرغم من التمرد الذي كانت هذه الفرقة إلا أنها في سنة 1259هـ/1843م وعندما تحول أحمد باي إلى الجهات الغربية قبلغ نواحي الحضنة، استجدوا به ليوقف معهم ضد خليفة الأمير عبد القادر على الحضنة والزيبان محمد الصغير بلجاج، فألف منهم قوة من الفرسان والمشاة وتوجه بهم نحو بسكرة أملا على استرجاعها وجعلها قاعدة لمقاومته، ولقد حقق انتصارا. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق، ص: 51.

⁴ كان تقديم الفرس للباي الممثل الأول للسلطة العثمانية في تلك الحقبة التاريخية يمثل رمزا للخضوع وطلب الأمان والدخول في الطاعة. ينظر: M. TH. Pein. Lettres Familières Sur L'Algérie, P : 186.

⁵ الرسالة رقم: (30)، في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ من خلال وضع مقارنة بين المعلومات الواردة في هذه المراجع وما جاء في رسائل أحمد باي، فإنه تبين أن هذه الأخيرة قدمت معلومات جديدة حول هذه الحملات بكل تفاصيلها الصغيرة والكبيرة.

فبتاريخ 19 من محرم عام 1244هـ/1828م، قصد أحمد باي رفقة قواته وطن فرجيو، ليعاين أمور الرعية والأحوال الأمنية بها. فعلم بموضوع مقورة بن عاشور⁽¹⁾، الذي كان ينشر الفتنة ويزرع روح العصيان بين أفراد القبائل المستقرة على مستوى المنطقة⁽²⁾.

أثناءها تجرأ مقورة مع مجموعة من رجاله (خدامه) على التمسك إلى أن وصلوا إلى مكان إقامة المحلة أين كان شيخ العرب⁽³⁾ متواجدا. فحدث بين الفريقين قتال عنيف، من خلاله هزم مقورة وجماعته، هؤلاء ولوا بالفرار بعدما قتل منهم ستة، حملت رؤوسهم إلى أحمد باي؛ هذا الأخير ذكر بأنه "ما قويت شوكة مقورة إلا بأموال بن زكري" التي قام بتوزيعها على القبائل ليشتري منها ولاءها ومساندتها ضد كل من كان يمثل السلطة العثمانية. وبهذا أصبحت هذه الشخصية تشكل خطرا كبيرا على الأمن بالمنطقة، لذلك أصبح من الضروري التخلص منها. وبالفعل تم له ذلك، فقد ذكر في تقريره للباشا أنه تم القضاء عليه والتخلص من شره، الذي كان يهدد كيان السلطة في المنطقة⁽⁴⁾.

وبهذا فقد استعمل أحمد باي كغيره من البايات الذين سبقوه على حكم البايك صفة شن الحملات العسكرية -الغزوات- ضد كل من كان يرفض دفع المطالب المخزنية أو لقيامهم بأعمال تخالف النظام العام الذي فرضته السلطة وهذا بناء على ما ذكره أحمد باي. وقد استخدم من أجل ذلك فرسان المخزن كسلاح يجرى في أي وقت ضد المناهضين للسلطة والمتمردين على الحكم، مما ترك أثرا سلبيا على نفسية السكان ونظرتهم للوجود العثماني بالبلاد، فأصبحوا لا يستجيبون لأي عمل جماعي، همهم الوحيد انتظار وتوقع الحملات الانتقامية لفرسان المخزن وما تسببه

¹ حول ترجمة لهذه الشخصية ينظر: الفصل الأول، المبحث الثاني، ص: (66).

² سكان المنطقة: ومنها تلقب قبيلة فرجيو، هذه الأخيرة كانت تضم أربعة وعشرون فرعا تتوزع على ثلاثين دوارا. ينظر: Abdel Jelil Temimi, Beylic de Constantine et Hadj Ahmed bey, P : 137.

³ سلطة شيخ العرب بالمنطقة: امتدت سلطة الشيخ من الشرق إلى الغرب، ومن عين خضياح إلى جميلة. وبعد سقوط مدينة قسنطينة عينت السلطات الاستعمارية خليفة على فرجيو والذي كان تحت إدارته كل قبائل شرق قسنطينة بين السهل، ووطن سطيف، والجريد. ينظر:

Ibid, P : 137.

⁴ الرسالة رقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة.

من قتل وسلب للثروات والمصادرة للأراضي الزراعية، إذ قدر مجمل من قتل من الرعية بـ 255 شخص؛ في حين قدرت قيمة الثروات المصادرة بـ 40827 رأس غنم، و 6149 رأس بقر، و 377 ما بين بغال وخيل، و 423 هوير، و 592 من الإبل⁽¹⁾. وهذا لا يمنع أن نشير بأن هذه السياسة هي التي مكنته من أن يعيد غالبية قبائل البايك إلى الطاعة، مثال ذلك قبيلة النمامشة التي ظلت طوال العهد العثماني نائرة ولم يتم إخضاعها إلا على عهده، حيث بدأت تستجيب لدفع المطالب المخزنية.

3/2- المبحث الثالث: علاقات أحمد باي على مستوى الإيالة.

إن عرض هذا المبحث هو عبارة على محاولة لإلقاء بعض الضوء على نوعية العلاقات التي كانت تربط أحمد باي مع حاكمه حسين باشا، وكذا مع بعض موظفيه الساميين، هؤلاء لعبوا الأدوار الأولى على مستوى مؤسسات الحكم. وأيضا موقفه من باي تيطري. وبالرغم من أن المعلومات التاريخية المستعملة في هذه الجزئية كانت شحيحة، خاصة فيما خص علاقته مع كل من باي تيطري ومنعدمة بالنسبة لباي الغرب، إلا أنها كانت محاولة لتأسيس مادة تاريخية يمكن من خلالها تكوين صورة على مثل هذه العلاقات، حتى وإن كانت قليلة وغير متكافئة مع ما ورد في المبحث الثاني، فهذه الدراسة تعتمد بالدرجة الأولى على حجم المعلومات التي قدمتها الرسائل حول كل موضوع، لهذا فإن أي خلل في التوازن بين المباحث يعود إلى هذا السبب.

1- الولاء والتبعية لحسين باشا:

يعتبر الباي الشخصية الأولى على مستوى البايك من حيث المسؤولية الملقاة على عاتقه، والأعمال الكثيرة التي كان مكلفا بإنجازها، الحضارية منها أو السياسية. فعندما نأخذ شخصية كأحمد باي، والذي كان مسؤولا على إدارة أكبر وأغنى منطقة على مستوى الجزائر، فإننا نقف أمام حاكم وجهت له مسؤوليات كبيرة، بحجم المنطقة التي كان يحكمها، والتي كان ملزما بها أمام الرعية أولا ثم أمام الباشا

¹ ينظر كل من الرسالة رقم: (19-22-27-28-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

وحاشيته ثانياً.

فلقد اتسمت علاقة أحمد باي مع حسين باشا بطابع الاستشارة خاصة في كلّ الأمور القضائية والبعض من المسائل الأمنية⁽¹⁾. فما يستنتج من نصوص هذه الرسائل أنّه كان يعلمه بكلّ مستجدات الأمور الأمنية والاقتصادية على مستوى البايك، الكبيرة منها والصغيرة، كما كان يحيطه بكلّ ما كان يقوم به من أعمال إدارية كالتولية والعزل⁽²⁾، وهذا بناء على توصيات وأوامر من الباشا، فلقد صرح أحمد باي بذلك في إحدى رسائله مبيناً أنّ الباشا حسين قد سبق له وأوصاه بأن يعلمه بكلّ ما كان يقع في دائرة مسؤولياته⁽³⁾.

في حين تمثلت رموز الولاء والطاعة في عدة أمور منها ما كانت شكليّة وأخرى ميدانية. فأما الشكليّة فبرزت في الكثير من العبارات المتكررة، مثال ذلك نذكر ما ورد في إحدى رسائله: "...فانك اعزك الله لو تامرني في بدل نفسي لبدلتها والله رقيب علي وانا خديمك ووكيلك..."⁽⁴⁾. أيضاً من خلال الدعاء له وتسميته بأسماء توحى بذلك⁽⁵⁾.

أما رموز الولاء الميدانية، والتي نقصد من ورائها العمل الميداني الذي يوحى بذلك الولاء لصاحب الأمر، فتمثلت في ظاهرة الدنوش⁽⁶⁾، هذه الأخيرة كانت توحى بصدق وبصورة واضحة على مدى التبعية والخضوع للسلطة المركزية. فالباي وهو يؤدي هذه المهمة يثبت على ولائه وطاعته لولي الأمر.

أما رضا الباشا فكان يفسر ويتّرجم في تسليم القفطان للباي⁽⁷⁾، والذي كان

¹ الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في: 23 شوال 1243هـ/1828م.

² ينظر كلّ من: الرسالة رقم: (5-7-27) في الترتيب العام للمجموعة.

³ الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ الرسالة نفسها.

⁵ يراجع في ذلك المدخل، ص ص: 8-9.

⁶ الرسالة التي ذكرت بأن الخليفة حمل الدنوش تحمل الرقم: (4) والمؤرخة في: 7 ربيع الثاني 1241هـ/1826م. أما الرسالة التي من خلالها حمل الباي الدنوش بنفسه فحملت الرقم: (16) في الترتيب العام للمجموعة، والمؤرخة في أوائل ذي القعدة 1242هـ/1827م.

⁷ القفطان: حاولنا تقديم وصف لهذا القفطان ولكن لم نعثر في المصادر والمراجع على معلومات تساعدنا على معرفة شكله، سوى ما قدمه أحمد توفيق المدني فيما خص بوصف قفطان الباشا. ينظر: عثمان باشا الجزائر، ص: 164. وقد ورد ذكر موضوع القفطان في كلّ من الرسالة رقم: (5-18) في الترتيب العام للمجموعة.

يعبر في عرفهم على تجديد الثقة من الإدارة المركزية، وتمكينه من مباشرة مهامه وسلطاته المخولة له⁽¹⁾.

كما اتضحت من خلال استجابة أحمد باي لأوامر الباشا، مثال ذلك نذكر ما ورد في الرسالة المؤرخة في جمادى الأولى من سنة 1245هـ/1829م من إعطاء الأمان لكل من السماري وبوزيان بالرغم من كونهما من ألد أعدائه والتمرديين على سلطته، فقد ذكر بصريح العبارة: "...وأعلمتهم أنهم جاءوا من المقام المعظم فلو كانوا قاتلين أن عليهم أمان الله ورسوله"⁽²⁾.

ويتضح ذلك أيضا من خلال تنفيذه لكل الأوامر التي كانت ترده من السلطة العليا دون مناقشة أو تماطل، أو حتى إظهار أي نوع من العجز، خاصة تلك التي خصت أوضاع البايك أثناء الأزمة الفرنسية الجزائرية⁽³⁾؛ فقد وجهت لأحمد باي مسؤوليات جسام بحكم أهمية المنطقة، ولأنها ضمت مركزا تجاريا "الباستيون" وأن تسليح هذا الأخير كان من بين الأسباب الأساسية لتأزم الوضع بين الحكومتين⁽⁴⁾.

وكل ما ذكر من علامات الولاء والتبعية لولي الأمر تنفي تماما ما أورده البعض من المؤرخين خاصة الفرنسيين منهم، فهذا "مارسيل إمريت" "Mercel Emerit" يؤكد بأنه لا توجد أية تبعية أو مرجعية لأحمد باي اتجاه الحاكم الأول في البلاد حسين باشا⁽⁵⁾.

ومما يدل أيضا على العلاقة الطيبة والمودة التي كانت قائمة بين أحمد باي وحسين باشا ورضا هذا الأخير عليه هو مناداته بـ "ابنه"⁽⁶⁾. فهذه المكانة لم تكن ممنوحة لكثير من الشخصيات التي كانت تحكم البلاد.

¹ - حينما كان يؤدي الباي الدنوش بنفسه فهو الذي كان يحمل القفطان معه، أما إذا أداه الخليفة فإنه يعود بقفطان الشرف والذي كان يعتبر مناسبة فرح وابتهاج يهطل له قصر الباي. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 65.

² - الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.

³ - ينظر في هذا الأمر كل من: الرسالة: (10-11-12-20) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ - حول هذا الموضوع ينظر كل من الرسالة رقم: (10-11) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ - L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P: 257.

⁶ - Veyssette, Histoire de Constantine sous la domination Turque, R. C, 1869, P : 587.

والدليل الآخر على حسن العلاقة بين الطرفين، عملية تبادل الهدايا التي كانت تتم بينهما، مثال ذلك، الهدية التي قدمها حسين باشا لأحمد باي الممثلة في بندقتين ذهبيتين من أروع ما تكون عليه الأسلحة في تلك الحقبة التاريخية⁽¹⁾. وأيضا ما أهده له في إحدى المرات من "طنان ذهب من أفخر السلاح"⁽²⁾. كذلك من خلال المنحة القيمة التي منحها له إياها بتاريخ 13 من ربيع الثاني سنة 1243هـ/1827م، وتمثلت في جواد من أحسن الخيول العربية وأمهرها، وبندقية من النوع الفاخر، أيضا في جميع "أزواج الحرث بمنطقة حمزة وونوغة ومجانة وبحيرة عنابة"⁽³⁾.

كما أرسل أحمد باي إلى حسين باشا بتاريخ 1243هـ/1827م، هدية معتبرة تمثلت في قافلة من التمر والزيتون، وفرنسين أحدهما أحمر والآخر أزرق، وبرنوسين جريديين، وبرنوسين من الحرير، وقندورة مجعبة بالحرير⁽⁴⁾.

هذا عن موضوع الولاء والتبعية، أما فيما يخص رموز "الاستشارة"، فنجدها غالبا ما تبرز في المسائل القضائية، إذ لم يكن أحمد باي ليقرر أو يصدر أمرا أو حكما دون اللجوء إلى الباشا. فكثيرا ما ورد في نصوص رسائله أمر الاستشارة وطلب النصيح، مثال ذلك ما جاء في نص هذه الرسالة: "... وشاورناك ونظرك أصلح"⁽⁵⁾، أيضا بقوله: "... ونظنك أصلح فالذي تأمرني به فالسمع والطاعة لله ثم لك يا أمير المؤمنين"⁽⁶⁾؛ ذلك أن أحمد باي كان يرى بأن الباشا أكثر منه علما وخبرة، ثم أن الأخذ بما كان يقدم له من استشارات لم يكن يعني أنه كان غير قادر على حل تلك المسائل، بقدر ما دل على التبعية، وضرورة اللجوء إليه في كل الأمور⁽⁷⁾.

¹ الرسالة رقم: (19) في الترتيب العام للمجموعة. والمؤرخة في: 19 جمادى الثانية من سنة 1242هـ/1826م.

² الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة. والمؤرخة في: 14 ربيع الأول من سنة 1242هـ/1826م.

³ ملف الوثائق العثمانية، مجموعة رقم: 3206، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص: 194.

⁵ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ الرسالة نفسها.

⁷ حول هذا الموضوع ينظر كل من الرسالة رقم: (24، 28، 30) في الترتيب العام للمجموعة.

(2) - علاقته مع كبار موظفي الإيالة:

ترجمت هذه العلاقات في شخصيتين لعبتا الأدوار الأولى في مؤسسات الحكم على عهده وهما: يحي آغا⁽¹⁾، وإبراهيم الخرناجي.

أ- موقفه من يحي آغا: تميزت العلاقة بين الشخصيتين بنوع من الاضطراب، هذا إذا أخذنا بما ورد في البعض من المصادر والمراجع. أمّا من خلال ما قدمته المعلومات الواردة في البعض من الرسائل فتبين أنّ يحي آغا كان العين الساهرة للباشا على طريقة تسيير الأمور في البايك⁽²⁾. كما شهد مع أحمد باي مختلف الأحداث السياسية وأعاناه على حلها وتسويتها. فكانت بدايتها عندما أمره حسين باشا بمرافقته على رأس محلة قوية، وتم ذلك بتاريخ 1240هـ/1826م⁽³⁾.

ففي بداية الأمر كان مرورهم بسور الغزلان، فونوغة، ثم زمورة وبعدها سطيف، فعنابة أين مكثوا فترة من الوقت لتسوية بعض الأمور العالقة. وأخيرا كان دخولهم مدينة قسنطينة. فتسنى لهما أثناء الطريق تأديب بعض القبائل، وردّ البعض الأخرى إلى الطاعة، من بينها، قبيلة أولاد سلطان التي كانت في حالة تمرد وعصيان⁽⁴⁾. كما ساعده على ضبط الكثير من الأمور التي كانت عالقة. وقد كان يوم دخولهما الأحد الحادي والعشرين صفر من تلك السنة "فتفتحوا المحكمة المباركة، والمقصورة وبيوت دار الإمارة، كما اطلعوا على ما بداخل دار الحريم وهذا كله تم بحضور أهل ديوان النوبة". وكلّ ما عثروا عليه "جرد" في "جريدة" وبعث بها إلى

¹ يحي آغا: هو من إقليم دنيز، عرف بقامته المتوسطة التي تميل إلى الضخامة وبشرفته المائلة إلى السمرة، إنشق بالجزائر في سن مبكرة واشتغل إلى جانب مهنته العسكرية حذاء ذلك في أوقات فراغه. كان يجيد اللغة العربية والتركية، ممّا مكنته من ترقّي في السلم العسكري من جندي بسيط بأوجاق رقم 253 بتكنة باب العزون، إلى منصب خزندار على عهد علي باشا (1231هـ/1815م)، بعدها أصبح قائدا على يوفاريك ثم على بني جعاد. وعندما تولى حسين باشا الحكم، سمحت له كفاءته وقدراته إلى جانب صداقته للداي إلى أن يرتقي إلى منصب قائد الجيش. عرف بأخلاقه الحميدة وعدله وإحسانه للضعفاء، شديد القوة على الجناء، لا يتورع عن معاقبة القياذ الذين كانوا يسيئون التصرف. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، ص: 16.

² من بين الرسائل التي ورد فيها ذكر يحي آغا الرسالة رقم: (22-25) في الترتيب العام للمجموعة.

³ ينظر الملحق رقم: (6) من أجل الإطلاع على خريطة تبين مسيرة أحمد باي رفقة يحي آغا من مدينة الجزائر حتى وصولهما إلى مدينة قسنطينة مركز الحكم.

⁴ من خلال رسالة بعث بها يحي آغا إلى حسين باشا. ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3190، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

حسين باشا ليطلع عليها⁽¹⁾.

ومن خلال هذه المعطيات فيستنتج أنّ يحيى آغا قد شارك أحمد باي في مسيرته، خاصة في بداية حكمه، فلم يتخل عنه حتى بعدما تأكد من تسوية كلّ الأمور الإدارية، كما أعانه على تنصيب الشيوخ مثال ذلك تولية أربعة شيوخ على مستوى مناطق متفرقة من البايك؛ إلا أنّ أحمد باي لم يقابل ذلك بالمثل، فقد شارك في مؤامرة حيكّت ضده.

وأصل ذلك أنّ الحاج أحمد قبل أن يتولى منصبه كبايا على بايك الشرق حاول أن يكسب ثقة يحيى آغا⁽²⁾، الذي اعتبره الوسيلة الوحيدة لتحقيق مراده في الوصول إلى الحكم نظرا لمكانته ونفوذ كلمته عند الباشا، لهذا حاول إغواءه بثبتي الهدايا والعطايا الثمينة، فقبلها يحيى آغا بكلّ فرح وامتنان، لكنّه لم يتدخل في أمر تنصيبه. حينها أحس الحاج أحمد بخيبة أمل، فتحوّلت تلك الصداقة-المينية على المصلحة- إلى حقد دفين، ومنذ ذلك الوقت أخذ ينتظر الفرصة المناسبة للانتقام منه، فسعى جاهدا للإيقاع به عند الباشا حسين.

وقد تمّ له ذلك، فقد اتفق مع إبراهيم الخرناجي على خطة محكمة لا تكون مصدر شك، هذه الأخيرة تمثلت في مفاتحة الباشا حسين بموضوع تقصير يحيى آغا في توفير ما كان يلزم من المؤونة المخصصة لمحلة الشرق، فاستطاع إقناع الباشا بتسببه في فساد "أقوات الجنود" أثناء عملية الحصار الذي ضربته القوات الفرنسية على السواحل الشرقية سنة 1243هـ/1827م⁽³⁾.

أمّا الشريف الزهار فقد ذكر بأنّ يحيى آغا عند رجوعه إلى مدينة الجزائر

¹ ملف الوثائق العثمانية رقم: 3206، الملف رقم: (1)، رسالة من يحيى آغا إلى حسين باشا.

² بعد تخلات ومساع قامت بها كلّ من والدته و عدة شخصيات مرموقة لدى يحيى آغا، سمح له هذا الأخير بالإقامة في مدينة بلدية حيث مكث هنالك مدة عام ونصف. أثناءها وقع زلزال عظيم ضرب المدينة (المعلومات أكثر حول موضوع الزلزال الرجوع إلى: وليام شارل: مذكرات شارل، ص: 36). حينها لعب الحاج أحمد دورا فعّالا وكبيراً أظهر من خلاله التقاني والإخلاص في مساعدة الضحايا، كلّ هذا أثار إعجاب كلّ الرعية عامة ويحيى آغا على وجه الخصوص، وكان من نتائج هذا العمل أن سمح له بالإقامة في ضاحية من ضواحي مدينة الجزائر، لكن لم يؤذن له بدخولها إلا في أيام الجمعة لأداء الصلاة. ينظر: أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 116-117.

³ المصتر نفسه، ص: 116-117.

واجتماعه بالباشا حسين قدّم له تقريراً عما فعله مع أحمد باي من أجل إقرار الأمن بالبايالك، وأنه أنفق ما عنده على المحلة، أما جملة ما جمعه من الأموال فقد تركها للباي الذي لم يقدم له أية مساعدة. فاغتاظ الباشا من ذلك، عندها كتب يلوم أحمد باي على تقصيره اتجاه الآغا. وعندما التقى أحمد باي بالباشا، وأثناء تقديمه للدنوش أكد له افتراءات الآغا، حيث كشف له بالدليل والحجة على كل ما كان يتقاضاه من مصاريف المحلة. وانتهى الأمر بعزل يحي آغا ونفيه إلى مدينة البليدة⁽¹⁾. ولم ينته الموضوع عند هذا الحد، بل أمر الباشا فيما بعد بإعدامه⁽²⁾.

وما يؤكد سوء العلاقات بين الطرفين، ما ذكرته بعض المراجع التاريخية في موضوع تعرض أحمد باي لهجوم مفاجئ من طرف قوات عسكرية يقودها يحي آغا في منطقة مجانة، ولكنهم فشلوا في قتله⁽³⁾.

وبهذا نجد أنّ العلاقة بين الرجلين لم تكن على ما يرام، فقد تخللتها منذ البداية أحاسيس الكره والحقد، هذا طبعاً بناء على ما قدمته بعض المراجع العربية والأجنبية، ولكن ما يستشعر من خلال ما ورد في البعض من الرسائل أنّه لم يكن يبدي ليحي آغا أي نوع من العداوة أو التقليل من شأنه⁽⁴⁾.

ب- علاقته مع إبراهيم الخرناجي: لقد شغل إبراهيم هذا منصب الشاوش في إدارة بايالك الشرق عندما كان الحاج أحمد خليفة عليه، لهذا فإن معرفته به كانت سابقة⁽⁵⁾. وعندما تزوج إبراهيم ابنة الباشا حسين ولقب آغا العرب في 1244هـ / 1828م⁽⁶⁾، لعب الأدوار الأولى على مستوى الحكم، لهذا لجأ إليه الحاج أحمد من أجل أن يدعم حكمه ويكون له السند المعنوي والمادي، فوعده بأن يقدم له كافة

¹ الزهار، مذكرات الشريف الزهار، ص: 29.

² Charles Féraud, R. A. 1874, P : 118.

L. Pechot, l'Afrique du Nord, P : 135.

³ ننكر على سبيل المثال:

⁴ من بين الرسائل التي ورد فيها ذكر يحي آغا الرسالة رقم: (22-25) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, P : 90.

⁶ Ibid, P : 117.

المساعدات اللازمة. ولقد صرح أحمد باي بذلك في إحدى رسائله بدليل هذه العبارة: "...وأنتم ولتتموني لإصلاح الوطن وتعينوني على من يفسد فيه..."⁽¹⁾؛ وهذا التصريح الواضح يؤكد المعلومات التي أفادت بأن إبراهيم الخرناجي كان على وفاق وتفاهم مع أحمد باي.

ولم تنته علاقتهما عند هذا الحد بل تواصلت حتى بعد ما استلم أحمد باي زمام الحكم، فزيادة على ما ذكر أعلاه من العمل سويا على الإطاحة ببيحي أغا. نجده يستشير في بعض القضايا العالقة، والتي استعصى عليه حلها.

فمن بين مجموعة الرسائل التي نحن بصدد دراستها، يوجد رسالة واحدة وجهت شخصيا إلى إبراهيم الخرناجي⁽²⁾، من خلالها عرض عليه قضية المدعو بوزيان بن علي⁽³⁾، مع أن هذه القضية قد تم مناقشتها عند لقائهما في موسم الدنوش، وقد أشار عليه إبراهيم الخرناجي بأن يعلم الباشا بتفاصيلها، إلا أن أحمد باي رفض معللا بأنه لا يريد أديته وأن يمهل بعض الوقت، عسى أن يستقيم حاله. إلا أنه زاد في عصيانه، وهو يستشير في ما يجب أن يؤخذ من تدابير في شأنه⁽⁴⁾.

كما اشتكى له أيضا من المدعو ولدو أورابح⁽⁵⁾، الذي أخذ يفشي أسرار إبراهيم الخرناجي بين الرعية⁽⁶⁾. ويضيف أحمد باي بأن مثل هذا الأمر لا يجب السكوت عليه، إذ من الضروري أن تتخذ ضده عقوبات صارمة وإلا فسوف يتجرا

¹ الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

² الرسالة نفسها.

³ بوزيان بن علي: عينه أحمد باي أغا الدار، وكان هذا المنصب من بين المناصب المهمة على مستوى إدارة الولاية. بعدها اتهمه بالتخايل في دفع ما جمعه من مطالب مخزنية، ثم تبين له بعد ذلك بأنه سرقها، عندها عزله بدون أن يصدر أية عقوبة في شأنه. بعدها اجتمع المدعو بوزيان بقريبه العربي والسماري عند مقبرة بن عاشور، وعملوا على نشر روح العصيان والتمرد بين القبائل. ينظر: الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة. دون تاريخ. وقد ذكر صالح بن العنثري أنه عين أغا الدائرة على عهد محمد منماني. ينظر: تاريخ قسنطينة، ص: 89.

⁴ الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ ولد أورابح: عندما قام أحمد باي بشن حملة على قبيلة بورتلتي، ساعدها ولدو أورابح وسهل لأفرادها الأمر على الهروب والدخول إلى مدينة الجزائر وهذا ما أغضب أحمد باي كثيرا. ينظر: الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ لم ينكر أحمد باي تفاصيل هذه الأسرار. ينظر: الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

كل شخص سولت له نفسه إشاعة أسرار الحكام وزرع الفتنة بين أفراد القبائل⁽¹⁾. وبهذا يستنتج أنّ العلاقة بين الطرفين كانت على وفاق ووثام. ولعلّ ذلك يرجع إلى مساعدة إبراهيم الخرناجي في أمر توليه إدارة أكبر وأغنى منطقة على مستوى التراب الجزائري.

(3) - موقفه من باي تيطري:

لم تتطرق الكتابات التاريخية التي اهتمت بدراسة شخصية أحمد باي إلى ذكر نوعية العلاقات التي كانت قائمة بين أحمد باي والبايات الآخرين. وبالرغم من ذلك فهذه محاولة لتقديم بعض المعلومات التي يمكن من خلالها إلقاء بعض الضوء على نوعية العلاقات القائمة بين هذه الأطراف، وإن كانت هذه الأخيرة لا تعبر بصدق وموضوعية على ذلك.

فقد كان المدعو مصطفى بومرزاق حاكما على بايلك تيطري على عهد أحمد باي، إذ تولى إدارته من 1235هـ إلى غاية سنة 1245هـ الموافق لسنة 1819/1830م⁽²⁾. وقد ساء العلاقة بين الطرفين نوع من الاضطراب وعدم التوافق. وما يؤكد صحة ذلك، تعرض أحمد باي عند عودته من مدينة الجزائر أين حمل الدنوش إلى الباشا وبالقرب من البيبان غير بعيد من سور الغزلان، لمقاتلة مجموعة من الرجال كانوا تحت تصرف باي تيطري، فتصدت له القوة العسكرية المرافقة له بقيادة الحاج بن عبد الله وتمكنوا من قتل عدد منهم، بعدها انسحبت البقية هاربة. وبذلك نجا أحمد باي من مكيدة كادت أن تقضي على حياته لولا إخلاص وشجاعة

¹ الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

² مصطفى بومرزاق: وصفه فتدلين شلوصر الذي رآه في إحدى المرات فقال عنه: "كان سنه يتراوح ما بين 42 و45 سنة، وهو رجل جميل الطلعة، طيب القلب". ينظر: قسنطينة على أيام أحمد باي، ص: 51. كما وصف بالشجاعة والحزم، عينه الباشا قائدا للجيش ولكنه لم يستطع أن يحقق أي نصر. وبعد دخول العدو الفرنسي مدينة الجزائر أعلن بومرزاق الالتزام بالاتفاق المبرم. ادعى بومرزاق لقب الباشا لنفسه وراسل أحمد باي لكي يعترف به ويبيعه على ذلك ولكنه رفض رفضا جازما. لم يطل موقف بومرزاق اتجاه العدو الفرنسي، فسرعان ما أعلن الحرب ضد العدو الفرنسي، فعزله كلوزيل وعين مكانه مصطفى بن الحاج عمر. وأخذ بومرزاق أسيرا إلى الجزائر. ولم يسمع إلا الرضا بالنفي، فاختر بذلك الإسكندرية حيث مات في تاريخ غير معروف. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج: 2، ص: 38.

رجالہ (1).

وتجهل أسباب هذا الهجوم، ولكن ما يمكن استنتاجه هو أنّ العلاقة بين الطرفين لم تكن بالودية. وتؤكد ذلك، من خلال ما ورد في إحدى الرسائل، حيث ذكر أحمد باي لحسين باشا بأنّ بومرزاق عاتبه على تصرفاته اتجاه "الاصبایحیة المسیلیین"، هؤلاء أظهروا له خوفهم من أحمد باي عندما توجهوا "لخدمة" المحلّة الموجودة في بايلك تيطري. ويعلل أحمد باي بأنّه لم يتسبب لهم في أذى وإنّما كان حزمه وقسوته عليهم، سببهما تخاذلهم وتكاسلهم على أداء مهامهم (2).

أمّا عن علاقة أحمد باي بحاكم بايلك الغرب، الذي كان يتولى إدارته الباي حسن (3) فلم ترد في شأنها أيّة معلومات سواء في المصادر والمراجع التاريخية، أو في رسائل أحمد باي. ويعتقد أنّ نقص المادة التاريخية بهذا الشأن يعود إلى بعد المسافة بين المنطقتين.

¹ محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة ومذكراته، ص: 53.

² الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

³ الباي حسن بن موسى: تركي الأصل. لم يستطع السيطرة على الوضع في بايلك الغرب. فلم تكن له علاقات لامع الحضرة أو أهل البدو وغيرهم من ذوي النفوذ. وأثناء الحملة الفرنسية على المنطقة الغربية حاول الباي حسن أن يدعم سلطته باللجوء إلى الشعب، فاستشار أعيان البايك لكنهم لم يرضوا به حاكما عليهم، وبدلا من أن يعيد تنظيم أمور البايك ويجند السكان باسم الجهاد ضد العدو المشترك فضل الانسحاب من مسرح الأحداث تاركا وراءه الأمور في فوضى. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج: 2، ص: 167-168.

الفصل الثالث

دور أحمد باي في العلاقات

الجزائرية الخارجية

(1/3) - المبحث الأول: العلاقات الجزائرية الفرنسية

- أسباب الأزمة الفرنسية الجزائرية

- العصار الفرنسي على السواحل الشرقية

(2/3) - المبحث الثاني: العلاقات الجزائرية التونسية

- العلاقات الدبلوماسية

- دور تونس في الأزمة الفرنسية الجزائرية

إن مجموعة الرسائل التي كتبها أحمد باي إلى حسين باشا تعد من بين الوثائق المهمة التي تساعد على رصد الظاهرة التاريخية في تلك الحقبة، خاصة وأنها كانت تعالج الأوضاع المختلفة عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر. وما يميزها عن غيرها أنها لم تنطرق إلى العلاقات الجزائرية الخارجية بأبعادها الثقافية أو التجارية، وإنما كان محتواها يذهب إلى ذكر بعض التفاصيل عن الأزمة الفرنسية الجزائرية مخصصة كل المعلومات التاريخية حول الحصار الفرنسي المضروب على السواحل الشرقية والتدابير المتخذة من أجل مواجهة هذا الوضع الجديد.

كما تطرقت الرسائل إلى ذكر بعض المواضيع حول العلاقات الجزائرية التونسية، بما فيها المراسلات التي كانت تتم بين الطرفين. أيضا تم طرح بعض المشاكل العالقة التي كانت تقع بين الحكومتين، وكيف كان يتم معالجتها.

ولم يتطرق أحمد باي في رسائله إلى ذكر تفاصيل عن علاقات أخرى غير الفرنسية والتونسية، وبناء على ذلك فسوف يكون محور موضوع هذا الفصل مركزا على العلاقات التي كانت تربط بين الجزائر وحكومتها فرنسا وتونس، مع تجنب الدخول في تفاصيل لا تمت بصلة للمعلومات الواردة في الرسائل.

وأول ما يستهل به موضوع هذا الفصل هو الأزمة الفرنسية الجزائرية ودور أحمد باي في مواجهة هذه الأزمة خاصة وأن السواحل الشرقية كانت من بين المناطق الأكثر استهدافا من وراء هذا الحصار، نظرا لمكانتها الاقتصادية والاستراتيجية. وبما أن أحمد باي كان المسؤول الأول على بابك الشرق فكان عليه أن يواجه هذا الوضع، وتقاريره هذه تعطي صورة واضحة المعالم على الطرق التي واجه بها هذه الأزمة. وقبل الخوض في تفاصيل الحصار، لا بد من التطرق إلى الأسباب التي أدت إلى اندلاع الأزمة بين الحكومتين.

1/3-المبحث الأول: الأزمة الفرنسية الجزائرية

1- الأسباب المباشرة وغير المباشرة لاندلاع الأزمة:

ظهرت الجزائر منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي، بتبعيةها للسلطة

عثمانية تحت قيادة "البابليباي"⁽¹⁾ وبذلك بدأت معالم الحدود الإقليمية للجزائر تظهر. تستقر تدريجيا، وينمو معها كيانها السياسي المنفصل عن تونس والمغرب الأقصى. خلال القرن السابع عشر بدأت الجزائر تتفصل إداريا عن الدولة العثمانية⁽²⁾. بهذا أصبحت للجزائر روابط عديدة مع مختلف البلدان، ويظهر أن أوسع وأوثق هذه العلاقات كانت مع فرنسا⁽³⁾.

فقد ربطت الجزائر مع فرنسا علاقات تقارب وصدافة وخاصة على عهد توري الرابع، ثم تدعمت هذه العلاقات أثناء الثورة الفرنسية⁽⁴⁾، بحيث قدمت الجزائر لفرنسا مساعدات تمثلت في قروض بدون فوائد، ومونتها بالحبوب لتفادي قوعها في مجاعة. وهذا فإن التزامات الحكومة الفرنسية المسجلة في هذه المناسبة لم تحترم وتولدت عنها القضية الغامضة لديون فرنسا مع الباشا حسين⁽⁵⁾ بواسطة التجارين اليهوديين، أدت هذه المسألة إلى نشوب أزمة حادة بين الحكومتين انتهت بحادثة المروحة الشهيرة⁽⁶⁾، ثم فرض الحصار البحري على كافة السواحل

عصر البابليباي (950-995هـ/1544-1587م): اجتمع أهل الديوان يوم أن توفي محمد حسن آغا على تولية لجاج بكير -أوبشير- مكانه مؤقتا ريثما يتصل بهم الحاكم التركي المولى من طرف الباب العالي، فمكث الحاج بكير على رأس الإدارة الجزائرية إلى أن قدم عليهم حسن باشا سنة 950هـ/1544م يحمل لقب "بابليباي". ينظر: عبد الرحمن الجبالي، تاريخ الجزائر العام، ج:3، ص: 48. ويعتبر هذا العصر من أزهى عصور الحكم العثماني في الجزائر. ينظر: زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، ص: 488.

² من أجل تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع ينظر: إبراهيم الميالي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، 1999، ص ص: 13-14.

³ قام التعاون الفرنسي العثماني أشبه بالتحالف سنة 942هـ/1535م، تلاء تعاون فرنسي جزائري. وقد عرف الفرنسيون كيف يستفيدون من صداقتهم مع أوجاق الجزائر ونجحوا في سنة 985هـ/1577م من تعيين قنصل يمثل مصالحهم، ثم تحصلوا في السنة الموالية نتيجة لأمر سلطاني على ابن باصطيايد المرجان في السواحل الشرقية، شريطة أن يدفعوا مقابل ذلك رسوم متفق عليها، وعلى أن لا يقيموا قلعة بالمنطقة. فأقاموا على أساس ذلك مركزا تجاريا. ينظر: محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ص ص: 217-218.

⁴ إبراهيم الميالي، المرجع السابق، ص: 15.

⁵ جنود هذه القضية: منذ عام 1208هـ/1793م، شرع ياكري وبوشناق في عملية تزويد فرنسا بحبوب الجزائر عن طريق الوكالة الإفريقية إلى أن وصلت ديونها إلى 2 مليون فرنك، وكانت الخزينة الفرنسية تدفع إلى ياكري وبوشناق مبالغ الحبوب لحسابهما، وباسمهما. وفي عام 1211هـ/1796م أصبح لياكري، وبوشناق في ميناء مرسيليا أكثر من أربعين ألف قنطار من حبوب الجزائر تم شحنها لصالح الوكالة الإفريقية لكي يتم تحويلها إلى الحكومة الفرنسية. ولكن يعقوب كوهين ياكري ابن يوسف ياكري جمدها في الميناء لما عجزت الحكومة الفرنسية عن دفع أثمانها. ينظر: جمال قنان، معاهدات الجزائر مع دول وممالك أوروبا، ص: 110.

⁶ هذا شهادة أبنائها فهذا الكاتب شارل يقول بهذا الصدد: "ما كانت هذه الحادثة إلا نريعة وبادرة تتعلق بالسياسة الداخلية قامت بها حكومة تعاني صعوبات، فقد حاولت أن تبحث لها عن عملية تحفظ بها هيبتها. ينظر: شارل روبري أجيرو، تاريخ الجزائر المعاصر، مع مقدمة من المؤلف خاصة بالطبعة العربية لعيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط:1، 1982، ص: 14.

الجزائرية، وأخيرا الاحتلال سنة 1246هـ/1830م.

وقد كان من وراء فرض الحكومة الفرنسية لهذا الحصار أسباب ودوافع مباشرة وأخرى غير مباشرة، منها ما كانت لها صلة بأحمد باي الممثل الأول على بابك الشرق، ومنها ما لم تمد له بصلة. ولكن كان لا بد من الخوض في كل هذه الأسباب حتى لا يمهل أي حدث تاريخي، هذا من جهة. ومن جهة أخرى حتى تُكوّن سلسلة من الأحداث تخلو من بعض الثغرات التاريخية.

*- الأسباب غير المباشرة: لقد حاول الكثير من المؤرخين الفرنسيين خاصة والأوروبيين عامة، أن يجعلوا من قضية المروحة السبب الرئيس لاحتلال فرنسا للجزائر، لكن حكومة فرنسا قد خططت ودبرت له منذ فترة طويلة، وهذا ما سيُبين من خلال ما سنبرزه من أحداث تاريخية، هذه الأخيرة أظهرت بأن الحكومة الفرنسية كانت ترمي إلى احتلال الجزائر منذ زمن بعيد، فاختارت بذلك الوقت الملائم لتحقيق هدفها المسطر؛ وقد بحثت السلطات الفرنسية على الشخصية الملائمة التي يمكن لها أن توتر العلاقات بين الطرفين، فلم تجد سوى قنصلها بالجزائر "بيار دوفال" Duval Pierre (1230-1242هـ)/(1815-1827م)⁽¹⁾ الذي أتقن أداء أدوار التمثيلية الناجحة التي أدّت إلى نشوب أزمة حادة بين الجزائر وفرنسا⁽²⁾، فنتج عنها إرسال الأسطول البحري الفرنسي بغرض تأديب حسين باشا وثأرا لكرامتها-على

¹ بيار دوفال: كان يبلغ من العمر عام 1239هـ/1825م خمسة وخمسين سنة، ابن لمتّرجم فرنسي. كان يتكلم اللغتين العربية والفرنسية بفصاحة. كتب عنه الكابيتان كران في تقريره الذي سلّمه للشرطة الفرنسية بمرسيليا سنة 1239هـ/1825م، أنه كان غير مرغوب فيه بين الأوساط الأوروبية، ذلك لأنه كان يتعامل إلا مع الأتراك واليهود. أمّا القنصل الأمريكي (1229هـ/1815م) فكتب عنه يقول: "إنه عميل للأمرء، كما وصفه بعدم الكفاءة. ينظر: Charles Endrè Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, P : 24.

في حين وصفه حسين مؤنس: "بأنه فرنسي فاسد الخلق، كاذب. فهذا الرجل كان يدّعي أنه يمثل المصالح الفرنسية ولكنه كان يتاجر لحساب نفسه، كما كان زير نساء عربيّدا وهو دبلوماسي مشكوك في أمره. ينظر: تاريخ المغرب وحضارته، ص: 378-379. الرأي نفسه ذهب إليه بعض المؤرخين، فنذكر أحدهم بأنه كان شخصية غير لامعة ولم تكن له الخبرة الكافية التي كان يجب على كل قنصل أن يتمتع بها. ينظر:

Claude Bontems, Les institutions Algériennes sous la domination turque, P : 54

كما وصف بذلك الشخص الانتهازي المشبوه فيه. ينظر: بيار أجيرو، تاريخ الجزائر المعاصر، ص: 14.

² لقد جرت العادة على أن لا يلتحق القناصل الأوروبيين بمناصبهم في الجزائر إلا بعد استشارة الباشا وموافقة السلطات على قبولهم، وكثيرا ما تم تغييرهم بناء على طلب من السلطة الجزائرية، وهو تقليد كان جاري العمل به في ذلك الوقت. ينظر: جمال قنان، الأزمة الجزائرية، مجلة التاريخ، مركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الثاني من 1984، رقم: 17، الجزائر، ص: 13. وهؤلاء القناصل الذين يقيمون في الجزائر لا يتصلون بالسلطات إلا بوصفهم قناصل. ينظر: شارل، مذكرات شارل، ص: 105.

زعمها-، ثم انتهت بظهور سلسلة من الأحداث، أولها الحصار ثم الاحتلال. ولكن هناك أسباب أخرى هي الفعلية والحقيقية التي غيبتها الخطاب الفرنسي سواء ذلك الذي كان على لسان ضباطها أو مؤرخيها⁽¹⁾ أو حتى على لسان بعض المؤرخين العرب، ومن بين هذه الدوافع نذكر:

أ-المطالب الإقليمية⁽²⁾: لقد كان الصراع على أشده بين فرنسا وانجلترا⁽³⁾ من أجل بسط سلطانها ونفوذها على حوض البحر الأبيض المتوسط عامة، وعلى الجزائر خاصة، لما كانت تتمتع به هذه الأخيرة من موقع استراتيجي، ولما كانت تملكه من ثروات؛ خاصة منطقة عنابة، التي كانت محل طمع لكل الدول، نظرا لموقعها التجاري، فالوضع الملائم لمينائها وملاءمته للملاحة لم يخف على الكثير من التجار الأوروبيين خاصة الفرنسيين منهم⁽⁴⁾ ونتيجة لما كانت تتوفر عليه من ثروات طبيعية⁽⁵⁾؛ من أجل ذلك حاولت الحكومة الفرنسية الاستيلاء عليها حتى تتمكن من امتلاك مركزا تجاريا وحربيا بشمال إفريقيا، منافسة في ذلك انجلترا التي كانت صاحبة السيادة في المنطقة⁽⁶⁾. كما كانت ترغب من وراء ذلك إلى

¹ إن الحملة العسكرية التي شنتها الفرنسيون على الجزائر لم يكن الهدف منها تأديب الداي أو نأرا الكرامة فرنسا، بل كانت فكرة اختمرت طويلا في أذهان ملوك وأباطرة فرنسا ابتداء من هنري الرابع ومرورا بلويس الرابع عشر ونابليون بونابرت، فلقد هددوا جميعا وتوعدوا وحاولوا وأقسموا ولكن في النهاية لم يفلحوا. ينظر: حمدان خوجة، المرأة، ص: 5. وما يؤكد صحة هذه المعلومات نص الوثيقتين. فأما الوثيقة الأولى فهي عبارة عن مذكرة مؤرخة في 1240هـ/1826م والتي بمقتضاها أعلنت فرنسا نيّتها في فرض الحصار البحري وذلك قبل حادثه المروحة بخمس أشهر. أما الثانية فتمثلت في رسالة وجهها وزير الخارجية إلى الداي حسين في عام 1241هـ/1826م، وهي التي تعمد دوفال عدم تسليمها إلى الداي. ينظر: جمال فتان، معاهدات الجزائر مع بول وممالك أوروبا، ص: 15.

² اتفق جملة من المؤرخين على تسميتها كذلك. وقد أخذنا بذلك.

³ لقد كان اهتمام انجلترا بالبحر الأبيض المتوسط محدودا في القرنين السادس عشر والسابع عشر وكاد أن يكون فأصرا على أعمال شركة (الليفانت) التي تأسست سنة 989هـ/1581م، ولذلك كانت انجلترا ثاني دولة تسعى إلى إنشاء قنصلية بالجزائر، ولكن هذا التمثيل القنصلي الإنجليزي كان منقطعاً مثل التمثيل القنصلي الفرنسي. ومن بين الاتفاقيات التي عقدتها الجزائر مع هذه الدولة تلك التي تمت عام 1222هـ/1807م وبمقتضاها تنازلت لها الجزائر عن حصن القالة لمدة محدودة. ينظر: عبد الرحمن الجبالي، تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 470.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 204.

⁵ وأصدق دليل على ذلك ما جاء في نص الوثيقة التي عرضت على أحمد باي من أجل استسلامه، من بين ما جاء فيها تسليم مدينة بونة "عنابة" لكي يتخذ من مرساها مركزا لصادراتها ووارداتها بدلا من مرسى تونس. ينظر: المهدي البوعبدلي، جوانب من تاريخ بونة الثقافي والسياسي عبر العصور، الأصالة، س: 5، جمادى الثانية، رجب 1396هـ/1976م، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ص: 220.

⁶ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص: 448. وخاصة بعدما أصبحت انجلترا تتمتع بنفوذ سياسي في شبه جزيرة اليونان. ينظر: إبراهيم المياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ص: 18.

تأسيس إمبراطورية استعمارية مترامية الأطراف لا تبعد كثيرا عن الوطن الأم⁽¹⁾.
 ب- الأسباب الاقتصادية: تعددت وتتنوع الأسباب الاقتصادية التي دفعت
 بفرنسا إلى فرض الحصار على السواحل الجزائرية بما فيها الساحل الشرقي نذكر
 منها: جلب المعادن الضرورية من الجزائر إلى فرنسا لتتم عملية دوران عجلات
 الصناعة فيها، كذلك لجعلها مستوطنة للأعداد الكبيرة من الفرنسيين خاصة
 والأوروبيين عامة للاستيلاء على أجود أراضيها واستغلال ما فوقها وما تحتها من
 خيرات وثروات.

كما حاولت السلطات الفرنسية من خلال احتلالها للجزائر كسب رضا الطبقة
 البرجوازية التي وصلت إلى السلطة مع قيام الثورة عام 1204هـ/1789م، بعدما
 تحطم الإقطاع⁽²⁾، من أجل ذلك انضمت هذه الطبقة إلى الملك شارل في عدوانه
 على الجزائر وذلك من أجل تحقيق مصالحها بالدرجة الأولى⁽³⁾.

ج- الأزمة الداخلية في فرنسا: لا يمكن معرفة الأسباب الحقيقية لهذه الأزمة
 دون الإطلاع على الأحوال العامة داخل فرنسا؛ فعند وفاة لويس الثامن عشر سنة
 1238هـ/1824م كانت الحكومة الفرنسية في أيدي طبقة الملكيين، التي كسبت
 تعاطف وتأييد الملك الجديد شارل العاشر، الذي أعاد الكثير من الامتيازات لرجال
 الدين وأعطى لطبقة الأشراف مليوناً من الفرنكات كتعويض على ما فقده أثناء
 الثورة الفرنسية، كما ألغى حرية الصحافة وجرّد معظم أفراد الطبقة الوسطى من
 حق الانتخاب؛ كلّ هذه الإجراءات أدت إلى ظهور علامات السخط والتذمر بين
 أفراد الشعب، حينها شعر شارل العاشر وجماعته بأن تيار الشعب الفرنسي يسير
 ضدهم، فرأوا أنّ الحل الوحيد للخروج من هذه الأزمة وامتصاص غضب الرعية،

¹ حمدان خوجة، المرأة، ص: 5.

² لقد ازدهرت خلال الحروب النابليونية الصناعة الفرنسية وتكدست منتجاتها وفاضت على حاجة البلاد، ولم
 تجد أسواقاً واسعة لامتصاصها، بينما نمت البرجوازية الإنجليزية في هاته الفترة على حساب فرنسا التي ضيعت
 بعض مستعمراتها بعد سقوط نابليون، فغزت البرجوازية الإنجليزية، بينما الإنتاج الاقتصادي للبرجوازية
 الفرنسية قد ازدهر كثيراً مما جعل هذه الطبقة تندفع نحو سياسة استعمارية نشيطة وتدخل حلبة التنافس
 والتصارع، بل والتقاتل من أجل توسيع دائرة النفوذ، وبناء المستعمرات التي هي بمثابة البقر الحلوب بالنسبة
 للدول الاستعمارية. ينظر: إبراهيم المياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ص: 22.

³ المرجع نفسه، ص: 22.

هو التفكير والتخطيط لشن حملة عسكرية ضد الجزائر للبت في الروح الوطنية ولمنع أو على الأقل تأجيل الثورة التي كانت متوقعة⁽¹⁾.

*- الأسباب المباشرة: من بينها، ما عرف بحادثة المروحة المشهورة. وأصل هذه الواقعة تعود إلى الزيارة التي قام بها القنصل الفرنسي "بيار دوفال" "Pierre Duval" من أجل تقديم تهانيه للباشا حسين بمناسبة عيد الفطر كما كانت تقتضيه العادة والعرف المتداول عليهما في تلك الحقبة التاريخية، وأثناء تلك المقابلة جرى حوار بين حسين باشا والقنصل دوفال⁽²⁾، انتهى بإثارة غضب الباشا⁽³⁾، هذا الأخير من فرط غضبه ضرب القنصل بالمروحة التي كان يحملها في يده⁽⁴⁾. وما أثير نقاشه في هذا الحوار الساخن مسألة تحصين الباسطيون⁽⁵⁾، وقضية حجز الرسائل المبعوثة من طرف الباشا إلى الحكومة الفرنسية المتضمنة أمر تسوية الديون، التي اتخذت منعرجا خطيرا.

فأمّا المسألة الأولى، فبسببها يعود إلى مفاتحة القنصل دوفال الباشا في أمر طلاق سراح الأسرى الفرنسيين الذين تم أسرهم من طرف البحارة الجزائريين، فلقد ظن القنصل أنه في مثل هذا اليوم العظيم والسعيد لدى المسلمين يمكنه أن يستجيب له الباشا وينفذ طلبه هذا، ولكن ما حدث كان العكس، بحيث اشتد غضب الباشا

أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج: 2، ص: 257. ولم يكن السبب الرئيس من وراء هذه حملة، فهناك أسباب أخرى من بينها: إيجاد ميدان للجيش الفرنسي الذي فرض عليه مؤتمر فينا البقاء المستمر في الثكنات، ويعتبر هذا في نظر الجميع خطرا يهدد الحكم القائم من حين لآخر. أيضا عمل شارل العاشر أنصاره على كسب أكبر عدد ممكن من المقاعد في الانتخابات التشريعية التي تحدد إجراؤها، وتكون حملة جزائر أكبر وسيلة دعائية. ينظر: إبراهيم المياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ص: 19.

أجري هذا الحوار باللغة التركية ولم يكن بينهما مترجم، وهذا يؤكد صحة المعلومة التي نكرت بأن هذا قنصل كان يجيد اللغة التركية. ينظر: E. Le Marchand, L'Europe et la conquête d'Alger D'après des documents originaux tirés des archives de l'état, Librairie académique Perrin et C^{ie}, 1913 P: 106

كتب حسين باشا في سنة 1240هـ/1826م إلى وزير الخارجية الفرنسي فيلال طالبا منه تغيير دوفال بقنصل آخر يكون أحسن منه سلوكا، وأكثر خبرة بأمور السياسة وحكم، فقد اتهمه حسين باشا بمشاركته في المؤامرة، أنه شخصا مشكوكا في استقامته وأخلاقه. ينظر: Charles André Julien, Histoire de l'Algérie, P: 26. هذه المعلومات أوردتها معظم المصادر والمراجع المستعملة في هذا الفصل.

الباسطيون: كلمة تستعمل للدلالة على المكان الذي بنى فيه الفرنسيون بعض المساكن لإيواء صيادي المرجان، كما ضم مخازن لحفظ هذه البضاعة. ينظر: جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، ص: 91. أمّا حسين باشا فوصفه بأنه مبنى صغير يمكن أن يقيم فيه ثلاثة إلى خمسة أشخاص. ينظر:

Kuran, Erkament, La lettre du dernier Dey d'Alger au grand Vizir de l'Empire Ottoman, R. A N: 96, 1952, P: 191.

منهما دوفال بأنه حصّن وسلّح الباستيون⁽¹⁾، بالرغم من أوامره الصارمة والواضحة في ذلك⁽²⁾. فلقد قامت السلطات الفرنسية ببناء حصن ووضعت أربعة عشر مدفعا من حديد ومدفعين من نحاس ومنجقين، كان يقوم على حراستها وصيانتها أكثر من مائة جندي تحت مراقبة وكيل القنصل الفرنسي بعناية المدعو "ألكسندار دوفال" Alexandre Duval⁽³⁾.

وعندما شاعت أخبار تسليح الباستيون ووصلت إلى مسمع المراكنتي،⁽⁴⁾ قام هذا الأخير بإبلاغ أحمد باي، ونظرا لخطورة المسألة والموقف، قام الباي بإعلام الباشا حسين. حينها استدعى الباشا القنصل دوفال طالبا منه تقديم توضيحات عن ما كان يجري في كلّ من مدينتي القالة وعباية، فزعم معللا أنّ الرعية القاطنة بالمنطقة كانت تقلق الفرنسيين المتواجدين هناك وذلك بارتكابهم لعمليات سطو وسرقات منكرة، لهذا السبب فقط اتخذ المسؤولون على الباستيون إجراءات أمنية من أجل تخويفهم، فصنعوا مدفعين من خشب تظهر وكأنها حقيقية ووضعوها أمام نوافذ المبنى، ثم أضاف بأنّ هذه الإجراءات عبارة عن إستراتيجية اعتمدها معظم ممثلي

لم تكن تلك المرة الوحيدة التي حصن فيها الباستيون، فبالرغم من الأوامر الصارمة التي تمنع منعاً باتاً تصنيعه منذ العهود السابقة، إلا أنّ السلطات الفرنسية لم تتوان على فعل ذلك، لأجل هذا أصدرت السلطات الجزائرية أمراً بتمميده سنة 1013هـ/1604م؛ أيضاً من بين الأسباب التي دفعت السلطة العثمانية إلى تحطيم الباستيون هو أنّ الفرنسيين قاموا بشراء القمح من الأهالي من أجل بيعه للأوروبيين بالرغم من القحط الذي عمّ البلاد في تلك الفترة، ممّا أغضب السلطة. وبعد كلّ هذه الأحداث أعيد بناؤه سنة 1038هـ/1628م، إلا أنّه بعد تسع سنوات أصدر أمراً بتهديمه بعد أن ساءت العلاقات الجزائرية الفرنسية. ولكنّه أعيد بناؤه من جديد سنة 1050هـ/1640م. ينظر: كوران أرجمنت، السياسة العثمانية اتجاه احتلال فرنسا للجزائر، ص: 19.

²-H. D. Le Grammont, Histoire de l'Algérie sous la domination turque 1515-1830, Arnest Leroux, Editeur, 1887, P : 38.

³-"الكمندر دوفال" Alexandre Duval: هو ابن أخ القنصل الفرنسي بيار دوفال. استلم مهامه في الجزائر سنة 1239هـ/1229م، وصف بأنه رجل طموح وعنصري فلقد تابع سياسة عمه بعدما توفي هذا الأخير بوباء لكوليرا سنة 1243هـ/1827م. عاد إلى الجزائر مع الحملة الفرنسية سنة 1246هـ/1830م، وانضم إلى مجلس الحكومة الفرنسي. ينظر: Capitaine Maitrot, Bône militaire, P : 151.

⁴المراكنتي: عادة ما يكون هذا الأخير شخصا مثقفا وموكلا مباشرة من طرف الباي، ويضطلع بمهام التحصيل الجمركي في ميناء عباية، كما يعتبر ممثلا للتجارة الجزائرية في هذه المدينة. وكان يتولى تطبيق الأوامر التي كانت تصله من الباي فيما يخص السماح أو منع تصدير السلع، إلى جانب اهتمامه باستقبال وشراء السلع وتخزينها ومراقبة والوقوف على شحن هذه السلع على متن السفن الأجنبية. ينظر: Derdour, Annaba, P:42. كما كلف بمراقبة ومنع الغش والتهريب وعدم السماح للشركة إلا بشحن الكميات المسموح لها بها فقط. كما كان مسؤولا على مخازن الباي في عباية حيث كلف باستقبال القمح الذي تحضره القبائل، ووزنه، ثم حفظه في المخازن، ومن ثم الوقوف على عملية بيعه حسب الأوامر التي كان يتلقاها من الباي. ينظر:

Journal de Bone, 9, 21, 1783, Archive de C. C. I, Marseille, L.3 / 1217, P:2

ولقد أسند أحمد باي هذه الوظيفة للمدعو الحاج عمار بن زقوطة الذي سوف يأتي الحديث عليه لاحقا.

الدول من أجل إخافة وإبعاد اللصوص، لكنّ الباشا حسين لم يقتنع بهذا الطرح المزيف، لهذا أمر أحمد باي بإرسال رجلين نقاة إلى القالة⁽¹⁾ للتحقيق في المسألة. وبعد عملية البحث تعين له صحة الأخبار الواردة عليه والتي مفادها أنّ السلطات الفرنسية قامت بتسليح الباسطيون⁽²⁾. ولقد دلت بعض المعلومات الواردة في رسائل أحمد باي على تواجد أسلحة في الباسطيون، ممّا يؤكد صحة هذه المعلومات التاريخية؛ فلقد ذكر المراكنتي لأحمد باي أنّهم وجدوا ست مدافع قديمة مطروحة أرضا و أمّا المدافع الجديدة فحملوها معهم عند مغادرتهم لمدينة القالة⁽³⁾. فيما تمثلت المسألة الثانية في حجز الرسائل المبعوثة من حسين باشا لممثلي السلطة الفرنسية. فمن ضمن ما دار من حوار بين الباشا والقنصل دوفال استفسار الباشا حول موضوع الرسائل التي لم يتلق عليها ردا. فسأل الباشا دوفال قائلا: "ما الأسباب التي دفعت بحكومتك على عدم الرد على رسائلي؟" فكان جوابه: "هل تعتقد صراحة أن تتحصل على إجابة من حكومتي، لن تكتب لك هذا غير مهم"⁽⁴⁾. في حين ذكر حسن دردور أن جوابه كان بالشكل التالي: "لن تتدن أبدا حكومتي وتكتب لداي بربروسي، ولا أن تضع قيمة لاعتراضاتك"⁽⁵⁾.

أمّا الباشا حسين فقد ذكر في التقرير الذي أرسله للسلطان العثماني أنّ القنصل الفرنسي دوفال ردّ على أسئلته بكلّ غرور ووقاحة قائلا: "إنّ ملك فرنسا لن يستطع أن يردّ جوابا على الرسائل التي بعثتها". ثم أضاف عبارات تسيء للدين الإسلامي وإلى حضرة السلطان العالي. وأمام هذا الموقف لم يحتمل الباشا هذا التعدي لكلّ الحدود المشروعة حينها لم يستمع إلا لصوت العزة والشجاعة وطبيعة

¹ هؤلاء هما الحاج عمار بن زقوطة وابنه الحاج مكي، لكنّ الروايات التاريخية تذكر أنّهما لم يدخلوا داخل الباسطيون ولكنهما تحريا الأمر من بعيد. وأمام غياب النص التاريخي في رسائل أحمد باي فتبقى هذه المعلومات دون تأكيد سواء بالتصديق أو بالتكذيب. ينظر: Derdour, Annaba 25 siècle de lute, P : 204.

² -Maitrot, Bône militaire, P : 152.

³ الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 13 ذي الحجة 1242هـ/1827م.

⁴ ينظر كلّ من: Et : E. Le Le Grammont, Histoire de l'Alger sous la domination turque, P : 389.

Marchant, L'Europe et la conquête, P : 106.

أيضا: أحمد توفيق المندي في مرجعه: عثمان باشا داي الجزائر، ص: 75.

⁵ -Derdour, Op. Cit, P : 205.

الإنسان المسلم، فضربه مرتين أو ثلاثة بمروحته⁽¹⁾ التي كان يمسكها بيده⁽²⁾.

أما القنصل الفرنسي دوفال فكتب في العريضة التي قدّمها لـ "دوماس" "Daumes"⁽³⁾ وأعضاء المجلس تفاصيل الحديث الذي دار بينه وبين الباشا حسين، فذكر بأنّ الباشا اتهمه بالخيانة وحجز الرسائل، وعندما أراد التعقيب ضرّبه بالمروحة وطرده من مجلسه⁽⁴⁾.

في حين يرجع بعض الباحثين إلى أنّ الردّ العنيف للباشا حسين كان سببه الحالة النفسية السيئة التي كان عليها، فأخبار هزيمة الأسطول الإسلامي عامة والأسطول الجزائري على وجه الخصوص في معركة نافارين عام 1242هـ/ 1827م⁽⁵⁾، جعل من الداوي عصبي المزاج عند مقابله للقنصل⁽⁶⁾. ومهما كانت الأسباب فلقد اجتمعت كلّها لتجعل من العلاقات الجزائرية الفرنسية تسوء أكثر

¹ وقعت حادثة المروحة في قاعة خشبية موجودة في مؤخرة الدور الثاني من قصر الجنيّة. ينظر: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ص: 363.

² Kuran, Erkament, La lettre du dernier Dey d'Alger au grand vizir, R. A. 1952, P: 190.

المعلومات نفسها أنّها كلّ من: (حمدان خوجة، في كتابه: المرأة، ص: 180)، (جمال فتان، في مقاله: الأزمة الجزائرية، ص: 15)، (ناصر الدين سعيدوني، في مرجعه: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 81).

³ "دوماس: هو "أجين دوماس" "Eugène Dumas" (1218 - 1255 هـ/ 1803-1871 م). كان قائدا عسكريا؛ تخرج من مدرسة الخيالة برتبة نقيب مساعد سنة 1242 هـ/ 1827 م. وفي سنة 1250 هـ/ 1835 م ترقى إلى رتبة نقيب مدرب في جيش قناصة إفريقيا، وبعد معاهدة تافنة عام 1253 هـ/ 1837 م عين قنصلا لفرنسا بمعسكر خلفا للقنصل الأول متاقيل. وشغل هذا المنصب من 1253 هـ/ 1837 م إلى عام 1255 هـ/ 1839 م عشية استئناف الحرب. ينظر: مذكرات الأمير عبد القادر، سيرته ذاتية، تحقيق: محمد الصغير بناتي، ومحفوظ سماتي ومحمد الصالح أجون، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، ص: 134.

⁴ E. Le Marchand, L'Europe et la conquête, P P: 72-73.

⁵ معركة نافارين: في 8 من رجب سنة 1242 هـ/ 5 فبراير 1827 م، عرضت إنجلترا رسميا على الدولة العثمانية العلية توسط جميع الدول بينها وبين التابعين لها، فلم تغل ذلك بل أجابت سفير إنجلترا بتاريخ 15 من ذي القعدة من السنة نفسها وبعد التروي والتأمل في عاقبة هذا التدخل أنّها لم تسمح ولن تسمح به مطلقا. فاغتازت الدول من هذا الجواب، فاتفقت كلّ من فرنسا وإنجلترا وروسيا بمقتضى وفاق تاريخه 11 من ذي الحجة من السنة نفسها على إلزام الباب العالي بالقوة بمنح بلاد اليونان استقلالها الإداري بشرط أن يدفع اليونانيون ضريبة معينة يتفق على مقدارها فيما بعد، كما يتم الاتفاق على حدود الفريقين، وأمهلوا الباب العالي شهرا لإيقاف الحركات العنوانية ضد اليونان وإلا فسوف تضطر هذه الدول لاتخاذ طرق أخرى لتنفيذ مرغوبها. ولما بلغت صورة هذه المعاهدة إلى الباب العالي لم يحفل بها. وبعد انقضاء الشهر أصدرت الدول الثلاث أوامرها إلى قواد أساطيلها بالتوجه إلى سواحل اليونان وطلبت بعد ذلك من إبراهيم باشا الكف عن القتال فأجابهم أنّه لا يتلقى الأوامر إلا من سلطانه أو أبيه. ومع ذلك فإنّه قبل إيقاف الحرب مدة عشرين يوما ريثما تأتيه تعليمات جديدة. وترىص هو وجنوده على أهية القتال. واجتمعت سفن الثلاث دول المتحالفة في ميناء نافارين لمنع "الدونانتمين" التركية والمصرية من الخروج منها. وفي 28 ربيع أول سنة 1243 هـ/ 19 أكتوبر 1827 م، تكامل اجتماع سفن الدول المتحدة، ولم تثبت السفن المقابلة لبعضها حتى نشبت نيران الحرب بين الفريقين لسبب واه وساطت القوات الأوروبية مدافعها على المراكب العثمانية بعد أن استمر القتال لمدة ساعات انتهى بانتصار قوات الحلفاء الأعداء على الأسطول الإسلامي. ينظر: فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص: 426-427.

⁶ H. D. Grammont, Histoire de l'Alger sous la domination turque, P: 390.

وتتحرك نحو القطيعة.

2- الحصار الفرنسي على السواحل الشرقية:

لقد انتهت الأزمة التي نشبت بين الجزائر وفرنسا بالقطيعة في العلاقات والمعاملات على كل الأصعدة، السياسة والدبلوماسية⁽¹⁾ والاقتصادية. لهذا قررت فرنسا أن تفرض حصارا بحريا⁽²⁾ على كل السواحل الجزائرية بما فيها السواحل الشرقية، هذه الأخيرة كانت بمثابة الكنز الذي سوف تحاول السلطات الفرنسية جاهدة للاستحواذ عليه بشتى الوسائل والطرق خاصة القهرية منها.

ففي سنة 1243هـ/1827م، وصل إلى ميناء الجزائر الأسطول الفرنسي "لابروفانس" "La Province" يحمل معه عريضة تضم مطالب الحكومة الفرنسية⁽³⁾، وتطالب فيها بتقديم الاعتذارات اللازمة للقنصل الفرنسي ولحكومة فرنسا، ولن يتم ذلك إلا بإرسال وفد مكون من كبار الشخصيات، من بينها: وزير البحرية والشؤون الخارجية "وكيل الخرج"⁽⁴⁾، وأن يتوجهوا إلى سفينة الراسية على شاطئ مدينة الجزائر، وأمام الملاء يعلن وكيل الخرج نيابة عن الباشا حسين اعتذاره على سلوك الباشا الغير المتحضر اتجاه قنصلهم، وبعدها تطلق مائة مدفعية لتحية الأسطول الفرنسي⁽⁵⁾، كما يجب أن يرترف العلم الفرنسي فوق قصر الداوي والقصبية⁽⁶⁾. وإن لم

¹ لقد أحصيت جميع المعاهدات أو الاتفاقيات التي أبرمت بين كل من الحكومة الجزائرية والفرنسية — 58 معاهدة، وبلغ عدد مبعوثيها السياسيين 96 مبعوثا فرنسيا. ومن أجل تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع ينظر: جمال قتان، علاقات الجزائر مع دول وممالك أوروبا.

² الحصار البحري: "BloKade" عملية إحاطة لشواطئ البلد المستهدف بسفن حربية، بغية عزل تلك الشواطئ وما فيها من موانئ ومنع السفن من ارتيادها، بقصد حرمان البلد المستهدف ما يحتاج إليه من ذخائر وأسلحة ومؤن ومعدات. ينظر: الموسوعة العسكرية، ج: 1، ص: 817.

³ لقد عرضت بنود هذه العريضة على بعض الساسة الفرنسيين، وعلى رأسهم القنصل دوفال وقبطان السفينة لوبوتي توماس "Le petit Thomas" قبل أن تصاغ في شكلها النهائي. ورغم شروط الترضية القاسية، فقد اعتبرت في نظر الساسة والقادة أفضل العروض الثلاثة التي يمكن المطالبة بها، فهي في نظرهم أقلها مهانة وإثارة لنفوس الجزائريين. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 81-82.

⁴ من أجل معرفة تفاصيل أكثر حول هذه الشخصية ينظر: الفصل الأول، المبحث الأول، ص: (46).

⁵ من خلال رسالة وجهها كولي لحسين باشا سنة 1242هـ/1827م. ينظر: H. Klien, Feuillet d'el Djezair, La comit  du vieil Alger, Imprimerie Oriental Fontana, Alger, 1910, P : 111.

⁶ بالإضافة إلى المعلومات السابقة الذكر أضافت مجموعة من المصادر والمراجع الشرط الأخير. ينظر كل من: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 45. أيضا من خلال الرسالة بعثها حسين باشا إلى

السلطان العثماني. ينظر: Kuran, Erkament, R. A, 1952, P : 191. Voir aussi : Eng ne Plantet, Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France, P : 564.

تفد هذه المطالب في أجل حدد بأربعة وعشرين ساعة تبدأ القطيعة فوراً بين الحكومتين⁽¹⁾.

ولكنّ الباشا حسين رفض هذه المطالب واصفاً إياها بالشروط الغير المعقولة والمهينة، والمسئئة إلى الشرف والدين الإسلامي، وردّ على طلبهم بكلّ حزم وصرامة مؤكداً⁽²⁾ "أنّ مثل هذه الشروط لا تصدر من حكام أذكىاء، ولكنها تصدر من مجانين محجوزون في مصحة، وإذا أردتم توضيحات حول هذه القضية، ابعثوا لنا رجلاً حكيماً وليقم بتحقيق، وسوف يتأكد لكم من أنّ القنصل دوفال الدسيس لا يصلح لنا ولا لكم، وإلى حين تعيين قنصل آخر تتوفر فيه الخبرة والكفاءة والاستقامة، فلن يؤخذ بعين الاعتبار هذه المطالب المهينة والشاتمة التي وردت في عريضتكم، وإذا بعثتم إلينا من يتباحث معنا باسمكم في غدو الأربع والعشرين ساعة المقبلة فتأكدوا من أنّ الأمور سوف تتوضح لديكم⁽³⁾، وإلا فسوف تكون القطيعة"⁽⁴⁾.

ونتيجة لكون موقف الطرفين المتنازعين-الجزائري والفرنسي- متناقضاً بهذا الشكل، فإنّ التوفيق بينهما أصبح غير ممكناً، وهذا ما انجرّ عنه القطيعة بين الطرفين وإعلان تطبيق الحصار البحري على السواحل الجزائرية.

فبتاريخ 19 من ذي القعدة سنة 1242هـ/14 جوان 1827م حرر أحمد باي عريضة يخاطب فيها كبار الشخصيات بالبايلك، والقائمين على الجهاز العسكري، ويدعوهم من خلالها إلى التحري باليقظة وضرورة توعية الرعية بحساسية الوضع

¹ كان الهدف من تحديد أجل قبول هذه المطالب بأربع وعشرين ساعة فقط، هو تمكين قادة الأسطول الفرنسي من إرغام حكام الجزائر على قبول شروطهم القاسية والمذلة، ومحاولة دون أي استعداد حربي معاد قد يلجأ إليه الجيش الجزائري. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 82.

² لقد عرف على حسين باشا بأنه كان رجلاً عنيداً، إذ وصفه ناصر الدين سعيدوني بقوله: "إنّ المنتبغ لحياة الادي حسين يجد أنّ سلوكه لا يخل من الكياسة وأنّ طباعه المندفعة الجياشة لا تجعل منه رجلاً قاسياً متعظرساً، وأنّ عناده في بعض القضايا وتصلبه في بعض الأحكام يجعلانه شخصاً مهاباً وحاكماً مطاعاً. ينظر: معجم مشاهير المغاربة، ص: 157.

³ لقد نسبت بعض الروايات الفرنسية كلمة للباشا، تصور مدى استفزازه واستهجانته للسلوك الفرنسي المعادي لسلطته والموجه ضد شخصه بالذات، فحسب هذه الرواية أنّ الادي حسين صرّح غاضباً عندما عرضت عليه شروط الترضية التي طالب بها الفرنسيون، قائلاً: "أتعجب كيف لم يطلبوا مني زوجتي أيضاً". ينظر: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 82.

⁴ -Kuran, Erkament, R. A. 1952, P : 191.

الذي تعيظه الجزائر عامة⁽¹⁾. ويتضح من خلال نص هذه العريضة أنّ السلطات الجزائرية كانت تتحسس وقوع أحداث وردود فعل عدوانية من طرف السلطات الفرنسية.

ورغم ذلك فإنّ السلطات الجزائرية على مستوى الشرق الجزائري والممثلة في شخص أحمد باي كانت واعية بالتزاماتها الدبلوماسية والإدارية. ففي هذه الوثيقة نجد ما يؤكد عدم الاعتداء على "النصارى الفرنسيين"⁽²⁾، الذين كانوا متواجدين في كلّ من مدينتي عنابة والقالة، ولقد كان هذا الأمر ملزم التطبيق على الجميع، لدرجة أنّهم خصوا "بأمان الله لا ينالهم مكروه"⁽³⁾ وإن أرادوا الانتقال إلى بلادهم برضاهم وطواعيتهم فلا يمنعهم عن ذلك أحد "ولا يتعدى عليهم، ويرفعون مالهم وأمتعتهم عن آخرها بحيث لا يضيع لهم شيء أصلاً"⁽³⁾.

فمن خلال هذه الفقرة تتبين عدّة أمور قد أنكرتها الكتابات الفرنسية، من بينها، أنّ السلطة الحاكمة بالرغم من سوء العلاقات، ومن كلّ المؤامرات التي حيكت ضدّ الجزائر، إلا أنّها لم تستغل الموقف باننقامها من الرعايا الفرنسيين المقيمين في كلّ من مدينتي القالة وعنابة، لكنّ ما حدث هو العكس، فلقد ضمنت لهم أرواحهم وأموالهم إن أرادوا الرحيل أو البقاء⁽⁴⁾.

وبعد هذه الأحداث، أرسل أحمد باي تقريراً إلى الباشا بتاريخ 29 ذي القعدة من سنة 1242هـ/جوان 1827م⁽⁵⁾، ذكر له فيه بأنّه في يوم السبت 28 من الشهر نفسه وهو مقيم بقناق حمزة وصلته رسالتين، إحداهما من علماء عنابة والأخرى من

¹ - E. Bigonet, Une lettre d'un Bey de Constantine, R. A, 1899, P : 166-167.

² - يسميهم أحمد باي في رسالته بـ "الفرنسيين".

³ - ذكر حسن درور أنّه بقي في مدينة عنابة بعد القطيعة بعض الرعايا الفرنسيين، هؤلاء عاملهم الجزائريون بمنتهى الاحترام ولم يحدث أيّ اعتداء على أحدهم، وذلك تنفيذاً للأوامر الصارمة التي أصدرها الباشا حسين وصير على تنفيذها أحمد باي. ينظر:

H'sen Dourdour, Annaba. 25 siècle de vie, P : 207.

⁴ - ما ميز نص هذه الوثيقة وضوح العبارات واختصار مدلولها، فكلمة حملت معناها والهدف المرجو تحقيقه منها، كما لا يمكن تأويلها أو التلاعب فيها. وهذه الميزة تضاف إلى الجهاز الإداري الذي تميز بتنظيمه الدقيق بعكس ما أظهرته بعض الكتابات الأجنبية. ينظر:

E. Bigonet, Op. Cit, P : 166-167.

⁵ Ibid, P P : 166-167.

⁶ - الرسالة رقم: (11) في الترتيب العام للمجموعة.

ولد المركنتي⁽¹⁾، يعلماه فيهما بدخول سفينتين فرنسيتين فذكر له أنه: "دخل إلى مرسى عنابة سكونة وكريبط"⁽²⁾ قرصان فرنصيص⁽³⁾ وطلع لهما فنصر الفرنصيص⁽⁴⁾ ووكيل الكبانية⁽⁵⁾ ونصاري فرنصيص⁽⁶⁾ ولما علموا بطلوعهم طبعوا على ديارهم وعملوا لها تاويلا"⁽⁷⁾.

فمن خلال هذه الفقرة المتباينة يمكن استنتاج ثلاث خطوات اعتمدها المسؤولون على مستوى مدينة عنابة، تمثلت في:

- أن السلطات الممثلة في شخص أحمد باي رفضت المواجهة الفورية مع ممثلي الحكومة الفرنسية، ذلك أن الأوامر كانت "بالطبع على ديارهم عند رحيلهم" وليس قبل ذلك. وهذا ليس خوفا منهم، ولكن تفاديا لتأزم الوضع أكثر مما هو عليه. - أما الخطوة الثانية فتمثلت في رحيل كل من ممثلي السلطة الفرنسية بما فيهم وكيل القنصل ألكسندر دوفال ووكيل الكبانية والراعي الفرنسيين⁽⁸⁾ وعدم تدخل السلطات في هذا الأمر بمنعهم أو عرقلة عملية رحيلهم.

في حين كانت الخطوة الثالثة عبارة عن غلق كل المباني الفرنسية الموجودة بمدينة عنابة ومنع الدخول إليها، في انتظار الأوامر المقبلة.

كما يضيف في نص الرسالة نفسها أنه يجب تشديد الحراسة ليلا ونهارا⁽⁹⁾، وهذا تطبيقا لما جاء سابقا في العريضة التي حررها أحمد باي قبل هذه الرسالة

¹ ولد مركنتي: هو الحاج مكي ابن عمار بن زقوطة، انضم إلى صفوف الجيش الفرنسي أثناء حملتهم على مدينة قسنطينة. توفي عام 1300هـ/1882م. ينظر: E. Bigonet, R. A, 1899, P : 174.

² "سكونة وكريبط: سفن حربية وتعني باللغة الفرنسية، "Corvette de guerre, Vaisseau" ينظر:

Charles Féraud, La Calle, P : 607.

Ibid, P: 607.

³ قرصان فرنسي: يقصد بهم البحارة القائمين على تسيير السفينة. ينظر:

⁴ فنصر فرنسي: يقصد به وكيل القنصل الفرنسي ألكسندر دوفال الذي تم التعريف به سابقا.

⁵ وكيل الكبانية: هو ممثل الوكالة للأمة الفرنسية وتعني باللغة الفرنسية:

"Le représentant de la compagnie des nations Français". Voir: Op. Cit, P : 607.

⁶ نصاري فرنسي: يقصد بهم الراعي الفرنسيين المقيمين بمدينة عنابة.

⁷ الرسالة رقم: (11) في الترتيب العام للمجموعة.

⁸ لقد تم رحيلهم في 20 جوان من سنة 1242هـ/1827م، فلقد غادر فلكان مرسى عنابة حاملا على متنه 28

شخصا من الجنسين وكان من ضمنهم وكيل القنصل الفرنسي. ينظر: Charles Féraud, Op. Cit, P : 606.

في حين ذكر آخر أنه تم ذلك في يوم 15 جوان من السنة نفسها. ينظر:

L. Pechot, L'Afrique du Nord avant 1830, P : 564.

⁹ الرسالة رقم: (11) في الترتيب العام للمجموعة.

بحيث ذكر فيها بصريح العبارة أنه يجب على كلّ المعنيين بالأمر "وقوف الجِدِّ والاجتهاد والتيقظ والانتباه وتحرسون الحراسة التامة جهة البحر ليلا نهاراً"⁽¹⁾. ومن هنا يتبين أنّ السلطات الجزائرية كانت تتحسس وقوع أحداث وردود فعل غير مرغوب فيها من طرف الحكومة الفرنسية. كما أنّها كانت تتوقع أن يكون هذا التدخل العسكري من جهة البحر فقط، فلم يشر أحمد باي إلى الحراسة برا. وهذا ما يجعلنا نستبعد الهجوم البري، ذلك أنّ المنطقة منيعة ولا يمكن اقتحامها⁽²⁾.

كما نجده في الرسالة نفسها يطمئن حسين باشا ويعلمه بأنّ الأمور الأمنية بمدينة عنابة مستقرة. ويعلمه أيضا بأمر إرسال المدعو "الأغا حفصي"⁽³⁾ إلى الموضوع الذي أمره أن يتجه إليه لتنفيذ المهمة المسندة إليه⁽⁴⁾.

ولقد اتّضحت نوعية هذه المهمة التي أسندت للأغا حفصي من خلال التقرير الذي وجهه أحمد باي إلى حسين باشا بتاريخ 13 من ذي الحجة سنة 1242هـ/21 جويلية 1827م، وتمثلت في تدمير كلّ المباني التابعة لحكومة فرنسا. فلقد ورد في الرسالة ما نصه: "أنّ سي الحفصي بن عون قدم إلينا وخبرنا بأنّه لما وصل إلى الشيخ محمد بن مطير بمكتوبك الكريم فتلقاه بالقبول وأذعن بالسمع والطاعة لسيادتكم وجمع ناسه وذلك بعدما قدم إليهم البيانة وركب بنفسه في جماعته مع سي الحفصي ومضوا إلى القالة"⁽⁵⁾.

ومن خلال هذه الفقرات نتبين أموراً عدة من أهمها:

- أنّ الأوامر الموجهة للمدعو سي الحفصي لم تكن صادرة من أحمد باي

¹E. Bigonet, R. A, 1899, P: 166.

²موقع عنابة: كان ينحصر فوق الهضبة الصخرية المحاذية لشاطئ البحر والمطلّة على الجهات الداخلية المواجهة للغرب، الأمر الذي جعلها غير معرضة للرؤيا من ناحية البحر مع محاذتها له. وكان لهذا الموقع من الأهمية إذ يكسب المدينة ميزة كبيرة بحيث يجعلها في مأمن من غارات الأساطيل المهاجمة ويرد عنها طلقات المدافع المفاجئة، ومن جهة أخرى يساعد على سهولة اتصال المدينة بداخل البلاد، ما يؤهلها لأن تصبح مدينة حصينة. ينظر: ناصر الدين سعيوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص ص: 201-202.

³أغا الحفصي بن عون: وكله أحمد باي بقراءة نص البيان الذي كتبه بخصوص توعية الرعية بالأحداث الخطيرة التي لمت ببابلك الشرق خاصة والجزائر عامة. وقد تم ذلك على مستوى 38 مسجد وجامع المتواجدة عبر أنحاء بابلك الشرق. ينظر: H'sen Derdour, Annaba 25 siècle de vie, P: 20.

⁴الرسالة رقم: (11) في الترتيب العم للمجموعة.

⁵الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة.

على لسان حسين باشا، ولكنه أخذها من هذا الأخير يدا بيد وكانت مكتوبة غير شفوية بدليل قوله "مكتوبك".

-أمر تدمير هذه المباني كان موجهًا للمدعو "محمد بن مطير"⁽¹⁾ ولم يدعن لهذا الأمر بالسمع والطاعة إلا بعدما أظهر له الأغا الحفصي بيانا صادرا من حسين باشا شخصيا⁽²⁾. وهذا ما يظهر نقطتين: أما الأولى فيصحح فيها المعلومات التي أوردها "مايتروت" Maitrot والتي مفادها أن بعد رحيل كلّ الرعايا الفرنسيين كلف سي الحفصي بن عون بتحطيم كلّ المباني التابعة للوكالة الفرنسية وقد تم ذلك في 1242هـ / 22 جوان 1827م⁽³⁾.

-الطابع الإداري الذي تميزت بها المهام التي وكلت بها بعض الشخصيات الهامة، المتمثلة في تنفيذ بعض العمليات التي مست الجانب الأمني أو غيره. وهذا الأمر يظهر أيضا من خلال نص العريضة التي حررها أحمد باي⁽⁴⁾، إذ أمر من خلالها كلّ المعنيين بأن تؤخذ من كلّ الرعايا الفرنسيين وثيقة مكتوبة بخط أيديهم تثبت على أنهم غادروا البلاد بمقتضى إرادتهم حاملين معهم كلّ أموالهم وممتلكاتهم. -عملية التدمير هذه لم تكلف بها جماعة السلك العسكري، بل خصت المدنيين، بدليل عبارة "جمع ناسه" فهذه العبارة الأخيرة تعبر على الطرف المدني وليس العسكري. كما تدل على أن هؤلاء الناس "القوم" كانوا من قبيلته أو عصبته بدليل عبارة "جماعته"؛ ومن هذا المنطلق يتضح أمرا مهما لم تتطرق إليه المصادر والمراجع التاريخية المعتمد عليها في إنجاز هذا البحث، وهو أن أمر تدمير المباني الفرنسية قام به الطرف المدني وليس العسكري.

ثم يضيف في الرسالة نفسها ما نصه: "ومضوا إلى القالة فوجدوا النصارى

¹- الشيخ محمد بن مطير: كان زعيما على القبائل المجاورة للقالة، عرف لدى التجار الفرنسيين باسم شيخ الزمول. ينظر:

Charles Féraud, Destruction des établissements Français de la Calle, d'après des documents indigènes, R. A 1873, P : 425.

²-رسالة رقم : (10) في الترتيب العام للمجموعة.

³-Maitrot, Bône militaire, P : 158.

⁴-E. Bigonet, R. A. 1899, P: 166.

رفعوا ما فيه ولم يتركوا شيئا إلا ستة مدافع قديمة مطروحة في التراب من الزمان الأول وأما المدافع الجديدة رفعوها فهدموا جميع ما بنوه جديدا حتى تركوه على ما كان عليه قبل البناء ووجدوا أكثر بنيانهم باللوح فأطلقوا فيه النار حتى انحرق وخربوا وحرقوا ما وجدوا فيه من الألواح المعدة للبنيان وبعد أن فرغ من هذه وقضى حاجته فيه انصرفوا⁽¹⁾.

فمن خلال هذا العرض التفصيلي لعملية تدمير المباني الفرنسية والذي لم نتطرق إليه جلّ المصادر والمراجع التاريخية بهذه الصورة المفصلة يتبين ما يلي:
-مغادرة كلّ الفرنسيين للمكان.

-أنّ المعلومات الواردة بشأن تسليح المباني كانت صحيحة، فلقد عثروا على مدافع قديمة مطروحة أرضا، بدليل هذه العبارة: "منذ الزمان الأول". أمّا العبارة الثانية التي تؤكد ذلك قوله بأنّ كلّ المدافع الجديدة قد حملت أثناء مغادرة الفرنسيين للمنطقة. إذن كلّ هذه المعلومات تؤكد صحة ما ذكره حسين باشا والذي مفاده أنّ هناك عملية تسليح جديدة تمت على مستوى الباستيون في فترة قريبة.

-معظم المباني الموجودة كانت مصنوعة من مادة الخشب، وهذا يدل على استغلال السلطات الفرنسية للمناطق الغابية المتواجدة في النواحي. كما يدل على توفرها بكثرة وسهولة اقتنائها. أيضا عثروهم على مادة الخشب المطروحة أرضا دليل على نيّة السلطات الفرنسية في التوسع والقيام بعملية بناء جديدة.

-الأمر الصادر من حسين باشا كان يقضي بإحراق كلّ ما عثر عليه دون استثناء، وإلا فلماذا إحراق مادة الخشب المطروحة أرضا بدلا من أن يستفاد منها في أعمال الترميم التي كانت تقوم بها السلطات على مستوى البايك؟

وأخيرا يضيف أحمد باي في نص الرسالة أنّ ابن مطير سوف يوجّه "مكتوبا" إلى الباشا يعلمه من خلاله بتفاصيل العملية⁽²⁾. ولعلّ المكافأة التي منحها أحمد باي لهذه الشخصية والمتمثلة في بندقية وفرسا وبرنوسا تعود لنجاحه في أداء المهمة

¹ الرسالة رقم: (10) في الترتيب العم للمجموعة.

² الرسالة نفسها.

المسندة إليه وتفانيه وإخلاصه على تنفيذ الأوامر وخدمة الوطن⁽¹⁾.

وعندما علمت السلطات الفرنسية بخبر إتلاف ممتلكاتها في مدينة القالنة، كتبت للباشا رسالة تطالبه فيها بتقديم تعويضا ماليا قدر بـ 30000 بيستاس مقابل السلام⁽²⁾؛ في حين ذكر آخر أن قيمته حددت بـ 15000000 فرنك فرنسي⁽³⁾. وأمام غياب نصوص تاريخية أخرى، تؤكد صحة الرقم الأول أو الثاني يترك الأمر كما هو دون ترجيح.

كما أبلغ أحمد باي الباشا في الرسالة نفسها أنه تمّ نجاة المدعو الرئيس علي الفالوجي⁽⁴⁾ من قبضة العدو الفرنسي، الذي حاصره على بعد مسافة من راس الحمرا⁽⁵⁾، ولكنه تمكن من الهروب؛ وقد وجهت له السلطات المتواجدة بالقرب من المكان قاربين⁽⁶⁾ وعلى متنها مجموعة من الجنود، فقاموا بإنقاذه وحملوه إلى مدينة عنابة⁽⁷⁾. هنالك عاين "الطباين"⁽⁸⁾، ولقد ذكر أحمد باي بأنّ هذه المهمة كانت في السابق من صلاحيات الباش طبجي ولكن بعد التسبب والفوضى الذي عمّ المنطقة في العهود الماضية أصبح هذا الأمر مهملا. وكأنه يفهم من كلامه هذا، أنّ البايّات الذين سبقوه على حكم البايك اتصفوا بالتسبب والتفريط. فقد ذكر بصريح العبارة:

¹ الرسالة رقم: (10) في الترتيب العم للمجموعة.

² من خلال وثيقة رقم: 1255 حررت من طرف داماس. ينظر:

Engène Plantet, Correspondance des Beys de Tunis et des Consuls de France Avec la cour 1770-1830, Ancienne librairie Germer Bailliere et c^{le} Felix Eclan- Editeur, P : 634.

³ E. Le Marchant, L'Europe et la conquête d'Alger, P : 85.

⁴ الرئيس علي الفالوجي: كان من بين قياد الأسطول الجزائري؛ عرف بشجاعته ومهارته، لهذا كلف بقيادة الأسطول البحري الذي كان مخصصا لمنطقة الشرق خاصة مدينة القالنة. ينظر: العربي الزبيدي، التجارة الخارجية، ص: 352. كما ساهم في عملية نقل الرعايا الفرنسيين بعدما أخذ منهم توقيعاً على أنهم غادروا الجزائر بملك إرادتهم حاملين معهم كلّ ممتلكاتهم، وتمّ ذلك بالاتفاق مع كولات. ينظر:

H'sen Derdour, Annaba 25 siècle de vie, P : 211.

⁵ راس الحمرا: منطقة موجودة في واد تادجنت، وهو مكان استقرار المرابط سيدي محمد بن يحيى. ينظر:

Charles Féraud, R. C. 1861, P : 73.

⁶ ورد في الرسالة عبارة: "زوج فلانك". ينظر: الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة.

⁷ لقد وضعت قوات عسكرية جزائرية أمام قلعة "الجينوة" Fort Génois " تحت أوامر باش بلوك بسهرور على عملية الحراسة مع المحلة المتمركزة هناك من الجهة الشمالية حتى راس الحمرا المذكور أعلاه والحدود التونسية لتكون بذلك مستعدة للتدخل في أي وقت. ينظر:

Derdour, Op. Cit, P : 211.

⁸ الطباين : مكان تواجد المدافع. وهذا من خلال فهمنا للترجمة الفرنسية للرسالة التي نشرت في المراجع المذكورة سابقاً.

وهذا الزمان الفارط لا حرص لهم على ذلك والآن إنهم يخدمون ويصلحون فيها⁽¹⁾. ولم تكن هذه المرة الأولى التي يؤكد فيها أحمد باي بضرورة الاعتناء بهذه الآلات الحربية، فقد أصدر أوامر صارمة في أول عريضة كتبها، إذ جاء فيها ما صه: "تتفقدون الطبايين وتصلحون أمر المدافع والقرارات بحيث يكون أمرها موجودا حاضرا"⁽²⁾. وإن دلت هذه المعلومات على شيء فإثما تدل على أن هذه الآلات الحربية لم تكن في حالة جيدة⁽³⁾، ويؤكد أيضا على إهمال الحكام الذين سبقوه على إدارة البايك أمر إصلاح العتاد الحربي.

ثم أن حرص أحمد باي الممثل الأول للسلطة على إصلاح العاطل من الآلات الحربية والجد والاجتهاد في الحراسة ليلا ونهارا يدل على حالة التأهب والطوارئ التي كانت تعيشها الجزائر عامة والمنطقة الشرقية على وجه الخصوص، وهذا ما ينفي تماما ما ذكره "مارسيل امريت" "Marcel Emerit" عندما قام بنشر ترجمة لنص الرسالة، حيث ذكر بأن مضمون الرسالة لا يوحي للقارئ أي نوع من الخوف أو إحساس بوقوع حرب بين الجزائر وفرنسا⁽⁴⁾.

ويضيف في الرسالة نفسها أن هذا الرايس قد عثر على ثمانية "كرارط"⁽⁵⁾ جديدة بقصبة عنابة⁽⁶⁾، وتم "تجربدها" في "جريدة" سوف يبعثها الديوان لحسين باشا حتى يعاينها ليكون على علم بكل النفقات التي تم صرفها على هذا الجهاز

¹ الرسالة رقم : (10)، في الترتيب العام للمجموعة.

² E. Bigonet, R.A. 1899, P: 166.

³ الرسالة السابقة.

⁴ Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 257.

⁵ الكرارط: هي المدافع. وهذا من خلال فهمنا للترجمة الفرنسية للرسالة التي نشرت في المراجع المذكورة سابقا.

⁶ قصبة عنابة: هو مكان استقرار الحامية العثمانية. كانت تضم قصرا تم بناؤه بأمر من زكرياء بن إسحاق الحفصي، ثم أخذت عليه الحامية الجنوبية عدة إصلاحات هامة عندما كانت تقيم به أثناء الاحتلال الإسباني للمدينة؛ ونظرا لأهمية حصن القصبة الاستراتيجي فإنه كان طيلة الفترة العثمانية مقر الحاكم العثماني ومكان استقرار الحامية العثمانية المكلفة بالدفاع على المدينة والمعروفة "بالنوبة" والتي كان عدد أفرادها يتراوح حسب الظروف ما بين 50 إلى 100 جندي. وفي السنوات التي سبقت الاحتلال الفرنسي كان هناك مائة جندي يتمركزون بالحصن تحت قيادة أحد الكراغلة من ذوي النفوذ والهيبة، ثم تناقص عددهم قبل الاحتلال مباشرة إلى 50 جندي، هؤلاء كانوا يعيشون في عزلة بين أسوار القصبة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص ص: 203-204. وكانت هذه القصبة تملك حينها 105 مدفعا، من بين 130 مدفع التي كانت تملكها مدينة عنابة. ينظر:

Marcel Emerit, Op. Cit, P : 209.

العسكري⁽¹⁾. فمن خلال عمليات الإصلاح هذه يتبين أنّ السلطات قد خصّصت ميزانية خاصة من أجل إتمام هذه العملية على أكمل وجه.

وبتاريخ 15 من محرم 1243هـ/1827م، يؤكد أحمد باي للباشا أمر وقوفه على إصلاح المدافع وآلات الحرب موقف "جدّ واجتهاد"، بحيث وفر كلّ الطاقات البشرية والمادية لذلك، فقد سخر نجاري مدينة عنابة لإنجاز هذه العملية فقصّدوا الجبل لقطع "الكراسة"⁽²⁾ وعملوا على إصلاح المعطل منها⁽³⁾.

وهذا يدل على أنّ عملية الإصلاحات كانت تعتمد على استعمال مادة الخشب في عملية البناء وإصلاح مراكز الحراسة، وهذا ما عمل به أيضا المسؤولون الفرنسيون عندما أرادوا تسليح الباستيون، ممّا يؤكد على أنّ المنطقة كانت غنية بمادة الخشب، التي كانت تجلب من المناطق الغابية المحيطة بعنابة، وقد امتاز خشب هذه المناطق بجودته وملاءمته لأعمال البناء وصنع السفن الشراعية⁽⁴⁾.

ويضيف في الرسالة نفسها أنّه وجّه نداء لأهل عنابة ونبلائها وذكّرهم بالتحلي باليقظة والحيطّة والتفطن لكلّ ما يجري في المنطقة، فالأمر بدونهم لا يكتمل ولا يحقق من ورائه أيّ نجاح⁽⁵⁾. فمن خلال هذه الفقرة يتبين عملية تحسيس الرعية وتسخير كلّ الطاقات من أجل مواجهة الأزمة بكلّ روح وطنية وشجاعة.

كما تكلم أحمد باي في الرسالة نفسها على اقتراحات سلام سعى إليها أحد الأوروبيين، هذا الأخير نعته الباي بـ "الرومي"⁽⁶⁾، فنذكر بهذا الصدد "إن وقع

¹ الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة.

Charles Féraud, La Calle, P : 611.

² الكراسية: يقصد بها مادة الخشب (الحطب). ينظر:

³ الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 214.

⁵ الرسالة السابقة.

⁶ يعتقد أنّه قنصل سردينيا "داتيلي دولا توري" الذي سهر على رعاية المصالح الفرنسية بموافقة الباشا حسين، فقد كانت له مهمتان، الأولى تتمثل في السهر على حسن معاملة الأسرى الفرنسيين، والثانية الدخول في مفاوضات سلم بينهما. ينظر:

Abbè Alfred Berengrer, La prise d'Alger raconté par un témoin, R. H. C. M. N : 2, Janvier 1967, P : 86.

في حين ذكر فيور أنّ هذا الأوروبي هو "ريمباخت" Raimbert "كان وكيل القنصل الفرنسي بالقالة. ينظر:

Charles Féraud, Op. Cit, P: 612.

وعلى حسب المعلومات الواردة في بعض المراجع المذكورة سابقا في البحث أنّ وكيل قنصل فرنسا في منطقة الشرق كان يدعى ألكسندر دوفال.

الصلح على وجه الرضا والطوع فيأخذ خط الرومي ويبعثه لنا نوجهه إليكم وإن امتنع الرومي من ذلك فيأتينا الرجل مربوطا حتى نبغده لحضرتك السعيدة⁽¹⁾. فمن خلال هذه الفقرة يستنتج توسط أحد الأوربيين الذي لم يذكر أحمد باي اسمه ولا جنسيته من أجل عقد عملية صلح بين الجزائر وفرنسا على أساس أن تراع فيها كرامة وهيبة الجزائر، وأن يتم ذلك خطيا.

أما في 26 من ذي الحجة سنة 1243هـ / 1827م، أرسل أحمد باي أوامر إلى المركنتي القائم على أمن عنابة مفادها إطلاق المدافع على كل سفينة فرنسية تظهر على السواحل العنابية⁽²⁾، على عكس الأوامر التي أصدرها في العريضة التي كتبها ووجهها إلى الشخصية نفسها وكذا القائمين على استعمال هذا النوع من الأسلحة، فقلد ذكر في إحدى فقراتها أنه: "إذا أبصرتم شقف قرصان قاصدا إلى عنابة فاعملوا له الفمادة"⁽³⁾ من بعيد فإذا لم يرجع إلى ورائه وبلغ حد الرمية فارموه بالمدفع من غير حجر ولا كور، فإن لم يرجع وتمادى داخلا فبادروه بالرمي بالمدفع بالكور واغرقوه وأهلكوه"⁽³⁾.

فمن خلال ما ورد في نص هذه الفقرة يستنتج أنه لا يتم إطلاق المدافع إلا على السفن الحربية التي خصها بالذكر ولا يكون ذلك إلا على بعد مرحلتين من مكان توقفها. كما لا يتم ذلك إلا على مراحل، فالمرحلة الأولى يعمل لهم "الفمادة" أولا قبل إطلاق النار؛ ثم تطلق عليها المدافع من غير "حجر" أو "كور". وإن لم تدع هذه السفن للإنذار الموجه إليها ترمي بـ "الكور".

أما الأوامر الصادرة في الرسالة المذكورة أعلاه⁽⁴⁾ فقد اتخذت اتجاهها مخالفا تماما، وإن دلّ هذا على شيء فإنه يدلّ على تأزم العلاقات بين البلدين وحالة التأهب القصوى التي كانت عليها القوات العسكرية نظرا لخطورة الوضع الأمني.

¹ الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

² الرسالة رقم: (12) في الترتيب العام للمجموعة.

³ الفمادة: وهي عملية إشعال النار وكانت تستعمل كإنذار. ينظر:

E. Bigonet, R.A. 1899, P: 166.

³ Ibid, P: 166.

⁴ الرسالة رقم: (12) في الترتيب العام للمجموعة.

1829م، أين نجده يبعث بتقرير إلى الباشا، يعلمه من خلاله أنه مؤن سكان مدينة عنابة بمائة بندقية⁽¹⁾ لكي يتم توزيعها. وذلك من أجل تعزيز أمر الحراسة، بعدما تمت معاينة بعض السفن الفرنسية بالقرب من السواحل العنابية، هذه الحادثة نشرت بعض القلق والخوف بين أوساط الرعية، لهذا أبلغوا أحمد باي بانشغالهم هذا. كما طلبوا منه أن يمونهم بالأسلحة، ذلك لأنهم كانوا فقراء لا يملكون ما يدافعون به عن أنفسهم وعن بلادهم. وبعد عملية توزيع البنادق على المواطنين تم تجريد كل ما وزع في "جريدة" من أجل أن يطلع عليها الباشا⁽²⁾. ومن خلال ما ورد في نص هذه الرسالة يتبين ما يلي:

- اليقظة والحذر الذين تمتعا بهما سكان مدينة عنابة، ووعيمهم بخطورة الوضع الراهن.

- حالة الفقر وقلة الحاجة التي اشتكى منها سكان المنطقة.

- لا يتم توزيع الأسلحة على الرعية إلا بإذن وتسريح من الباي شخصيا. كما أن كل ما كان يوزع يتم "تجريده" في "جرائد" خاصة، ليتم عرضها على الباشا في الجزائر.

- كان أحمد باي على علم بكل ما كان يحدث في بايلكه، بحيث لم يلهه الحكم والسلطان على متابعة أمر الحراسة والأمن بنفسه، كما كان لا يتوان على تقديم أية معونة أو دعم للرعية ما دام الأمر يتعلق بحماية البلاد والعباد من الخطر الخارجي، وهذا بتسخير كافة الطاقات البشرية من أجل مواجهة الخطر المشترك، وعدم تهميش الرعية التي هي عصب الدولة والسلطان.

وبهذا فإن الحصار الذي فرض على السواحل الجزائرية عامة بما فيها الشرقية، لم يضر بالجزائر بقدر ما أضر بفرنسا، فهذه شهادة أحد أبنائها الذي عايش الحدث فكتب يقول: "إن هذا الحصار الذي فرض على السواحل الجزائرية كان متعبا

¹ ورد في نص الرسالة كلمة "مكحلة"، وهي كلمة عامية تعني البندقية. ينظر: الرسالة رقم: (3) في الترتيب العام للمجموعة.

² الرسالة نفسها.

وغير مجدي ومكلفا أيضا"⁽¹⁾.

ويضيف آخر في الشأن نفسه عندما عرض تقريره على الحكومة الفرنسية: "إنّ هذا الحصار المفروض غير مجد ولن يأت بنتائج ملموسة، ولا بالأهداف المرجوة، فلم يتم تحطيم السفن الجزائرية لأنها لم تخرج إلى عرض البحر، كما لم يتم السيطرة على اقتصاد الجزائر. ثم يضيف قائلاً: "إنّ هذا الحصار لم يؤثر على الداوي وعلى الجزائر، لهذا فإنّ الحل الوحيد هو تجهيز حملة عسكرية، لأنها وحدها الكفيلة باسترجاع كرامة فرنسا وإذلال الداوي والشعب الجزائري"⁽²⁾.

وما يلاحظ على العموم أنّ عرض أحداث هذه الأزمة على مستوى البايك قد تميز بالتفصيل في بعض الأحيان وبالاختصار في أحيان أخرى، وهذا يعود إلى نوعية المعلومات التي قدمتها رسائل أحمد باي، مع العلم أنّها اعتبرت من بين الوثائق المهمة والحية التي وصفت لنا أطوار الأزمة بشهادة عدة مؤرخين⁽³⁾.

2/3-المبحث الثاني: العلاقات الجزائرية التونسية

كما ذكر أنفا في مقدمة هذا الفصل أنّ المعلومات الواردة في شأن العلاقات الجزائرية الخارجية قد اقتصرت على طرفين فقط هما فرنسا وتونس. أمّا عن تونس، فكلّ ما تطرق إليه أحمد باي في رسائله مجرد معلومات متفرقة لم يتم التفصيل فيها. ولعلّ تخصيص أحمد باي بذكر إيالة تونس⁽⁴⁾ يعود إلى أمرين هما:

¹-Charles Féraud, La Calle, P : 617.

²-Charles Roux, La France et l'Afrique du nord avant 1830. Les précurseurs de la conquête, Librairie Félix Alean, P : 150.

الرأي نفسه أيده أبو القاسم سعد الله، في مرجعه آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 255.

³-لقد قام عدد من الباحثين الفرنسيين والجزائريين بنشر النصوص العربية لهذه الرسائل مع الترجمة الفرنسية لها ينظر كل من: Charles Féraud, La Calle, P : 617. Et: Derdour, Annaba 25 siècle de vie, PP : 220- 210. Voir aussi : Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, PP, 607-613. Et : Maritot, Bône militaire, P P : 160-166. Et: Charles Féraud, Destruction des établissements Français de la

Calle, d'après des documents indigènes, R. A 1873, P P : 398-437. Et: Spasa Colligo, Documents pour servir l'histoire de Bône, R.A. 1872, P : 6

⁴-دخلت تونس تحت حكم العثمانيين سنة 981هـ/1573م كغيرها من البلاد العربية بعد عدّة أحداث، وقد استطاع العثمانيون طرد الإسبان على إثر استجداد الجيش الحفصي بهم وبخول القائد التركي دارغوب باشا القيروان واستطاع القائد سنان استعادة الحصون وأمر محمد الحفصي سنة 981هـ/1573م واعتقله بالامانة أين توفي، وبذلك انتهى عصر الدولة الحفصية التي حكمت تونس ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين سنة أي من 981هـ/1573م إلى غاية 1016هـ/1607م. وقد وضع القائد سنان نظاما لحكمها قوامه حاكم مدني يلقب بالباشا يمثل السلطان العثماني. ينظر: زاهية قنورة، تاريخ العرب الحديث، ص ص: 453-454.

تقارب المسافة بينها وبين بايلك الشرق، أيضا تلك العلاقة البعيدة التي نشأت بين البلدين وما ضمتها من مشاكل أحيانا كثيرة واستقرار* في أحيان قليلة.

ويعود الصراع بين كل من تونس والجزائر في أساسه إلى التنافس الحاد الذي كان بين حكومتي البلدين، وقد تمكن أثناء هذا الصراع بعض بايات قسنطينة ودايات الجزائر من تحقيق انتصارات حاسمة على بايات تونس⁽¹⁾، وتحميل دولة تونس خسائر مادية وبشرية، منها ما حدث عامي 1036هـ/1626م⁽²⁾، و1106هـ/1694م⁽³⁾، كما استطاعوا في بعض الأحيان أن ينصبوا حلفاء لهم على العرش التونسي مثال ذلك ما تم مع علي باشا الذي ارتقى العرش التونسي بمساعدة حسين باي قسنطينة⁽⁴⁾ عام 1148هـ/1735م⁽⁵⁾.

ومرات أخرى توصل الحكام الجزائريين إلى فرض إتاة مالية وضريبة عينية على حكومة تونس مقابل تقديم بعض المساعدات والعون إلى بعض المطالبين بالعرش التونسي، كما حدث مع أبناء حسين باي تونس عام 1169هـ/1756م⁽⁶⁾ والذين تعهدوا بإرسال حمولة سفينة من الزيت كل سنة إلى الجزائر. ولكن طموح

¹ لقد دام حكم الدايات من سنة 990هـ/1590م إلى غاية سنة 1041هـ/1630م، حيث ظهرت سلطة البايات وأصبح الحكم في البلاد لهؤلاء البايات، وحكمت منهما أسرتان أولاهما الأسرة المرادية من سنة 1047هـ/1637م إلى غاية سنة 1118هـ/1706م. وثانيهما الأسرة الحسنية وذلك من سنة 1119هـ/1707م إلى غاية سنة 1377هـ/1957م. وكان أول بايات الأسرة المرادية إسطا مراد؛ أما بالنسبة للأسرة الحسنية فكان منشؤها حسين بن علي التركي الذي بويع له بالخلافة وأصبحت بذلك الولاية وراثية عقبه. ينظر: زاهية قنورة، تاريخ العرب الحديث، ص: 454-455.

² تم ذلك على عهد مراد باي عام 1032-1057هـ/1622-1647م. ينظر: صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 34-35.

³ حدث ذلك على عهد علي خوجة عام 1104-1112هـ/1692-1700م. ينظر: المصدر نفسه، ص: 50-51.

⁴ حسين باي (1225-1149هـ/1713-1736م): هو قليان حسين باي المدعو بوكمية. وصف بالحزم والنشاط، والقوة مما ساعده على البقاء في الحكم مدة 23 سنة وضع خلالها حدا لكل الفتن التي شهدتها مناطق متفرقة من البايك، وخلال شهر جانفي عام 1138هـ/1725م قصد الحناشنة والأوراس لجمع المطالب المخزنية، وتهنئة الأوضاع الأمنية ومراقبة الأمور في المنطقة. ينظر: المصدر نفسه، ص: 53.

⁵ تثبتت هذه الحرب عام 1148هـ/1735م. من أسبابها اختلاف باي تونس حسين بن علي مع حفيده علي باشا، ولجوء هذا الأخير إلى الجزائر واحتمائه بالداي الذي قبل لجوءه. ينظر: المصدر نفسه، ص: 55.

⁶ قرر الدايات علي إعلان الحرب على تونس عام 1168هـ/1755م، بعد أن رفض باي تونس دفع الضريبة السنوية المطلوبة منه، وكلف الدايات باي قسنطينة زرق عينو بذلك، وجند للأمير التونسي اللاجئ عنده بقسنطينة علي بن حسين باي بن عالي قوات اقتحموا بها مدينة تونس يوم 5 من ذي الحجة عام 1169هـ/1756م، وقتلوا علي باشا وابنه محمد باي أكبر أبناء حسين بن علي؛ وأما البايات زرق عينو فإنه أعاد رفيقه الذي جاء معه من قسنطينة وولاه على عرش تونس، بعدها رحل من تونس راجعا إلى قسنطينة حاملا معه النصر. ينظر: المصدر نفسه، ص: 59-60.

بايات تونس للتخلص كلية من التبعية للجزائر ورغبتهم في تحقيق انتصارات على بايات قسنطينة أدت إلى استمرار حالة العداء بين البلدين، منها ما قام به مراد باي⁽¹⁾ عام 1112هـ/1700م بحيث هاجم مدينة قسنطينة وانتهت المعركة بهزيمة ثقيلة ثم بعدها عقد صلح في 1114هـ/1702م، ولكن الصراع تجدد في 1117هـ/1705م⁽²⁾. بعدها توترت العلاقات مرة أخرى بسبب النزاع الذي كان قائما على زبيرة⁽³⁾ إلى أن رأى الباب العالي ضرورة إلحاقها بالجزائر⁽⁴⁾، وانهزم بذلك إبراهيم الشريف باي تونس⁽⁵⁾. وبعد هدوء نسبي استمر طيلة القرن الثامن عشر تجددت حالة التوتر عام 1121هـ/1806م⁽⁶⁾. وبهذا بقيت العلاقات غير مستقرة بين البلدين إلى أن تدخل الباب العالي سنة 1236هـ/1820م⁽⁷⁾ وعقد معاهدة سلام بينهما⁽⁸⁾.

أما على عهد أحمد باي فقد كانت العلاقات بين البلدين في استقرار ولم تقع سوى بعض المشاكل العالقة التي كانت تحدث بين الحين والآخر⁽⁹⁾، كما سيوضح ذلك من خلال ما ورد في بعض من الرسائل. ويمكن تقسيم المسائل التي تطرقت إليها هذه المراسلات إلى ثلاث محاور:

1- العلاقات الدبلوماسية⁽¹⁰⁾: إن الجزائر كدولة كانت لها سيادة وطنية وحدودا

¹ مراد باي: هو مراد بوبالة، استباح كل المحرمات من هتك والمجاهرة بالفواحش وسفك دماء الأبرياء لمجرد الظن أو التهمة الكاذبة. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس (مختصر يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر)، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1976، ص: 174.

² قام مراد بالهجوم على الجزائر، انتهى بانهزامه؛ وفي يوم 18 من ربيع الثاني 1112هـ/3 أكتوبر 1700م استولى الجزائريون على كل أمواله ونخائره وأسروا عددا من جنوده. ينظر: المرجع نفسه، ص: 51.

³ المرجع نفسه، ص: 52.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ص: 42.

⁵ إبراهيم باي الشريف: أصله من جند الأتراك بالجزائر، قدم إلى تونس وانخرط في خدمة محمد باي حتى ترقى إلى خطة آغا. فلما أوقع بمراد بوبالة، بايعه الجند وبالتالي تم له حكم تونس. ينظر: المرجع السابق، ص: 175.

⁶ لمعلومات أكثر حول الموضوع ينظر: الزهار، مذكرات الشريف الزهار، ص: 95-101.

⁷ لقد استهل عام 1236هـ/1820م بحادث عظيم في تاريخ إفريقيا الشمالية وهو وقوع صلح نهائي بين تونس والجزائر بمساعي من الدولة العثمانية التي وجهت رسولا لإتمام هذه الهدنة، فأبرم الصلح بين الطرفين. ينظر: حسن حسني، المرجع السابق، ص: 192.

⁸ ناصر الدين سعيدوني معجم مشاهير المغاربة، ص: 158.

⁹ كم يعثر على مادة تاريخية تدل على أنه وقعت حروب أو فتن خطيرة بين تونس والجزائر على عهد أحمد باي لهذا فإنه يمكن القول بأن العلاقات أثناء حكمه كانت على أحسنها مقارنة بالعهود السابقة.

¹⁰ الدبلوماسية: هو علم وفن وقانون ومهنة. فهي تعني في مدلولها الأعم: "فن التعاطي مع الغير والنجاح والقتل فيها متوقفان على النبوغ في هذا الفن، وهذا النبوغ متوقف على فقه نفسية الغير". ينظر: حسن صعب، الدبلوماسية العربي. ممثل دولة أو حامل رسالة، دار الملايين، بيروت لبنان، ط: 1، 1973، ص: 11-12.

مرسومة المعالم، اتخذت لها سياسة مميزة بين كلّ الدول عامة، والدول العربية خاصة مع جيرانها⁽¹⁾. لهذا نصّبت على مستوى هذه الدول ممثلين لها ينوبون عن مصالحها ويقومون على شؤون الرعية الجزائرية المقيمة على أراضيها. ومثال ذلك، ما كان ساري العمل به في إيالة تونس، فقد ولت الجزائر وكلاء لها⁽²⁾ أسندت لهم مهمة مباشرة ومتابعة مصالحها في هذه الدولة. ومن بين الوكلاء الذين مارسوا هذه الوظيفة على عهد أحمد باي، الحاج عمار وسي محمود⁽³⁾، هذا الأخير كان الأول من استلم هذه المهمة، بحيث ورد ذكره في مجموعة الرسائل المؤرخة ما بين سنة 1242-1243هـ/1826-1827م⁽⁴⁾. أمّا الحاج عمار فقد ورد ذكره في كلّ من الفترة الممتدة بين 1244-1245هـ/1828-1829م⁽⁵⁾.

فلقد أسندت مهمة اختيار هؤلاء الوكلاء إلى أحمد باي، وعندما يتم ذلك، كان يبعث بمن يقع عليه الاختيار إلى الباشا حتى يتم إقراره في هذا المنصب. ثم يعاد إرساله إلى أحمد باي من أجل متابعة أمر تعيينه على مستوى حكومة تونس. ومثال ذلك، ما كان في أمر تعيين الحاج عمار كوكيل للجزائر في تونس. إذ وكل الباشا

¹ ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، ص: 158.

² عندما كان يتعلّق الأمر بالخوض في العلاقات الجزائرية التونسية لم يكن يستعمل أحمد باي مصطلح "القنصل"، وهذا المصطلح هو اسم من اللاتينية "Consul" ويعني القاضي الأعلى للجمهورية ومن هنا المعناه الفرنسي. والقنصل هو شخص مأمور رسمي تكلفه حكومته بأن يمارس، في منطقة تحددها دولة إقامته عددا معينا من الوظائف ذات الطابع الإداري أو الاقتصادي تسمى "وظائف قنصلية" وتعني حماية مصالح الدولة التي أرسلته ورعاياها. ينظر: جيرار كورنو، معجم المصطلحات القانونية، ترجمة، منصور القاضي، جزء: ص-ي، ص: 1296. في حين كان يستعمل أحمد باي مصطلح "وكيل الجزائر" كبديل عنه. وهذا الأخير يعني لغة: ذاك الرجل الذي يقوم بأمر موكله، وسمى وكلاء لأن موكله قد وكل إليه القيام بأمره فهو موكول إليه الأمر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج: 11، ص: 735-736. أمّا اصطلاحا فالمراد منه ذاك الشخص الذي تتاطب به العناية بقضايا بعض الأشخاص أو الشركات أو طائفة مهنية معينة. ويمكن أيضا تسميته بـ "الممثل" هذا الأخير يعطى له حق التصرف عن طريق التمثيل باسم الممثل ومكانه ولصاحبه مع سلطة الإلزام بموجب سلطة تصفيتها عليه اتفاقية. ينظر: المرجع السابق، ص: 1607. مع العلم أنه عندما كان يتعلّق الأمر بالحديث على العلاقات الجزائرية الفرنسية فإنه كان يستعمل مصطلح "القنصل". هذا كله يجعلنا نستنتج أن مصطلح القنصل كان متداولاً في ذلك العهد، ولكنه لم يستعمله أحمد باي عندما تعلق الأمر بالعلاقات الجزائرية التونسية، وربما ذلك راجع إلى نوعية الأعمال التي كان مكلفا بها هذا الوكيل.

³ سي محمود: وقد ألحق أحمد باي باسمه "أمين السكة" وهذه الأخيرة كانت عبارة على مهنة يحترفها كلّ من يكون قائما على أعمال السكة والنقد وكلّ ما اتصل بالعمله وضربها. ولعلّ إلحاق هذه التسمية به يعود إلى امتنانه هذه المهنة في فترات سابقة. وهذا مجرد استنتاج قد يحتمل الصواب كما يحتمل الخطأ مع غياب المادة التاريخية التي تؤكد أو تنفي ذلك. ومع هذا فقد قدمت لنا رسالة أحمد باي بعض المعلومات عن شخصه، فقد ذكر بأنّه كان وكلاء للجزائر في تونس، يقوم على مصالحها ويدير شؤونها. ينظر: الرسالة رقم: (20).

⁴ ينظر كلّ من الرسالة رقم: (11-16-17-22-23) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ ينظر كلّ من الرسالة رقم: (1-2-3) في الترتيب العام للمجموعة.

أحمد باي في إحدى الرسائل التي وجهها إليه⁽¹⁾ بأن يبحث له عن رجل يتميز برجاحة العقل والحكمة والخبرة، وأن يكون قد سبق له وأن أثبت من قبل كفاءته وقدرته على قضاء مصالح الدولة⁽²⁾. واستجابة لطلب الباشا قام أحمد باي بعملية بحث طويلة ودقيقة، توصل من خلالها إلى ثلاث شخصيات كانت معروفة بين أوساط المجتمع القسنطيني وهي:

سي علي بن عيسى⁽³⁾ الذي كان متواجدا حينها في تونس لقضاء بعض الأعمال⁽⁴⁾. وقد ذاع صيته حتى وصل إلى منطقة تونس، إذ عرف بتأثيره الكبير ومكانته في نفوس الجزائريين. قبائلي الأصل، كان يتراوح عمره سنة 1247هـ/1832م ما بين 58 و60 سنة⁽⁵⁾. له لحية بيضاء. عاش بقرية قرومة⁽⁶⁾ بفليسة، أين كان المرابط والزعيم الروحي لهذه القبيلة⁽⁷⁾.

أما الشخصية الثانية، فهي الحاج عمار المركنتي الذي كان مستقرا في مدينة عنابة⁽⁸⁾، وقد ذكرت بعض المصادر والمراجع أنه ينتسب إلى عائلة ذات أصول يهودية⁽⁹⁾، اسمه الكامل ليفروني بن يمين زقوطة⁽¹⁰⁾. كان زعيما على إحدى

¹ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام لمجموعة.

² وإن لم يحدد الباشا نوعية المهمة التي سوف تسند إلى من سبق عليه الاختيار إلا أنه يمكن من خلال هذه العبارة أن نستنتج بأنها مهمة تؤدي في خارج الجزائر. وهذا ما أكتنه بعض الروايات التاريخية والتي مفادها أن الباشا حسين طلب من الباي أحمد أن يبحث له عن شخص ذا كفاءة وخبرة من أجل تنصيبه وكيلًا للجزائر بتونس. ينظر: (بن العنثري، تاريخ قسنطينة، ص: 97. أيضا: صالح فركوس، الحاج أحمد باي، ص: 32).

³ علي بن عيسى: كان ينتمي إلى الطريقة الرحمانية، بل هو شيخها على منطقة جرجرة كلها، وقد انتشرت هذه الطريقة بعد موت عبد الرحمان بأبي قبرين في قسنطينة على يد الشيخ باشتارزي. ينظر: رضا بن حمدان خوجة، وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة، ص: 21. ويضيف آخر أنه قاد جيش قسنطينة للدفاع عن عنابة عند محاولة احتلالها سنة 1247هـ/1832م، وأبلى بلاء حسنا. حتى شهد له خصومه بأنه كان شطة في الدفاع عنها، ثم عن قسنطينة؛ لكنه في نهاية المطاف رضخ للأمر الواقع أو تظاهر بقبوله واستسلم للسلطات الفرنسية سنة 1253هـ/1838م، فعينته خليفة، ولكنها لم تكن تنق فيه فاعقلته ونفي خارج الجزائر. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج: 2، ص: 142.

⁴ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ عملية حسابية بسيطة يكون تاريخ مولده ما بين 1186-1188هـ/1772-1774م.

⁶ قرية قرومة: الأخرسية حاليا. ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج: 2، ص: 128.

⁷ المرجع نفسه، ص: 128.

⁸ الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

⁹ تكرر حمدان خوجة أن ميكائيل بوجناح كان حفيده. ينظر: حمدان خوجة، المرأة، ص: 180. أيضا:

Spasa Colligo, Documents pour servir l'histoire de Bône, R.A, 1872, P : 6.

¹⁰ Ibid, P : 6.

العائلات النبيلة في قسنطينة، عرف بحكمته ورجاحة عقله⁽¹⁾، كما تميز ببعده نظر⁽²⁾. في بداية الأمر كان قائدا على قبيلة التلاغمة⁽³⁾، وفي السنوات الأخيرة أصبح مسؤولا على التعاملات التجارية التي كانت تعقد بين الأمم الأوروبية (وظيفة المراكنتي) وقد أسند إليه أحمد باي سلطات مماثلة لمهام حاكم عنابة. قتل سنة 1247هـ/1832م بأمر منه⁽⁴⁾.

كما اقترح أحمد باي على الباشا شخصا ثالثا من أجل أداء هذه المهمة وهو الحاج حسين بن المرابط⁽⁵⁾ الذي كان متواجدا بتونس ينجز بعض الأعمال. وصفه برجاحة عقله وتعدد معارفه⁽⁶⁾.

أما بن العنتري وصالح فركوس فقد ذكرا أن أحمد باي وقع اختياره على شخصيتين فقط هما: الحاج عمار وبن عيسى. فاختر الباي هذا الأخير، ولكن بعضا من موظفيه نصحوه بأنه ليس كفؤا لهذه المهمة وينبغي عليه أن يختار رجلا آخر يكون قد مارس السياسة من قبل، ويمتاز بخبرة وقدرة على تسيير مصالح البلاد مع الدول الأخرى⁽⁷⁾. وقد أصابا في ما ذهبوا إليه، فقلد فوق اختياره على الحاج عمار، الذي أرسله إلى الباشا ليختبر حكمته وكفاءته، فظهر له من سياسته ورجاحة عقله ما يليق بمنصب وكيل الجزائر؛ عندها أقره على هذا المنصب⁽⁸⁾، ثم بعثه إلى أحمد باي الذي كلّف بمراسلة باي تونس في أمر تعيينه⁽⁹⁾.

¹E. Bigonet, une lettre d'un Bey de Constantine, R. A, 1899, P : 174.

²Maitrot, Bône militaire, P : 157.

³Op. Cit, P : 174.

⁴Charles Féraud, La calle, P : 609.

⁵لم يعثر على ترجمة وافية لهذه الشخصية ماعدا تلك المعلومات التي ذكرها أحمد باي في شأنه.

⁶الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

⁷أهم الملاحظات حول ما جاء بقلم بن العنتري وصالح فركوس مقارنة مع ورد في رسالة أحمد باي:

*لم يتبين في مضمون الرسالة التي كتبها أحمد باي على من وقع عليه الاختيار من بين الشخصيات الثلاثة. في حين ذكرا المؤلفين هوية الشخصية التي وقع عليها الاختيار.

* كما لم يرشح كل من بن العنتري وفركوس الحاج حسين بن مرابط، بعكس أحمد باي، لهذا يعتقد أن المصدر الذي أخذت منه هذه المعلومات لم تكن مستقاة من رسائل أحمد باي.

⁸ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3206، الملف رقم: 3، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

⁹وربت هذه المعلومات في كل من: (صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 97). أيضا: (صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 32). ومما يؤكد صحة هذه المعلومات أنه ورد اسم الحاج عمار كوكيل للجزائر في تونس.

ومند تلك الواقعة أصبح علي بن عيسى يكن للحاج عمار عداوة وحقدا كبيرين، لهذا حاول الإيقاع به إلى أن تمّ له مراده، فلقد لعب دورا كبيرا في إصدار أمر إعدامه من طرف أحمد باي⁽¹⁾.

وبهذا أصبح الحاج عمار وكيلا للجزائر على تونس لمباشرة مصالحها هناك. ولقد كان لهذا الوكيل نائبا، بحيث صرحت إحدى الرسائل التي تم العثور عليها في أحد الملفات العثمانية بالمكتبة الوطنية أنه بتاريخ 1242هـ/1826م، كان المدعو مصطفى بن صابر الجزائري نائبا لوكيل الجزائر بتونس⁽²⁾ ومن المهام التي كلف بها، كتابة التقارير ومساعدة الوكيل في أعماله⁽³⁾.

ومن بين الأعمال التي كلف بها الحاج عمار بعد استلامه لمهامه، تقديم تقارير مستمرة على كلّ الأمور التي كانت تخص الجزائر من قريب أو بعيد. كما كان يشكل حلقة وصل بين حسين باي تونس⁽⁴⁾ وحسين باشا في الجزائر. أيضا كان يتسلم كلّ الرسائل التي كان يبعثها باي تونس ثم يرسلها إلى الباشا عبر أحمد باي. لهذا فإنّ هذه المراسلات قد أخذت صفتين، إحداهما محلية والأخرى خارجية.

* فأمّا المحلي منها، فتمثل في كلّ الرسائل التي كان يكتبها الحاج عمار وبعثها إلى الباشا حسين وكبار موظفي الحكومة الجزائرية، ومن خلالها كان يقدم كلّ المعلومات أو التفاصيل التي كانت تخص مصالح الجزائر ورعاياها. وما يلاحظ

¹ صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، 97.

² ينظر نموذجا من الرسائل التي كان يبعثها نائب الوكيل الجزائر بتونس في الملحق الخاص بالوثائق رقم: (2).

³ ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3207.

⁴ حسين باي: (1238-1250هـ)/(1824-1835م). عندما توفي محمود باشا ابن محمد باشا ابن حسين باشا بتاريخ 28 رجب 1239هـ/1825م تولى بعده مباشرة ابنه حسين باشا بتاريخ 21 رجب 1239هـ/1825م. ينظر: الشيخ حسن بن مصطفى الترجمان، أيام الدلايات والبايات والباشوات بتونس وأسماؤهم وكم أبيت كل واحد منهم، قطعة من مخطوط رقم: 1618، ورقة: 41. قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة. وقد تقلد منصب الولاية بدون أية معارضة، وصف على أنّه الصديق الحميم لفرنسا، وأنه لم يستطع أن يخبأ سعائنه عندما علم بمشروع الغزو. ينظر:

Augustin Narcisse Faucon, La Tunisie avant e depuis l'occupation Française, Challanel Editeur, Paris, 1893, Tome : 1, P : 125.

وباشر هذا الباي كثيرا من الإصلاحات منها إبطال قيس مزارع الحبوب قبل الحصاد وتعويضه بضريبة العشر، كما رتب الجند التونسي ترتيبا نظاميا، وأبطل فرقة الانتكشارية؛ وأمر الباي موظفيه وأرباب الرتب العسكرية بترك زيهم للمعهود وحمل اللباس النظامي. ينظر: حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، ص ص: 196-197. وقد توفي بتاريخ 22 محرم 1251هـ/20 ماي 1835م، تاركا وراءه ذرية كثيرة. ينظر:

Alfred Berenguer, R. H. C. M. Janvier, 1967, P : 186.

على هذه الرسائل أمرين، الأول أنها كانت ترد على أحمد باي أولاً ليعيها إلى الباشا في الجزائر بواسطة عماله، ومن أجل أداء هذه المهمة على أكمل وجه، سخر أحمد باي مجموعة من العمال سهروا على ذلك بكلّ أمانة، فكان الباشا سيار هو مسؤول على قافلة البريد، إذ كان مكلفاً بحمل الرسائل الموجهة من طرف أحمد باي إلى الباشا والعودة إليه بالردود⁽¹⁾. كما كلف بعض الفرسان الذين كانوا يخضعون لقيادة "الدايرة" بهذه المهمة⁽²⁾، ومقابل ذلك كانوا يأخذون ثماني فرنكات⁽³⁾.

أما الأمر الثاني فأنه لم ترد أية المعلومات حول مضمون ما كان يكتبه وكيل الجزائر بتونس إلى الباشا وكبار المسؤولين، فكان أحمد باي يقتصر على ذكر أنها وردت رسائل من الوكيل وأنه قام بإرسالها إليه على وجه السرعة. لهذا أجريت محاولة بحث في مجموعة الوثائق الأخرى الموجودة في الملفات العثمانية من أجل معرفة ما كان يكتبه وكيل الجزائر إلى الباشا وعماله، وهذا طبعاً مهم، لأنه يكشف على بعض المهام التي كان يقوم بها هذا الوكيل، كما يلقي الضوء على بعض الأحداث التاريخية الواقعة في تلك الفترة الزمنية. ومن بين الرسائل التي تم العثور عليها في هذه الملفات والتي ناسب الإطّار المكاني والزمني للأحداث الواردة في رسائل أحمد باي نذكر منها:⁽⁴⁾

ما كان بتاريخ 29 رجب من عام 1242هـ/1827م، إذ كتب أحمد باي رسالة إلى الباشا، يعلمه من خلالها حضور عامل "من الدايرة" كان قد رافق وكيل

¹ محمد صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 21.

² كما ورد في الرسالة المؤرخة في: 27 ذي القعدة 1245هـ/1829م أن اثنين من فرسان الدايرة قاموا بنقل بعض الرسائل الواردة من وكيل الجزائر بتونس إلى الباشا وعماله، تحمل هذه الرسالة الرقم: (3) في الترتيب العام للمجموعة.

³ صالح فركويس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 28.

⁴ حاولنا من خلال عرض محتوى هذه الرسائل وضع مقارنة بينها وبين ما ورد في رسائل أحمد باي، خاصة في التاريخ ثم في الأحداث، فمن وجد فيها التناقض أخذ بها، ومن وجد أنها لا يمكن أن تكون تلك التي تحدث عنها أحمد باي تم التخلي عليها. وبغض النظر عن كل هذا وذلك فإنه لا يمكن الجزم بأنها هي النصوص الصحيحة لمحتوى الرسائل التي بعثها وكيل الجزائر بتونس إلى الباشا، ولكنها تبقى مجرد محاولة قد تحتمل الخطأ كما تحتمل الصواب، فالحقيقة تكون فيها نسبية، وتبقى مجرد محاولة للبحث عن بعض الحقائق، وهذه جنتنا في عرض هذه المعلومات التاريخية.

الجزائر سي محمود⁽¹⁾ إلى تونس وقد حملته رسالة على أن توجه إلى الباشا⁽²⁾، وأعلمه من خلالها أنه عند دخوله تونس، قابل الباي حسين، الذي استقبله بكل حفاوة، كما قدّم له المؤونة اللازمة، وكان هذا الأمر الجاري العمل به مع كل وكلاء الدول الأخرى. كما أبلغه بوصول رسائل من أوارين عن طريق مرسيليا، علم من خلالها بقدم إبراهيم باشا إلى أوارين، وقد تمكن من أسر نحو خمسة آلاف أسير من كلا الجنسين، وقد جاء إبراهيم باشا من الدولة العلية يحمل معه القفطان، فصار يدير نحو عشرين مركبا من مراكب السلطان، مدعماً بخمسة عشرة ألف من الجنود من أجل عملية الجهاد⁽³⁾.

أما بتاريخ 22 صفر من سنة 1243هـ/1827م، فلقد أعلم أحمد باي الباشا بوصول رسالتين من وكيل الجزائر بتونس، واحدة له شخصيا والأخرى لوكيل الخرج⁽⁴⁾. أما الرسالة التي خصت شخص الباشا فقد ورد فيها أخبار عن الأوضاع الخارجية، بحيث أخبره وكيل الجزائر سي محمود بن أمين السكة بحضور "قبجي" من "الدولة العلية" وتمت إقامته بطرابلس، كما يبلغه أيضا بأنه لم ترد عليه أية أخبار عن أحوال "الأسطول الإسلامي بالإسكندرية". وبأنه قدمت بعض المراكب من مرسيليا ومن القرنة فاستغل ذلك الأمر، وتمكّن من خلال كلامه مع البعض من الذين قدموا على متن هذه المراكب معرفة أمر سعي الفرنسيين لعملية الصلح⁽⁵⁾.

كما يضيف في محتوى رسالته أنه قدم مركبا من السويد يحمل هدية للباشا حسين، ولكنه تعرضت له بعض السفن الفرنسية فاحتجزت كل ما كان على متنه. ويعلمه أيضا بأنه تم قدوم خمس مراكب فرنسية نزلت بمسافة يوم من غرب تونس فدخلوا بسائتيها وأخذوا كل ما كان فيها من محصول العنب⁽⁶⁾.

¹ ينظر نموذجا من الرسائل التي كان يبعثها نائب الوكيل الجزائر بتونس في الملحق الخاص بالوثائق رقم: (3).

² الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة.

³ ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3205، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

⁴ ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3206.

⁵ المصدر نفسه.

⁶ وفيما يخص هذه المراسلة فلقد ورد فيها أنّ أحمد باي وجّه الرسالة التي بعثها حسين باشا إلى وكيل الجزائر سي محمود مع دواوير، ولقد ورد في الرد بتاريخ 25 محرم أنّه وصلتته رسالة الباشا مع دواوير أحمد باي.

أما في 15 من شهر محرم سنة 1243هـ/1827م، وصلت بعض الرسائل من

باشا إلى أحمد باي، من ضمنها رسالة يجب أن توجه إلى وكيل الجزائر⁽¹⁾.

ومن خلال رسالة مؤرخة في 20 محرم من الشهر والسنة نفسها، كان الرد على ما جاء في رسالة الباشا حسين، فأخبره من خلالها بقدم القبجي إلى مالطة برفقته رجل من الدولة العلية يدعى محمد باي وهو ما زال مقيما بمالطة. كما أعلمه بقدم مراكب من مرسيليا، فاستغل وجودها ليستفسر من بعض القادمين على منتها على الأحوال الأمنية بالإسكندرية. لكنه لم يتمكن من معرفة الجديد⁽²⁾.

كما أخبره بقدم الريس علي الميورقي إلى تونس، أين مكث ثمانية أيام ولم يتمكن أثناءها من الحصول على المؤونة المخصصة له، وهو يجهل السبب، وقد وضع احتمالين، أحدهما إما خوف باي تونس من إغصاب القنصل الفرنسي؛ أو لعدم تلقي السلطات التونسية أجوبة على الرسائل التي بعثها إلى باشا⁽³⁾.

وفي 21 من ذي القعدة سنة 1245هـ/1829م، ذكر أحمد باي في رسالته الموجهة إلى حسين باشا أنه قد وردت عليه رسالة من وكيل الجزائر بتونس الحاج عمار وأنه سوف يوجهها إليه⁽⁴⁾. فحسين باشا كتب إلى الحاج عمار⁽⁵⁾ بتاريخ 29 من ذي الحجة من السنة نفسها يعلمه من خلالها أنه قد فهم كل ما ورد في رسالته التي بعثها له جملة وتفصيلا.

ومن جملة هذه الأحداث، قدوم مركب من اسطنبول⁽⁶⁾ حاملا معه رسائل من أحمد قبطان يخبره فيها أن السيد طاهر باشا⁽⁷⁾ يسعى إلى محاولة الصلح بين

¹ الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

² ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3207.

³ المصدر نفسه.

⁴ الرسالة رقم: (1) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ ينظر نموذجا من الرسائل التي كان يبعثها نائب الوكيل الجزائر بتونس في الملحق الخاص بالوثائق رقم: (4).

⁶ في الرسالة كتبت "اسلام بول".

⁷ طاهر باشا: قدم من أستانة موقدا من قبل السلطان وحائزا على الرخصة الكاملة والصلاحيية المطلقة لحل النزاع وفك الحصار، وكان الفرنسيون يخافون دخوله لأنه لو تمكن من إقناع الجزائر بقبول الشروط التي وضعتها الحكومة الفرنسية تكون المشكلة قد حلت، لهذا سعت لمنع من الدخول برا عن طريق تونس بتخويف حسين باي تونس. ينظر: أحمد توفيق المدني، من الوثائق العثمانية عن تاريخ الجزائر، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، النصف الأول من سنة 1982، ص ص: 26-27.

الجزائر وفرنسا، وأنه غير راض على ذلك. كما ذكر بأن قبطان باشا البابوجي قد توفي وولي مكانه خليل باشا. وأخبره أيضا "بأن الله قد أعاد نعمته" على اسطنبول، إذ ورد مركبا من أزميز⁽¹⁾ "من حضرة الحاج محمد رايس" يخبره "بأن أزميز في هذه الساعة في أمن وأمان ورخاء". كما يشكره فيها على التهاني التي قدمها له بمناسبة تدمير المركبين الفرنسيين⁽²⁾.

كانت هذه بعض النماذج من المراسلات التي تمت بين وكيل الجزائر بتونس والباشا بالجزائر والتي كان أحمد باي وسيطا فيها. أما فيما يخص المراسلات المتبادلة بين وكيل الجزائر بتونس مع كبار الموظفين في السلطة، فهذه أمثلة عن بعضها:

منها الرسالتين التي بعث بهما الوكيل سي محمود إلى كل من وكيل الخرج وإبراهيم آغا بتاريخ 23 من شوال 1243هـ/1827م. أيضا رسالة أخرى تحمل التاريخ نفسه وجهت إلى بعض النصاري المقيمين بمدينة الجزائر⁽³⁾. كما نجد في بعض المرات يخص كل من المراكنتي ووكيل باب الجهاد بالمراسلة دون الباشا وذلك ما كان بتاريخ 26 من ذي الحجة 1242هـ/1826م⁽⁴⁾.

*- النوع الثاني والخاص بالمراسلات التي كانت تتم بين كل من أحمد باي وحسين باشا مع باي تونس، بواسطة وكيل الجزائر الذي كان حلقة وصل بينهم. وما يلاحظ عليها أنها عالجت مواضيع شتى.

ومن بين المراسلات التي كانت تتم بين الحاكمين -حسين باشا وحسين باي تونس-، نذكر ما كان بتاريخ 7 رجب من سنة 1243هـ/1827م، فهذا حسين باشا

¹ أزميز: مدينة تاريخية عريقة في وسط غرب تركيا الأسيوية، تبعد عن مدينة أنقرة بحوالي 400 كلم وإلى الغرب منها. ويعود تأسيسها إلى عهد الروم وقد عرفت باسم مسيرنا وكانت ميناء مهما من المنظور التاريخي، والمدينة التي تقع على بحر إيجه سيطر عليها العثمانيون إبان فترة حكم السلطان أورخان بن عثمان الذي بنى فيها جامعة للمعارف والآداب. ينظر: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ص: 45.

² ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3207.

³ الرسالة رقم: (12) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ الرسالة رقم: (26) في الترتيب العام للمجموعة.

يبحث بعض رجاله، منهم محمد الشاوش وسي الحاج العربي⁽¹⁾ والاصبايحية إلى أحمد باي ليبلغوه أمر الباشا الذي كان مفاده كتابة رسالة إلى باي تونس، كما طلب منه أن يجعل منها نسخة يبعث بها إلى وكيل الجزائر حتى يكون على علم ودراية بكلّ الأمور إذا ما استدعاه باي تونس وناقشه في الموضوع الذي لم يتم الإفصاح عليه في مضمون الرسالة. بعدها بعث أحمد باي إلى حسين باشا يطمئنه على إتمام المهمة وأتّه حينما يصله الرد من باي تونس يبعثه إليه فوراً دون انتظار⁽²⁾.

أيضاً الرسالة التي أرسلها حسين باشا في أوائل ذي الحجة من سنة 1243هـ/1827م، عبر عامله أحمد باي إلى باي تونس يستفسره من خلالها على وصيفه وخادمه "ابن كانون". وقد أكد له أحمد باي بأنّه حين وصول الرد يوجهه إليه دون تعطيل⁽³⁾.

أمّا فيما يخص المراسلات التي كانت تتم بين أحمد باي وحسين باي تونس، ما تم بتاريخ 29 ذي القعدة من سنة 1242هـ/1826م. فقد كتب أحمد باي رسالة إلى باي تونس، وقبل أن يبعثها إليه أرسلها إلى الباشا حسين بالجزائر لكي يطلع على مضمونها، فيصححها له أو يترك النص على ما هو عليه⁽⁴⁾.

وبتاريخ 3 شعبان من سنة 1243/1827، بعث أحمد باي رسالة إلى حسين باي تونس، من خلالها يطالبه بإعطاء تفسيرات حول سكوته وقبوله بإقامة أحد الرعايا الجزائريين المتهم بالعصيان وسرقة أموال البايك. وعندما ورد جواب باي تونس، ولمّا قرأه أحمد باي اندهش لموقفه؛ فلقد رفض باي تونس تسليمه له

¹ الحاج سي العربي: هو المرابط العربي الذي قال عنه أحمد باي في مذكراته أنّه برهن له في تلك الظروف على لؤم شديد وعداوة، فعندما كان قائداً على العواصي رفع إلى الباشا حسين اتهامات ضده. ولكنّه بعد احتلال مدينة الجزائر لجأ إلى أحمد باي من أجل أن يحمل له زوجته وأولاده، وأثناء الطريق نسيا ما كان بينهما من عداوة، بعدها عينه أحمد باي قائداً على قرية صغيرة على مقربة من الميلة، ولكنّه بعد سنوات ظهر منه تغيير إذ تأمر عليه وارتيب بيوسف وأصبح رائداً لجميع أنصاره. ينظر: أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 58-59.

² الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

³ الرسالة نفسها.

⁴ الرسالة رقم: (23) في الترتيب العام للمجموعة.

واعتبره لاجئ⁽¹⁾ ولا يمكنه "كسر هذه الحرمة". ويضيف أحمد باي مبينا موقف باي تونس الخاطئ بأنه من تنطبق عليهم هذه الصفة هم أولاد مبارك الحنانشي الذين وصل عددهم إلى نحو ستة عشر رجلا، أما هذا الشخص فليس بهارب لأنه في نظر السلطات الجزائرية سارق ويجب أن يحاسب وينال حقه من العقاب⁽²⁾.

لكن باي تونس لم يقتنع بما جاء على لسان أحمد باي، بل أكد أنه لا يمكن تسليمه للسلطات الجزائرية، لأن ذلك يعتبر "كسرا لحرمة" حكومته. ويؤكد أحمد باي في تقريره للباشا على أن مجمل رعية البايك التي فرّت إلى تونس قد رجعت نظرا لسوء الأحوال المعيشية هناك. وقد ضمن لهم الإقامة دون أن يتعرض لهم أحد بأدى. وفي آخر الرسالة يطلب من الباشا الاستشارة والنصيحة في هذه المسألة⁽³⁾.

ذلك أن الأمر لم يكن يسير بهذه الطريقة في كل الأحوال، فلقد حاول باي تونس منع بعض الرعايا الجزائريين الفارين دخول بلاده. ولم يذكر في نص الرسالة أي تفاصيل أخرى عن سبب رفض باي تونس لهؤلاء، مادام أنه فعل ذلك مع غيرهم من الفارين⁽⁴⁾.

وفي الرسالة نفسها أعلم أحمد باي الباشا حسين بأنه أمر قواته بتشديد الحراسة على منطقة الكاف الحدودية والتي كانت ممرا للفارين؛ ولكن هذا الأمر أقلق السلطات التونسية معتقدة بأن تعسكر الجنود الجزائريين في هذه المنطقة كان لأغراض غامضة فاتخذوا لأجل ذلك التدابير الأمنية الكافية لتفادي أي طارئ قد يحدث، إذ فرقوا قواتهم العسكرية على كل المكان لحراسته⁽⁵⁾.

وبهذا فإن رواية أحمد باي في تقريره للباشا ترجع سبب فرار الرعية الجزائرية نحو تونس، إلى الأمور التالية:

¹ مصطلح اللاجئ: هو أي شخص اضطر إلى الهرب من بلده الأصلي أو البلد الذي كان فيه محل إقامته المعتاد من أجل تفادي أخطار جسمية، وعلى وجه الخصوص لتجنب اضطهاد سياسي أو عرقي أو ديني، ولا يمكنه أو لا يريد بسبب خوف مشروع، اللجوء إلى حماية سلطات بلده. ينظر: جيرار كورنو، معجم المصطلحات السياسية، ص: 1328.

² الرسالة رقم: (11) في الترتيب العام للمجموعة.

³ الرسالة نفسها.

⁴ الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة، مؤرخة في 29 من رجب 1242هـ/1827م.

⁵ الرسالة نفسها.

-رفضها الانصياع وتسديد ما كان عليها من مطالب مخزنية.
-ارتكابها لعمليات سرقة مست أموال البايك.

أما بعض الكتابات التاريخية التي تناولت الموضوع فأرجعت ذلك إلى أنه "متى وجد العرب أنّ استبداد الباي وطغيانه لا يطاق، يرحلون إلى منطقة أخرى، وبهذه الطريقة خلت سهول عنابة من سكانها تقريبا"⁽¹⁾. ولم يقتصر الهروب واللجوء إلا على الطرف المدني فقط، بل خصّ أيضا العنصر العسكري. بحيث كثيرا ما كانت تتم عملية هروب اليولداش من بايلك الشرق قاصدين بذلك أراضي تونس. وهذا ما ذكره نص الوثيقة المحصل عليها من المكتبة الوطنية والمؤرخة في 10 رمضان من عام 1242هـ/1826م، والتي ذكرت بأنه تم هروب مجموعة من اليولداش إلى تونس وصل عددهم الثمانيين، وعندما طالب وكيل الجزائر بضرورة تسليمهم بأمر من الباشا حسين، أجابه بأنه كل "من دخل سنجاقه فهو آمن"⁽²⁾ ولا يجوز تحت أية ظروف أو ضغوط اختراق "هذه الحرمة"⁽³⁾.

هذا فيما يخص ظاهرة هروب بعض الرعايا الجزائريين إلى تونس. أما فيما يخص لجوء بعض التونسيين إلى قسنطينة وطلبهم الاستقرار فيها، فقد ورد في هذا الأمر بعض المعلومات.

فقد ذكر أحمد باي في إحدى رسائله أنه لجأ إليه بعض من أفراد قبيلة الشراقة التونسية طالبين منه الإذن بالاستقرار على أرض الجزائر. لكن أحمد باي لم

¹-شارل، مذكرات شارل، ص: 106.

²-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3207.

³-المصدر نفسه. ومن خلال ما ورد في نص هذه الوثيقة يستنتج أنه كان يستعمل في تلك الحقبة التاريخية بما يسمى حاليا بحق اللجوء السياسي، هذا الأخير الذي يعني في مفهومه العام "حق الدولة في أن تمنح ملجأ في إقليمها للأشخاص المضطهدين لأسباب سياسية في دولة أخرى. ويستثنى من حق اللجوء السياسي المجرمون العاديون، فيترتب على الدولة رفض إيوائهم قطعاً، وتسليمهم إلى السلطات المحلية". ينظر: أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات السياسية، ص: 131. وبهذا فإن السلطة التونسية برفضها تسليم هؤلاء الجنود ومنحهم كل الضمان والأمان، فإنها بذلك تمنحهم حق اللجوء السياسي. وبغض النظر عن كل هذا فالسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا قام هؤلاء اليولداش بالهروب إلى دولة أخرى؟ إجابة تحتاج إلى دراسة موقفة.

يرض بذلك إلا بعد أن أمل عليها شروطا كان يجب التقيد بها⁽¹⁾. ولقد أبلغ أحمد باي الباشا في رسالة أخرى، بأنه لجأ إليه بعض التونسيون طالبين منه حق البقاء في قسنطينة، لما لقوه من اضطهاد أقلق معيشتهم. فرحّب بهم، وأحسن معاملتهم، كما أعطى لهم كامل الحرية في الأخذ بسبل العيش ما دام ذلك في إطار المحافظة على النظام العام للبلاد واحترام قوانينها، وأسقط عليهم كل أنواع المطالب المخزنية من حكر أو عشر⁽²⁾.

2- تونس والأزمة الفرنسية الجزائرية: لقد أجمعت معظم المصادر والمراجع التاريخية على أنّ العلاقات بين الجزائر وتونس قد أخذت منحرج التذبذب وعدم الاستقرار. ففي معظم الأحيان كان البلدين في حالة اصطدام دائمة، ويرجع ذلك لمعطيات جغرافية واقتصادية واضحة المعالم. فلقد حاولت تونس أن تضم لإقليمها بايلك الشرق، هذا الأخير كان بمثابة ثروة عظيمة لكل من اكتسبها هذا من جهة، ولقرب المسافة بين المنطقتين من جهة أخرى.

كما حاولت تونس جاهدة للتخلص من سيطرة حكام الجزائر عليها ومن دفع الإتاوات التي كان يفرضها عليها بعض الدايات. كلّ هذا وذلك جعل من العلاقات الجزائرية التونسية تحمل البعض من الحقد والانتقام. ولقد اتضح ذلك جليا من خلال موقفها الغير مشرّف إزاء الأزمة الفرنسية الجزائرية.

فلقد استقبل باي تونس أمر الحصار الفرنسي على السواحل الجزائرية بما فيه الساحل الشرقي براحة، ولم يكن له ردود فعل ايجابية بموجب المجاورة والأخوة في الدين والدم. فهذا قنصل فرنسا في تونس "قايس" "Guys" كتب في تقرير لحكومته، بأنّ باي تونس مرتاح من طريقة معاملة فرنسا للجزائر، ومن الحملة التي سوف تشنها ضدها، لأنّه كان يتمنى منذ زمن بعيد سقوط الجزائر⁽³⁾.

كما يؤكّد بأنه سوف يتم التخطيط للاستيلاء على قسنطينة من مقرهم الثاني

¹ الرسالة رقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة.

² الرسالة رقم: (23) في الترتيب العام للمجموعة.

³ -L. Pechot, France et l'Afrique du nord avant 1830, P : 587.

بتونس⁽¹⁾. حيث استعملت المنطقة كمركز للتجسس وتحسس الأخبار نظرا لقرب المسافة بينهما، إذ كانت الحكومة الفرنسية تستعمل بعض الرعايا العرب التي ترى فيهم الثقة والذكاء من أجل أن ينقلوا لها أخبارا ومعلومات حول كل ما يتعلق بقسنطينة مهما كانت أهميتها مقابل مبالغ مالية كانت تدفعها لهم⁽²⁾.

وقد ذكر أحمد باي في تقريره المؤرخ في 15 محرم من سنة 1243هـ/ 1827م، بأن وكيل فرنسا السابق بمنطقة القالة قد توجه إلى قبيلة نهد⁽³⁾ المقيمة على الحدود التونسية واستأذنها ببناء مركز يمارس فيه نشاطه التجاري⁽⁴⁾. وقد استفسر أحمد باي حول صحة هذا الموضوع، وإن كان يعلم باي تونس وابنه⁽⁵⁾. وما هو أكيد أن هذا المركز لم يكن الغرض منه التجارة بقدر ما كان يراد منه التجسس وتحسس الأخبار بشأن كل ما يتعلق ببايلك الشرق.

كما عمد حكام تونس إلى السهر على حماية مصالح فرنسا المتواجدة فوق أراضيها. فمن خلال مضمون الرسالة التي بعثها قايس قنصل فرنسا بتونس إلى حكومته بتاريخ 1243هـ/ 1827م، مفادها أن حكومة تونس قامت بتسليح أربع "بركوات" مدفعية حتى تتمكن من حماية الممتلكات الفرنسية المتواجدة على أراضيها ضد اعتداءات البحرية الجزائرية، وهذا دون طلب من فرنسا⁽⁶⁾.

كما عمد الحكام التونسيون إلى تموين القوات الفرنسية بكل ما كانت تحتاجه من أغذية ومياه. فهذا أحمد باي يخبر الباشا في أحد تقاريره التي وجهها إليه بتاريخ

¹L. Pechot, France et l'Afrique du nord avant 1830, P : 587.

²Engène Plantet, Correspondance des Beys de Tunis et des Consuls de France, P : 647.

³قبيلة نهد: سكنت هذه القبيلة الحدود بين تونس والجزائر، وهي في معظمها تميل إلى الاستقلال، حيث سمح لها بعدها عن السلطة الجزائرية والتونسية على المحافظة على بعض من هذا الاستقلال. وقد كانت تتعرض بين الحين والآخر إلى بعض الحملات من بايات تونس تارة، ومن بايات قسنطينة تارة أخرى، طالين منها دفع ما يجب عليها من مطالب مخزنية. ومن بين فروعها لهواوشة وأخضر، فأما الفرع الأول فكان تواجده على بعد 13 كلم جنوب شرق القالة. في حين كان استقرار الفرع الثاني على بعد 18 كلم شرق القالة، وتتشابه مواطن هاتين القبيلتين في كونهما جبليتين نوعا ما، أيضا لامتلاكهما لبعض السهول والأودية مما جعل أراضيها صالحة للزراعة. ينظر: Charles Féraud, La Calle, P : 63.

⁴من خلال التعريف بهذه القبيلة استنتجنا أنه كانت تميل إلى الاستقلال، وتميزت بالعصيان والتمرد على السلطات الحاكمة لهذا لجأت إليها السلطات الفرنسية من أجل بناء هذا المركز متأكدة من مساعدتها لها، نظرا لموقفها من كلتا السلطتين التونسية والجزائرية.

⁵الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶Engène Plantet, Op. cit, P : 634.

15 محرم من سنة 1243هـ/1827م، أنه وردت عليه أخبار من تونس على لسان محمود الطنجي، مفادها قدوم 18 سفينة حربية فرنسية إلى ميناء تونس، وعلى متنها فنصل فرنسا و"الكمنداد"، فتوجه إليهم باي تونس وحملهم على متن عربته⁽¹⁾ وذهب بهم إلى مقر إقامته؛ وأثناء الليل قدّم لهم مساعدات عينية تمثلت في أربعين رأس من البقر وكمية كبيرة من المياه الصالحة للشرب⁽²⁾.

ولم تكن هذه المرة الأولى التي قدمت فيها السلطات التونسية مساعدات للقوات الفرنسية، ففي سنة 1245هـ/1829م، قامت الحكومة التونسية بتمويل الجيش المكلف بشن الحملة على جزائر بقطيع من البقر ومكافأة لها، قررت فرنسا بأن تمنح لمصطفى أخ الباي حسين عرش قسنطينة، على أن يكون له كلّ مداخيل البايلك، مقابلها يدفع ضريبة تقدر بـ 800000 فرنك فرنسي أثناء سنة 1246هـ/1831م، ومليون فرنك فرنسي للسنوات القادمة⁽³⁾.

كما أكدّ أحمد باي للباشا في الرسالة نفسها خبر شن حملة على وهران باتفاق بين كلّ من فرنسا والإسبان، وأنّ مصدر معلوماته أكيد وموثوق فقد جاءه بها المدعو محمود الطنجي⁽⁴⁾.

وعلى ضوء ما عرض من معطيات تاريخية منه ما أكدته مصادر وطنية، والجانب الآخر أكدته بعض المصادر والمراجع الأجنبية، تبين كيف أنّ السلطات التونسية لعبت دورا غير مباشر، وساعدت من بعيد على نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر، معتقدة في ذلك أنّها سوف تكون في مأمن من العدو المشترك، وناسية أو متناسية بأنّ وجه المحتل لا يأخذ عدّة ألوان أو أشكال، ولكن يأخذ لونا واحدا وهو لون الدم، كما يأخذ شكلا واحدا وهو شكل المغتصب الطامع في خيرات الغير،

¹ العربية: سماها أحمد باي في الرسالة بـ "الكروسة". ينظر: الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة. تكونت هذه العربية من أربع عجلات نقودها مجموعة من البغال، ولم يكن الحق سوى للباي بامتلاك مثل هذه العربيات. ينظر:

Engène Plantet, Correspondance des Beys de Tunis et des Consuls de France, P : 657.

² الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

³ Mathieu De Lesseps, Algérie et la Tunisie, Librairie Hachette et C^{le}, 1909, P : 184.

⁴ الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

فرنسا لم تكن لتقنع بمستعمرة واحدة خاصة عندما تفتح لها الأبواب على مصرعيها، فكانت الجزائر هي البوابة نحو مناطق أخرى. وهذا ما أكدته الأحداث التاريخية فيما بعد، فقلد وقعت تونس أيضا في المصير نفسه الذي لاقته الجزائر⁽¹⁾.

¹ فرضت فرنسا الحماية على تونس وقد اعترف بها محمد الصادق باي ووقع على المعاهدة التي عرضها عليه الجنرال بريار غداة حصاره لقصر السعيد بباردو وكان ذلك في 12 جمادى الثانية 1289هـ/12 ماي 1881م. ينظر: حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، ص: 214.

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية والاجتماعية على

محمد أحمد باي

(1/4) - المبحث الأول: الحياة الاقتصادية على محمد أحمد باي

- الفلاحة والعرف والتجارة

- مصادر الدخل وأوجه الإنفاق

- العملة

(2/4) - المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية على محمد أحمد باي

- تركيبة المجتمع القسطنطيني

- مميزات

- الاعتقال بالأعيان الدينية والمناسبات

1/4-المبحث الأول: الحياة الاقتصادية على عهد أحمد باي.

1- الفلاحة والحرف والتجارة:

كلّ الذين كتبوا على بابك الشرق، أجمعوا على أنّه من أغنى وأوسع الأقاليم على مستوى الجزائر على العهد العثماني. فموقعه الجغرافي واختلاف تضاريسه مع تنوع ثرواته الطبيعية، وهبت له أهمية كبيرة ومكانة على المستوى الداخلي والخارجي. فمن بين أهم القطاعات المؤسسة لاقتصاد البايك، الفلاحة والرعي، ثم الحرف فالتجارة الداخلية والخارجية.

أ- الفلاحة: لم يتطور القطاع الفلاحي في الجزائر منذ أواسط القرن السابع عشر، فاقصر الفلاحون على استعمال الآلات البسيطة التي كانت وإلى غاية أواخر القرن الثامن عشر لا تتعدى المحراث الخشبي⁽¹⁾. وبهذه الأساليب البسيطة ظلت أغلب الأراضي الخصبة تعاني الإهمال⁽²⁾، إلا أنّه بالرغم من هذه الظروف الإنتاجية التقليدية، فإنّ الفلاحة كانت مزدهرة ما عدا في سنوات القحط. إذ كانت الجزائر تنتج جميع أنواع الفواكه والخضر والحبوب بكميات تزيد عن حاجيات السكان، وقد أكد شارل هذا الأمر حين كتب يقول: "إنّ هذا القطاع كان مزدهرا فكانت هناك أجنة الكروم والأشجار المثمرة التي لم تعرف مثلها في أوروبا. وأنّ الأراضي كانت مغطاة بأجمل الغابات والبساتين"⁽³⁾.

ولقد تميز بابك الشرق بشساعة أراضيه، لهذا التجأت السلطة العثمانية إلى عملية تقسيم الأراضي بالشكل الذي رآته كفيلا بأن يقدم لهذا القطاع نوعا من

¹ المحراث الخشبي: وصفه نوشي فقال إنّه محراث بدون عجلات وهو مكون من قطعة خشبية من خمس إلى ست أقدام على طوله عريض بعرض اليد. ينظر:

Endrè Nouchi, Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919 (Essai d'histoire économique et sociale), P : 63.

وكان هذا المحراث مكون من قطعتين مجتمعتين، ومزود بسبكة حديدية في طرفه الأسفل، وقد حالت دون تعمقه في التربة واقتصر أثره على ملامسة الأرض. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 56.

² المرجع نفسه، ص: 56.

³ شارل، مذكرات شارل، ص: 108.

التوازن، وقد كانت الملكيات على أنواع منها:

- الملكیة الخاصة: كانت قليلة، ولا تكاد تكون موجودة إلا بضواحي المدن⁽¹⁾.
 الملكیة المشاعة⁽²⁾: ضمت أراضي العرش والتي كان يستغلها كامل أفراد القبيلة كل حسب طاقته⁽³⁾.
 الأحياس وأملاك الدولة: كانت تشرف على تسيريهما المصالح الإدارية بمساعدة قبائل المخزن، وفي بعض الأحيان كانت تعطى هذه الأراضي لبعض الأفراد أو حتى لبعض القبائل لتقوم باستغلالها مقابل أجر يتفق عليه⁽⁴⁾. وقد أطلق عليها أحمد باي مصطلح "أراضي المخزن"⁽⁵⁾.

وأراضي الدولة لا يجوز امتلاكها أو تأجيرها لأي كان دون الرجوع إلى السلطة العثمانية. ففي إحدى الرسائل التي بعثها أحمد باي إلى حسين باشا والمؤرخة في 19 محرم من سنة 1244هـ/1828م، ذكر فيها أن أحدا من رعيته يدعي ابن الأبيض باع أرضا تابعة للمخزن بعقد مزور، وهو ما لا يمكن امتلاكه، على أساس أنها من ممتلكات البايلك، لهذا قام بكل الإجراءات اللازمة من أجل استرجاعها⁽⁶⁾.
 أراضي عزل البايلك: كانت أراضي عزل البايلك ضمن دائرة مركزها -مدينة قسنطينة- والتي لا تكاد تفصلها إلا بعض الملكيات الخاصة، التي كانت لا تتجاوز مساحتها عشرة آلاف هكتار على امتداد وادي الرمل⁽⁷⁾ ووادي بومرزاق⁽⁸⁾

¹ العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 58.

² الملكیة المشاعة: ويطلق عليها أيضا الملكیة العامة للقبيلة أو العرش، وغالبا ما يكون هذا النوع من الملكیة العامة في المناطق السهلية، لهذا كان من الطبيعي أن تكون لبعض القبائل أراضي واسعة تقدر بالآلاف من الهكتارات، وترسم هذه الملكیة بحدود عرفية هي موضع رضا وقبول من لدن كل القبائل المجاورة لها. وكثيرا ما كانت تسمى هذه الملكیة "الوطن". ينظر: حميدة عميراي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 34.

³ كانت الأمبيقية تعطى للمعوزين حتى يتخلصوا من الفقر والفاقة، وإذا كان أحد أفراد القبيلة قادرا على العمل وهو لا يملك وسائل الإنتاج، فإنه يشترك مع غيره. ينظر: العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 59.

⁴ إذا كانت ضمن الأراضي الخالية من السكان، فتعتبر أرض غير صالحة ومن أحيائها فهي له، وإذا كانت قريبة من العمران فيقتصر محيؤها إلى إذن من الحاكم بخلاف البعيدة عن العمران. ينظر: المرجع نفسه، ص: 59.

⁵ الرسالة رقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ الرسالة نفسها.

⁷ ورد ذكره في الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة. ينظر الفصل الأول، المبحث الثاني، ص: 93.

⁸ وادي بومرزاق: أو وادي بومرزوق يقع بضواحي مدينة قسنطينة ويلتقي بوادي الرمل على مقربة منه أتيا من الخروب. ينظر: أحمد العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، ص: 36. وهو يخترق مدينة قسنطينة ثم يصب فيه وادي سمندو. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 159.

ووادي الزناتي والوادي الكبير⁽¹⁾، وبعض القطع المنعزلة بضواحي مدينة عنابة أو على سفوح الجبال⁽²⁾.

وكانت هذه الأراضي على اختلاف ملكياتها تنتج كميات كبيرة من الحبوب بأنواعها والخضر والفواكه. وكانت هذه المحاصيل تسد حاجيات سكان البايك، كما كان يصدر البعض منها نحو المناطق الداخلية أو الخارجية. ومن أهمها نذكر:

القمح⁽³⁾ والشعير: كتب أحمد باي في مذكراته يقول: "إن كل ثروتنا تتمثل في القمح"⁽⁴⁾، ذلك أن تربة الأرض تصلح لهذا النوع من الإنتاج الزراعي. فقد كان باييك الشرق بعدما يسد حاجيات السكان، يمون مدينة الجزائر بكميات معتبرة. فكان يبعث بها عن طريق عنابة⁽⁵⁾، تبعا للعادة الجاري العمل بها منذ عهد إنقليز باي⁽⁶⁾.

وهذا ما أكده أحمد باي في إحدى رسائله التي وجهها لحسين باشا، المؤرخة في 15 جمادى الثانية من عام 1826/1242، فقد أعلم الباشا بوصول مؤونة من قمح بعثها له عن طريق عنابة⁽⁷⁾، والتي كانت من ضمن المناطق الأكثر إنتاجا لهذه المادة، فقد كانت سهولها تمتد على مساحة طولها "أربعون ميلا وعرضها خمس وعشرون، وهي في منتهى الخصوبة وتنتج جميع أنواع الحبوب"⁽⁸⁾، ولكن ما كان

¹ وادي الكبير: المصب الأيسر للوادي الموجود على بعد 66 كلم من مدينة قسنطينة، قسم منه يتجه نحو القالة. ينظر: Charles Féraud, L'oued- El Kebir et Collo, R. A. 1868, P. 199.

² ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 91.
³ القمح الجزائري: كان من النوع الصلب، والدقيق الذي يطحن منه يشبه الرمل في مظهره، وهو مشهور في الأسواق الأوروبية خاصة الإيطالية منها، ويفضله تجار الأجانب على جميع أنواع القمح الأخرى بسبب جودته. ينظر: شارل، مذكرات شارل، ص: 19-20.

⁴ أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 45.
⁵ ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، ص: 163.

⁶ إنقليز باي: ورد ذكره في الرسالة رقم: (23) في الترتيب العام للمجموعة. اسمه الحاج مصطفى إنقليز باي، تركي قديم في قسنطينة تولى إدارة باييك الشرق عام 1212هـ/1798م. وكان سبب عزله أن أحد أبنائه اشتهر بالفسق والفساد وتآدت الرعية كثيرا منه فلما وصل خبره إلى الباشا بالجزائر أمر بعزله وانتقاله إلى مدينة الجزائر مع عائلته، ويعود سبب نجاته من العقاب تلك الصداقة والمودة التي كانت تجمع بينه وبين بعض عمال الساميين "فتشفعوا له" لدى الباشا وعزل سنة 1218هـ/1804م. ينظر: صالح بن العنتر، تاريخ قسنطينة، ص: 68-69. أما ناصر الدين سعيدوني فيرجع سبب نفيه إلى أنه بعدما حكم أربع سنوات حرّض التونسيين على محاصرة مدينة قسنطينة. فقد جرد حمودة باشا حملة على قسنطينة، ومن آثارها تلك المدافع التي وجدها الجيش الفرنسي عند استيلائها عليها. ولهذا عزل. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، ص: 153.

⁷ الرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة.

⁸ العربي الزبير، التجارة الخارجية، ص: 58.

يعيب على مدينة عنابة مناخها، ذلك أن ظروف التخزين بها كانت غير صالحة، مما كان يؤدي إلى إفساد مخزون القمح في فترة قصيرة، عكس ما كان يحدث على مستوى قسنطينة⁽¹⁾.

أما كميات القمح التي كان يمون بها بايالك الشرق مدينة الجزائر⁽²⁾ فقد قدرت بأربعين حمولة؛ أي ما يعادل "سنة عشر ألف قيسة من الحبوب"، وقد بلغت في السنوات الخصبة مائة ألف صاع⁽³⁾.

وهذا ما أكده أحمد باي في إحدى رسائله الموجهة إلى الباشا، والمؤرخة في 24 جمادى الثانية من عام 1245هـ/1829م. ومن خلالها يتضح دور العوامل الطبيعية في مردود الإنتاج الزراعي خاصة القمح والشعير منه. فقد ذكر بأنه بفضل كثرة الأمطار "النافعة" عم الرخاء والنعيم على كل الرعية، بدليل هذه العبارة الواردة في نص الرسالة: "وبلادك ووطنك في هناء وعافية قد من الله تعالى في هذه الخريف بالمطر النافع والخصب الشاسع والكلا الواسع فأخصبت البلاد وأعشبت وسرت بذلك أهل الحاضرة والبواد والحمد لله تعالى"⁽⁴⁾.

وإن حدث العكس، ونعني بذلك سوء الأحوال المناخية فإن المردود يقل، ولا يستطيع القائمون على البايالك إرسال المؤونة المعتاد إرسالها إلى مدينة الجزائر. مثال ذلك ما حدث في سنة 1243هـ/1827م، إذ اشتكى أحمد باي من الجفاف⁽⁵⁾ الذي أصاب المنطقة⁽⁶⁾، والذي تسبب في وقوع أزمة غذائية. وأيضاً خلال السنة

¹ الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة. والمؤرخة في أوائل ذي الحجة عام 1243هـ/1827م.

² الرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة

³ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 213.

⁴ الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ من أهم السنوات التي قاست فيها الجزائر في أواخر العهد العثماني من ظاهرة الجفاف تلك التي حدثت في كل من عام 1232-1235هـ/1816-1819م. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصائر وثائقها في العهد العثماني، ج: 1-2، ص: 436. أما على مستوى بايالك الشرق فلقد أصاب المنطقة عام 1219هـ/1804م، جفاف أدى إلى حدوث مجاعة عظيمة. فذكر ابن العنترى أنه "وقعت مجاعة وقحط مهول سنة 1219هـ/1804-1805م أضر بأهل قسنطينة ووطنها، ودام الحال كذلك ثلاث سنوات متواصلة. ينظر: محمد صالح بن العنترى، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم: راجح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1394هـ/1974م، ص: 27-28.

⁶ الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.

نفسها هاجمت جموع من الجراد⁽¹⁾ الأراضي، فزادت بذلك من حدة الأزمة⁽²⁾.

كما أنّ كثرة الأمطار كثيرا ما كان تحدث فيضانات، بخاصة على مستوى الأودية، ذلك أنّ مؤونة القمح والشعير التي كانت تبعث إلى مدينة الجزائر كانت تمر على أحد الأودية الموجودة في شرق البايك.

وهذا ما أكده أحمد باي في إحدى رسائله المؤرخة في 11 ذي القعدة من عام 1243هـ/1827م، فقد ذكر بأن كثرة الأمطار أدت إلى "حمل النهر"⁽³⁾، لهذا تعذر عليه إرسال الكميات اللازمة من مادتي القمح والشعير إلى مدينة الجزائر⁽⁴⁾.

زيادة على منتج القمح والشعير كان باييك الشرق ينتج الذرة التي كانت ثاني مادة زراعية ذات أهمية، وتميز هذا المنتج بسهولة تخزينه ونقله⁽⁵⁾.

أما صحراء البايك فكانت تعرف بتمورها المشهورة بجودتها؛ إذ كانت منطقة وادي ريغ⁽⁶⁾ وحدها تملك سبع وأربعين واحة تنتج أجود أنواع التمور⁽⁷⁾.

مادة الخشب: كان باييك الشرق يملك مساحات غابية كبيرة، وقد ساعد ذلك في تطور الصناعة، بحيث تعتبر هذه المادة من المواد الأساسية في بعض

¹ تعتبر ظاهرة الجراد من الآفات الطبيعية التي أضرت بالجزائر خلال العهد العثماني، وتسببت في حدوث مجاعات واختفاء الأقوات وهلاك الكثير من السكان. ومن بين أهم السنوات التي عانت منها الجزائر أواخر العهد العثماني من ظاهرة الجراد هذه، تلك التي حدثت في كل من سنوات التالية: 1232-1238-1240هـ/1816-1822-1824م. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني، ص: 436. أما على مستوى باييك الشرق فلقد هاجمت في السنة 1219هـ/1804-1805م، جموع من الجراد على المنطقة فزادت من حدة الأزمة. وما يلاحظ أنّ الجفاف دائما يتبع بهجوم الجراد على المنطقة مما يزيد من تأزم الوضع الغذائي. ينظر: العننري، القحط والمسغبة في بلد قسنطينة، ص: 28.

² الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.

³ كما يذكر أحمد باي في رسالته اسم هذا الوادي، ولكنه يعتقد أنه وادي بجاية. فلقد ذكر العربي الزبيري أنّ كل الأودية في الجزائر كانت غير صالحة للملاحة ما عدا وادي بجاية في شرق البلاد وهو وادي الصومام الذي ما يزال جزء منه صالحا للملاحة حتى الآن. ينظر: العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 65. ووادي الصومام هذا اختلفت تسميته حسب الجهات التي يمر بها، فهو يدعى في أعالي قرية بني منصور بـ وادي بني منصور، ثم تغير اسمه إلى وادي عباس وأقبو وبني غليس وتازمالت، وأخيرا حمل اسم وادي السمار ثم سمي بالصمام. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 154.

⁴ الرسالة رقم: (25) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ Jean Morszot, L'Aurès ou la mythe de la montagne rebelle, P : 107.

⁶ وادي ريغ: يسميه ابن خلدون ببني ريغة، وذكر بأنهم كانوا أحياء متعددة "ولما افترق أمر زناتة تحيز منهم إلى جبل عياض". ينظر: ابن خلدون، تاريخ العبر، ج: 7، ص: 47. وهذه المنطقة متواجدة حاليا في الجنوب القسنطيني تحدها من الغرب وادي جدي. ومن أجل تفاصيل أكثر حول هذه المنطقة ينظر: الفصل الثاني، المبحث الأول، ص: (135-136).

⁷ Jean Jacques, Structures agraires, P : 60.

الصناعات. وهي في مجملها تجلب إلى عنابة من المناطق الغابية المحيطة بها وهذا ما أكده أحمد باي في إحدى رسائله⁽¹⁾، ومن بين هذه المناطق نذكر: غابات إيدوغ⁽²⁾ وبني صالح والقاللة⁽³⁾ ووادي سيبوس⁽⁴⁾. وقد امتازت أخشاب هذه المناطق بجودة أنواعها وملاءمتها لأعمال البناء⁽⁵⁾.

وما يؤكد ذلك المعلومات التي أوردها أحمد باي في إحدى رسائله المؤرخة في 29 ذي القعدة من سنة 1242هـ/1826م، فقد ذكر أن كل المباني التي بناها الفرنسيون في القالة كانت من مادة الخشب، كما وجدوا الكثير منها مطروحا بالقرب من مبانيهم⁽⁶⁾.

مادة الشموع: كان أهالي الشرق الجزائري يقومون في فصل الربيع من كل سنة بجني الشموع ثم يقومون ببيعها إلى إحدى المؤسسات الفرنسية، أو يتم تصديرها إلى تونس، وقد كانت مدينة القل أكبر منتج لهذه المادة⁽⁷⁾.

العسل: كانت من بين المواد النادرة، لهذا كان إقبال الأوروبيين على استيرادها كبيرا، من أجل هذا السبب بادرت السلطات على مستوى البايك إلى احتكار تجارتها وإعطاء حق تصديرها إلى الشركات الأجنبية، مثل الشركة الملكية الإفريقية الفرنسية وكان ذلك مقابل رسوم جمركية مرتفعة⁽⁸⁾.

وبشهادة بعض المؤرخين، كان القطاع الفلاحي على عهد أحمد باي مزدهرا إلى درجة كبيرة، "في حين قبل توليه الحكم كانت الأراضي مهملة⁽⁹⁾"، إلى درجة أن

¹ الرسالة رقم: (11) في الترتيب العام للمجموعة.

² منطقة إيدوغ: وقد وردت تسميتها كذلك في الرسالة رقم: (22) في الترتيب العام للمجموعة. وامتدت هذه المنطقة من السهل في الجنوب حتى راس الحمراء في الشمال على مسافة 14 كلم من مدينة عنابة. ينظر: ناصر الدين سعيوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 204.

³ المرجع نفسه، ص: 214.

⁴ وادي سيبوس: يجمع أودية شرف وبوحدان. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 159. وهذا الوادي موجود في شرق قالمة. ينظر: Mathe et Edment, Kitab aayane el Marhariba, P : 20.

⁵ الرسالة رقم: (11) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ الرسالة نفسها.

⁷ ناصر الدين سعيوني، المرجع السابق، ص: 214.

⁸ العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 60.

⁹ حمدان خوجة، المرأة، ص: 173.

السكان لم يكونوا قادرين على دفع ما كان يترتب عليهم من مطالب مخزنية⁽¹⁾. وهذا ما تأكد من خلال المعلومات التي وردت في الرسالة التي بعثها محمد منماني الى حسين باشا والمؤرخة في 5 رمضان من سنة 1240هـ/14 أبريل 1826م، فقد ذكر أن الأحوال الاقتصادية بالبايك في تدهور كبير حتى أن "البقرة بيعت بريالين"⁽²⁾. وبذلك انصرفت الرعية على عهد أحمد باي إلى خدمة الأرض واستغلالها، ومثال ذلك، أراضي أولاد عامر الشراقة التي لم تكن تستخدم سوى للمرعى فقط، فأصبحت على عهده تزرع ويستفاد منها خاصة في محاصيل الحبوب⁽³⁾.

القول نفسه أكدّه عبد الجليل التميمي، وذلك من خلال وثيقة حررها سكان قسنطينة والتي نقلوا فيها إلى الباشا حسين سرورهم ورضاهم على حكم أحمد باي الذي على عهده ازدهرت الزراعة⁽⁴⁾.

وأخيرا ما يؤكد كلّ هذه المعلومات ما ورد في إحدى الرسائل المؤرخة في 24 جمادى الثانية من عام 1245هـ/1829م، ومن خلالها أعلم أحمد باي الباشا بأن الرخاء والنعيم عمّ على كلّ الرعية، سواء على مستوى "الحضر أو في البادية"⁽⁵⁾.

وما يتبع القطاع الفلاحي ويتصل به اتصالا مباشرا الرعي. فلقد كان بايك الشرق يمتلك الأعداد الكبيرة من أنواع الماشية والبقر والخيل والبغال، وما يؤكد صحة هذه المعلومات ما ورد في رسائل أحمد باي من الأعداد الكبيرة لمختلف أنواع الماشية التي كان يتحصل عليها من خلال شنه لمختلف الحملات العسكرية ضد بعض القبائل التي كانت ترفض دفع المطالب المخزنية، أو لقيامها ببعض الأعمال المنافية للنظام العام. فقد قدرت إجمالا بـ 40827 رأس غنم⁽⁶⁾، و6149 رأس من البقر⁽⁷⁾، و423 ما بين خيل وبغال والتي كان يطلق عليها أحمد باي

¹ الرسالة رقم : (6) في الترتيب العام للمجموعة.

² الرسالة نفسها.

³ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 58.

⁴ Temimi, Le Beylik de Constantine et Ahmed Bey, P P : 61-62.

⁵ الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ ينظر كلّ من الرسالة رقم: (14-15-19-26-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

⁷ ينظر كلّ من الرسالة رقم: (14-15-18-19-26-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

"الزايلة"⁽¹⁾، و 377 من الهوير⁽²⁾، و 592 من الإبل⁽³⁾. وكلّ هذه الغنائم تحصل عليها ما بين سنة (1242-1244هـ/1826-1828م)⁽⁴⁾.

وإذا قدرت قيمة هذه الغنائم الممثلة في الغنم والبقر والهوير والبعال والخيول فإننا نتوقف عندها لحظة للقول في نهاية الأمر أنّ سكان الأوطان كانوا يملكون الكثير من هذه المواشي، وبالتالي فإنّ حرفة الرعي كانت من بين أهم الحرف التي كان يمارسها الكثير من سكان البايك، خاصة القاطنين بمنطقة الأوراس والصحراء. ومع هذا فإنّه لا يمكننا حصر عدد القطعان التي كان يملكها البايك بشكل حقيقي.

ب- الحرف: لم تكن موجودة في تلك الحقبة من تاريخ الجزائر ما يسمى بـ "الصناعة"، ولكن ما كان موجودا هو بعض الحرف التي تطورت شيئا فشيئا خاصة في بعض المجالات⁽⁵⁾. فقد كان يوجد على مستوى البايك عدد كبير من أصحاب الحرف، وفي مجالات متنوعة نذكر:

النجارون: تمثلت مهمتهم في صناعة الصناديق والأبواب والنوافذ وغيرها من المنتجات الخشبية⁽⁶⁾. وقد أستفيد من خبرة هؤلاء الحرفيون في إصلاح العتاد الحربي؛ فلقد استعان بهم أحمد باي في هذا الشأن، وكان ذلك أثناء الحصار الذي فرضته القوات الفرنسية على السواحل الشرقية⁽⁷⁾.

الحدادون: تولوا صناعة الأدوات التي كانت تستعمل في العمل الفلاحي كالمحارث والمناجل والألجمة⁽⁸⁾.

¹ ينظر كلّ من الرسالة رقم: (14-15-26-29) في الترتيب العام للمجموعة.

² ينظر كلّ من الرسالة رقم: (18-19-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

³ ينظر كلّ من الرسالة رقم: (18-19) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ أرخت كلّ من الرسالة رقم: (14-15-19) في سنة (1242هـ/1826م). في حين أرخت كلّ من الرسالة رقم:

(18-26) في سنة (1243هـ/1827م). أما الرسالة رقم: (30) فأرخت في سنة (1244هـ/1928م).

⁵ العربي الزبيرى، التجارة الخارجية، ص: 452.

⁶ Charles Féraud, Corporation des métiers à Constantine avant la conquête française, R. A. 1872, P: 70.

وقد تم الاستعانة بمرجع التجارة الخارجية لصاحبه العربي الزبيرى لترجمة المعلومات الواردة في هذه المجلة ينظر: ص ص: 453-454.

⁷ الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة.

⁸ -Charles Féraud, Op. Cit, P: 70.

- الصفارون: تخصصوا في صناعة الأواني النحاسية ونقشها وإصلاحها⁽¹⁾.
- الجلابون: وتمثلت مهمتهم في تربية المواشي وتسويقها⁽²⁾.
- شقماقبية: تخصصوا في صناعة الأسلحة عند كسرها⁽³⁾.
- الحواكون: اقتصوا بصناعة الملابس الصوفية والقطنية وحياسة الزرابي والأغطية⁽⁴⁾، والخيام، هذه الأخيرة كانت تمون بها أفراد الجيش، خاصة أثناء الحصار الذي ضرب على السواحل الشرقية، فقد ذكر أحمد باي أنه مون الخوزجية بمجموعة من الخيام⁽⁵⁾. وقد عرفت المنطقة بجودة منتوجاتها النسيجية⁽⁶⁾.
- الفخاريون: اقتصوا بصناعة الأدوات الفخارية⁽⁷⁾.
- البنائون: اقتصوا ببناء المنازل وغيرها من المرافق العامة⁽⁸⁾. وقد ورد ذكرهم في أحد تقارير أحمد باي، وذكر بأنهم ينتمون إلى الطبقة الوسطى⁽⁹⁾.
- الجزارون: تمثلت مهمتهم في ذبح المواشي وبيعها⁽¹⁰⁾. وكان بايلك الشرق يمتلك على عهد أحمد باي أعدادا كبيرة من الغنم والبقر والإبل⁽¹¹⁾.
- الكواوشة: وهم صانعو الخبز؛ وقد احتكر البسكريون⁽¹²⁾ هذه الحرفة؛ وكانت هذه الأخيرة من بين أهم الحرف التي كانت موجودة في تلك الحقبة التاريخية، فالخبز كان العنصر الأساسي في غذاء الجزائريين⁽¹³⁾. وقد اتضح ذلك من خلال

¹ - Charles Féraud, R. A, 1872, P: 70.

² -Ibid, P : 70.

³ -Ibid, P : 70.

⁴ -Ibid, P : 70.

⁵ - ينظر: الرسالة رقم: (22) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ -Mouloud Gaid, Les Turcs en Algérie, P : 192.

⁷ -Op.cit, P : 70.

⁸ -Ibid, P : 70.

⁹ -الرسالة رقم : (30) في الترتيب العام للمجموعة.

¹⁰ -Charles Féraud, Op.cit, P: 70.

¹¹ -ينظر كل من الرسالة رقم: (14-15-18-19-26-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

¹² -البسكريون: استقروا بالمنطقة التي تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي ثمانى أيام وتسمى بلاد الجريد، وضمت هذه المنطقة مدينة كبيرة، يقيم بها بضعة آلاف من السكان، وتوجد قريبا بئر يرتوي منها السكان، وهي لا تصلح لجفافها لا لتربية الماشية، ولا للزراعة، كما تميزت بكثرة النخيل. ينظر: سيمون يفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تعريب وتقديم: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1974، ص: 155. ويضيف شارل أنّ البسكريين قوم مسالمون ومخلصون وكثيرا ما يستخدمون في المنازل. ينظر: مذكرات شارل، ص: 109.

¹³ -كما يتبين ذلك من خلال ما ورد في بعض رسائل أحمد باي. مثال ذلك الرسالة رقم: (22).

كلام أحمد باي في إحدى رسائله، إذ ذكر أنّ هذا الغداء كان من بين المواد الأساسية التي كان يستهلكها الجزائريون خاصة أفراد الجيش؛ وأيضاً تبين ذلك من خلال اهتمام أحمد باي الشخصي بإصلاح "الكوشة" التي كان يطبخ فيها خبز الجنود⁽¹⁾.

الطباخون: اختصت هذه الفئة بعملية الطبخ، خاصة في قصور السلايات والبايات وكبار موظفي الحكم العثماني آنذاك. وقد اختص الميزابيون⁽²⁾ بهذه الحرفة⁽³⁾؛ إلا أنّ هذه القاعدة لم يكن يعمل بها في كلّ الحالات، فقد ذكر أحمد باي في إحدى رسائله، أنّ الباشا حسين وكله بالبحث عن طبّاخة ماهرة تعمل في قصره. وبهذا يتأكد أنّ هذه الحرفة لم تكن حكراً إلا على فئة الميزابيين وحدهم، إذ أنّ الباشا حسين لم يشترط ذلك. كما يدل أيضاً على أهمية هذه المهنة، كيف لا وقد وكل أحمد باي شخصياً بعملية البحث، كما وكل بها وكيل الجزائر بونس⁽⁴⁾.

وكانت هذه الحرف منظمة على شكل جمعيات مهنية كلّ واحدة منها تختص بنوع من الحرف. وكان على رأس كلّ حرفة مسؤول يلقب بالأمين أو النقيب، الذي كان يقوم على مصالح اليد العاملة، ويجمع مختلف الرسوم المستحقة عليهم ليقدمها إلى الجهات المسؤولة⁽⁵⁾، وهذا التنظيم دليل على أنّ الأمور لم تكن تسير بطرق عشوائية.

كلّ هذا جعل مدينة قسنطينة من بين أهم المدن الجزائرية من حيث إنتاجها الحرفي. فلقد كانت تملك وحدها ثمانين معملاً لصناعة السروج ومائة وثمانية وستين معملاً لصناعة الأحذية⁽⁶⁾. ومن خلال هذه المعطيات يتبين أنّ بايلك الشرق قد

¹ الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة.

² الميزابيون: استقروا بالناحية التي يطلق عليها الزاب، وتقع على حدود الصحراء، يمتد قسم منها داخلها وتمر قوافلهم عبر الصحراء لتصل إلى بلاد السود، فيشترون من هناك عبيداً صغاراً يدعى رئيسهم بأمين الميزابيين، الذي كان مقره في مدينة الجزائر، ومنها يدبر شؤونهم بواسطة موظف تابع له. ينظر: سيمون يفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ص: 163.

³ Charles Féraud, R. A. 1872, P : 70.

⁴ الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ Op. Cit, P : 70.

⁶ العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 62.

تخصص في صناعة الأحذية، وهذا ما أثبتته أحد المعاصرين لحكم أحمد باي⁽¹⁾. كما تخصص سكان البايك في دباغة الجلود، مما أدى إلى انتشار معاملها، فلقد قدرت عشية الاحتلال الفرنسي للبايك بـ ثلاثة وثلاثين معملاً؛ وهذا ما يؤكد صحة المعلومات التي ذكرت أن المنطقة كان يملك أعدادا كبيرة من الماشية، خاصة البقر منها⁽²⁾، والتي كانت تستعمل جلودها في مختلف الصناعات.

وما ساعد على تطور هذه الحرف وكثرة الإنتاج فيها توافرها على المادة الأولية. ومن بين ما كان يملكه بايك الشرق النحاس والحديد، أما المعدن الأول فكان متواجدا بكثرة في نواحي عين بابر⁽³⁾، في حين كانت مادة الحديد متواجدة في أماكن متفرقة مثل بوحزمة⁽⁴⁾ ومناجم مجاز الرسول. كما كانت تستخرج مادة الحجارة من سكيكدة وبجاية، وكان استعمالها في عملية البناء والترميم⁽⁵⁾.

ج- التجارة: كانت التجارة في الجزائر على العهد العثماني كما هو الشأن في الدول الأخرى على نوعين، داخلية وخارجية. وبايك الشرق بحكم موقعه الممتاز وتعدد ثرواته كان على اتصال بالعديد من الدول تحت رعاية وإدارة السلطة المركزية في مدينة الجزائر. غير أن التجارة الخارجية في هذه المرحلة لم تكن تسير على الوتيرة التي كانت عليها في فترات سابقة، فلقد تقلد أحمد باي حكم البايك والجزائر تعيش توترا خارجيا بسبب تكالب القوات الأوروبية عليها.

وبما أن رسائل أحمد باي لم تتناول موضوع التجارة خاصة الخارجية منها فإن هذا العنصر سوف يتناول إلا التجارة الداخلية، ذلك أنه ورد في بعض من الرسائل التي حررها أحمد باي معلومات مفادها أن هذا السلطات كانت تسهر على حماية القوافل التجارية من اللصوص وقطاع الطرق. والتجارة الداخلية كانت تتم على مستويين: المدينة والأوطان.

¹ فتدلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 87.

² ينظر كل من الرسالة رقم: (14-15-18-19-26-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

³ عين بابر: منطقة موجودة بسفوح إيذوغ الشمالية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 216.

⁴ المرجع نفسه، ص: 216.

⁵ Mouloud Gaid, Les Turcs en Algérie, P : 189.

أما على مستوى المدن فكانت تتم في "الحوانيت" التي انتشرت عبر الأحياء، فكان السكان يشترون منها ما يشاءون من المنتجات والمصنوعات⁽¹⁾. وقد خصصت لكل حرفة من الحرف التي كانت موجودة في تلك الفترة مكانا خاصا بها، مثل قسم النساجين والنجارين والفخاريين... الخ⁽²⁾. وكان يتم ذلك بالتنسيق مع هيئات أخرى، التي كانت تسهر على تنظيم العمل التجاري وتراقب الأسعار والموازن ونوعية البضائع المعروضة، كما كانت هناك هيئات أخرى تقوم بجمع الرسوم المترتبة على التجار الذين كانوا يمارسون هذه الحرفة كل حسب اختصاصه ونوعية البضائع التي كان يقوم ببيعها⁽³⁾.

في حين كانت تتم على مستوى الأوطان في الأسواق المحلية أو الجهوية⁽⁴⁾، وتتناول كل ما كان يحتاجه السكان من منتجات ومصنوعات محلية كانت أو مستوردة. وكانت تعقد هذه الأسواق أسبوعيا في ساحة كبيرة من بعض القرى المركزية أو خارج المدن. ويأتيها المنتجون والمستهلكون من مختلف المناطق المجاورة. ومن أهم الأسواق الجهوية التي كانت متواجدة على مستوى البايك، نذكر: سوق أولاد عبد النور، وسوق الحراكتة، وسوق السبلائية، وسوق التلاغمة⁽⁵⁾. وما يلاحظ على هذه الأسواق أنها أخذت اسم بعض القبائل المتواجدة في البايك، ولعل ذلك يعود إلى أحد الأمرين، أولهما أن هذه القبائل كانت تقوم بتنظيم هذه الأسواق على أراضيها. أما الأمر الثاني فيتمثل في كون هذه القبائل كانت من أقوى القبائل وأغناها على مستوى البايك، مما سمح لها أن تهتم بالشؤون العامة

¹ امتازت مدينة قسنطينة بهذه الصفة منذ زمن بعيد فهذا البكري ذكر بأن "مدينة قسنطينة كانت تزخر بمتاجر رابحة". ينظر: البكري، المسالك والممالك، ص: 63.

² كانت مدينة قسنطينة تضم أسواقا اختص كل واحد منها بحرفة معينة، وبهذا فقد عرفت التجارة الداخلية على مستوى المدينة تنظيما جيدا. وهذه الأسواق مازالت موجودة في قسنطينة لوقتنا الحالي، ومن أهمها سوق الغزل وسوق الرحبة، مع حفاظها على تسميتها القديمة بالرغم من تباعد الفترة الزمنية. ينظر: مرايا ونوافذ، ولاية قسنطينة، منشورات اللجنة الولائية لإحياء ذكرى 2500 سنة على نشأة مدينة سيرتا، ص: 10.

³ العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 64.

⁴ لقد ذكر البكري هذه الميزة منذ فترة بعيدة، فكتب يقول بهذا الصدد: "كانت بها أسواق جامعة". ينظر: المصدر السابق، ص: 63. وهذا ما يؤكد أن المنطقة عرفت بازدهار تجارتها منذ القدم.

⁵ المرجع السابق، ص: 64.

للسكان خاصة الاقتصادية منها، لهذا تداولت على هذه العملية على مر السنوات، مع العلم أن أحمد باي لم يكن على وفاق مع بعض الفرق من هذه القبائل، فكما مرّ علينا أنفاً فإنه قد شن عدة حملات ضد كل هذه القبائل ونقصد بها الحراكمة والسبانية والتلاغمة⁽¹⁾. لهذا فإن ما يفسر بقاء هذه القبائل على ممارسة النشاط التجاري فوق أراضيها يعود إلى عرف وتقليد تداول عليه سكان المنطقة قبل مجيء أحمد باي بسنوات كثيرة ولا يمكن أن يتغير صدفه. لهذا فضل أحمد باي إبقاءها على ما كانت عليه، تفادياً للدخول معها في متاهات هو في غنى عنها.

"أما المعرض السنوي"⁽²⁾ فكان يقام بوادي العثمانية بإشراف شيخ العرب⁽³⁾. ومن هذا المنطلق تتبين الوظيفة الاقتصادية التي كانت تمارسها هذه الشخصية⁽⁴⁾، زيادة على وظيفتها الإدارية والعسكرية. وبهذا تعددت مهامها، فيمكن اعتبار شيخ العرب بمثابة الشخصية الأولى على مستوى الأوطان.

وعلى العموم وبشهادة البعض ممن كتبوا على بابك الشرق، فإن قسنطينة كانت من بين أهم الأسواق داخليا، فقد وصلت علاقتها التجارية إلى دار السلطان⁽⁵⁾. حيث كانت التجارة هي عصب الحياة بالبايلك؛ إذ كانت معظم العائلات تمارس هذه الحرفة بطريقة أو بأخرى، بالجملة أو بالتفصيل⁽⁶⁾. وبفضل هذه الأسواق خرج اقتصاد الأوطان من اقتصاد الكفاف الذي كان يقتصر على تلبية حاجيات الأسرة، إلى اقتصاد تبادلي بدافع أن تستكمل الأسرة النقص من وسائل الإنتاج الأخرى من وإلى منطقة أخرى⁽⁷⁾. وكان التاجر يدفع الرسوم قبل دخوله إلى هذه الأسواق

¹ ينظر كل من الرسالة رقم (29) في الترتيب العام للمجموعة.

² مع أن هذا المصطلح لا يتلاءم مع الفترة التي نحن بصدد دراستها إلا أنه تم الإبقاء عليه أخذاً بما ورد في مرجع التجارة الخارجية لصاحبه العربي الزبيري.

³ المرجع نفسه، ص: 64.

⁴ قد تم التعريف بهذه الشخصية ومن تداول على هذه الوظيفة على عهد أحمد باي. من أجل ذلك ينظر، الفصل الأول، المبحث الأول الموسوم بـ "الجهاز الإداري على عهد أحمد باي"، ص: 61-62.

⁵ -L.Pèchot, Histoire de l'Algérie contemporaine, P : 18.

⁶ أبو القاسم سعد الله، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ص: 389.

⁷ حميدة عمير لوي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 32.

رسوماً⁽¹⁾. وقد وُكِّل القايد بالإشراف على مراقبة سير عملية التبادلات التجارية⁽²⁾.
 أمّا عن وسائل النقل المستعملة لحمل البضائع من سوق لآخر، فقد اختلفت
 من منطقة لأخرى. ففي التل استعمل التجار البغال لحمل السلع، والخيّل للأشخاص.
 أمّا في الصحراء فاستعملت الجمال⁽³⁾ والحمير⁽⁴⁾. وما يدل على أنّ السكان كانوا
 يمتلكون أعداداً كبيرة من هذه الحيوانات خاصة البغال والخيّل منها ما ورد في
 بعض الرسائل من إحصاءات⁽⁵⁾.

وكانت هناك طريقتان مشهورتان للقيام بعملية النقل هذه؛ أولاهما كانت تتم
 بواسطة القافلة. وثانيتهما هي النجع أو القبيلة السيارة، وهذه الأخيرة أبطأ من الأولى
 ولكنها أضمن بالنسبة للتجار⁽⁶⁾. وقد ساعد على ازدهار التجارة الداخلية وجود شبكة
 طرق برية، اختلفت كلّ الاختلاف عن مثيلاتها في القارة الأوروبية، وكانت تنقسم
 إلى سلطانية⁽⁷⁾ وجهوية. وأهمها بالنسبة لبابك الشرق:

الطريق العرضاني الشمالي: ربط تونس بمدينة فاس⁽⁸⁾ مروراً بمدن الكاف،
 قسنطينة، حمزة والجزائر⁽⁹⁾.

الطريق العرضاني الأوسط: كان يربط قفصة⁽¹⁰⁾ بمدينة فكيك⁽¹¹⁾، مروراً

¹ العربي الزبيرى، التجارة الخارجية، ص: 65.

² Boyer, L'évaluation de l'Algérie médiane, P : 36.

³ وقد ورد ذكرها في الرسالة رقم: (5). مؤرخة في 26 من ذي القعدة سنة 1241هـ/1826م.

⁴ العربي الزبيرى، المرجع السابق، ص: 68.

⁵ ينظر كلّ من الرسالة رقم: (14 - 19 - 26 - 28 - 29 - 30) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ المرجع السابق، ص: 68.

⁷ الطرق السلطانية: هي الطرق التجارية الكبرى وكانت تستعمل أيضاً لعبور القافلات المحملة بمختلف المواد

قصد حملها إلى مدينة الجزائر وما كان يعرف بالدنوش. ينظر: العربي الزبيرى، المرجع نفسه، ص: 176.

⁸ مدينة فاس: مكونة من مدينتين بينهما نهر كبير يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة. والمدينة الشمالية منها

تسمى عدوة القرويين، وتسمى الجنوبية عدوة الأندلس. ينظر: شهاب الدين بن عبد الله الياقوت الحموي، معجم

البلدان، ج: 4، دار الصادر، بيروت، لبنان، د ط، 1422هـ/2002م، ص: 230.

⁹ العربي الزبيرى، المرجع السابق، ص: 67.

¹⁰ مدينة قفصة: مدينة من البلاد الجريدية "بينهما تقوس مرحلة". وهي كبيرة قيمة لزلية، وهي متوسطة بين

القيروان وقابس وفي داخلها عيون كثيرة. ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، روض المعطار في أخبار

الأقطار، تحقيق، إحصان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط: 1، 1975، ص: 477.

¹¹ مدينة فكيك: هي عبارة عن ثلاث قصور في وسط الصحراء. يحيط بها عدد كبير من النخيل. عرفت نساؤها

بنسجها، والذي كان يباع بأثمان مرتفعة في مدن بلاد البربر، وهذه القصور موجودة على بعد 250 ميلاً شرقي

سجلماسة. ينظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، ص: 132.

بكل من مدينة بسكرة⁽¹⁾، والأغواط، والبيض وسيدي الشيخ⁽²⁾.

العرضاني الجنوبي: يربط نقطة بتاقيلات⁽³⁾، مروراً بأهم الواحات⁽⁴⁾.

الطريق القطري الشرقي: كان يربط وادي ميزاب⁽⁵⁾ بتونس، مروراً بكل من

الأغواط⁽⁶⁾ وبوسعادة⁽⁷⁾.

ومن أجل المحافظة على أرواح وأموال التجار من قطاع الطرق، وضعت

السلطات العثمانية والممثلة في شخص أحمد باي على مقربة من طرق المواصلات

الرئيسية والمسالك المهمة، وعند محطات القوناق⁽⁸⁾ مراكز أمنية. ومثال ذلك تمركز

بعض الدوائر⁽⁹⁾ منها الدائرة الصحراوية ومخزن بوصول⁽¹⁰⁾.

كما قام أحمد باي مدعماً بقواته بشن حملات عسكرية ضد بعض القبائل التي

كانت تتعرض للرعية أثناء ترحالهم، فتسرق منهم أموالهم وبضائعهم⁽¹¹⁾.

ومثال ذلك ما ذكره في إحدى الرسائل الموجهة إلى حسين باشا فكتب يقول

فيها: "وهذان الفرقتان عصاة سراق يقطعون الطرقات ويتعرضون للقوافل وينهبون

¹ بسكرة: تدعى ملكة الجنوب، وهي من أشهر الواحات الجزائرية على الإطلاق. دخلها العثمانيون سنة 1552/960م، تحت قيادة الباشا صالح رايس. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 185.

² العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 176.

³ تقيلات: يقصد بها سجلماسة. وهي تمتد على مسافة عشرين ميلاً على طول مرحلة من الشمال إلى الجنوب تشمل ما يقرب من ثلاثمائة قصر كبير وصغير. فضلاً على المداشر. وأهم القصور فيها ثلاث: "تجيوت"، و"بعضامت"، و"المأمون". ينظر: الياقوت الحموي، معجم البلدان، ج: 15، ص: 125-126.

⁴ العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 176.

⁵ وادي ميزاب: موجود في الجنوب الجزائري، وتتواجد في منطقته ست بلدان وقرى، أكبرها، غرداية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج: 2، ص: 254.

⁶ العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 68.

⁷ بوسعادة: تعتبر مركز صحراوي بديع في وسط الهضاب العليا، تحديق بالمدينة من ثلاث أطرافها واحة بديعة على شكل هلال، ويجري من تحتها وادي بوسعادة. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 187.

⁸ القوناق: وقد ورد ذكره في الرسالة رقم: (26) في الترتيب العام للمجموعة. وقد أقيمت هذه الأماكن عادة عند نهاية كل مرحلة من مراحل المخزن لتكون مأوى ومكاناً أميناً تحط به القوافل رحالها لتستريح عنده. ينظر: المرجع السابق، ص: 176.

⁹ الدوائر: أما أحمد باي فيستعمل مصطلح "الدواوير" ينظر الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة. وكانت تتكون من رجال حرب وفرسان، ويتم انتقاءهم من كل القبائل. ويرأس الدائرة رجل يحمل لقب "أغا الدائرة" ويبلغ عدد أفراد كل دائرة حوالي ألف فارس كانوا يعسكرون في عدة أماكن منها: دائرة الوادي في وادي بوسلا بين عين الخنثلة وجميلة، أيضاً دائرة السراوية المتواجدة في السرا جنوب ميله، ودائرة وادي زناتي في قرفة وأخيرا دائرة قسنطينة. ينظر: صالح بن العنتر، تاريخ قسنطينة، ص: 25-26.

¹⁰ مخزن بوصول: كان متواجدا بالقرب من سوق العثمانية ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 108.

¹¹ ينظر كل من الرسالة رقم: (18-19-26) في الترتيب العام للمجموعة.

أموال الناس والشكاية بهم دائما... ويتصرفون فيه بالبيع والشراء...⁽¹⁾. وقد شن عليهم أحمد باي حملة عسكرية كلفتهم خسائر بشرية ومادية كبيرة "ردعا وزجرا لغيرهم من اهل الفساد"⁽²⁾.

2/4-المبحث الثاني: مصادر الدخل وأوجه الإنفاق

قام النظام المالي في الجزائر على مصادر الدخل،⁽³⁾ وأوجه الإنفاق⁽⁴⁾. وكانت الجزائر تعيش خلال العهد الأخير من الحكم العثماني لها اضمحلالا في مواردها، نتيجة لأسباب داخلية وأخرى خارجية⁽⁵⁾، قد أثرت بصورة مباشرة على الاقتصاد الجزائري، ومنه على بايلك الشرق.

وبايلك الشرق كغيره من المناطق الجزائرية كان يعمل بنفس التنظيم المالي الذي كان سائرا في كل البلاد. فلقد اعتمد على أمرين: مصادر الدخل، وأوجه الإنفاق.

¹ الرسالة رقم: (26) في الترتيب العام للمجموعة.

² الرسالة نفسها.

³ مصادر الدخل: عرض ناصر الدين سعيدوني عدة تصنيفات لباحثين أوروبيين حول مصادر الدخل الجزائرية. فأما التصنيف الأول فكان لدي بواتانفيل الذي أجمل مصادر الدخل في خمس فروع هي: الأعمال البحرية وحقوق الإمتيازات والإقطاع والاحتكارات اليهودية والأجنبية، أيضا الحقوق الديوانية وعق الأسرى، وكذا مساهمة اليهود المالية. أما التصنيف الثاني فكان لصاحبه المدعو لوكونت دوبيرسار، الذي ذكر في تقريره للجنة الإفريقية حول المساهمة المالية "للإيالة الجزائرية"، خمسة عشر مصدرا، كان أهمها، ضرائب البايك الغرب والشرق، وضرائب قياد دار السلطان، أيضا منحولات الأملاك العامة، وعوائد بيت المال، كذا الترخيمات والمصادرات ورسوم المرمى والأسواق، وفوائد احتكار الصوف والشمع والجلد والملح، ورسوم النقابات وجزية اليهود، أيضا حقوق الاحتكارات الفرنسية وإتاوات الدول الأوروبية. ثم يأتي بعد هذا تصنيف باقي، الذي ذكر بأن مصادر الدخل لا تتعد ثلاث أنواع وهي: الزمة والعوائد والتخريمات. ثم يليه تصنيف نوشي الذي ميز بين نوعين من الضرائب فنكر ضرائب كبرى كالعشور والحكور والذمة والغرامة، ثم ضرائب إضافية متنوعة. أما برونان فضمن مصادر الدخل في كل ما يأتي من النشاطات الاقتصادية. وفي الأخير يرجح ناصر الدين سعيدوني التصنيف الثاني لصاحبه لوكونت دوبيرسار. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 86.

⁴ أوجه الإنفاق: كانت تشمل مختلف النفقات المالية كجرايات الجند ورواتب الموظفين والعمال ونفقات بيت المال وكذا النفقات التي كانت تخص الأشغال العمومية. ينظر: المرجع نفسه، ص: 12.

⁵ الأسباب الخارجية: تمثلت في التغييرات العامة لموازين القوى العالمية ولأنماط الإنتاج وللمعطيات "الجيوستراتيجية" الجديدة الناتجة عن الاكتشافات الجغرافية الحديثة والثورة العلمية والمعرفية الدينامكية التي غيرت وجه العالم منذ عصري النهضة بأوروبا، هذه التطورات منحت لأوروبا نفعة قوية نحو التقدم والعصرنة على جميع المستويات. فكانت بمثابة عناصر تفوق لها في وقت ظل جلّ اهتمام الإمبراطورية العثمانية منصبا على قوتها العسكرية، ولم تتمكن من مسايرة هذه التحولات الكبيرة. زيادة على ذلك تعدد التدخلات الأوروبية العسكرية على الجزائر منذ عام 1230هـ/1815م. ينظر: فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1996، ص: 109.

1- مصادر الدخل: اشتمل على نظام الجباية والغنائم والمصادرات والتركات.

أ- النظام الجبائي: كان هذا النظام يتمشى وطبيعة البنية الاجتماعية والاقتصادية التي كان عليها بايلك الشرق، لهذا فإنّ تسديد المطالب المخزنية⁽¹⁾ كان مفروضا على مختلف فئات المجتمع⁽²⁾، وعلى كلّ النشاطات الاقتصادية. وقد اختلفت نوعية هذه المطالب باختلاف المنطقة، لهذا انقسمت إلى مطالب كانت تحصل على مستوى المدن وأخرى تجمع على مستوى الأوطان.

وما يلاحظ على مجموعة الرسائل التي نحن بصدد دراستها أنّها لم تتطرق في محتواها إلى أية معلومات تخص المطالب التي كانت تفرض على سكان المدن. بعكس ما عثر عليه من إشارات حول المطالب على مستوى الأوطان. ولعلّ ذلك يعود إلى نسبة تعداد سكان الأوطان مقارنة مع سكان المدن، ومع هذا كانت هناك محاولة لإلقاء بعض الضوء على نوعية المطالب التي كانت تستخلص على مستوى المدن دون الخروج على الإطار الزمني المحدد للدراسة.

*- النظام الجبائي على مستوى المدن: تمثلت في مختلف المطالب التي كانت تفرض على الهيئات المهنية والدكاكين التجارية. فكان أمناء الهيئات المهنية يتكفون بجمع هذه المطالب وتقديمها إلى العمال المكلفين بذلك، ومثال ذلك ما كانت تقدمه هذه "النقابات" على عهد أحمد باي نذكر أمين "الدباخين" الذي كان يقدم 4000 فرنك، وأمين "الحوكة" (النساجين) الذي كان يدفع 6000 فرنك، وكذا أمين السراجين الذي كان يدفع ما قيمته 2000 فرنك، أمّا أمين الفضة فكان يقدم ما قيمته 8000 فرنك⁽³⁾. ولقد قدر مارسيل امريت "Emerit Marcel" قيمة ما كانت تدفعه الدكاكين على عهد أحمد باي بـ 100000 فرنك⁽⁴⁾.

¹ في كلّ الرسائل التي تناولت هذا الموضوع لم يستعمل أحمد باي مصطلح الرسوم أو الضرائب، وإنما استعمل مصطلح المطالب. مثال ذلك ينظر الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة. ولقد تم الاعتماد على ما ورد في رسائل أحمد باي لأنه أكثر ملائمة للحقبة التاريخية المدروسة ذلك فيما خص الجباية على مستوى الأوطان، أمّا ما كان العمل به على مستوى المدن فلم ترد في شأنه أية معلومات لهذا تم الإبقاء على مصطلح الرسوم أخذا بما ورد في معظم المراجع المستعملة في هذه الجزئية.

² يستثنى منهم جماعة المرابطين والعلماء الذين كانت لهم امتيازات خصتها بهم السلطات العثمانية.

³ -Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 260.

⁴ Ibid, P : 260.

وإذا وضعت مقارنة بسيطة بين ما كان يقدمه كل أمين حرفة معينة، فإنه يلاحظ أنها لم تكن موحدة فعند البعض كانت مرتفعة، وعند البعض الآخر منخفضة، وذلك يعود إلى طبيعة الحرفة ومكانتها في النشاط الاقتصادي، وقيمة المداخل التي كانت تحصل عليها. وهذا ما يؤكد أن النظام الجبائي كان قائما وفق معطيات اقتصادية واجتماعية.

كما فرض على كل الممارسين لأي نشاط اقتصادي توفير خدمات اقتصادية وتزويد موظفي السلطة بمواد مصنوعة مجانا. كما كان يسهم كل دكان برسوم شهرية قدرت بثلاثين سنتيما حسب العملة الفرنسية المتعامل بها في تلك الفترة⁽¹⁾. أيضا من أهم عوائد سكان المدن ما كان يعرف عند الأهالي بـضيفة دار الباي⁽²⁾، والتي بفضلها كان يشتري أحمد باي جل الهدايا المخصصة للباشا، والتي كانت تقدم غالبا كل ستة أشهر⁽³⁾. وكانت تؤخذ من سكان المدن التي ليس لها نوبة، وتراوحت قيمتها ما بين 800 و2000 ريال، يضاف إليها أربعة عشر حصانا⁽⁴⁾.

هذا فيما خص المسلمين. أما ما كان يفرض على اليهود من رسوم فترجع في أصولها إلى الجزية المفروضة على أهل الذمة القاطنين في البلاد الإسلامية مقابل أمنهم وصيانة معتقداتهم. فهذه الرسوم يتكفل بدفعها أمين جماعة اليهود نيابة عن أفراد طائفته بمعدل قرش واحد عن كل فرد⁽⁵⁾.

وبالإضافة إلى ذلك كان يحصل أحمد باي من اليهود على 500 فرنك، إذا ما وافق موسم عيد الفطر بيوم السبت. كما كانوا يدفعون على عهده ما قيمته 600 قطعة لباس من نوع المعاطف الواقية لفائدة موظفي الحكم، مع تقديم كمية من الورق تفي بحاجة بيت المال⁽⁶⁾.

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 106.

² المرجع نفسه، ص: 97.

³ من بين الرسائل التي ذكرت بأن أحمد باي قد جمع قيمة الدنوش الصغير وأرسله برفقة خليفته الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في: 7 من الربيع الثاني سنة 1241هـ/1826م.

⁴ المرجع نفسه، ص: 104.

⁵ المرجع نفسه، ص: 105.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، ص: 159.

* - النظام الجبائي على مستوى الأوطان:

إنّ كلّ ما كان يستخلصه بايات قسنطينة من مطالب مخزنية من الرعية⁽¹⁾ لم يكن يتجاوز اثنين في المائة من مدخولات البايلك. ولقد استحدث أحمد باي أموراً في المجال النظام الجبائي على مستوى الأوطان، إذ قام بإعادة تنظيم الحكور والعشور على أسس جديدة. كما أبقى على اللزّمة، غير أنّه استثنى من ذلك الامتيازات التي كانت تحظى بها بعض العائلات والقبائل⁽²⁾. وقد ضمت هذه المطالب كلّ من: العشور⁽³⁾: يعتبر العشور "قدر معين من لدن الشرع"، يؤخذ من نتاج الأرض أو الحيوان⁽⁴⁾. وظلت التنظيمات المالية ببايلك الشرق المعمول بها منذ عهد صالح باي (1185-1186هـ) // (1771-1791م)⁽⁵⁾ تمثّل آخر تطور انتهى إليه نظام العشور في الجزائر على العهد العثماني. وبموجب هذه التنظيمات قُسم بايلك الشرق إلى قسمين: من الغرب حتى وادي الحمام، ومن الشرق حتى الحدود التونسية⁽⁶⁾. وكان كلّ قطاع تحت إشراف قائد الجابري⁽⁷⁾، وقد كلف بهذه المهمة على عهد أحمد باي المدعو السماري⁽⁸⁾، الذي كان يقوم بجولتين في قطاعه. إحداها في فصل الخريف، والثانية بعد الحصاد لتقدير قيمة المحصولات⁽⁹⁾.

¹ لقد صرح أحمد باي في إحدى رسائله أنّه كان يقوم باستخلاص المطالب المخزنية من الرعية بنفسه مرفقاً بقواته. ينظر: الرسالة رقم: (5-19) في الترتيب العام للمجموعة.

² الحاج أحمد باي، مذكرات الحاج أحمد، ص: 37.

³ كذلك ورد ذكره في الرسالة رقم: (23). وكان يحل مكان العشور في المناطق النصف بدوية "المؤونة" أو "الغرامة". وهي غير محددة وتؤخذ عينا أو نقداً. ينظر: خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ص: 98.

⁴ بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، ص: 38.

⁵ الإصلاحات الاقتصادية على عهد صالح باي: لقد نظم هذا الباي اقتصاد البايلك الزراعي. فشجع غراسة الزيتون، وفلاحة الأرز، وبقي أشجار الفواكه. كما استحدث شبكة من قنوات الري لإيصال المياه إلى المزروعات المسقية خاصة بالحامة وسيبوس. واتخذ لنفسه مزرعة نموذجية لمنزله. وأمر باستصلاح مستنقعات صفاف وادي سيبوس لاستغلالها في الزراعة. ينظر: صالح بن العنصري، تاريخ قسنطينة، ص: 64.

⁶ Nouchi, Enquête sur le niveau de vie, P : 97.

⁷ قائد الجابري: كلف باستخلاص المطالب العينية وتحديدها. ينظر: فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 37. الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

⁹ كيف كان يتم جمع المطالب المخزنية: كان يعين كلّ قائد على قسم من القسمين، فيخرج في جولة أثناء فصل الخريف لإحصاء الحرث. بعدها تأتي الجولة الثانية التي من خلالها يتم إحصاء الأرض المحصودة حقيقياً، وهنا يضع قائد العشور إحصاءه النهائي، كما يحرر كتابه تتكررة التي تبقى بين يدي القائد. بعدها تبعث هذه التذاكر إلى أحمد باي ليتم مراجعتها. ثم يرسل إلى القائد الأمر بجمع هذه المطالب. فينطلق القائد مرفقاً بزمانة لجمعها. ويرى هذا المؤرخ بأنّ هذا النظام في تحصيل المطالب عادل، ذلك أنّ الفحص يتم مرتين، زيادة على ذلك وقوف الفلاح مع القائد عند تحديده لقيمة الأرض المحصودة. ينظر: Nouchi, Op. Cit, P P : 97-98.

ولقد قدر أحمد باي قيمة العشور المستخلص بثلاثة آلاف وسبعة مائة جابدة على كلّ جابدة "صاع" (1) قمح وصاع شعير "بكيل" (2) قسنطينة (3).

الجابرية: كلف أحمد باي المدعو السماري بتحصيل قيمة الجابرية (4)، وكانت تعادل تقريبا قيمة العشور، لكنّها لم تكن تعتمد على الأسس نفسها وتتغير في كلّ سنة. وقد اختلفت قيمتها، فهناك من حددها باثني عشر صاع من القمح واثنى عشر صاع آخر من الشعير وعشر قفات من التين (5). في حين أكد صالح فركوس بأنّها لم تكن تقل أبدا عن خمسة وعشرين صاعا (6). فيما قدرها أحمد باي بـ 300 جابدة، على كلّ جابدة اثنا عشر صاعا من القمح "بكيل قسنطينة" (7).

وإذا قمنا بمقارنة بسيطة مع ما قدمه صالح فركوس من تقديرات، فإننا نجد أنّها كانت بعيدة عن التقدير الذي أعطاه أحمد باي. فالأول حددها بخمسة وعشرين صاعا، فيما قيمها أحمد باي باثني عشر صاعا، فالفرق شاسع وكبير بين القيمتين. وما يرجح هي القيمة التي أوردها أحمد باي في رسالته.

كما كانت تضاف مواد أخرى. فكان يقدّم على عهد أحمد باي شبكة من التين. و"العلفة" وخروفان، وكان هذا عند حلول المحلة (8).

¹ الصاع: وهو المصطلح الذي اعتمده أحمد باي في رسائله. وهو عبارة عن مكيال لأهل المدينة المنورة. وجمعه "صعان" و"أصواع". يتعاملون به في بيعهم وشراءهم. وهو وحدة للكيل الأساسية التي تتفرع عنها سائر المكاييل العربية والإسلامية من مذّ وقسط ومكوك وغيرها وقد كان موجودا عند العرب قبل الإسلام واستمر التعامل به حتى عهد قريب. وصاع الجزائر حدد بما يعادل ثمانين قليات وكل قلية أربعة أرباع، والربيع = 3.5 كيلو غرام تقريبا، أي أنّ الصاع العرفي في الجزائر يعادل حاليا = $3.5 \times 4 \times 8 = 112$ كيلو غرام تقريبا. ينظر: محمود فاخوري، صلاح الدين خوام، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، ص: 268. وينظر الملحق الخاص بالجدول والرسومات البيانات رقم: (2) من أجل الإطلاع على جنول خاص بالمكاييل وما يعادلها.

² الكيل: وهو المصطلح الذي اعتمده أحمد باي في رسائله. وهو وحدة للكيل، كان يتعامل بها في بعض البلدان العربية والإسلامية، والكيل من المكاييل العرفية التي كانت تستعمل في بعض البلدان ولا سيما في بلاد الشام لكيل الحبوب العامة كالقمح والشعير ونحوهما، ولم يكن ثابتا في مقداره بل كان يختلف من بلد لآخر ومن عصر لآخر. وعندما اعتمدت السلطات العثمانية النظام المتري في عام 1282هـ/1769م إبان خلافة السلطان عبد العزيز أطلقت أسماء المقاييس القديمة الموجودة لديها على مقاييس النظام المتري وعلى هذا أطلق على حكم اسم كيل أعشاري، ثم صار الكيل الأعشاري كيلا جديدا. ينظر: المرجع نفسه، ص: 310-311.

³ الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ الرسالة نفسها.

⁵ -Nouchi, Enquête sur le Niveau de vie des populations rurales, P : 97.

⁶ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 37.

⁷ الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

⁸ المرجع السابق، ص: 37.

الحكور⁽¹⁾: وهي مطالب عينية كانت تجمع من المحصولات الزراعية، وتستخلص من سكان أراضي العزل. وقد اختلفت قيمتها، فهناك من ذكر أنها قبل تولي أحمد باي الحكم كانت تقدر بـ 32.50 فرنكا للمحراث الواحد. ولما تقلد إدارة البايك رفعها إلى 35 فرنكا⁽²⁾. فيما حددها ناصر الدين سعيدوني بعشر قطع نقدية من فئة 2.5 فرنكا على كل جابدة، مع إمكانية تخفيض قيمة الكراء إلى اثني عشر ريالاً لبعض القبائل مقابل خدماتها⁽³⁾.

ولقد اختلفت الإحصاءات حول قيمة المطالب التي كانت تدفعها القبائل المقيمة بين وادي الساحل والحصنة على عهد أحمد باي، فحددت تارة بـ 70000 فرنك، وتارة أخرى بـ 50000 فرنك⁽⁴⁾. أما فركوس فقد رجح القيمة الثانية⁽⁵⁾. الأمر نفسه كان بالنسبة لعائلة ابن غانة، التي تكلفت بتحصيل المطالب المخزنية من القبائل التي كانت مستقرة في الزيبان. وقد قدرت قيمة المطالب التي كانت تجمعها على عهد أحمد باي بـ 10.526 فرنكا، و252 صاعاً من القمح، و1200 كيلاً من الزيوت، و1200 قطعة صابون، و1200 كيلاً من الدهون، وهو ما يقدر في مجموعه بالقيمة النقدية بـ 17.760 فرنكا⁽⁶⁾.

أما على مستوى مشيخة⁽⁷⁾ فرجوة فقد أعفى بوعكاز بن عاشور من دفع بعض المطالب المخزنية، ومقابل ذلك كان يقوم بتحصيل هذه الأخيرة من القبائل المستقرة في المنطقة، وقد قدرت قيمتها بما لا يتجاوز 40000 فرنك⁽⁸⁾. وعلى العموم فقد قدر "مارسيل إمريت" "Marcel Emerit" القيمة الإجمالية التي كانت تستخلص من الرعية من مادة القمح بـ 200000 صاع⁽⁹⁾.

¹ كذلك ورد ذكره في الرسالة رقم: (23) في الترتيب العام للمجموعة.

² حميدة عميراي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 28.

³ ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، ص: 548-549.

⁴ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 40.

⁵ المرجع نفسه، ص: 40.

⁶ المرجع نفسه، ص: 40.

⁷ كذلك كان يسميها أحمد باي في رسائله. ينظر: الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة.

⁸ المرجع السابق، ص: 41.

⁹ Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P: 256.

اللزمة⁽¹⁾: أطلق عليها في بعض الأحيان مصطلح "المعونة"؛ كانت ذات قيمة نقدية وعينية⁽²⁾. وهي تستند على "مبدأ المحافظة على قوة الجماعة الإسلامية". خصصت لتموين الجند على مستوى الأوطان، "فهى بمثابة الخراج الذي نصت عليه احكام الشريعة"⁽³⁾. وأسندت مهمة تحصيلها للشيوخ⁽⁴⁾. كما كانت السلطات الحاكمة تعاقب كل من يرفض دفع قيمتها سواء كان فردا أو قبائل⁽⁵⁾؛ فلقد قام أحمد باي بعزل مقورة بن عاشور؛ لأنه لم يقم بتسديدها⁽⁶⁾.

الغرامة⁽⁷⁾: كانت تؤخذ من القبائل التي كانت تمتنع عن دفع ما كان يجب عليها من المطالب المخزنية⁽⁸⁾. وتقدر قيمتها حسب مجموع أفراد القبيلة. كما كانت تفرض بصفة شخصية، مثال ذلك ما فرضه أحمد باي على شخص آغا الدائرة المدعو بوزيان بن علي⁽⁹⁾. كما فرضها عدة مرات على بعض القبائل التي كانت تمتنع عن دفع المطالب المخزنية، أو كتعويض على المخالفات أو الجرائم التي كانت تقوم بها ضد بعض القبائل الأخرى، مثلما فعله مع قبيلة السحاري عندما تعرض أفرادها بالتهب والسلب لممتلكات سكان بسكرة⁽¹⁰⁾.

الخطية⁽¹¹⁾ أو الدية: كانت تفرض على بعض القبائل المتمردة عند إقرارها بسلطة البايك وإعلانها الخضوع والطاعة وتقدم عادة مقابل حصولها على الأمان. مثلما فعله أحمد باي مع قبيلة أولاد سحنون⁽¹²⁾. وأيضا مع أولاد دراج الذين قدموا

¹ كذلك ورد ذكرها في الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

² الرسالة رقم: (27) في الترتيب العام للمجموعة.

³ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 96.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، ص: 280.

⁵ الرسالة رقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ الرسالة نفسها.

⁷ كذلك ورد ذكرها في كل من الرسالة رقم: (7-16) في الترتيب العام للمجموعة.

⁸ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 280.

⁹ الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

¹⁰ من أجل معلومات أكثر ينظر الرسالة رقم: (16) في الترتيب العام للمجموعة.

¹¹ كذلك ورد ذكرها في الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

¹² الرسالة نفسها.

لأحمد باي كرمز للطاعة والانصياع أربعة عشر فرسا⁽¹⁾.

البشارة: كانت تمثل رمزا للفرح والابتهاج بتولية الباي أو لإقراره من جديد. أو بمناسبة الأحداث السعيدة⁽²⁾، وتكاد تكون سنوية. ولقد وفرت للخزينة ثروات مهمة، والتي قدرت على مستوى البايك بـ 20000 بوجو ما يعادل 36000 فرنكا⁽³⁾.
حق اليونوس⁽⁴⁾: وهو عبارة عن هدية تقدم للباي بمناسبة تسليم الشيوخ الخلة كرمز لإسناد المنصب أو تجديده⁽⁵⁾. وهي التي سماها عبد الجليل التميمي بـ "المشيخة"⁽⁶⁾. ومن بين الأسباب التي جعلت أحمد باي يعزل الشيخ مقورة بن عاشور عدم تسديده لقيمة هذه الهدية⁽⁷⁾. وقد اختلفت المراجع حول تحديد قيمتها، فأحدهم ذكر بأنها عبارة عن فرس بسرجه⁽⁸⁾. في حين صرح "مرسيل إمريت" "Marcel Emerit" أن قيمتها كانت نقدية، وقد قدّم قائمة بالمبالغ التي كان على الشيوخ تسليمها لأحمد باي عند تنصيبهم فكانت كما يلي:

كان على كل من شيخ الحنانشة وشيخ الصحراء وشيخ مدجانة ما قيمته 50000 فرنكا. أمّا كل من شيخ لمامشة وفرجيوة وشيخ الدار فكان عليهم أن يدفعوا ما قيمته 15000 فرنك. في حين كان على شيخ ريغة ما قيمته 25000 فرنك. ثم شيخ بلزمة الذي كان يدفع لأحمد باي ما قيمته 20000 فرنك. أمّا شيخ بني مروان فكان يقدم ما قيمته 4000 فرنك. وأخيرا شيخ أولاد بلال الذي كان يدفع ما قيمته 10000 فرنك⁽⁹⁾.

رسوم القياد أو الأغاوات: كان يتعين على القايد أو الأغا عند استلامهما لمنصبهما تقديم قيمة مالية لأحمد باي، تجمع من أفراد القبائل، و قدرت بالنسبة لقبائل

¹ الرسالة رقم : (30) في الترتيب العام للمجموعة.

² مثال ذلك: عند ازدياد مولود لدى لسلطان العثماني. ينظر الرسالة رقم: (21) في الترتيب العام للمجموعة.

³-Nouchi, Enquête sur le Niveau de vie des populations rurales, P : 101.

⁴ كذلك سماه أحمد باي في الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ حميدة عميرلوي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 28.

⁶-Temimi, Le Beylic de Constantine et Ahmed bey, P : 65.

وسماها كذلك لأنها خصت الشيوخ، إذ كانوا يدفعونها للباي عندما كانوا يستلمون مناصبهم.

⁷ الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

⁸-Trossel Lucien, Les impôts arabes en Algérie, P : 24.

⁹ Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 260.

المخزن بـ 1.80 بوجه للخيمة، وذلك عندما يكون الأمر مرتبطا بتتصيب القياد. أما عند تتصيب الأغوات، فكان أفراد القبيلة يدفعون ما قيمته 2 بوجه⁽¹⁾.

وبدورهم كان القياد يقدمون نسبة من هذه المطالب للباي. وهذه قائمة ببعض القياد وقيمة المطالب التي كانوا يدفعونها لأحمد باي:

فلقد قدر المبلغ المدفوع عند تتصيب قايد الزمالة بـ 20000 فرنك، وكل من قايد الأوراس، وقايد التلاغمة وقايد سيبوس بـ 10000 فرنك، أيضا قايد عزاب بكار وقايد أولاد عبد النور أيضا قايد تبسة⁽²⁾ بـ 6000 فرنك، قايد السهل وقايد عامر مكريز بـ 5000 فرنك، وقايد سهل بني مهنة و قايد الميلة⁽³⁾ أيضا قايد للشرقة بـ 4000 فرنك، ثم قايد أولاد إبراهيم بـ 3000 فرنك، وقايد حمزة⁽⁴⁾ بـ 2000 فرنك⁽⁵⁾.

ومن خلال هذه التقديرات النقدية فإنه يستنتج أن قيمة هذه المطالب لم تكن ثابتة، ذلك لارتباطها بأهمية القبيلة التي كان يتكلف القايد بإدارة شؤونها.

مهر الباشا: وهي عبارة عن إعانة يسهم بها السكان في نقل هدايا الدنوش إلى الجزائر⁽⁶⁾، وكانت تختلف قيمتها من ناحية إلى أخرى. فهي تقدر على مستوى بايلك الشرق ما بين 600 و 700 حصان⁽⁷⁾.

الفرس: كانت عبارة عن مساهمة إضافية، تلتزم بها القبائل الخاضعة، التي لم تكن تمارس زراعة معتبرة، وتمثلت في تقديم فرس حربي⁽⁸⁾.

¹Trossel Lucien, Les impôts arabes en Algérie, P : 19.

²تبسة: كانت المدينة مركز قبيلة النمامشة وهي ترتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار 900 متر وبها صناعات أهلية متقدمة. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 201.

³الميلة: كانت في القديم تعرف باسم ميلو، حولها أرض خصبة وهي مدينة لها قيمة كبيرة. ينظر: المرجع نفسه، 241.

⁴حمزة: وهو عبارة عن حصن يضم نوبة واحدة. ينظر:

Lwis Rinn, Le royaume d'Alger sous le dernier Dey, P : 87.

⁵-Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 260.

⁶الرسالة التي تكررت بأن الخليفة حمل الدنوش تحمل الرقم: (4) المؤرخة في: 7 ربيع الثاني 1241هـ/1826م. أما الرسالة التي من خلالها حمل الباي الدنوش بنفسه فحملت الرقم: (16)، والمؤرخة في أوائل ذي القعدة 1242هـ/1827م.

⁷ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 28.

⁸المرجع نفسه، ص: 28.

- حق الزمام: وهو رسم إضافي يستلمه قائد العشور كتعويض على خدماته أثناء جمعه للعشور، وكان يعود لفائدة متوسطي وصغار الموظفين⁽¹⁾.

ب- المصادر: إذا عدنا إلى مختلف المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني، فإنه لا يعثر من المصادر⁽²⁾ إلا التي كانت تتحصل عليها السلطات الحاكمة على مستوى الحكم المركزي من أسرى أو سفن محبوزة، أما فيما يخص بايلك الشرق فنستطيع القول أنّ المادة التاريخية حول هذه النقطة تكاد تكون منعدمة. ومن خلال إحدى رسائل أحمد باي تمكنا من العثور على نموذج من هذه المصادر.

فقد تم بتاريخ 24 جمادى الأولى من سنة 1242هـ/1826 حجز مركبين "شكوف"⁽³⁾ من طرف الرايس⁽⁴⁾ محمد بن قارة؛ وسبب الحجز هذا يعود إلى متاجرة أصحابها في مادة البارود. ولقد "ساقهما إلى عنابة" أين أفرغ محتوياتهما النقدية والعينية، كما قام بتجريد كلّ الموجودات في "جريدة أمام مرأى من أربابها"⁽⁵⁾.

فأما القيمة النقدية التي حجزت فتمثلت في "272 دور فرنسي، و328 بوجه دراهم تونس، و110 محبوب سكة ردية ضرب طرابلس". في حين تمثل المحتوى العيني "في نصيب من القمح والملح، كما عثر على قلال فخار" من بينها قلتين، عثر في إحداها على كمية من البارود نحو النصف، أما الثانية فكانت "دون ذلك". فيما

¹ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 27.

² مصطلح المصادرة: أورد هذا المصطلح الشريف الزهار في مذكراته، ص: 160. أما أحمد باي فيستعمل في رسائله مصطلح الحجز. ينظر: الرسالة رقم: (21) في الترتيب العام للمجموعة. وهذا المصطلح لغويا يعني منع صاحب المال من التصرف فيه حتى يؤدي ما عليه. ينظر: معجم الوسيط، ج: 1، راجع تجارب هذا الكتاب، عبد الوهاب السيد عوض الله، محمد عبد العزيز القلماوي، مطابع الأوقفت بشركة الإعلانات الشرقية، ط: 3، ص: 164.

³ الرسالة رقم: (21) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ طائفة الرياس: كأي مؤسسة بحرية أخرى كان لها رتب وطريقة للترقية تتدرج إلى رتبة الكابتن وهي مرتبة بحار فزميل تم ضابط وأخيرا رايس وهي قيادة الأسطول. ينظر: وليام سينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص: 61. وقيل تنصيب الرايس كان عليه أن يجتاز امتحانا يتم بمحض كبار الضباط، وعندما ينجح في امتحانه هذا يصانق هؤلاء الضباط على تنصيبه ولكن يبقى قرار تعيينه للداي، بعدها تسلم له شهادة بعد أن تقام المراسيم، حينها فقط يلتحق الرايس بسفينته التي كان عليه أن يقودها طوال حياته. ينظر:

Moulay Bellkamissi, Histoire de la marine Algérienne (1516-1837), Entreprise National du livre, Alger, 2^{ème} édition, 1986, P: 16.

⁵ الرسالة رقم: (21) في الترتيب العام للمجموعة.

وجدت باقي القلال فارغة. ويؤكد أحمد باي على أنها كانت مملوءة بالبارود، لأن أثره ما زال باق فيها. كما عثر على جواز سفر فرنسي قيد ضمن المحتجزات⁽¹⁾. في حين ذكر "مارسيل إمريت" "Marcel Emerit" أن المركبين كانا ملكا لأحد مسيحيين، وكانا محملين بالأسلحة والذخيرة. فقد كانت السلطات الفرنسية تساند بعض القبائل المتمردة⁽²⁾.

إذا يستنتج من هذه المسألة أن عملية الحجز هذه كانت نتيجة لمتاجرة المركبين في مادة البارود⁽³⁾ والتي منع المتاجرة فيها بأمر من الداوي وكان على الباي السهر على تنفيذه بكل صرامة⁽⁴⁾. فكل من عثر عليه يتاجر في هذه المادة، كان يعاقب بكل صرامة. وما يؤكد ذلك ما حدث على عهد أحمد باي؛ إذ أمسك عمر قايد مدينة عنابة رجلا من أولاد دياب⁽⁵⁾ "وبيده خمسة أرطال من البارود"؛ وبعد استجوابه ذكر أنه بيعت له من طرف تركي متزوج في المدينة من إحدى الجزائريات. عندها أصدر القايد أمرا بالقبض عليه وإحضاره على علم من "أهل الديوان". بعدها أبلغ أحمد باي بالقضية⁽⁶⁾. ومن تم فإنه يستتج أن المتاجرة في مادة البارود أو السلاح ممنوعة وكل من عثر عليه متلبسا يعاقب عقابا صارما، حتى وإن كان تركيا. أما فيما يخص جواز السفر الفرنسي الذي عثر عليه في أحد المركبين فدليل على أمرين هما:

¹ الرسالة رقم: (21) في الترتيب العام للمجموعة.

² قام هذا الباحث بنشر ترجمة لهذه الرسالة وما جاء أعلاه إلا تعليقا على مضمونها. وهو لا يستبعد صحة المعلومات التي قدمها أحمد باي في تقريره لأنه على زعمه كان يبدو جديا فيما ذهب إليه من معلومات. وأضاف بأنه حاول أن يبحث على هذا الجواز في الأرشيف الفرنسي ولكنه لم يعثر عليه. ينظر:

Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 242.

³ مادة البارود: كانت منطقة ورقلة تملك مادة حيوية وهي ملح البارود، والتي مهر صناعات المنطقة في تحويلها إلى سروج، والجمرة، وأحزمة، وسكاكين، وسيوف. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 244.

⁴ Kuran, Erkament, La lettre du dernier dey d'Alger au grand vizir de l'empire ottoman, R. A. N : 96, 1952, P : 191.

⁵ أولاد دياب: أصلهم من منطقة القالة، ويشكلون فرع مهم من فروع القبيلة الكبيرة نهد وكان أفرادها قديما حياة لحساب قبيلة شابية. ينظر:

Leila Babes, Tribus et structures, P : 28.

⁶ من خلال رسالة مؤرخة في: 21 محرم 1244هـ/1828م، ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3205، الملف رقم: 3، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

الأمر الأول: فالمعلومات التي ذكرت والتي مفادها أن المراكب كانت ملكا لأحد المسيحيين أمرا صحيحا⁽¹⁾، وما كانت تلك القبائل التي تتاجر عليها إلا ستارا.

الأمر الثاني: فيظهر تواطؤ السلطات الفرنسية في عمليات التمرد التي كانت تحدث بين الحين والآخر⁽²⁾، فكثيرا ما اشتكى الباشا حسين من مساندة الفرنسيين للقبائل المتمردة وتدعيمها بالبارود والأسلحة⁽³⁾.

ج- الغنائم⁽⁴⁾: تمثلت في كل ما كانت تحصل عليه السلطات العثمانية الممثلة في شخص أحمد باي من غنائم⁽⁵⁾ عينية ونقدية. وقد تمكن أحمد باي خلال فترة حكمه من تحصيل غنائم كثيرة، وكان ذلك عادة ما يتم عند شنه للحملات العسكرية برفقة قواته التركية وفرسان قبائل المخزن⁽⁶⁾.

وتمثلت هذه الغنائم في أعداد كبيرة من مختلف أنواع الحيوانات التي كانت تستعمل لتلبية الحاجيات اليومية، من بينها الغنم والبقر والهوري والخيول والبغال

¹Mercel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 242.

²من بين الأسباب التي أزمت الوضع بين السلطات الجزائرية والفرنسية الحادثة التي وقعت على السواحل العنابية؛ فقد قامت بعض العناصر الفرنسية بتهريب مادة البارود وكذا الأسلحة وبيعها للمتمردين من بعض قبائل الجبالية. ولما تأكدت السلطات العثمانية على مستوى بايلك المشرق من القضية طاردهم وقتلت منهم العديد. وعندما علمت الحكومة الفرنسية بالأمر حاولت أن تستغل هذه الأوضاع لصالحها، فذكرت أن من قتلوا كانوا مجرد صيادين تم الاعتداء عليهم بغير وجه حق ويجب الثأر لهم، نتيجة لهذه التحريضات قتل العديد من الجزائريين، خاصة في كل من مرسيليا وتولون ينظر: H'sen Derdour, Annaba 25 siècle de vie, P: 201.

³Erkament Kuran, R. A, 1952, P : 191.

⁴الغنائم: ظلت الأعمال البحرية لمدة طويلة موردا ومصدرا للثروة وعاملا حاسما في تنشيط الاقتصاد، فقد كانت مهنة مربحة في نظر الكثير من المؤرخين المحدثين، تنال الدولة من غنائمها حصة تتراوح بين السبع والعشر، وتحظى بـ 12% من أسعار السفن المحتجزة، وتضع تحت تصرفها كل الأسلحة المصادرة في الأعمال البحرية باعتبارها غنائم حرب مشروعة، كما أنها تنال قسما وافرا من المبالغ التي تدفع لاقضاء الأسرى الأوروبيين. لكن أرباح الأعمال البحرية لم تعد في الفترة الأخيرة مصدر ثروة كبير، إذ بدأ نشاطها يخف وعودتها تقل منذ القرن الثامن عشر ميلادي، رغم فترة الازدهار القصيرة التي عرفتها البحرية الجزائرية في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، بفضل جهود البحارة المشهورين كالرايس حميدو وملائمة الطسروف الدولية، والتي ساعدت بقسط وافر على تغطية العجز المالي للإيالة 1220-1231هـ/1805-1815م بأرباحها البالغة ثمانية ملايين فرنك. وقد وضعت حدا لهذا الانتعاش حملة اللورد اكسموت سنة 1232هـ/1816م، والتي نتج عنها تحطيم أغلب السفن وإطلاق ما تبقى من الأسرى بدون مقابل، وكان عدهم يتراوح نسبيا بـ 1606 أسيرا. كما أدى تكمير السفن الجزائرية المشاركة في معركة نافرين البحرية وفرض الحصار البحري على السواحل الجزائرية بما فيها السواحل الشرقية سنة 1243هـ/1827م إلى تدهور أرباح العمليات البحرية، ثم انقراض نشاطها. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص ص: 113-114.

⁵مصطلح الغنيمة: لقد ورد هذا المصطلح في رسائل أحمد باي، إذ عندما كان يتكلم على نتائج حملاته، فإنه يستعمل مصطلح "غنما". مثال ذلك ينظر: الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶مثال ذلك ما ورد في كل من الرسالة رقم: (19-22) في الترتيب العام للمجموعة.

والحمير. وقد قدرت قيمة هذه الغنائم بما يعادل 40827 رأس غنم، و6149 رأس بقر، و377 ما بين بغال وخيل، و423 هوير، و592 من الإبل⁽¹⁾. وإذا قيست هذه الغنائم بالقيمة النقدية فإنها سوف تصل إلى مبالغ كبيرة.

د-التركات: من بينها بيع أملاك الباي السابق محمد منماني. فلقد عثر يحيى آغا على عقود لأملاك الباي السابق فطلب من أحمد باي أن يعرضها للبيع، ولكن هذا الأخير رفض أن يقوم بذلك دون رجوع إلى الباشا واستشارته. ومن أجل ذلك بعث إليه يطلب رأيه في الموضوع. فصرح له بأن ينفذ أمر البيع⁽²⁾.

وهذه الممتلكات كانت مكونة من دارين، وقد بلغ إلى مسمع أحمد باي أن شخصا قام ببيعها دون علمه. ثم دار أخرى يقيم بها ابنه. ويؤكد أحمد باي أن هذه الممتلكات لم يتحصل عليها محمد منماني إلا أثناء ولايته⁽³⁾، أما قبل ذلك، فلم يكن يملك منها شيئا⁽⁴⁾. وعادة ما كانت تعود تركة الباي المتوفى إلى ورثته باستثناء العتاد الحربي، وكل ما كان له صلة بالإدارة التي كان مكلفا بها⁽⁵⁾.

وقد تكررت مثل هذه العمليات أثناء فترات مختلفة من الحكم العثماني في الجزائر عامة وفي بايلك الشرق على وجه الخصوص. منها ما حصل لجاقر باي، فبعد مقتله حملت كل أمواله إلى الخزينة العامة بالجزائر⁽⁶⁾. وأيضا من خلال ما ذكره يحيى آغا بأنه "عند دخوله محروسة قسنطينة" وبرفقته أحمد باي حاول العثور على ممتلكات إبراهيم كريتلي الباي المعزول لدى أقاربه واستخدم من أجل ذلك كافة الوسائل من أجل استردادها وضمها إلى خزينة الدولة⁽⁷⁾.

2-أوجه الإنفاق: إن كل حكم ليس قادرا على تلبية حاجيات الرعية، فإن ماله

¹ ينظر كل من الرسالة رقم: (19-22-27-28-29-30) في الترتيب العام للمجموعة.

² الرسالة رقم: (15) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في: 23 شوال 1243هـ/1827م.

³ من خلال هذه العبارة يحاول أحمد باي أن يثبت للباشا حسين بأن عملية المصادرة هذه شرعية. فلا يمكن للسلطة أن تصادر ممتلكات دون أن تكون ملكا لها، أو تم الحصول عليها بطرق غير شرعية.

⁴ الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ حمدان خوجة، المرأة، ص: 138.

⁶ الزهار، مذكرات الشريف الزهار، ص: 160.

⁷ ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3205، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

حتما إلى الزوال. فالرعية لا تقبل أبدا أن تؤدي واجباتها ولا تتلقى حقوقها. ومن بين حقوق الرعية على السلطة دفع الأجور وبناء وإصلاح مختلف المرافق العمومية التي بموجبها تسيّر الحياة اليومية بشكلها العادي، وتمثلت أوجه الإنفاق في جريات الجنود والعمال، وعوائد النوبات، وإصلاح مختلف المرافق العمومية. فهذا كان واجب السلطة الممثلة في شخص أحمد باي اتجاه الرعية بمختلف فئاتها الاجتماعية. أمّا واجباته اتجاه السلطة المركزية في مدينة الجزائر والممثلة في شخص حسين باشا، فكان يتمثل في تقديم الدنوش الذي كان له دور كبير في تدعيم الخزينة العامة. وما يلاحظ على مجموعة رسائل أحمد باي أمران، أمّا الأول فيتمثل في عدم الخوض في التفاصيل الخاصة بموضوع الدنوش، وأمّا الثاني، فيتمثل في قلة المعلومات الواردة حول نفقات الطرف المدني، وكلّ ما تحدثت عنه الرسائل هو نفقات الطرف العسكري وباختصار شديد.

أ- أوجه الإنفاق على مستوى بايلك الشرق:

من بين أوجه الإنفاق دفع الرواتب لمختلف فئات المجتمع القسنطيني، سواء كان مدنيا أو عسكريا. وما عثر عليه في إحدى الرسائل الموجودة في المجموعة أنّ كلّ الرواتب كانت تقيد بصورة مستمرة حتى لا يخرج أيّ راتب وصاحبه متوفى بدليل هذه العبارة: "ليلا يمت أحدا ويبقى يخرج راتبه"⁽¹⁾.

*- "جرايات" الطرف المدني: لم توفر الرسائل من مادة تاريخية حول هذا الموضوع سوى ما تعلق بالتأكيد على دفع رواتب "أهل الجوامع" مثل المدرسين⁽²⁾، الذين كانوا يتلقون أجورا ثابتة من الأوقاف وهدايا وعطايا خلال المناسبات، كما ضمنّت لهم جزءا من الغنائم ونحوها⁽³⁾. أيضا خصصت للخطباء والمؤدنون وشهداء القاضي و"خدام المساجد" رواتب يتقاضونها تضمن لهم الحياة الكريمة⁽⁴⁾.

¹ رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) لا تحمل رقما أو تاريخا.

² الرسالة نفسها.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 327.

⁴ رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) لا تحمل رقما أو تاريخا.

كما اعتنت السلطات بفئة المستضعفين ويقصد بها الشيوخ والعجزة وفاقد البصر، فوفرت لهم رواتب يتقاضونها مرتين كل سنة⁽¹⁾، حتى تضمن لهم الحياة الكريمة.

*- "جرايات" الطرف العسكري: والمتمثلة في "جرائد" مرتبات الجنود⁽²⁾. فلقد كان يقوم على رواتب الجنود في الجزائر عامة وبابلك الشرق على وجه الخصوص الباي ويساعده في ذلك مجموعة من العمال. وعند إعدادها ترسل إلى الجزائر مركز الإدارة ليراجعها الباشا ويصادق عليها، وبعدها تدفع لمستحقيها⁽³⁾.

فكل ما كان يحصل عليه الجندي عند قدومه إلى الجزائر قميصا من القماش الخشن، وصدريّة، وسروالا من القطن، ومعطفا، وشاشية جزائرية، وحزاما أحمر، وحذاء وغطاء من الصوف. ثم بعدها يقصد "الكاشرية"⁽⁴⁾.

كما كانت تقدم له السلطة راتبا عينيا ونقديا. أما الجزء الأول فكان يتمثل في أربع خبزات (وزن رطلين) تسلم له يوميا. إضافة إلى زيت الطبخ واللحم، وكان يدفع الجندي مقابل ذلك ثلث سعر الشائع في السوق⁽⁵⁾.

أما مرتبه النقدي الذي كان يتقاضه عقب انخراطه مباشرة، فكان يعادل 7 فرنكات و 50 سنتيما في الشهر⁽⁶⁾ وتكون إما ذهبا أو فضة. ومن أجل استلامه من عند الصراف كان على الجندي الحضور شخصيا⁽⁷⁾. غير أن هذه المرتبات لم تبق على ذلك الحال وإنما ازدادت خلال السنوات الأخيرة من العهد العثماني⁽⁸⁾.

ومع هذا فإن الجندي كان في حاجة مالية مستمرة، وهذا ما تأكد من خلال

¹- رسالة مجاورة للرسالة رقم: (8) لا تحمل رقما أو تاريخا..

²- الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة وهي مؤرخة في: 26 ذي القعدة من سنة 1241هـ/1826م. من خلالها يخبر الباشا حسين بأنه بعث مع هذه الرسالة جرائد مرتبات الجنود لترسل إليهم.

³- يستنتج ذلك من خلال ما ورد في نص الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴- الكاشرية: وتعني (الثكنة العسكرية). وأصل هذه الكلمة من التركية وتعني دار الانتكشارية. ينظر: أحمد توفيق المنفي، عثمان باشا داي الجزائر، ص: 185.

⁵- وليام سينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص: 58.

⁶- Ernest Mercier, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kadar, P : 257.

⁷- Trossel Lucien, La Monnaie et le crédit en Algérie depuis 1830, P : 55.

⁸- وليام شالر، منكرات شالر فنصل أمريكا، ص: 53.

مضمون رسالة بعثها أحمد باي إلى حمزة آغا نوبة عنابة، فلقد ذكر فيها أن الجنود كانوا يقترضون مبالغ مالية من السلطة، وكلف بالإشراف على هذه العملية أحد الشواش⁽¹⁾.

كما خصصت السلطة لفرسان قبائل المخزن العاملين إلى جانبها رواتب مالية تسلم لهم من مدينة الجزائر، وكان يشرف على إرسالها الباي شخصياً، ويؤكد على الباشا حسين بضرورة إرسالها لهم⁽²⁾.

وكانت تسجل هذه الرواتب النقدية في جرائد كبيرة الحجم، كتب عليها بمداد أسود أسماء الجنود ومراتبهم ورواتبهم. ويصعب فهم مضمونها، فمعظمها مكتوب باللغة التركية⁽³⁾.

* - "عوائد النوبات": ويقصد به ما كانت تأخذه كل نوبة⁽⁴⁾ من تموين. وقبل عرض القيمة النقدية والعينية لهذه المؤونة هذا تقديم لأهم النوبات⁽⁵⁾ المنتشرة عبر كل البايك على عهد أحمد باي، فلقد سجل "دوفلوكس" "Devouloux"⁽⁶⁾ قائمة هذه النوبات في 1245هـ/1829م فكانت كالآتي⁽⁷⁾:

نوبة مدينة قسنطينة: ضمت نوبة واحدة متفرعة إلى خمسة صفر كل صفرة⁽⁸⁾ تضم عددا من الجنود. فالأولى تضم ثلاثة عشر جندي. أما الثانية فكانت مكونة من ستة عشر جندياً. في حين تكونت الثالثة من خمسة عشر جندياً والرابعة:

¹ الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة.

² ينظر كل من الرسالة رقم: (5-20) في الترتيب العام للمجموعة.

³ عثر على مثل هذه الجرائد في المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة، بداخل خزائن المخطوطات.

⁴ تتكون كل نوبة من ديوان عسكري وإداري يتولى الفصل في القضايا التي كانت تقع بين الأتراك والكراغلة. ينظر: صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 44. ونظام النوبات هو نظام دفاعي من مهامه الرئيسية إبقاء قبائل الرعية خاضعة لمراقبة وإشراف الشيوخ لهذا اعتمدت في فرض سلطتها وإخضاع السكان وربطهم بالحكم على عمل النوبات. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص: 279.

⁵ ورد ذكرها في الرسالة رقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 19 محرم 1829/1244.

⁶ دوفلوكس: لقد قام هذا الباحث بترجمة دفتر التشريقات، هذا الأخير كان اسم السجل الرسمي الحكومي السذي كانت الإدارة العثمانية الجزائرية ترسم فيه أعمالها ومذكراتها العامة وما كان يتم تقريره من نظم وقوانين. وهو سجل محفوظ في خزائن الباشاوات ويتولى الباشا كاتب تسجيل ما يستحق الرسم فيه، فهذا السجل يعتبر وثيقة من أهم الوثائق المتعلقة بتاريخ الجزائر العثماني. ينظر: أحمد توفيق المدني، عثمان باشا، ص: 149.

⁷ A. De Voulx, Tachriffette, Recueil et notice historique sur l'administration dans l'ancienne rëgence d'Alger, Imprimerie du gouvernement, 1852. P: 34.

⁸ الصفرة: تعني الخيمة. ينظر: صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 46.

من أربعة عشر جنديا. أما الخامسة فكانت تضم خمسة عشر جنديا⁽¹⁾.

نوبة مدينة عنابة: يوجد بها نوبة واحدة موزعة إلى خمس صفر. فكلّ من الصفرة الأولى والثانية والثالثة والرابعة مكونة من أربعة عشر جنديا. في حين

ضمت الصفرة الخامسة خمسة عشر جنديا. ومجموعهم واحد وسبعون جنديا⁽²⁾.

نوبة مدينة بسكرة: مكونة من نوبة واحدة، توزعت إلى أربع صفر، ضمت الصفرة الأولى والرابعة خمسة عشر جنديا. في حين ضمت الثانية والثالثة: ستة

عشر جنديا. وبهذا فإن مجموعهم يساوي اثني وستين جنديا⁽³⁾.

نوبة مدينة بجاية: بدورها تكونت من نوبة واحدة. تفرعت إلى ثلاث صفر. فكانت كلّ من الصفرة الأولى والثانية تضم خمسة عشر جنديا. في حين ضمت

الصفرة الثالثة أربعة عشر جنديا. وبهذا يكون مجموعهم، أربعا وأربعين جنديا⁽⁴⁾.

نوبة مدينة تبسة: تضاربت المعلومات حول عدد صفرها. فالرواية الأولى ذكرت أنها كانت مكونة من نوبة واحدة تفرعت إلى صفرتين، ضمت الأولى خمسة

عشر جنديا. أما الثانية فأربعة عشر جنديا. ويكون مجموعهم إذا تسعة وعشرين جنديا⁽⁵⁾.

كما أضاف صالح فركوس كلّ من نوبتي القل وزمورة، وكلتاها ضمنا ثلاث صفر⁽⁶⁾.

ولقد ذكر أحمد باي في إحدى رسائله⁽⁷⁾ أنه أرسل إلى حسين باشا قائمة لعوائد نوبة قسنطينة وعنابة وتسببة. وهذا نموذج على ما كانت تأخذه نوبة عنابة من

"عوائد"، وذلك خلال سنة 1245هـ/1829م:

¹-De Voulx, Tachriffette, P: 34.

²-Ibid, P: 34.

³-Ibid, P: 34.

⁴-Ibid, P: 34.

⁵-Ibid, P: 34.

الرأي نفسه ذهب إليه صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 45.

⁶المرجع نفسه، ص: 45.

⁷من خلال رسالة مؤرخة في 19 محرم 1245هـ/1829م. تحمل الرقم: (28) في الترتيب العام للمجموعة؛ ومن خلالها يعلم الباشا حسين بأنه أرسل ثلاث جرائد دون فيها ما تأخذه النوبات الثلاثة من عوائد مع العلم أن هذه المعلومات لم ترد في مضمون الرسالة.

فعندما كانت تحل نوبة جديدة بمدينة عنابة، كان يقدم لها من أجل الاحتفال بقدمها "ضيقة" خلال ثلاث الأيام الأولى وكانت تتشكل من خروف لكل صفرة. كما كان يتلقى كل جندي 17 ريالاً بوجه بما يعادل 30 إلى 50 فرنك⁽¹⁾.
أما المؤونة الخاصة بشخص الأغا فكانت تتمثل في "قننين" من زبدة وعسل. وكذا كان يعطى المثل لكل صفرة⁽²⁾. أما فيما يخص مؤونة القمح، فكان يقدم للأغا في كل شهر اثنا عشر صاعاً. أما باقي الجند، فكل واحد ست ساعات. كما كانت توفر لهم السلطة 130 قطعة صابون. وريال بوجه بما يعادل 30،60 فرنك⁽³⁾. وقد ذكر أحمد باي في إحدى رسائله أنه قد وقع نقص في عوائد نوبة مدينة عنابة أثناء سنة 1829/1245⁽⁴⁾.

أما في حالة الطوارئ وأثناء الحصار الفرنسي (1243هـ/1827م) المضروب على السواحل الشرقية فوفرت السلطة "للخوزجية" ما يكفي حاجتهم من "الأخبية"⁽⁵⁾. وأما فيما يخص مؤونتهم الغذائية فتمثلت في "بشماط"⁽⁶⁾، و"برغل"⁽⁷⁾، ودهان وزيت، بالإضافة إلى مجموعة من البغال⁽⁸⁾ لأداء مهامهم على أكمل وجه⁽⁹⁾.

*-إصلاح بعض المرافق العامة: لم تتطرق الرسائل في هذا الشأن إلا فيما خص إصلاح بعض المرافق العسكرية. ومن بين ما ذكر بهذا الصدد، الخطاب الذي وجهه أحمد باي إلى حمزة آغا، ومن خلاله يعلمه بأنه وجه إليه المركانتى⁽¹⁰⁾ حتى

¹-De veloux, Tachriffette, P : 60.

²Ibid, P : 60.

³صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 46.

⁴الرسالة رقم: (5). وهو يستشير الباشا في الطريقة التي يمكنه من خلالها مواجهة هذا الوضع.

⁵الأخبية: وهي الخيمات التي كان يعسكر فيها الجنود. ينظر: Charles Féraud, La Calle, P : 611.

Ibid, P : 611.

⁶بشماط: وهو نوع من الحلويات. ينظر:

Ibid, P : 611.

⁷البرغل: وهو الدقيق من النوع الغليظ. ينظر:

Ibid, P : 611.

⁸البغال: كانت تستخدم كوسيلة لحمل الماء الصالح للشرب. ينظر:

⁹الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

¹⁰المركانتى: لقد أجمعت معظم الدراسات التاريخية التي تعرضت لسيرة صالح باي من بينها نذكر على سبيل

المثال: Vayssette, Histoire de Constantine, R. C, 1867, P P: 459-462. أنه هو أول من وضع منصب

المركانتى من أجل مراقبة التجارة الخارجية والإشراف عليها في جميع الموانئ؛ إلا أنه أثبتت بعض الوثائق

التي عثر عليها في ملفات العثمانية أن هذه الوظيفة كانت موجودة قبل تولي صالح باي للسلطة. ملف الوثائق

العثمانية، رقم المجموعة: 1641، الرسالة رقم: (31)، أرسلها أحمد باي إلى قبطان الباستيون بتاريخ 1763.

يتابع عملية تصليح "الكوشة"⁽¹⁾، التي كانت تلبي حاجيات الجند من الخبز⁽²⁾.

كما أدت الوضعية الأمنية التي كان عليها بايلك الشرق إثر الحصار الذي ضربته القوات الفرنسية على السواحل الجزائرية سنة (1243هـ/1827م)⁽³⁾ إلى لوقوف "وقوف جد واجتهاد" على إصلاح كل ما كان معطل من المعدات الحربية ومن مراكز الحراسة المتواجدة في كل من القالة وعنابة. وكل ذلك استجابة لأوامر الباشا، والتي كان على أحمد باي السهر على تنفيذها دون كسل. لهذه الأسباب سخر أحمد باي كل الطاقات البشرية والوسائل المادية لأجل إتمام هذه المهمة⁽⁴⁾.

كما كانت تمون الرعية، خاصة على مستوى مدينة عنابة بالأسلحة حتى تقوم بالدفاع على وطنها ضد أي عدوان خارجي⁽⁵⁾.

ب- أوجه الإنفاق على مستوى السلطة المركزية: من بين ما كان يدعم الخزينة العامة الجزائرية بمبالغ مالية معتبرة ما كان يسمى في تلك الحقبة التاريخية بالدنوش⁽⁶⁾، الذي كان يتم على فترتين. أما الصغير فكان يؤخذ كل ست أشهر. في حين كان الدنوش الكبير يؤخذ كل ثلاث سنوات.

والدنوش في نظر أحمد باي يعبر عن "تلك الزيارة التي كان يؤديها إلى الباشا جميع البايات مرة كل ثلاث سنوات". أما المقدار العيني والنقدي الذي كان يأخذه إلى الباشا فيسميه "اللازمة"⁽⁷⁾. واتفق معه أبو القاسم سعد الله في ذلك⁽⁸⁾. في حين أطلق عليه محمد بن عبد الكريم مصطلح "الإتاوة"⁽⁹⁾.

وعلى العموم كل المراجع والمصادر التاريخية اتفقت في المضمون، وإن

¹ الكوشة: ويقصد بها الفرن الذي كان يطبخ فيه الخبز. وهذه الكلمة ما زالت متداولة بين أفراد المجتمع الجزائري لوقتنا الحالي.

² الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة، دون تاريخ.

³ ينظر كل من الرسالة رقم: (10-11-12) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ من أجل تفاصيل أكثر ينظر: الفصل الرابع، المبحث الأول.

⁵ الرسالة رقم: (3) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ الدنوش: لفظ محلي، معناه المحاسبية. شاع استعماله في النوع من الالتزامات المالية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 100.

⁷ أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 11.

⁸ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج: 2، ص: 134.

⁹ محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة ومذكراته، ص: 53.

اختلفت في التسمية. فالدنوش عندهم هو تلك المساهمة بكميات معتبرة من الأموال والمواد العينية، منها ما كان يذهب إلى الخزينة العامة، ومنها ما كان يحظى بها كبار موظفي الحكم في شكل هدايا وترصيات، تسلم لهم في مواعيد محددة، وحسب الطرق المتعارف عليها⁽¹⁾.

فأما الدنوش الصغير فكان يؤديه الخليفة⁽²⁾ كل ست أشهر⁽³⁾. بمعنى مرتين كل سنة، مرة في فصل الخريف والأخرى في فصل الربيع⁽⁴⁾. وأول مرة دنش فيها خليفة أحمد باي منذ أن استلم مقاليد الحكم، كانت بتاريخ 7 من الربيع الثاني عام 1241هـ/1826م⁽⁵⁾. أما الثانية فكانت بتاريخ 24 من جمادى الأولى من سنة 1245هـ/1829م⁽⁶⁾.

وعند كل مرة كان يتوجه أحمد باي برسالة إلى حسين باشا يبلغه من خلالها بتوجه الخليفة إلى مدينة الجزائر⁽⁷⁾ برفقة المحلة⁽⁸⁾ ومعه "لزمة الدار الكريمة"⁽⁹⁾. وهذا نموذج من الذي كان يكتب بهذا الصدد: "... سلام كريم طيب عميم تعبق

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 100.

² لقد انفرد محمد خير فارس بذكر معلومات لم ترد في معظم المصادر والمراجع التاريخية تمثلت في إمكانية تعويض الخليفة بشخصية أخرى وهي وكيل السباهية. وكان يقدم الدنوش الصغير على شكل عدة دفعات، تكون كل شهر أو شهرين أو حتى ثلاث أشهر. ينظر: تاريخ الجزائر الحديث، ص: 74.

³ أما تفاصيل الموضوع، فهي أن الخليفة كان يعود من الجزائر مصحوباً بقوة عسكرية "المحلة" لاستخلاص المطالب المخزنية من الرعية. وكانت تتشكل هذه المحلة من ستين خيمة وتتألف الخيمة الواحدة من خمس وعشرين رجلاً، وعندما تلتقي هذه القوة العسكرية بأحمد باي عند قصر الطير تلتحق به أربعون خيمة، بينما العشرون الأخرى يجوب بها الخليفة ساحل الياور وفرجيوة وزواغة ومعلوية ويني وليان ويني مهمنة وإيدوغ وساحل عنابة ومرداس ويني صالح. أما أحمد باي فيتوجه بما كان لديه من قوات عسكرية إلى أولاد المساطية بمنطقة بوطالب وأولاد سلطان والحراكنة والحناشنة، ويلتقي بالخليفة بفج العرب ليعودوا بعد ذلك مع المحلة إلى قسنطينة. ثم يتوجه الخليفة إلى الجزائر بعد أن يمكث بمدينة قسنطينة مدة شهرين أو ثلاث أشهر لتقديم الدنوش الصغير". ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، ص: 160-161.

⁴ صالح فركوس، الحاج أحمد باي، ص: 33.

⁵ الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة.

⁷ كانت قافلة الدنوش قبل وصولها إلى مدينة الجزائر تمر على مجموعة من المحطات تأخذ في كل منها قسطاً من الراحة، وهذه المراكز هي بئر البقيرات، ونزاع الطبول، وركب، ومجاز الحمار، أيضاً كل من سطيف وعين تاغروط وسيدي مبارك ونزاع لحمر ومجانة ويني منصور والدهوس وحمزة ويني هيني ونزاع البرال والحوش ومتيجة وأخيراً تصل إلى مدينة الجزائر. ينظر: صالح بن العنتر، تاريخ قسنطينة، ص: 26.

⁸ كانت تحرس الخليفة وما كان يحمله من مطالب عينية وتقديرة قوة عسكرية مكونة من عشر خيام، كان يأخذها من الحامية التركية التي تعسكر بالقصبة. ثم لا يلبث أن يعود بعد ذلك من الجزائر مصحوباً بستين خيمة لاستخلاص المطالب مرة أخرى وهذا ما كان يحدث سنوياً. ينظر: سعيدوني، ورفات جزائرية، ص: 162.

⁹ الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة.

نواسمه وتفتح بأرجائك مباسمه وتزكو أوائله وخواتمه فإن ابنكم وخدمكم ابنا مصطفى الخليفة قادم ووارد على حضرتكم العظيمة العلية الفخيمة يقصد زيارة سيادتكم وتقبيل يدك الكريمة وأصبحنا معه لوازم المعلومة المقررة المفهومة ونطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم أن يبقي لنا وجودك وبيارك لنا في عمرك وأن يمدك جنابك الرفيع بالنصر والعافية وأن يديم عليكم نعمه الوافية ويعاملكم بكل جميل وينيلكم من فضله الجزيل هذا سيدنا وأن المحلة المنصورة بالله تعالى واردة مع الخليفة في حفظ الله وأمانه ونسئل الله جل وعلا وردوهم عليكم ورود خير وعافية وهناء وستر دايم وسلامة أمين يا رب العالمين وهذا ما وجب به إعلام سيادتكم العليا وما دمت لنا بخير وعافية وصحة وسلامة فأنا كذلك عندنا كل خير وبلادك ووطنك في هناء وعافية...⁽¹⁾.

أما القيمة المالية الإجمالية لهذا الدنوش، فكان يدفع الخليفة نصف ما كان يدفعه أحمد باي في كل شيء إلا "المصوغ"⁽²⁾. وكانت تقدر قيمته النقدية بـ 340000 ريال، بحيث كل ريال كان يعادل 0.93 فرنك، أي ما يعادل 416200 فرنك⁽³⁾. في حين قدرها صالح فركوس بـ 40000 بوجو⁽⁴⁾. أما العربي الزبيري فحدد قيمتها بـ 700000 بياستر فضي أي حوالي نصف مليون دولار إسباني⁽⁵⁾. وبعملية حسابية بسيطة نجد أن الباي كان يدفع 350000 بياستر كل ست أشهر بما يعادل أيضا 2500000 دولار إسباني.

في حين تكونت القيمة العينية من: 1500 رأس بقر منها 100 رأس بقر كان يدفعها مقابل الأمان والمرور عبر أبواب الحديد⁽⁶⁾. و6000 رأس خروف، و17 ما بين فرس وحصان أصيل، تكون من نصيب الداوي وكبار موظفي القصر، وأيضا

¹ الرسالة رقم: (6) في الترتيب العام للمجموعة.

² الشريف الزهار، مذكرات الشريف الزهار، ص: 46.

³ ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، ص: 161.

⁴ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 33.

⁵ العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 70.

⁶ وهذا ما أكده مولود قايد حين ذكر بأن جزء معين من البقر والغنم كان يقدم لرؤساء القبائل، وكان ذلك يتم عند مرورهم بأراضي أولاد المقراني (بني عباس) حتى تتمكن قافلة الدنوش من المرور بكل حرية ودون خطر إلى باب الحديد. ينظر:

Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, P : 135.

100 بغلة، منها 40 من النوع المهيأ للركوب. بينما البقية الأخرى كانت تستخدم للنقل، و70 برنس من النوع التونسي الرفيع، و50 غطاء من النوع الحائك التونسي الرفيع، و40 سبحة من العنبر والمرجان. أيضا 3 أوقيات من عطر الياسمين، و16 كيس معد لحفظ الساعات موشى ومطرز بالذهب، أيضا 30 قطعة من جلد النمر أو الأسد، و من 8 إلى 10 أسود أو نمور⁽¹⁾، و700 قفة من التمور، كل قفة تسع لعرجون من التمر يتراوح وزنه ما بين كلغ إلى كلغ ونصف. أيضا 50 سلة من الزيتون الأخضر، وحمولتا بغال من القماش المستعمل في تبطين السروج وغيرها، أيضا 20 حمولة من الزبدة، والكمية نفسها من الكسكس⁽²⁾.

وكان الخليفة بعد أدائه لهذا الدنوش يعود بقفطان الشرف إلى أحمد باي، وكشكر وامنتان واعتراف بالجميل من هذا الأخير لرضا الباشا عليه كان يبعث له 1000 سلطاني ذهبي⁽³⁾، وبرفته القفطان؛ وكان السلطاني يعادل 9 فرنكات، بما يعادل في الإجمال 9000 فرنك⁽⁴⁾. وهذا نموذجا على ما كان يكتبه أحمد باي بهذا الصدد: "... سيدنا أعزك الله وأيدك فالذي يتصل بشريف علمكم هو خير ان شاء الله أننا وجهنا القفطان السعيد مع عوائده المعلومة قيمة ألف سلطاني نسئل من الله تعالى أن يجعل وروده عليكم ورود خير وعافية وسلامة وكرامة بجاه من ظللته الغمامة صلى الله عليه وعلى آله..."⁽⁵⁾.

في حين ذكر بن ميمون الجزائري بأن بايات قسنطينة كانوا كل سنة يبعثون إلى الباشا بمدينة الجزائر 100 ريال (بوجه) أي حوالي 180000 من الفرنكات بالصراف الفرنسي⁽⁶⁾، ما يعادل كل ست أشهر 90000 فرنك. أما الباشا فكان يبعث له مع الخليفة إذن بإعادة التولية ولباسا فاخرا وبنديقية و"يتاقان"⁽⁷⁾؛ وهذا ما عثر

¹ ذكر أسير أحمد باي فندلين شلوصر أن الباي كان يمتلك ثمان أسود وضعت في حضيرة كان يقوم على رعايتها والاهتمام بها عمال مختصون. ينظر: قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 41.

² ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، ص: 161.

³ الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة، مؤرخة في: 26 ذي القعدة من سنة 1241هـ/1826م.

⁴ المرجع السابق، ص: 162.

⁵ الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ التحفة المرضية في الدولة البكداشية، ص: 41.

⁷ Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 135.

عليه في بعض من رسائل أحمد باي، إذ ذكر أحمد باي في إحدى المرات أن الباشا قد أهدى له بندقيتين صغيرتين من الذهب⁽¹⁾؛ وفي مرة أخرى أهدى له "طنان ذهب من أفخر السلاح"⁽²⁾.

وما يلاحظ على أمر الدنوش الصغير، أنه لم يكن بالضرورة ذهاب الخليفة كل ست أشهر، وإنما كانت تحدث هناك بعض استثناءات. فهذا أحمد باي يستأذن الباشا حسين على غير العادة من أجل أن يحمل له الدنوش الصغير بدلا من خليفته. وقد أذن له الباشا بذلك. وكان ذلك في أوائل ذي القعدة من سنة 1242هـ/1827م⁽³⁾؛ وهذا ما ورد في مضمون الرسالة لتكون نموذجا على ما كان يكتبه البايات في مثل هذه المناسبات: "...سيدنا اعزك الله وابقى لنا وجودك فالذي يكون في شريف علمكم هو خير ان شاء الله اننا انفصلنا من قسنطينة يوم الاثنين الثاني من ذي القعدة الحرام بقصد دنوش الربيع المعلوم متوجهين انشاء الله الى حضرتك المعظمة وتقبيل يدك الزكية المكرمة والله يمدنا بعافيته ويصحبنا السلامة في سفرنا سيدنا وان يجعل وروونا على مقامكم الكريم وروود خير وعافية ونسئله سبحانه ان يمد لنا في حياتك وبيارك لنا في سنينك واعوامك مع بقاء ملكك ودوام سلطانك مصحوبا بالسعادة والسلامة والتمكين مويدا بنصر الله والعافية والفتح المبين انه على ذلك قدير..."⁽⁴⁾.

وما جعلنا نتأكد من أنه الدنوش الصغير وليس الكبير، هو الفرق الزمني بين أول مرة أخذ فيها الخليفة الدنوش، والتي تمت في ربيع الثاني من سنة 1241هـ/1826م، وثاني مرة والتي كانت في ذي القعدة من سنة 1242هـ/1827م⁽⁵⁾. أما الدنوش الكبير فكان يقوم به أحمد شخصيا، وقد ذكر في هذا الشأن "أنه في سنة 1245هـ/1830م ذهب إلى مدينة الجزائر لأداء الدنوش وكانت تلك المرة

¹ الرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 19 جمادى الثانية من سنة 1242هـ/1827م.

² الرسالة رقم: (29) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 14 ربيع الأول من سنة 1242هـ/1827م.

³ الرسالة رقم: (16) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ الرسالة نفسها.

⁵ وقد ذكرت بعض المراجع هذا الأمر نذكر منها: Ernest Mercier, Histoire de Constantine, P : 376.

L. Pechot, L'Afrique du nord avant 1830, P : 135.

أيضا ينظر:

الثانية التي أقوم بهذا الواجب⁽¹⁾. أمّا من خلال مجموعة الرسائل فإنه لم يرد أية معلومات في الموضوع. وعموما تعددت قيمة هذا الالتزام من حيث النقد والعين. أمّا المحمولات النقدية فتمثلت في القيمة المالية التي كان يحملها أحمد باي إلى حسين باشا مثال ذلك ما تم في سنة 1245هـ/1829م، فقدرت قيمته بـ778811 فرنك فرنسي⁽²⁾. في حين ذكر "شالاخ" "Shaler" بأن قيمتها عادت 60000 دولار إسباني. في حين حددها "وغني" "Warnier" بـ 100000 فرنك. أمّا من خلال تقرير "روزيت" "Rozet" فقد قدرها بـ 293660 بوجه بما يعادل 546218 فرنك⁽³⁾. في حين قدرها "أرنست ريكار" "Ernest Ricard" بـ 10000 ريال⁽⁴⁾. أمّا ناصر الدين سعيدوني فقد حددها بـ 294150 فرنك⁽⁵⁾. في حين قدر شارل قيمتها بـ 300000 دولار⁽⁶⁾. أمّا صالح بن العنتري فذكر أنه من عادة بايات قسنطينة أن يدينوا كل ثلاث أعوام بما قيمته مليون ونصف مليون فرنك من غير الحلي والبغال والبقر والقمح والشعير⁽⁷⁾.

ومهما يكن فإن الاختلاف في هذه القيم يعود إلى أن كل مثل هذه الأمور يبقى التحقيق فيها نسبيا ولا يحتمل التأكيد الكلي أو البطلان. وما علينا إلا عرضها بدون أن نعلق عليها، فمع غياب النص التاريخي لأحمد باي فإنه يصعب الترجيح. أمّا المحمولات العينية فتمثلت في مختلف المواد والمجوهرات وكذا الحيوانات⁽⁸⁾ التي كان يقدمها أحمد باي عند قيامه بهذا "الواجب" كما يسميه⁽⁹⁾. ومن بينها نذكر:

15000 صاع من القمح لكل صاع 3 بوجه بما يعادل 45150 بوجه، و 450

¹ أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص: 11.

² Ernest Ricard, La Monnaie et le crédit en Algérie depuis 1830, P : 17.

³ Nouchi Enquête sur le Niveau de vie des populations rurales, P : 110.

⁴ Op.Cit, P : 17.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 102.

⁶ شارل، مذكرات شارل، ص: 46.

⁷ صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة، ص: 56.

⁸ لم تكن تستعمل في تلك الحقبة من تاريخ الجزائر العربات، وإنما كانت وسائل النقل تقليدية من بينها البغال والجمال. ينظر: خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ص: 99.

⁹ أحمد باي، المصدر السابق، ص: 11.

قلة من الزبدة بما يعادلها نقدا 4400 بوجه، أيضا 100 حايك بما يعادله نقدا 2000 بوجه، و3000 رأس غنم بما يعادله 6000 بوجه، و600 رأس بقر بما يعادله نقدا 10000 بوجه، أيضا 200 بغل بما يساويه نقدا 10000 بوجه، و130000 صاع قمح بوزن دار السلطان ويعادله في ذلك نقدا ما قيمته 39000 بوجه، و100 برنوس بما يساوي 1500 بوجه، أيضا كميات كبيرة من العسل والتمر والزيتون والكسكس والشمع بما يعادلها نقدا 7000 بوجه. أما العطور والأحذية المزينة بالذهب والأسرجة والسبح المصنوعة من المرجان الخالص والعنبر فقد قدرت كلها بـ 1000 بوجه⁽¹⁾.

وبهذا نصير القيمة الإجمالية العينية بالنقد ما يعادل 79900 بوجه ما يساوي 148614 فرنكا. وبالتالي فقيمة الدنوش الكلية في نظر نوشي تقدر بـ 418716 بوجه، ما يعادل 778811 فرنكا⁽²⁾. وأضاف عبد الجليل إلى هذه القائمة 14 قلة من ماء الزهر، و3 قلال من ماء الياسمين⁽³⁾.

بالإضافة إلى الدنوش الصغير والكبير كان على أحمد باي أن يقدم للسلطة المركزية على مستوى مدينة الجزائر للزمة، وكانت تعادل 80000 ريال كبيرة⁽⁴⁾. كما كان على بايات بايلك الشرق أن يدفعوا في العوائد والمواسم زكاة القمح والشعير⁽⁵⁾. وقد قدر عبد الجليل التميمي الكمية التي كانت تمون بها مدينة الجزائر بـ 10000 صاع من القمح و9000 قنطار من الشعير⁽⁶⁾؛ وقد ذكر أحمد باي في إحدى الرسائل التي بعث بها إلى حسين باشا ما يؤكد هذا الأمر، إذ أعلمه من خلالها أنه بعث بحمولة من القمح إلى مدينة الجزائر⁽⁷⁾.

ويزيد باي الشرق دون البايات الآخرين ما قيمته ألفي رأس بقر؛ كما كان يبعث في صيف من كل سنة مركبا مشحونا بالشحم والسمن مدعما المراكب الجهادية

¹Nouchi Enquête sur le Niveau de vie des populations rurales, P P : 110-111.

²Ibid. P P : 110-111.

³Temimi, Le Beylic de Constantine, P : 53.

⁴الشريف الزهار، مذكرات الشريف الزهار، ص: 46.

⁵المصدر نفسه، ص: 46.

⁶Temimi, Op. Cit, P : 54.

⁷الرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 19 جمادى الثانية من سنة 1242هـ/ 1826م.

تقا من مرسى عنابة⁽¹⁾، وهذا ما تؤكد من خلال ما ورد في مضمون إحدى
 نائل، إذ ذكر أنه كان يمون مدينة الجزائر بمختلف المواد عن طريق مدينة
 (2). أيضا كان على أحمد باي أن يمون السلطة المركزية بكمية معتبرة من
 (3)، وكان بايلك الشرق من بين المناطق التي كانت تملك الكثير من هذه
 (4).

وعلى عموم فبشهادة جلّ المؤرخين كان دنوش بايلك الشرق من أغنى
 شات على مستوى الجزائر، وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على الحالة
 صادية التي كان عليها البايك، ممّا أهلته أن يحتل المرتبة الأولى اقتصاديا
 نة بالبيالك الأخرى⁽⁵⁾.

أيضا هناك جزء مهم يتعلق ويتصل مباشرة بالنظم المالية، ألا وهو العملة
 ت كان تداولها وأنواعها ووضعيتها على عهد أحمد باي.

3- العملة:

إن العملة هي إحدى المظاهر البارزة للاستقلال المالي للجزائر أثناء العهد
 ماني. فالعملة مهما كانت أشكالها المادية، هي ذلك الرمز الاجتماعي للثروة الذي
 م تقسيمها ما بين الأفراد. ولذا تكون العملة دليلا على علاقات اجتماعية بين
 يراد وتصويرا سيكولوجيا لها⁽⁶⁾.

هذا فيما يخص الجانب الاجتماعي من هذه الظاهرة الاقتصادية، أما الجانب
 اقتصادي منها فهو أنّ العملة أداة قاطعة في النشاط الاقتصادي ويدل استخدامها
 ي وجود دخل نقدي وأسعار تنظم توزيع الخيرات بين الأفراد. لذا تسهم العملة

لشريف الزهار، مذكرات الشريف الزهار، ص: 47.
 لرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة.

³ Temimi, Le Beylic de Constantine, P : 54.

الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة. مؤرخة في 13 ذي الحجة من سنة 1242هـ/1827م.
 ينظر الملحق الخاص بالجدول والرسومات البيانية رقم: (3) للإطلاع على رسم بياني يوضح مكانة بايلك
 مرق الاقتصادية مقارنة بالبيالك الأخرى.
 أحمد هني، العملة والنقود، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: 6.

إعادة الهيكلة الاقتصادية أو إصلاحها⁽¹⁾. فهي مجموع الرموز والإشارات مادية التي تسمح بتوزيع الخيرات الاقتصادية اعتمادا على نظام المداخل والأسعار، فتكون بهذا أداة قاطعة في النشاط الاقتصادي⁽²⁾.
 ورغم المشاكل التي كانت تعيشها البلاد ومزاحمة النقود الأجنبية، وهذا ما تم استنتاجه من خلال ما ورد في نص إحدى الرسائل التي بعث بها أحمد باي إلى الباشا⁽³⁾ إلا أن العملة الجزائرية امتازت آنذاك بتنوع مادتها واختلاف قيمتها، فهناك العملة الذهبية والفضية⁽⁴⁾. بالإضافة إلى الموزونة، وزوج موزونة، وريال درهم المعروف بدقة شيك، والصائمة. أما النقود البرنزية والنحاسية فكانت متنوعة وكثيرة التداول⁽⁵⁾. مع أن هذه الأنواع تعرضت لصعوبات جمة⁽⁶⁾.
 وفيما يتعلق بالنقود التي كانت تستعملها الجزائر بالإضافة إلى بعض العملات الأجنبية مثل الدولار الأسباني⁽⁷⁾، والبياستر التونسي⁽⁸⁾، والعملة المغربية⁽⁹⁾، والعملة الفرنسية⁽¹⁰⁾، كان هناك السلطاني⁽¹¹⁾ أو المحبوب، أيضا البياسير الفضي القسنطيني

¹- أحمد هني، العملة والنقود، ص: 7.

²- المرجع نفسه، ص: 6.

³- الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴- الرسالة رقم: (25) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 27.

⁶- إن النقود الجزائرية لم تكن هي وحدها المستعملة في الجزائر أثناء العهد العثماني، بل كانت هناك نقود أخرى أجنبية رائجة في المعاملات التجارية. وتعتبر مزاحمة النقود الأجنبية إحدى الصعاب الكثيرة التي واجهت العملة الجزائرية منها، عدم استقرار أسعار النقود، وقلة الكميات المطروحة بالأسواق، أيضا انعدام العملات الورقية، وموقف الأجانب المشكوك فيه. ينظر: العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 13.

⁷- النقود الإسبانية: لقد شاع استعمال النقود الإسبانية في الجزائر، ويعود ذلك إلى هجرة الأندلسيين واليهود إلى الجزائر وبفعل التواجد الأسباني بوهران. وأهم أنواعها، النبلون، والدوكة، والكرونة، والنورو، والقرش، والدولار، والريال، والأسبر. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 27.

⁸- البياسير التونسي: انتشر استعمالها على مستوى بابلق الشرق، بحكم الحدود المشتركة والتبادلات التجارية التي كانت تتم بين البلدين. ينظر: Ernest Picard, La monnaie et le crédit, P: 45. فضلا على ما ذكر أعلاه فكانت هناك نقود أخرى كانت منتشرة، منها السلطاني، والريال والخروبة والفلس والدرهم الناصري.

ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 27. وقد ورد ذكرها في الرسالة رقم: (5).
⁹- العملة المغربية: من بين النقود المغربية التي انتشر استعمالها على مستوى الجزائر أثناء العهد العثماني نذكر، السلطاني والبندي العسراوي والمتقال والدرهم والفلس والموزونة. ينظر: المرجع السابق، ص: 27.

¹⁰- العملة الفرنسية: كان تداولها في الأراضي الجزائرية بحكم التبادلات التجارية، إذ كانت فرنسا من الدول الأجنبية التي احتلت المرتبة الأولى في المبادلات التجارية. وقد ورد ذكرها في الرسالة رقم: (5).

¹¹- السلطاني: ورد ذكر هذه العملة في الرسالة رقم: (10) في الترتيب العام للمجموعة. وكانت تزن من 3 إلى 3,5 غرامات. ينظر: Nasseridine Saidouni, Algérois rural à la fin l'époque Ottomane (1791-1830), Dar El Charb- Al Islami, 2001, P: 243.

والريال بوجه⁽¹⁾، والنصف بوجو، و الثمن بوجو، أيضا البيتاك شيك، والريال مجبور، والموزونة، والصايم⁽²⁾.

وكان يتم إصدار العملة بأمر من الباشا، هذا الأخير كان هو الوحيد الذي له السيادة في ضرب النقود من الذهب والفضة⁽³⁾. وكان يتم ذلك بإشراف الخرناجي⁽⁴⁾، الذي كان يراقب سك العملة وتحديد قيمتها⁽⁵⁾.

والأهمية التي كان يحظى بها الخرناجي " تعود في حقيقة الأمر إلى التطور التاريخي والظروف الاقتصادية والسياسية التي عاشتها الجزائر"⁽⁶⁾. ومن بين الذين تقلدوا هذه الوظيفة الحساسة على عهد حسين باشا، المدعو إبراهيم بن سليمان، وكان ذلك في سنة (1234-1245هـ)/(1818-1829م)⁽⁷⁾. ثم يأتي في طليعة المساعدين للخرناجي أمين السكة⁽⁸⁾، وتكلف هذا الخير برعاية ومراقبة ضرب النقود المختلفة وتقدير قيمة المجوهرات بعد وزنها وفحصها⁽⁹⁾.

وكان مركز ضرب النقود في مدينة الجزائر (دار السلطان) الواقع في مبنى صغير موجود في قصر الجنيينة في مدخل طريق الديفان⁽¹⁰⁾. ولقد وجدت القوات الفرنسية أثناء احتلالها لمدينة الجزائر في الخزينه العامة⁽¹¹⁾ ما كان يعادل قيمته

¹ يوحه: ورد ذكر هذه العملة في الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة. وكان وزنه في عام 1245هـ/1830م حوالي 10 غرامات. ينظر: Nasseridine Saidouni, Alger urbaine, P : 243.

² ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 70. ينظر الملحق الخاص بالجدول والرسومات البيانية رقم: (4)، ص: 308 لمعرفة قيمة هذه النقود مقابلة مع العملات الأجنبية التي شاع استعمالها في الجزائر في ذلك العهد.

³ Ernest Picard, La monnaie et le crédit, P: 43.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 27.

⁵ المرجع نفسه، ص: 26.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، الخزينه الجزائرية، المجلة التاريخية المغربية، ع: 3، جانفي-يناير 1975، تونس. ص: 19.

⁷ المرجع نفسه، ص: 19.

⁸ لعلّ وكيل الجزائر الملقب بمحمود أمين السكة قد تقلد هذه الوظيفة نظرا لإلحاق اسمه بنوعية الوظيفة. ولقد ورد ذكر اسمه في كل من الرسالة رقم: (8-9-10) في الترتيب العام للمجموعة.

⁹ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص: 19.

¹⁰ العربي الزبير، التجارة الخارجية، ص: 61.

¹¹ الخزينه: كانت عبارة عن دهاليز مقوسة تحت الأرض، وبابها يفتح في صحن الدار التي كان يجتمع فيه الديوان، وعلى باب الدهاليز مقاعد خشبية يجلس عليها باستمرار ستة عشر خزنة. كانت توضع فيها بالإضافة إلى النقود، السيوف الذهبية، والبنادق، والحلي والجواهر التي كانت ترجع للدولة عندما يموت أحد كبارها. وكذلك فيما يدفعه البايات، وما كانت تدره التجارة وغيرها. ينظر: عبد الله شريط ومحمد الميلي، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1985، ص: 171.

25000 إلى 30000 فرنك⁽¹⁾.

ولقد ازداد وضع العملة الجزائرية خطورة واختلالا، نتيجة للسياسة النقدية المتبعة من طرف آخر دايات الجزائر، خاصة بين فترتي (1226-1239هـ) / (1811-1823م). أما الأولى، فكانت على عهد الباشا الحاج علي سنة (1226هـ) / (1811م)⁽²⁾. في حين حدثت الثانية على عهد علي خوجة، وذلك في سنة (1233هـ) / (1817م)⁽³⁾. ثم الأخيرة على عهد حسين باشا آخر دايات الجزائر وذلك عام (1239هـ/1823م). وفي هذا التاريخ تم تخفيض العملة الجزائرية بنسبة عشرة في المائة (10%)⁽⁴⁾.

والحادثة الثانية التي وقعت على عهد حسين باشا تلك التي حدثت على مستوى بايلك الشرق، فهذا أحمد باي يبعث إلى حسين باشا بتاريخ 11 من ذي القعدة عام 1243هـ/1827م⁽⁵⁾، تقريرا على الأحوال الاقتصادية، ويشتكى من خلاله وجود نقص في وزن النقود الذهبية والفضية، لهذا أبطل "الصرف في قسنطينة" إلا أنه لم يتخذ أي تدابير أخرى، وهو يستشير ويطلب منه النصيحة والإجراءات التي يجب اتخاذها، لأن الأمر بالغ الخطورة ولا بد من إيجاد حلول عاجلة لهذه المشكلة⁽⁶⁾.

ولقد ضم هذا الجهاز بالإضافة إلى العمال الذين تم ذكرهم مجموعة أخرى من أهمهم النقاد أو المقتصد. وهو صاحب السلطة على كل المصالح المالية والإنفاق⁽⁷⁾. ثم الباشا الكاتب الذي كان يشرف على سجلات المحاسبة⁽⁸⁾. فقائد المهور أو خوجة الخيل الذي كان مسؤولا على تنشيط سير البغال والأحصنة

¹-Ernest Picard, La monnaie et le crédit, P : 43.

²-الحاج علي الشريف: تولى حكم البلاد في 18 محرم 1224هـ/3 مارس 1809م. من فواتح أعماله أنه شمل بعفو الرأيس حميدو واستنقماه من منقاه. ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 309.

³-Nasseridine Saidouni, Alger urbaine P : 245.

⁴Ibid, P : 245.

⁵-الرسالة رقم: (25) في الترتيب العام للمجموعة. ويعد سقوط مدينة الجزائر، واستسلام حسين باشا، أمر أحمد باي بضرب عملة هي السلطاني ذو الخمس ريبالات، ونصف السلطاني ذو الريالين ونصف. ينظر: فندلين شلوفر، قسنطينة أيام أحمد باي، ص: 88.

⁶-الرسالة السابقة.

⁷-ناصر الدين سعيوني، ورفات جزائرية، ص: 150.

⁸-Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 128.

ومصاحبة الخليفة إلى مدينة الجزائر عند حمل الدنوش في الربيع. كما كلف بإرسال أمتعة القافلة أثناء عودتها⁽¹⁾. أيضا المحتسب، وهو المسؤول على أخذ المطالب النقدية على كل المنتجات التي يحملها سكان الأوطان لبيعها في المدينة⁽²⁾.

2/4- المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية على عهد أحمد باي

مع أن رسائل أحمد باي لم تقدم مادة تاريخية كبيرة حول مظاهر الحياة الاجتماعية على عهده، إلا أنه كانت هناك محاولة لتقديم بعض المعلومات التي وردت في البعض من رسائله، مع تدعيمها بما جادت به المصادر والمراجع بهذا الصدد.

فأقد تميز المجتمع القسنطيني كغيره من السكان في باقي أنحاء الجزائر بخصوصيات ميزته عن باقي المجتمعات العربية. إلا أن الدراسات الموضوعية في هذا المجال قد تكون قليلة، وإن وجدت فإنها عبارة عن كتابات عامة خاضت في الموضوع بطريقة غير أكاديمية. فالبحث في هذا المجال يحتاج إلى التعامل معه بوثائق حية عن تلك الحقبة التاريخية.

1- **تركيبية المجتمع القسنطيني:** قبل الخوض في هذا العنصر يجب التعرّيج إلى نقطة مهمة، وهي تعداد السكان ببايلك الشرق عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر (على عهد أحمد باي). فلقد تضاربت الآراء حول إحصاء سكان الجزائر بصورة عامة وبايلك الشرق على وجه الخصوص.

ومن بين الذين أعطوا بعض الإحصاءات، نذكر حمدان خوجة الذي حدد تعداد سكان الجزائر بعشرة ملايين نسمة ، وبما أن باليك الشرق كان يشكل 5,20% من تعداد الجزائر، فبعملية حسابية بسيطة يكون تعداد سكان بايلك الشرق 120000 نسمة⁽³⁾. بينما حدده ياكونو Yacono بـ 30000 نسمة⁽⁴⁾. أما حمدان بن أمين سكة

¹ صالح بن العنثري، تاريخ قسنطينة، ص: 22.

² سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر جزائرية، ص: 196.

³ حمدان خوجة، المرأة، ص: 120.

⁴ Yacono, Peut'on évaluer La population de l'Algérie en 1830? R. A. 1954, PP : 277-307.

فأشار إلى أن تعداد سكان بايلك الشرق عشية الاحتلال كان يقدر ما بين 25000 إلى 30000 نسمة. في حين ورد في تقرير لكامل باي⁽¹⁾ الذي زار مدينة قسنطينة سنة 1251هـ/ 1836م أنه كان يضم 80000 نسمة⁽²⁾. أما عبد الجليل التميمي فحدده بـ 113100 نسمة⁽³⁾.

ولقد تفرع المجتمع القسنطيني على غرار باقي سكان الجزائر إلى أربع أصناف: البربر، والعرب، والأتراك، والأجانب⁽⁴⁾.

البربر: يختلف هذا الصنف عن باقي السكان ليس من حيث اللغة فقط، وإنما أيضا من حيث عاداته وأسلوب معيشته. وهم يعتبرون السكان الأصليين للبلاد، وقد حافظوا على البعض من استقلالهم ولم يخضعوا بصورة كلية للعثمانيين عندما جاؤوا إلى الجزائر تلبية لنداء الشعب الجزائري حتى يساعدونهم للتخلص من الاحتلال الإسباني، فلقد التجأوا إلى المناطق الجبلية أين تحصنوا بها وأقاموا القرى بوادي "الصمام" فوق الأراضي التي كانت في حوزة بعض القبائل العربية⁽⁵⁾.

ومن بين أهم القبائل البربرية المتواجدة على مستوى بايلك الشرق نذكر: قبيلة كتامة التي كانت تضم بني الخطاب⁽⁶⁾ وبني سيلين⁽⁷⁾ وأولاد محمد⁽⁸⁾ وعياد⁽⁹⁾

¹- كامل باي: مبعوث خاص من طرف الباب العالي قصد التحري والتحقق في ادعاءات باي تونس القائلة أن أحمد باي كان ينوي الانفصال عن السلطة العثمانية. والتقرير نشره عبد الجليل التميمي في كتابه بايلك الشرق والحاج أحمد باي مكتوب باللغة التركية بتاريخ 25 صفر 1251هـ/ جوان 1836م. ينظر: حميدة عميراي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 93-94.

²- Temimi, Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed bey, P : 57.

³-Ibid, P : 58.

⁴- ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، ص: 157.

⁵- المرجع نفسه، ص: 157.

⁶- بنو خطاب: كان تواجدهم في المنطقة الجبلية الممتدة من القل إلى بجاية ومجانة. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 125. وتوصلت ليلي بابس من خلال البحوث التي أجرتها حول هذه القبيلة أن زعيمهم قدم من المغرب واستقر على بعد 100 كلم من جنوب شرق جيجل، وهناك كورن قبيلة ضم إليها عناصر أخرى، ورحل أحد أبنائه نحو الشرق أين أسس فرع قبيلة بني خطاب الشراقة. ينظر:

Leila Babes, tribus, Structures social, P : 23.

⁷- بنو سيلين: كانت مواطنهم قرب الميلة. ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 125.

⁸- أولاد محمد: وهم فرع من قبيلة أولاد ساسي. ينظر. Op.Cit, P : 19. وكانت مواطنهم قرب جيجل. ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 125.

⁹- عياد: كان مواطنهم قرب أقبو. ينظر: المرجع نفسه، ص: 125.

وبنومروان⁽¹⁾ وجملة⁽²⁾. أما القبيلة الثانية فهي صنهاجة، وكانت تضم كل من أمزينة، وفرع من عجيسة⁽³⁾، وواسين وبني يفرن⁽⁴⁾.

العرب: كان يتكون من قسمين: العرب، ثم الشاوية⁽⁵⁾. أما العرب فهم الذين أطلق عليهم تسمية "القبائل العربية"، وكانت تتكون هذه الأخيرة من: أولاد سعيد، والمخادمة، وأولاد جلال⁽⁶⁾، وأولاد فارس، وعامر، والدواودة⁽⁷⁾ وأولاد ماضي⁽⁸⁾.

أما الفرع الثاني وهم الشاوية⁽⁹⁾ وأطلق عليهم "القبائل المستعربة"⁽¹⁰⁾. ومن أهمها، ريغا، والظاهرة، والقبالة⁽¹¹⁾، وأيضا قبيلة أولاد وبنووليان⁽¹²⁾.

الأتراك: وهو العنصر الحاكم في البايك قبل الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر⁽¹³⁾. وكان عددهم قليلا مقارنة بباقي السكان. فكانوا يؤلفون فرق الجيش التي كان يعتمد عليها أحمد باي في إقرار الأمن والنظام وقمع حركات التمرد والعصيان، وأيضا في حماية حدود البايك من كل خطر خارجي.

هذا فيما يخص الطرف العسكري، أما المدنيين فكانوا يشكلون أيضا نسبة قليلة مقارنة مع تعداد الجزائريين. وكانوا يتمتعون بامتيازات كثيرة. ولقد حدد

¹ بنو مروان: كان تواجدهم قرب الميلة. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 125.

² جملة: كانت مواطنهم ما بين سطيف وجيجل. ينظر: المرجع نفسه، ص: 125.

³ أمزينة وعجيسة: كان تواجدهم ما بين مجانة وونوغة. ينظر: المرجع نفسه، ص: 125.

⁴ بنو يفرن: كان تواجدهم في جبال الأوراس. ينظر: المرجع نفسه، ص: 125.

⁵ Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, P : 136.

⁶ أولاد جلال: كانت مواطنهم في واحات الجنوب، وهي من بين أيدع الواحات، ويوجد على مقربة منها مناجم الحصب. واشتهر سكانها بصناعة الأنسجة الصوفية. ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 195.

⁷ قبيلة الدواودة: ذات أصول عربية التحمت مع بعض القبائل البربرية بالمصاهرة والجوار فحصل بينها امتزاج كبير بايتلاع العرب للبربر "وأشهرها وكلها بعمالة قسنطينة". ينظر: المرجع نفسه، ص: 133.

⁸ المرجع نفسه، ص: 125.

⁹ الشاوية: توصل ناصر الدين سعيدوني من خلال البحوث التي أجراها حول الشاوية أن نسبهم يعود في حقيقة الأمر إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه. لأكثر تفاصيل حول الموضوع ينظر: ورقات جزائرية، ص: 150.

¹⁰ القبائل المستعربة: كانت مواطنها في ناحية الوادي القبلي ووادي الكبير ووادي ابن صالح ووادي السمائل. ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ص: 125.

¹¹ ريغا وظاهرة والقبالة: كانت تسكن كل هذه القبائل جبال بوطالب والنواحي المحيطة به. ينظر: المرجع نفسه، ص: 126.

¹² بنووليان: كانت مواطنها في جهة السمندو. ينظر: المرجع نفسه، ص: 126.

¹³ بعد سقوط مدينة الجزائر واستسلام الباشا حسين، قام أحمد باي بإعادة تنظيم شؤون الإدارة بالبايك، حيث استبدل العنصر التركي ببعض القبائل العربية، كما نفذ حكم الإعدام على كل الأتراك الذين تأمروا ضده. ينظر:

Séroka, Le sud Constantinois, R. A. 1912, P : 379.

مارسيل امريت "Marcel Emerit" تعداد الأتراك ببايلك الشرق على عهد أحمد باي بـ 5000 عائلة تركية وكرغلية⁽¹⁾.

وما لم يذكر ناصر الدين سعيدوني⁽²⁾ العنصر الكرغلي في تصنيفه، والذي لم يكن له حضور في معظم الدراسات التاريخية المعتمد عليها، والذي عثرنا عليه هو تعدادهم على عهد أحمد، فهذا مارسيل امريت حدد عددهم بـ 5000 عائلة وقد خصّ هذا العدد حتى العنصر التركي فهو لم يفصل بينهما⁽³⁾. وبما أنّ أحمد باي ينتمي لهذه الفئة، فإنّه يستنتج أنّ العلاقات بين الطرفين قد تميزت بالوفاق والوئام، فلم ترد أية معلومات تنفي ذلك، أو تؤكد بأنّ هذه الفئة قامت بتمردات أو حركات عصيان أثناء حكمه.

الأجانب: ونقصد بهم كلّ الذين استقروا في البايك من أجل التجارة أو لأمر آخر. وأهمهم: اليهود، والرعايا الفرنسيين، والتونسيين.

أمّا اليهود فكانوا أثناء حكم البايات يخضعون لقائد يعرف بالمقدم، الذي كلف بجمع الرسوم المستحقة عليهم. وقد استعان بهم الحكام لإدارة الشؤون المالية. وقد حدد عدد العائلات اليهودية التي كانت مستقرة ببايلك الشرق على عهد أحمد باي بـ 1000 عائلة⁽⁴⁾.

في حين استقر الفرنسيون في كلّ من مدينتي عنابة والقالة من أجل ممارسة العمل التجاري. وقد تجاهلتهم بعض المراجع التي تناولت تصنيف بنية المجتمع القسنطيني، وربما يعود ذلك إلى نسبة تعدادهم، مقارنة مع تعداد السكان الجزائريين. ولقد عبرت إحدى الرسائل التي حررها أحمد باي على تلك المعاملة التي حظي بها الفرنسيون، فكانت هذه الرسالة موجهة إلى كلّ من شيخ عنابة وأعيانها بعد تدمير الياسطيون باعتباره هدفا عسكريا وقاعدة عدوانية، ومن خلالها أعطى

¹-Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abel Kader, P : 254.

²ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، ص: 159.

³Op. Cit, P : 254.

⁴Ibid, P : 254.

توجيهات وأوامر صارمة بعدم التعرض لهم بأيّ أذى، مع منحهم كافة الضمانات التي تساعدهم على البقاء في البلاد أو "الرحيل إلى وطنهم، ولهم "الأمان الكامل" إن فضلوا الحل الأول. كما ضمن لهم حرية البيع والشراء بحيث "لا يلحقهم أذى أو مكروه"⁽¹⁾. ومن خلال هذه الوثيقة تبين كيف كان يعامل الفرنسيون، مع أن العلاقات السياسية والدبلوماسية مع الحكومة الفرنسية كانت متوترة.

أمّا عن العرب الأجانب، فنخص بالذكر التونسيين، وذلك بحكم الجوار وقرب المسافات بين بايلك الشرق وتونس. فقد تأكد من خلال ما ورد في الرسالة التي بعث بها أحمد باي إلى حسين باشا، بأنه كانت هناك بعض القبائل هاجرت من تونس لتستقر ببيايلك الشرق، وقد ضمن لها أحمد باي الوسائل الكفيلة بالحياة الكريمة، فأقصد منح لأفرادها البعض من الأراضي الزراعية للاستقرار عليها وفلاحتها؛ كما أسقط عليهم بعض المطالب المخزنية التي كانت مفروضة على الرعية الجزائرية⁽²⁾.

2- مميزات:

لقد تميز المجتمع القسنطيني بكونه مجتمعا قريبا بالدرجة الأولى، هذه الميزة صعبت من مهمة الحكام. إذ تحكمت فيهم روح العصبية والقبلية. فالعصبية عندهم هو نمط سياسي يقوم على التعاون بين أفراد هذه التشكيلات الاجتماعية، كما كان يقوم أيضا على جماعة قليلة العدد تتمثل في أفراد من الأسرة أو أكثر داخل القبيلة أو العشيرة نفسها، الأمر الذي ولد ما يمكن أن نسميه "بالأرستقراطية"⁽³⁾ وإن كان هذا المصطلح لا يتماشى والحقبة التاريخية التي نحن بصدد دراستها ولكنه يعبر عن الوضعية المعالجة، حيث اتخذت هذه الأرستقراطية من الحروب وسيلة للحصول على بعض الامتيازات⁽⁴⁾.

¹-Bigonet, une lettre de Bey de Constantine, R. A. 1899, PP : 176-177.

²-الرسالة رقم: (23) في الترتيب العام للمجموعة.

³-الأرستقراطية: "باليونانية سلطة خواص الناس". وكفكرة سياسية تعود في تكوينها إلى أفلاطون. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة سياسية، ص: 147.

⁴-حميدة عمير لوي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 23.

وبما أن أحمد باي نشأ وترى بين أوساط هذه البيئة، فقد استطاع أن يتعلم متى يستعمل السياسة واللين، ومتى يستعمل الحيلة والخديعة، ومتى ينتقل إلى القوة والمباشرة. وقد قسم المجتمع القسنطيني إلى قسمين من حيث النمط المعيشي وهما: الحضر (1) والبدو (2).

أما الحضر، فهم الذين استوطنوا كبريات المدن بالبايك وكانوا لا يمثلون إلا 3% من سكان البايك، وقد قدر مارسيل امريت تعدادهم على عهد أحمد باي بـ 6000 عائلة (3). ويمكن تصنيفهم من حيث المستوى المعيشي إلى الطبقة الحاكمة، وكان يشكل معظم أفرادها من العثمانيين والكراغلة ورجال المخزن، وعلى الرغم من قلة عددهم إلا أنهم كانوا يملكون ويحكمون أجزاء غير قليلة من البايك، فهم ميسورو الحال بفضل الامتيازات التي كانوا يحظون بها (4).

ثم تأتي الطبقة الثانية وهي التي كانت تشكل أغلبية سكان المدن من العامة، شغل أفرادها بعض الحرف التقليدية والتجارة و"الوظيف العمومي" (5). وقد ذكر العربي الزبيري "أن سكان البايك لم يكادوا يعرفون البطالة قبيل الاحتلال الفرنسي، وأن اليد العاملة المحلية كانت تجد الشغل الذي كان يناسبها في أحد المجالات الاقتصادية" (6). وهذا ما أكده أحمد باي في إحدى رسائله، إذ ذكر بأن "الرخاء والنعيم" قد عم سائر سكان الحضر (7).

ثم يضاف إليهم فئة الفلاحين، ونزح معظمهم من خارج المدينة، خاصة من الساحل، هذه الأخيرة عرفت هجرات متتالية إلى المدن، وعلى الرغم من هذه الهجرات إلا أنه كثيرا ما كانت تتم العودة إلى الوطن (8). في حين شكل البدو قاعدة الهرم الاجتماعي من حيث الكثرة -النسبة-

¹ كذلك سماهم أحمد باي في إحدى رسائله. ينظر الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام لمجموعة.

² كذلك سماهم أحمد باي في إحدى رسائله. ينظر الرسالة نفسها.

³-Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P : 254.

⁴ حميدة عميرلوي، جوانب من السياسة الفرنسية، ص: 21.

⁵ العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 36.

⁶ المرجع نفسه، ص: 74.

⁷ الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.

⁸ حميدة عميرلوي، المرجع السابق، ص: 23.

ومردود الإنتاج. ويمكن التمييز بين سكان الأوطان بفئتين هما: سكان الجبال الأكثر استقراراً⁽¹⁾، وسكان السهول حديثو الاستقرار. وتعرف هاتان الفئتان من الناحية الإدارية باسم "الساحل"، وهما الأكثر ارتباطاً بالأرض من غيرهم. والأكثر قوة ومنعة بفضل حصانتهم بالجبال وعرة المسالك⁽²⁾.

وقد انقسم سكان الأوطان إلى بربر وعرب كما سبق الذكر، أما البربر فتميزوا بنزعة الاستقلال، إلا أن هذا لا يعني أنهم كانوا في مأمن من يد السلطة، فاقد كانت تصل إليهم بطريقة أو بأخرى. وتمثل أسلوب حياتهم في أنهم كانوا يفضلون السكن في المنازل.

وكانوا يعرفون صناعة النحاس والحديد والأسلحة والبارود⁽³⁾، كما أجادوا نسج الأغذية والبرانس الرفيعة، وقد اشتهر في ذلك بنو عباس. فضلاً على أنهم كانوا يتفوقون على العرب في الأعمال الفلاحية، خاصة زراعة الزيتون، بحيث كانت الزيوت تعرض في أسواق البايك كلها آتية من القبائل القاطنة بالجهات الساحلية بمنطقة البابور ومن نواحي فرجيو⁽⁴⁾.

أما العرب فكانوا يقيمون بالخيام، وتألقت ثروتهم من قطعان المواشي⁽⁵⁾، فهم لا يفلحون الأرض إلا بقدر ما تضطرهم الحاجة الماسة إلى الأقوات، كما أنهم غير مرتبطين بالأرض ما داموا غير مأكثين بها.

أما البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري فكانت لا تختلف من منطقة إلى

¹ أطلق عليهم أحمد باي تسمية "الجبابلية". ينظر: الرسالة رقم: (21) في الترتيب العام للمجموعة.

² العربي الزبيرى، التجارة الخارجية، ص: 23.

³ فن صناعة البارود: من أجل صناعة مادة البارود كان يجمع التراب من الأرض أو من الملاط في الفرن المهذمة وهذا التراب الذي كان في الأصل من مادة مالحه يوضع في ماعون ويصب عليه الماء، بالطريقة نفسها التي يعالج بها الرماد عند صناعة الصابون، ثم يغلى الماء إلى أن يصبح خائراً، بعدها يؤخذ رطل منه ويخلط مع أربع أرطال من الكبريت وأربع أرطال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى، وهذه العناصر المختلفة تخلط جميعاً في غضون أربع ساعات، فتصير باروداً. ينظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج: 2، ص: 254.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، ص: 23.

⁵ لقد تأكد ذلك من خلال الأعداد الكبيرة التي كان يغتتمها أحمد باي عند شنه للحملات العسكرية رفقة قواته. مثال ذلك ينظر: الرسالة رقم: (30) في الترتيب العام للمجموعة.

أخرى، بل إنها تكاد تكون واحدة بالنسبة لجميع السكان، وسواء في الشرق أو الغرب، في الشمال أو الجنوب، فإن الأسرة هي الخلية الأساسية في تكوين المجتمع. وتكون عادة تحت إشراف الوالد أو الأخ الأكبر وذلك فيما خص العلاقات اليومية مع المحيط الخارجي⁽¹⁾.

وكانت المرأة عنصرا فعالا في الأسرة الجزائرية على مر كل العصور. وقد قُلت الكتابات التاريخية حول دورها على العهد العثماني ماعدا ذلك المعروف بإنجاب الأطفال ورعايتهم، والقيام بالأعمال المنزلية. فبالإضافة إلى هذه المهام فقد شاركت المرأة الرجل في سير عجلة التنمية الاقتصادية، بحيث كانت تجيد عدة حرف يدوية، وتمون بها الأسواق الشرقية. ومثال ذلك، حياكة القفطان والخمارات والألبسة النسوية والطرز على الحرير والجلد، والتي كانت فاخرة بحيث كانت موجهة إلى أغنى عائلات البايك. كما برعت في النسيج خاصة فيما تعلق بالزرابي⁽²⁾.

بالإضافة إلى مشاركتها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فلقد كانت لها مكانة خاصة سواء في الوسط العائلي، أو على مستوى السلطة والممثلة في شخص أحمد باي.

فأما الأولى، فقد كانت تشارك الرجل في اتخاذ بعض القرارات الحاسمة والتي كانت لها صلة مع مصير العائلة ككل، من بينها، الزواج أو الطلاق، أيضا البيع أو الشراء⁽³⁾.

أما على مستوى السلطة فقد أعطى أحمد باي للمرأة حقا في الإرث هذا الأخير كانت لا تأخذه إلا كرها⁽⁴⁾، إذ أصبح من العرف عند بعض العائلات الجزائرية حرمان المرأة من حقا الشرعي الذي أقره لها الإسلام بناء على نصوص من القرآن الكريم الدالة على ذلك، نذكر على سبيل المثال قوله تعالى:

¹ العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 45.

² -Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, P : 191.

³ المرجع السابق، ص: 45.

⁴ صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ص: 42.

"للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً" (1). وأيضاً قوله سبحانه وتعالى: "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين" (2). وقد تأكد ذلك من خلال ما ورد في إحدى الرسائل التي بعثها أحمد باي إلى إبراهيم الخرناجي، والتي يعلمه فيها بأنه قد أعاد للمرأتين العائدتين من حضرته كلّ ممتلكاتها التي سلبت منهما (3). كما نالت المرأة على عهده كافة المساندة المعنوية فكان يتدخل شخصياً لرد حقوقها، مثال ذلك، دفاعه على تلك المرأة التي ضربها أحد اليولداش، مع أنّ الأمر كان يتعلق بأحد أفراد السلك العسكري (4). أيضاً يتأكد من خلال كلامه على تلك المرأة التي قتلها زوجها (5).

واتضح أيضاً تلك المكانة التي حظيت بها المرأة على عهده من خلال معاقبته لقبيلة بأكملها بسبب تورط بعض أفرادها بخطف امرأة. فالذي ورد في أحد التقارير المؤرخ في 19 من جمادى سنة 1242هـ/1826م، أنه قامت فرقة من أعراش بجاية تدعى بني يديل بخطف امرأة "محصنة ذات زوج". فكتب لهم أحمد باي المرة بعد المرة بإرجاعها إلى زوجها وعشيرتها، ولكنهم رفضوا ولم يستجيبوا لأمره (6). حينها شن عليهم حملة لتأديبهم وتحريمها (7)، فقتل منهم خمسة رجال وأخذ لهم مجموعة كبيرة من البقر والغنم، زجرا وردعا لغيرهم، وحتى لا تتكرر مثل هذه العمليات التي كانت تضر بالشرف والأمن في المنطقة (8).

¹ -سورة النساء، الآية رقم: 7.

² -سورة النساء، الآية رقم: 11.

³ -الرسالة رقم: (7) في الترتيب العام للمجموعة.

⁴ -الرسالة رقم: (24) في الترتيب العام للمجموعة.

⁵ -الرسالة نفسها.

⁶ -لقد كان أهالي ساحل بجاية لا يدفعون ما عليهم من مطالب مخزنية، وحتى الهدايا والعوائد لا تؤخذ منهم إلا قسراً. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، ص: 155. وقد عرفت القبائل المقيمة بمنطقة بجاية بأنها من أكثر القبائل تمرداً وعصيانياً ولم يتمكن البايات من إخضاعهم إلا نائراً. ينظر:

M. L'Allè Suchet Tours, Lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie, P : 136.

⁷ في هذه المرة لم تكن سبب الحملة عدم دفع المطالب، وإنما كانت من أجل رد اعتبار لعرض مهتوك ومحافضة على هيئة السلطة بين أوساط الرعية في المنطقة.

⁸ -الرسالة رقم: (14) في الترتيب العام للمجموعة.

ولقد تكررت مثل هذه الأعمال المنافية للأخلاق والعرف في فترات سابقة من الحكم العثماني في الجزائر، إذ قامت قبيلة الحراكمة⁽¹⁾ على عهد إبراهيم باي كريتلي بخطف امرأة ذات زوج، فشن عليهم هذا الأخير حملة عسكرية كلفهم من خلالها هزيمة كبيرة⁽²⁾.

كما كان لوالدة أحمد باي دورا كبيرا في حياته، فهي التي سهرت على راحته، وكانت لا تكلّ ولا تملّ من ذلك. وأنقذته من الموت وفرت به عندما قتل والده⁽³⁾. كما عملت على إحباط عملية الاغتيال التي كادت أن تؤدي بحياته⁽⁴⁾. وأيضا بفضل تدخلاتها المتكررة لدى كبار الشخصيات من أجل العفو عنه والسماح له بالإقامة في إحدى ضواحي مدينة الجزائر، تمكن له ذلك⁽⁵⁾. كما لعبت دورا فعالا في عملية تنصيبه، بحيث قدمت أموالا طائلة من أجل ذلك. فقد قيل عنها أنها كانت تملك ثروة مالية معتبرة⁽⁶⁾.

كما حظيت والدته باحترام الباشا حسين، وهذا ما تبين لنا من خلال ما ورد في إحدى الرسائل التي شكر من خلالها أحمد باي الباشا حسين لأنه أكرم والدته وقدم لها بعض الهدايا القيمة⁽⁷⁾.

أمّا عن عنصر الزواج فلن نتحدث عن ذلك الزواج العادي الذي كان يحدث يوميا بين مختلف أفراد البايك، ولكن ما سوف نحاول الخوض فيه هو ذلك الزواج السياسي الذي كان يتم بين بعض الحكام وبعض العائلات والقبائل القوية والغنية.

¹ الحراكمة: قبيلة بربرية مستعربة أتم الاستعراب؛ كانت تقطن بمنطقة عين البيضاء، وقد أصبحت القبيلة مقسمة إلى ثلاث مناطق ممتزجة، أم البواقي، مسكينة وصنراتة. ولرجال هذه القبيلة صلابة وشدة مراس قل نظيره. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 224. وقد وصفهم صالح بن العنثري فقال: "هم أناس طبعهم غليظ ولم تكن لهم سياسة يدركون بها عاقبة الأمور ولا عندهم فطنة فيتخلصون بها من المحذور". ينظر: تاريخ قسنطينة، ص: 120.

² Charles Féraud, R. A. 1872, P : 413.

³ Charles Féraud, Le monographie du palais de Constantine, P : 61.

⁴ كوران أرجمنت، السياسة العثمانية، ص: 84.

⁵ أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ص ص: 116-117.

⁶ علي أفندي بن حمدان خوجة الجزائري، وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال، ص: 26.

⁷ الرسالة رقم: (13) في الترتيب العام للمجموعة.

فلقد علم أحمد باي بأن هذا الزواج كان وسيلة فعالة لتأمين حكمه، لهذا اهتم بتأسيس علاقات قربي مع عائلات البلاد التي كانت لها نفوذ وقوة. فتصاهر مع كل من عائلة ابن غانة الغنية والمشهورة، وعائلة المقراني، بزواجه من عيشوش ابنة عبد السلام، أيضا مع قسم من قبيلتي فرجيوة وزوارة⁽¹⁾، هادفا من وراء ذلك نيل تأييدهم. فكانت وسيلته في إقصاء العديد من العراقييل والصعاب التي كانت تعترض طريقه.

كما حظي الرجال الذين كانوا يتزوجون من العائلات الحاكمة بعدة امتيازات، واتضح ذلك من خلال ما فعله أحمد باي عندما زوّج حفيدته لأحد الأتراك الذي كان بمرتبة يولداش بسيط في الجيش، بعدها مباشرة نصّبّه قائدا على العواسي⁽²⁾، وهذه الأخيرة كانت من بين أهم الوظائف في الجهاز الإداري.

أيضا شاركت المرأة القسنطينية في السياسة العامة، حقيقة لم تكن عضوا في الديوان ولا موظفة سامية في إطارات الدولة، ولكنها كانت كثيرا ما تتدخل في إلغاء بعض القرارات أو إفشال بعض العمليات. فهذه زوجة أحمد باي عيشوش ووالدته الحاجة شريفة تتدخلان في أمر إصدار حكم الإعدام على الحاج عبد السلام، وقد تمكنتا من إلغاء الحكم والعفو عنه⁽³⁾.

وكما شرّع الله عز وجل الزواج على عباده، أيضا شرّع لهم الطلاق في حالة ما إذا انعدم التفاهم والمودة بين الطرفين، مصداقا لقوله تعالى: "الطلاق مرتان فإمساككم بمعروفه أو تسريح بإحسان"⁽⁴⁾. أيضا قوله -صلى الله عليه وسلم-: "أبغض الحلال عند الله الطلاق"⁽⁵⁾. وقوله أيضا -صلى الله عليه وسلم-: "ما أحل الله شيئا أبغض

¹ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ج: 2، ص: 134.

² الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.

³ Bouaziz Ben Gana, Chiekh El Arab, Etude Historique sur la famille Ben Gana, P: 372.

⁴ سورة البقرة، الآية رقم: 229.

⁵ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ج: 2، حقق نصوصه ورقم أبيه وأحاديثه وعلق عليه: محمد قزّاد عبد الباقي، مطبعة إحياء الكتب العربية، ص: 652.

إليه من الطلاق⁽¹⁾.

ولم يكن هذا الأمر يحدث مع العائلات العادية فقط، بل حتى مع العائلات الحاكمة، بالرغم من أن هذا الأمر كان يمس بسمعتها ويعرضها للقليل على ألسن الرعية، إلا أن هذا لم يكن ليمنع حدوثه.

فهذا أحمد باي يبلغ حسين باشا في أحد التقارير الذي بعثه إليه في جمادى الثانية من سنة 1245هـ/1829م، أنه تم تطبيق حفيده من قائد العوادي لأسباب لم يشأ الخوض فيها. كما توسط له عند حسين باشا، ليتكرم عليه برخصة لأداء مناسك الحج بعدما قُتل في حياته الزوجية⁽²⁾. فهذه الرخص كانت تسلم من الباشا شخصياً، وفي حالة ما إذا توسطت شخصية مرموقة في هذا الأمر فإنها تمنح بكل سهولة⁽³⁾.

وخلاصة كل ما ذكر فإن المجتمع القسنطيني مجتمع مسلم ومالكي المذهب بالدرجة الأولى، فكل ما يخص معاملاته الاجتماعية والاقتصادية كانت مستمدة من تعاليم ديننا الحنيف، وإن كانت لا تخل على بعض الحالات التي كانت تخرج عن هذه القاعدة بين الحين والآخر، فهذه سمة المجتمعات.

فالجانب الإيجابي في المجتمع القسنطيني هو كونه مجتمعاً قبلياً. فالقبيلة هي الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية تسيير تسييراً جماعياً⁽⁴⁾. هذا الأمر مكنتها من الصمود أمام كل التأثيرات الجانبية التي كانت تحدث بين الحين والآخر. فلقد عمدت بعض القبائل إلى التحالف فيما بينها لتكون صفاً يكون قوة عسكرية

¹ أبو داود سليمان السجستاني الأزدي، السنن، ج: 2، دار الحديثين القاهرة، مصر، 1408هـ/1988م، ص: 261.

² الرسالة رقم: (4) في الترتيب العام للمجموعة.

³ Albert. De voulx, Notice et corporations religieuses d'Alger accompagné de documents authentiques et inédits, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1912, P: 36.

فمن خلال نص رسالة أحمد باي، تبين صدق المعلومات التي جاء بها دوفلوكس، وقد عرض هذا الأخير رسالة من المفتي ابن يحيى موجهة إلى الباشا حسين يستسمحه ويطلب منه أن يتفضل عليه بمنح رخصة لأحد الأشخاص من أجل أداء مناسك الحج. ينظر:

Ibid, P P: 50-54.

وما يلاحظ على نص هذه الرسالة أن معظم ما ورد فيها مقدمة إطراء. وبهذا فإن هذه المهمة تضاف إلى مهام الداي التي لم تخض فيها المصادر التاريخية إلا نادراً. والبحث في هذا المجال يعتبر من الدراسات الجديدة التي يمكنها أن تلقي بعض الضوء على الحياة الثقافية والاجتماعية في الجزائر على العهد العثماني.

⁴ العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 45.

واقْتصادية ضارية تقف في وجه كل من اعتدى على أي واحد من الأطراف المشاركة⁽¹⁾.

فقد يرى البعض في هذه التحالفات الجانب النقيض مما نراه، بمعنى أنها عامل تفتت وتشتيت أكثر من أنه عامل توحيد ولم الشمل. إلا أنه إذا نظرنا إلى هذه النقطة من منظار آخر ومن زاوية مختلفة فنجد أنها كانت عامل بقاء سياسي واقتصادي بالنسبة للقبائل الفقيرة أو الضعيفة، فبفضل هذا التحالف تمكنت هذه القبائل من الحفاظ على وجودها.

كما عملت السلطة الحاكمة والممثلة في شخص أحمد باي في حالة عجز إحدى القبائل على الدفاع على ممتلكاتها من أية قبيلة أخرى بالتكفل بهذه المهمة، ومثال ذلك ما اتخذته من تدابير وإجراءات صارمة ضد الصحاري عندما تعدوا على أراضي وزرع سكان بسكرة⁽²⁾.

أيضا تميز المجتمع القسنطيني بطابع الالتحام والوحدة، خاصة عندما تعلق الأمر بخطر خارجي يتربص بالبلاد. فهذه الرعية القاطنة في مدينة عنابة وضواحيها تلبي نداء أحمد باي بضرورة التحلي باليقظة والحيطه لمواجهة الحصار الفرنسي المفروض على السواحل الشرقية. كما تكفلت بعملية الدفاع على بلادها؛ إذ طلبت من أحمد باي أن يمدّها بالسلاح اللازم من أجل صد أي خطر قد يفاجئهم⁽³⁾.

وبالرغم من وجود بعض القبائل التي كانت ترفض دفع ما كان يفرض عليها من مطالب مخزنية، إلا أنه كان هناك الكثير من الذين كانوا يدينون بالولاء للحكم العثماني على بايلك الشرق، ذلك أن وحدة الدين كانت تجمع الطرفين بالرغم من اختلاف المذاهب، فهذه الأخيرة لم تكن عائقا أمام قبول الشعب الجزائري للحكم العثماني. فبايلك الشرق على غرار المناطق الجزائرية الأخرى، كان فيه من القبائل

¹ العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 46.

² الرسالة رقم: (16) في الترتيب العام للمجموعة.

³ الرسالة رقم: (3) في الترتيب العام للمجموعة.

التي أقرت بسلطة أحمد باي ورضيت بأن تدفع ما كان يفرض عليها من مطالب مخزنية مؤمنة في ذلك بمبدأ الطاعة لولي الأمر⁽¹⁾.

أيضا تميز المجتمع القسطنطيني بطابع التكافل الاجتماعي، إذ عمدت معظم القبائل إلى تحمل مسؤولية الإنفاق على العجزة، بحيث كانت تقدم لهم الإعانات المختلفة التي تساعد على العيش بكرامة لأن احتياجهم عار على القبيلة كلها.

فعندما كانت تحدد المطالب المخزنية، كان القايد يجمع الأعيان وبالاتفاق معهم يتم توزيع جزء منها حسب الطاقة على الأسر المعوزة⁽²⁾. كما خصصت السلطة العثمانية والممثلة في شخص أحمد باي بيت مال كلف على إدارته مسؤول كان يلقب بـ " وكيل بيت المال". وقد وضعت السلطة تحت تصرفه مبالغ مالية من أجل إعانة الفقراء والمساكين والشد بأزرهم⁽³⁾، أيضا خصصت رواتب للعاجزين وفاقدي البصر يتقاضونها من الخزينة العامة والتي تكفل لهم الحياة الكريمة⁽⁴⁾.

أما الجانب السلبي من هذه العلاقات فحاولنا معالجته على مستويين. أحدهما على مستوى الرعية، والآخر على مستوى السلطة، ذلك أن كلي الطرفين كانا متورطين في بعض الأعمال المنافية للدين والأخلاق. مع أن المادة المعروضة في هذا الجزء مختصرة جدا لأنه تم عرضها بالتفصيل في أماكن أخرى من هذه الدراسة، وما عرضها من جديد، هو عبارة على محاولة لإظهار نوعية العلاقات السيئة التي سادت المجتمع القسطنطيني بكافة شرائحه على عهد أحمد باي.

أما على مستوى الرعية فتتمثل في انتشار بعض الظواهر والآفات الاجتماعية التي سمّت المجتمع القسطنطيني سواء كانوا قبائل أم أشخاصا. ومن بين هذه الآفات نذكر القتل وسرقة أموال البايك.

كما ظهرت هناك أيضا عملية التعدي على ممتلكات الغير، ونهب لخيراتهم

¹ حول هذا الأمر يراجع الفصل الثاني، المبحث الأول.

² العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 46.

⁴ صالح بن العنتري، تاريخ قسطنطينة، ص: 23.

³ رسالة بجانب الرسالة رقم: (8) لا تحمل تاريخا أو رقما.

وقطع الطرقات من طرف بعض القبائل، وكثيرا ما استعمل أحمد باي التدخل العسكري كوسيلة من أجل القضاء على هذه الآفات. بالإضافة إلى كل هذا، عملية قطف النساء، هذه الأخيرة لم تكن تنفذ بصورة فردية ولكن كانت أخطر من ذلك، بحيث كانت تتم بصفة جماعية. وكأنها عملية تصفية حسابات، أو محاولة انتقام من قبيلة ضد قبيلة أخرى.

أما على مستوى السلطة فتمثل في وجود بعض الجنود الذين استغلوا مكانتهم من أجل التعدي على القانون، فمنهم من ارتكب عمليات القتل، والتعدي بالضرب، والغش وأخذ فوائد ربوية. ولكن هذا لم يكن ليمنع أحمد باي من اتخاذ الإجراءات اللازمة في حدود مسؤولياته.

ولا يستثنى من هؤلاء، شخص أحمد باي في حد ذاته، فالطرق التي كان يستعملها من أجل فرض حكمه وسيادة السلطة على الجميع، لم تكن نظيفة وكانت في بعض الأحيان تخلو من الالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية، بالرغم من أن معظم المراجع التي تناولت سيرته وصفته بأنه من بين الحكام الذين التزموا بمبادئ الدين الحنيف⁽¹⁾.

إلا أن سياسة فرق تسد، وتفضيل وتخصيص عائلة دون الأخرى بامتيازات، لا شيء سوى من أجل أغراض وحسابات شخصية. كما أن تلك الحملات العسكرية التي كان يشنها على القبائل التي كان يصفها بالتمرد والعصيان قد وضعت من ورائها عدة علامات استفهام حول نوعية العلاقات التي اتخذها أحمد باي معها حتى وصل بها الأمر إلى حد رفع لواء التمرد والعصيان على السلطة مع أنها في الأخير كانت هي الخاسرة في كل الأحوال. كل هذا لم يكن يبيث للمبادئ الإسلامية بصلة، ولكن كانت حججه في ذلك كله، أنها قواعد اللعبة السياسية ومطالب الحكم والكرسي، فلا يمكن للحاكم أن لا يتورط في مثل هذه الأمور وهو يحكم كل البلاد أو جزءا منها.

¹ من بينهم تذكر: صالح فركوس، الحاج احمد باي قسنطينة، ص: 47.

3- مظاهر الاحتفال بالأعياد والمناسبات:

تميز المجتمع الجزائري عامة والقسنطيني على وجه الخصوص بخصائص ميزته عن باقي الشعوب العربية الأخرى. فلقد اتبع المجتمع القسنطيني بعض المظاهر التي أصبحت على مر الأجيال عرفا وتقليدا يتداول عليه السكان، وقد اختلفت هذه الأخيرة باختلاف المناسبات، فمنها ما كانت دينية، واجتماعية، وأخرى سياسية واقتصادية.

وقد اختص الله عز وجلّ المسلمين دون سائر الأمم بعيدين يحرم فيهما الصيام أو الأحزان، وهما عيد الفطر وعيد الأضحى، يتكرر الاحتفال بهما سنويا، وقد استن لنا خاتم المرسلين سيدنا محمد عليه أزكى الصلوات والتسليم طريقة الاحتفال بهما. ومع المحافظة على السنن التي ألزمتنا بها الرسول الشريف صلى الله عليه وسلم، زاد عليها المسلمون بعض العادات والأمور.

فالجزائر على غرار الدول الإسلامية وهي تحت راية الدولة العثمانية كانت تحتفل بهذه الأعياد سنويا بطرقها التي توارثتها عبر الأجيال. كما كان هذا الاحتفال لا يختلف من منطقة إلى أخرى⁽¹⁾.

فأمّا عيد الفطر والذي كان يسمى بـ "سكر بييرام"⁽²⁾ "Seker Bayram"⁽³⁾. فكان بمجرد إحصاء الهلال ليلة الشك، وبقرار من مفتي الجزائر يعلن على يوم العيد. فتبدأ التحضيرات على مستوى السلطة والرعية⁽⁴⁾.

فعند إشراق شمس ذلك اليوم تطلق نيران البنادق، وتعزف الفرقة العسكرية الموسيقى الحربية. وعند الانتهاء من صلاة العيد تفتح أبواب قصر الباشا على مصرعيها للعامّة والخاصة، فيحتفل بالعيد داخل القصر بالمأدب والموسيقى ومباريات المصارعة وإطلاق المفرقات. وهذه صور للاحتفالات كانت تدوم ثلاث

¹ - حول موضوع الاحتفال بالأعياد الدينية ينظر كل الرسالة رقم: (5-18) في الترتيب العام للمجموعة

² - بييرام: كلمة تركية تعني العيد. ينظر: L.Pechot, L'Afrique du nord, P: 138.

³ - وسمي بعيد السكر لأنه كانت تقدم فيه القطع الصغيرة من الحلويات المصنوعة بالسكر. ينظر: وليم سينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص: 100.

⁴ - بيمين خليل، حكايات جزائرية غنية الأطلال، ص: 76.

أيام على التوالي.

ففي اليوم الأول يرفع العلم على القصر وعلى مختلف القلاع الموجودة في المدينة، وتطلق المدافع نيرانها التي كانت تسدد قذائفها نحو البحر. وبعد مباريات المصارعة يأتي كبار الموظفين وأعيان المدينة إلى قصر الباشا حسين لتقبيل يديه وتقديم التهاني، كما كان يحضر مراسيم الاحتفال قناصل الدول الأجنبية الموجودة في الجزائر وأمين الطائفة اليهودية، وعقب هذه المراسيم يدعى كبراء القوم لتناول الغذاء مع الباشا. ويتم الاحتفال بهذه الطريقة على مر الأيام الثلاثة إلا أنه لا يتم حضور القناصل⁽¹⁾.

أما عيد الأضحى والذي كان يلقب بـ "قربات بيرامي" "Kurbar Bayrami" أو "بيوك بيرامي" "Kujuk Bayrami"⁽²⁾ فكان يحتفل به بالطريقة التالية: فبعد صلاة العيد يخرج الداوي من المسجد متجها نحو القصر وهناك يقوم بذبح أضحية العيد وبعد الانتهاء من هذه العملية يرفع العلم على سطح القصر وتطلق المدافع طلقات معلنة للرعية بأن الباشا حسين قد فرغ من عملية الذبح، وأنه يمكن لهم أن يذبحوا أضحياتهم⁽³⁾ إقتداء بسنة الرسول محمد الأمين عليه صلوات ربي وسلامه. وكان يتم الاحتفال بالمثل على مستوى كل بايلك من بياليك الجزائر. فبايلك الشرق على غرار المناطق الأخرى كان يتم التحضير لهذه الأعياد. فكان أحمد باي يبعث برسالة للباشا يقدم له من خلالها تهانيه وتمنياته الخالصة بمناسبة حلول العيد المبارك كما يدعو له فيها بالخير والصحة ودوام العافية ومثالا على ما كان يحرره أحمد باي لمثل هذه المناسبة نذكر ما ورد في إحدى رسائله المؤرخة في 26 ذي القعدة سنة 1241هـ/1826م: ".... جعل الله تعالى عيدكم عيدا سعيدا مباركا مبرورا ميمونا حميدا وهكذا كل عام بحول الله وقوته وأنتم سالمون طيبون فرحون

¹ كاتكارت، مذكرات أسير الداوي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الإنجليزية وعلق عليها وقدم لها: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1982، ص: 32.

² قربات بيرامي أو بيوك بيرامي: ومعناه الحرفي: عيد المسلم الكبير للتضحية. ينظر: وليم سينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص: 100.

³ Boyer, L'évolution de l'Algérie médiane, PP : 255-256.

مسرورون ونسأله من فضله وكرمه ومنه أن يمد لنا في حياتك ويبقي لنا وجودك وبيارك لنا في عمرك ويخلد ملكك وسلطانك وأن يمهد بدولتك البلاد ويصلح بسطنتك الوطن والعباد إنه انه على ذلك قدير وبالإجابة جدير والسلام⁽¹⁾.

ومن العادات التي حافظ عليها البايات وداوموا على العمل بها ارتداء "القفطان" في مثل هذا اليوم السعيد. وما يؤكد هذه المعلومات ما صرح به أحمد باي في إحدى رسائله قائلا: "... ثم المطلوب من سيادتكم والمرغوب من كريم فضلكم أن تمن علينا بتوجيه القفطان السعيد المبارك الحميد لنلبسه إن شاء الله تعالى في هذا العيد الأكبر والموسم العظيم الأشهر على حسب العادة المعلومة والطريقة السالفة المباركة المعمومة..."⁽²⁾.

وكان هذا القفطان لا يحتفظ به الباي وإنما بعد انتهاء أيام الاحتفال بأحد العيدين يعيده إلى الباشا في الجزائر مرفقا بمبلغ مالي؛ وعند حلول موسم الأعياد يعيد طلبه من الباشا. وهذا ما تأكد من خلال ما جاء على لسان أحمد باي في إحدى رسائله: "... وجهنا القفطان السعيد مع عوائده المعلومة قيمة ألف سلطاني نسئل من الله تعالى أن يجعل وروده عليكم ورود خير وعافية وسلامة وكرامة بجاه من ظلته الغمامة صلى الله عليه وعلى آله..."⁽³⁾.

وخير وصف وجدناه لطريقة الاحتفال بأيام عيد الفطر على عهد أحمد باي ما وصفه أحد المعاصرين لحكمه "فندلين شلوصر". إذ ذكر هذا الأخير بأنه مباشرة بعد رؤية هلال، يعلن على العيد وينظم أحمد باي ليلتها حفلة عشاء، تعزف خلالها الموسيقى.

وفي اليوم الأول من العيد⁽⁴⁾ وبعد أداء الصلاة تتقدم كل العامة وأعيان المدينة وكبار الموظفين بالتهاني للباي وبعد حوالي التاسعة صباحا يركب أحمد باي جواده،

¹ الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

² الرسالة نفسها.

³ الرسالة نفسها.

⁴ ورد ذكره في الرسالة رقم: (18) في الترتيب العام للمجموعة.

ويترك المدينة برفقة مماليكه يصحبه أعيان المدينة والفلاحون وكذا دقات الطبول التي كانت تتعالى⁽¹⁾، فقد خصصت لمثل هذه المناسبات فرقة تقوم بهذه المهمة، تتبعه أجود خيوله مزينة بسجادات جميلة⁽²⁾، وأيضا بغاله التي كانت تغطي ظهورها السروج والأغطية المطرزة⁽³⁾.

ويحيط بموكبه عدد كبير من الأهالي، شيوخا وشبابا، راكبين وراجلين، فتطلق سبع طلقات نارية تحية للباي عند دخوله المدينة وخروجها منها. فيجلس أحمد باي خارج المدينة في المكان الذي أعد له وكان يدعى بـ "الرحبة" فوق مخدة، ويبدأ سباق الخيل، بعد ذلك يوزع الهدايا على خدامه وحراسه، ويقدم الجوائز لأحسن الفرسان. كما عادة ما كان يصدر عفوه عن الأسرى الذين شفّع فيهم. أما الأطفال فقد كانت تقام لهم الأراجيح والخيام، أين كانوا يتناولون فيها عصير الليمون أو البرتقال مجانا وتدوم هذه الاحتفالات لمدة ثلاث أيام متتالية⁽⁴⁾.

أما العيد الأضحى⁽⁵⁾ فكان يحتفل به بالطريقة نفسها سوى أنه كان على أحمد باي أن يذبح صبيحة يوم العيد⁽⁶⁾ بعد تأدية الصلاة مباشرة أضحية يقدمها قربانا لله تعالى إقتداء بسنة سيدنا إبراهيم ومن بعده محمد عليهما صلوات ربي وسلامه. وكان يتبعه مباشرة بعد ذلك أرباب العائلات، كل في حدود إمكانياته، وكان يؤكل كل اللحم في مدة ثلاث أيام، بعد أن ينال المحتاجون حظهم منه⁽⁷⁾.

ومن بين المناسبات الاجتماعية التي كان يحتفل بها الجزائريون عامة والحكام خاصة أيضا، ازدياد مولود للسلطان العثماني. فقد كانت ترد على الباشا حسين رسائل تبعث له من طرف الباب العالي في اسطنبول، معلنا له فيها بازدياد مولود

¹ فندين شلوصر، قسنطينة، أيام أحمد باي، ص: 86.

² لقد كان أحمد باي يملك حوالي 150 من أجود الخيول. ينظر:

Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, P: 257.

³ المصدر السابق، ص: 86.

⁴ المصدر نفسه، ص: 86.

⁵ ورد ذكره في الرسالة رقم: (5) في الترتيب العام للمجموعة.

⁶ كاتكارت، مذكرات أسير الداوي، ص: 32.

⁷ فندين شلوصر، المصدر السابق، ص: 87.

جديد، وذلك حتى تحضر المراسيم اللازمة للاحتفال بهذه المناسبة السعيدة على مستوى كل المناطق الجزائرية.

فمن بين السنوات التي احتفل فيها بمثل هذه المناسبات، والتي عاصرت حكم أحمد باي نذكر، ما تم بتاريخ 23 شوال من سنة 1242هـ/1826م، فلقد حضرت الاحتفالات بمناسبة ازدياد ابن لدى السلطان، فأقيم "مهرجان كبير في باب الجهاد، ومن الغد أحضر حسين باشا العلماء ونقيب الأشراف وكافة أهل الديوان وأعيان البلد ولبس الخلعة السلطانية وضربت النوبة وأطلقت المدافع صباحا ومساء من جميع الحصون لمدة سبعة أيام كاملة"⁽¹⁾.

كما أرسل الباشا حسين إلى كامل عماله في البيالك، ومنهم أحمد باي بالبشارة، وليحتفل به على حسب العادة والعرف السائدين في تلك الحقبة التاريخية، فنشر أحمد باي بدوره الخبر على مستوى كل البيالك الخاص منهم والعام، ومثالا على ما كان يحرره البايات في مثل هذه المناسبات ما ورد في إحدى رسائله: "....وكتبنا لاهل ملوك قسنطينة بالبشارة المذكورة وفرقنا مكاتيك السعيدة في الحين ومضى كل مكتوب لاهله والنوبة المذكورة فيه والله الحمد على ذلك وله مزيد الشكر..."⁽²⁾.

وكان يقام احتفال عظيم لهذه المناسبة السعيدة، التي كان يسعد بها العام والخاص على قول أحمد باي وأحسن وصف لمثل هذا الاحتفال ما ذكره أحمد باي في إحدى رسائله: "...حصل لنا فرح وسرور وانشراح وحبور فلعبت الخيل في ميدان السباق ورمينا البارود وضربنا الطبول وكان ذلك اليوم عندنا يوم عيد او موسم جديد استبشره الناس وفرح اولادك العسكر..."⁽³⁾.

هذا فيما يخص الاحتفال بالمناسبات الاجتماعية، أما المناسبات الاقتصادية فأهم مناسبة كان يحتفل بها، هي موسم الدنوش، الذي اعتبر قنومه مشهدا محببا

¹ الشريف الزهار، مذكرات الشريف الزهار، ص: 158.

² -الرسالة رقم: (21) في الترتيب العام للمجموعة.

³ -الرسالة رقم: (20) في الترتيب العام للمجموعة.

لقلوب السكان في الجزائر، خاصة عندما يقوده الباي بنفسه. فمن بين السنوات التي شهدت دخول أحمد باي مدينة الجزائر حاملا هذا الدنوش إلى حسين باشا كان بتاريخ أوائل ذي القعدة سنة 1242هـ/1827م⁽¹⁾. فزينت لذلك الشوارع بالأعلام التي كانت تحمل كل الألوان الجميلة، منها الأصفر والوردي والأخضر والبرتقالي⁽²⁾.

ومن أحسن الأوصاف ذلك الذي قدمه المزارعي حين كتب يقول: "في يوم دخوله يقع المهرجان العظيم بالجزائر تخرج فيه أكثر الناس من البلاد لملاقاته والتفرج في ذلك المهرجان" فلما يصل الباي إلى مدينة الجزائر ولم يبق بينه وبينها سوى مسافة سير أربع ساعات ينزل في مكان خصص له يدعى "حوش الباي"، بعدها يتم مسيرته إلى مدينة الجزائر فيصل إليها قبيل الفجر إلى مكان كان يدعى "الربط" فيستريح فيه إلى طلوع النهار وفتح أبواب المدينة، فيخرج له "أرباب الدولة من الخزناجيات والأغوات وخوجة الخيل والديوان وغيرهم للقاءه ومعهم نوبة الباشا تضرب عليهم، فإذا وصلوا لقربه ركب الباي ومن معه^(*) تحت الألوية والرايات وتضرب نوبته ويتجه نحوهم ولما يقترب منهم تسكت نوبته وتبقى نوبة الباشا تضرب، ثم ينزل الباي ومن معه من على خيولهم ويمشي خطوات ثم ينزل الخزناجي ومن معه ويسلم كل فريق على صاحبه ويجلسون في محل مرتفع فتنسابق الخيل في جريها أمامهم عليها فرسانها، ويضرب البارود، ويسمى هذا بالملاعب واللعب، ثم يركبون جميعا ويقصدون الباشا. ومن حين الركوب يشتغل الباي بتفرقة الدراهم ورميها على رؤوس الناس الواقفين يمينا وشمالا إلى أن يصل لمقر الباشا⁽³⁾.

وقد قيل بأن دنوش بايلك الشرق كان من أغنى الدنوشات مقارنة مع غيره

¹ الرسالة رقم: (16) في الترتيب العام للمجموعة.

² Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, P : 181.

* من بين الشخصيات التي رافقت أحمد باي في رحلته الدنوشية أحمد بن محمد وبين عيد الله الذي تم التعريف به سابقا. ينظر :

Charles Féraud, R. C., 1871-1872, P : 303.

³ المزارعي، طلوع سعد السعود، ج:2، ص: 273.

"حتى أن أهل مدينة الجزائر كانوا ينتظرونه بشوق، لأنه كان بالنسبة إليهم مناسبة اجتماعية واقتصادية كبيرة"⁽¹⁾.

أيضا من بين المناسبات الاقتصادية التي كان يحتفل بها تلك التي كانت تتم عند انعقاد الأسواق الجهوية التي كان يؤمها الناس من كل مكان، وكانت تشهد بذلك ظاهرة اجتماعية وثقافية معاً، فأما الأولى فتمثلت في اللقاء الذي كان يتم على المستوى الفردي أو القبلي فتتم عملية التعارف وتكوين الروابط الجديدة. كما كانت الأسواق الأسبوعية بالإضافة إلى دورها الاقتصادي، محلاً لنشر الأخبار، وما كان يقع على مستوى كلّ البايك من أحداث لم تكن لتصل إليهم دون عملية الالتقاء التي كانت تتم في هذه الأسواق.

أما الظاهرة الثقافية التي يمكن استخراجها من خلال عملية تجمع السكان في الأسواق، هي ما كان يتمتع به السكان ويستفيدونه من خلال الأقاليم الدينية والتجارية التي كانت تقص عليهم من طرف المداحين الذين كانوا يأتون من مختلف أنحاء البلاد⁽²⁾.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص: 167.

² العربي الزبيري، التجارة الخارجية، ص: 65.

خاتمة

خاتمة

من خلال ما ورد في نصوص هذه الرسائل اتضحت الخطوط العامة لأحوال المجتمع القسنطيني الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر. كما رسمت صورة ونموجا حيا على علاقة الحاكم بالرعية على العهد العثماني مع كل ما حملته هذه العلاقات من تناقضات.

فعلى الصعيد الإداري كشفت هذه المراسلات أن الجهاز الإداري في بايلك الشرق على عهد أحمد باي كان بسيطا في تنظيماته، متطورا في صلاحياته، فلقد تجاوب مع الحاجات والمتطلبات التي فرضتها الأوضاع الاجتماعية واقتضتها النشاطات الاقتصادية، وهذا ما جعل من هذا الجهاز يكتسي مرونة ساعدت بدورها على تدعيم الحكم العثماني بالبايلك حتى بعد سقوط مدينة الجزائر مركز السلطة في البلاد.

كما أظهرت هذه الرسائل أيضا كيفية مزاولة الباي للعمل القضائي، مع أن ما لوحظ من خلال ما عرض من مسائل قضائية سواء مست الطرف المدني أو العسكري أن الفصل النهائي فيها يعود إلى الباشا حسين. وهذا ما لم تنطرق له المصادر والمراجع إلا نادرا، أو بصورة مختصرة جدا.

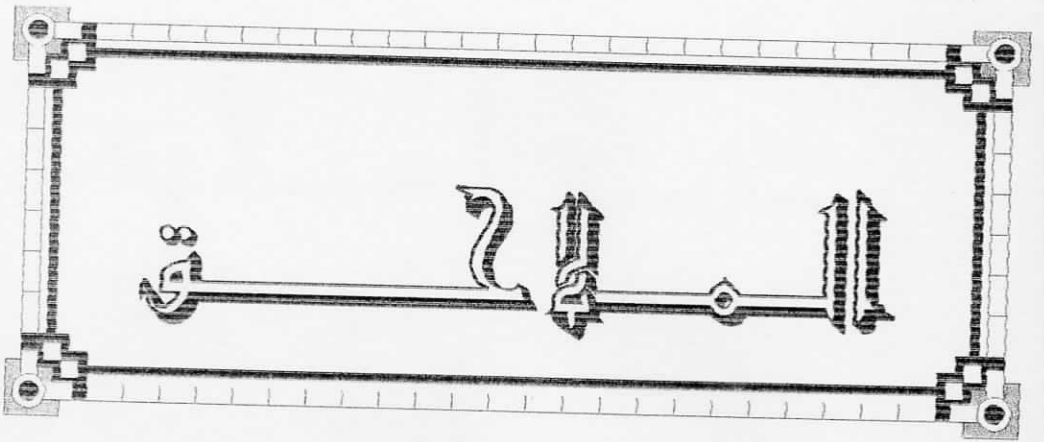
وقد قيل الكثير حول الوسائل التي استعملها معظم البايات في توطيد سلطة الحكم على القبائل، بحكم الصبغة الخاصة التي تميز بها المجتمع الجزائري عامة. فعلاقة أحمد باي بالرعية تميزت بالنقيضين، العنف والقسوة أحيانا، والليونة والسخاء في أحيان أخرى؛ أما الأولى فكانت مع القبائل المتمردة، في حين خصت الثانية القبائل الموالية، خاصة قبائل المخزن.

كما تم التوصل من خلال هذه التقارير إلى معرفة أهم الأسباب التي أدت إلى تآزم العلاقات بين الحكومة الجزائرية والفرنسية، وأثار هذه الأزمة على بايلك الشرق. فمن أهم هذه الدوافع عملية تسليح الباستيون.

كما وفرت الرسائل معلومات مهمة ومفصلة حول الطريقة التي واجهت بها السلطات العثمانية على مستوى البايك والممثلة في شخص أحمد باي أمر الحصار المفروض على سواحلها بتجنيد كافة الطاقات المدنية والعسكرية من أجل رد أيّ عدوان فرنسي.

أمّا فيما يخص العلاقات الجزائرية التونسية فقد اتسمت على عهد أحمد باي بنوع من الاستقرار مقارنة بالعهود السابقة. وأهم ما يلاحظ من خلال المعطيات التي وفرتها البعض من التقارير هو موقف السلطات التونسية السلمي من الأزمة الفرنسية الجزائرية، وكيف أنّها شاركت بطريقة غير مباشرة في احتلال البلاد. وبحكم الحصار الذي فرض على السواحل الجزائرية بما فيها السواحل الشرقية، فإنّ ذلك أثر سلباً على اقتصاد البلاد، خاصة التجارة الخارجية، ومع هذا فقد بقيت عجلة الاقتصاد تشتغل إذ من خلال ما تم عرضه بهذا الصدد تبين أنّ مجريات الأحداث الاقتصادية على مستوى باييك الشرق لم تكن بالخطيرة كما وصفتها بعض المصادر والمراجع (خاصة الفرنسية منها).

أمّا فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية، فلم تقدم هذه الرسائل معلومات جديدة مقارنة مع القطاعات الأخرى، إلا أنّه كانت هناك محاولة لعرض هذا الجانب مع الاعتراف بأنّه لم يتم التطرق إلى كلّ ميادينها باعتبار أنّ الرسائل نفسها لم تتناولها. ومن أهم ما تم استنتاجه من خلال ما ورد في بعض هذه الرسائل هو مكانة المرأة الجزائرية خاصة على مستوى السلطة الممثلة في شخص أحمد باي، وكذا طريقة الاحتفال بالأعياد الدينية والمراسيم الرسمية التي كانت تقوم بها السلطات العثمانية على مستوى البايك في مثل هذه الأيام.



المصراعات

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
أسعد الله تعالى بمنه مقام المعظم الأرفع الصدر الهمام الأنفع الأفخم الأكرم الأوحد
الأمجد ولي النعم سيدنا حسين باشا الدولتلي أعوه الله تعالى وأيده وحفظه ونصره أمين السلام
الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه الشامل وتحياته وبعد سيدنا أمداك الله بالنصر
والسلامة والهناء والعافية والكرامة والذي أعرفكم به هو خير ان شاء الله انه وردت علينا
مكاتب من عند باي تونس وأمرنا وكيلكم بتونس الحاج عمار وذكر أن منها مكتوب من عند باي
تونس وأمرنا الوكيل في مكتوبه أننا نوجهها لحضرتك العلية في الوقت ولا تؤخرها ونحن سيدي
ساعة وصول المكاتب إلينا كتبنا لك هذا الكتاب ووجهناه إليكم وأما عدد المكاتب المذكورة
الواصلة لسيادتكم من عند الوكيل خمسة مكاتب ونسئل الله تعالى أن يجعل ورودها عليكم ورود
خير وعافية وأن ينصرك الله بنصره المكين ويهلك أعداء الدين ويبقي لنا وجودك محفوظا
منصورا بجاه من كلمته الغزالة وختمت به الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم
تسلما والسلام. من الفقير لربه سبحانه عبدكم ومقبل الكريمة يدكم الحاج أحمد باي وفقه الله

وقت المغرب من يوم 21 الجمعة من دي القعدة سنة 1245

الحمد لله حق حمد وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
المقام الذي مآثره ومكارمه الواضحة متواليه وأراءه صالحة راضية مقام المعظم الأرفع
الهمام والبدر الذي لا يفارقه التمام الأكمل الأرشد الأفضل الأسعد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا
الدولائى أبقاه الله رفيعا شأنه سعيدا زمانه واضحا في المكرمات برهانه السلام الكريم الطيب
العميم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه الشامل وتحياته ولا تزيد بعد حمد الله جللت
قدرته إلا الخير والعافية والاعتناء بالدعاء الصالح لسيادتكم في مواطن الإجابة وأوقات الصبح
والإجابة نسأل الله جل جلاله وتقدس عزه وكماله أن يجعل صومكم متقبلا مبرورا وعيدكم
مبارك هناء وعافية وسرورا وهكذا كل عام وأنتم طيبون سالمون فرحون مستبشرون والعز
يحيط ببابك والتصر ملازم لجناحك والعافية والسلامة للمعظمة ذاتك أمين يا رب العالمين ثم
المعروض عن سيادتكم العلية أن وكيلكم الحاج عمار وجه مكتوبا لسيادتكم العلية ومكتوبا لأخينا
ابنكم المعظم السيد إبراهيم أغة مكاتب للرومي سردينيز وأكد علينا في إرسال هذه المكاتب بالجد
والعزم لحضرتكم العلية ونحن سيدنا أيدك الله وجهنا مكاتب في الحين جعل الله ورودها عليكم
ورود خير وعافية أمين أمين

هذا سيدنا وقد بلغنا جوابك السعيد ومعه مكاتب أهل النويات وقد بعثنا كل مكتوب لمن
جاء إليه على حسب العادة والله تعالى يؤيدك ويحفظك وينصرك بمنه وفضله أمين والسلام من
الفقير لربه سبحانه عبدكم وخادم دولتكم ومقبل الكريمين بكم وقدمك الحاج أحمد باي وفقه الله
بيمينه وأمه بعونه وذلك أواخر 27 رمضان سنة 1245

الحمد لله حق حمده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليماً.

لمقام الذي مآثره عالية ومكارمه واضحة متواليّة وأراءه صالحة راضية مقام المعظم الأرفع
الهمام والبدر الذي لا يفارقه التمام الموقر الأرشد الأمجد الأكمل الأوحّد الأسعد ولي النعم سينا
حسين باشا الدولاتلي أبقاه الله يلبس حلل العافية جددا ويتعرف عوارف السعادة يوماً وغداً أما
بعد سلام كريم طيب عميم تعبق نواسمه وتتفتح بأرجائك مباسمه وتزكو أوائله وخواتمه فإن ابنكم
وخديمكم ابننا مصطفى الخليفة قادم ووارد على حضرتكم العظيمة العلية الفخيمة يقصد زيارة
سيادتكم وتقبيل يدك الكريمة وأصبحنا معه لوازِم المعلومة المقررة المفهومة ونطلب من المولى
الكريم رب العرش العظيم أن يبقي لنا وجودك وبيارك لنا في عمرك وأن يمدك جنابك الرفيع
بالنصر والعافية وأن يديم عليكم نعمه الوافية ويعاملكم بكل جميل وينيلكم من فضله الجزيل هذا
سيدنا وأن المحلة المنصورة بالله تعالى واردة مع الخليفة في حفظ الله وأمانه ونسئل الله جل
وعلا وردوهم عليكم ورود خير وعافية وهناء وستر دائم وسلامة أمين يا رب العالمين وهذا ما
وجب به إعلام سيادتكم العليا وما دمت لنا بخير وعافية وصحة وسلامة فأنا كذلك عندنا كل
خير وبلادك ووطنك في هناء وعافية قد من الله تعالى في هذه الخريف بالمطر النافع والخصب
الشاسع والكلال الواسع فأخصبت البلاد وأعشبت وسرت بذلك أهل الحاضرة والبلاد والحمد لله
تعالى وهذا كله من فضل الله تعالى ومنه على عبادِه ودليل مبارك على سعادتك وبركتك ودعائك
الصالح لنا ولسائر رعيتك فالله بيقينك سالما محفوظا مؤيدا منصورا بجاه سيدنا محمد صلى الله
عليه وعلى آله وسلم. من الفقير لربه سبحانه المتوكل عليه المفوض أموره إليه عبدكم وخادمكم
ومملوك إحسانكم ومقبل الكريمتين الرفيعتين بدمك وقدمك الحاج أحمد باي وفقه الله وأمه بعافيته
وعونه. وذلك أواخر 24 جمادى الأولى سنة 1245

لاحقة خير والواجب إعلام سيادتكم بكل ما يعرض لنا من مهمات ووطنك وعمالتك وما
يعرض لنا في أحوالنا خاصة فأنت سيدي المدبر علينا وذلك أن يولدناش كنا زوجناه من حفيدتنا
ووليناها قيادا العواسي ولازالت سيرته معنا مرضية لم ننكر من أحواله شيئاً سوى أنه سيدنا منذ
تزوج بالبنيت المذكورة أجلك وأعظم قدرك عن التصريح باعتراضه ولو كان الشرع العزيز أباح
الكلام وشرحه للحكام وأنت الحاكم الأكبر والسلطان الأعظم الأشهر وهذه المدة تزيد على عامين
كاملين لم يسمع منا كلاماً وأظنه ثقل عليه ذلك واحتشم فطلب التسريح لحج بيت الله الحرام أظنه
ليجد سترًا في الفراق ونحن رفعنا أمرنا إليك وابنكم وخديمكم مصطفى الخليفة جاره في دار
واحدة عالم بالقضية ونظرك أصلح ولا نمضي شيئاً إلا بعد أمرك السعيد لنا

كذلك سيدنا أعزك الله إنني لما دخلت البلاد مريضا وبعد أيام حين قعدنا للحكم بلغني أن
بوزيان وقرييه السمارى رجعوا إلى المرابط الذي كانوا عنده سابقا قبل قدومهم لحضرتك
السعيدة ولم ندر ما سبب رجوعهم فكتبت لهم كتابا وجددت لهم أمانا وأعلمتهم أنهم جاءوا من
المقام المعظم فلو كانوا قاتلين أنى عليهم أمان الله ورسوله وأمرتهم أن يخبروني بالسبب الذي
ردهم للمرابط وأكدت الأمان لهم فلم يردوا جوابا ثم كتبت لهم كتابا ثانيا مؤكدا وقلت إن تأتوا
أخبروني بالسبب فوحقك لم يردوا لي جوابا أصلا وأنا سيدي بالله الذي لا إله إلا هو وراسك
وحياتك وحق سعدك ونعمتك علينا من يوم قدموا من حضرتك السعيدة لم يروا مني ما يغيرهم
أصلا وقد عرفتك بالواقع والله وكيل علينا إن كان فيما خبرتك زيادة ولا نقصان ولم أدر ما
سبب رجوعهم إلى المرابط إلى الآن والله يبقي لنا وجودك أمين

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
حفظ الله تعالى ذات المعظمين المبجلين المكرمين الأجلاء أولاد سي أحمد بن حمزة
الأغة وكافة الديوان المنصور بالله تعالى بعناية أكرمهم الله ورعاهم السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته ورضوانه وبعد فإن أهل عنابة شكوا كثيرا من الشاوش يأخذ من الذي عليه ريال ديناراً
ريالين وأكثر في باطله وهذه بلاد إسلام فلا يمكن تركه على ذلك فلا بد تعلمونه يكف نفسه وإلا
فهو أبصر ويوجهه رأسه من هذا الظلم فيكف نفسه ولا بد وأما الكوشة فإننا أمرنا المركاتي
بإصلاحها فيطيبون الخبز في الكوش البلاد حتى يصلحها لكم لأن الفصل فصل شتاء وربما
يطول البناء والله يصلح الأحوال والسلام. من المعظم السيد الحاج أحمد باي وفقه الله بمنه

الحمد لله إلى المقام المعظم الأكمل أحنينا سيدي إبراهيم الخزناجي حفظه الله بمنه السلام
 عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد سيدي فالذي تعرفك به خيرا ان شاء الله أن قضية بوزيان بن
 العلي لما كان أعة الدائرة عندنا في العام الأول من حين انفصلت من عندكم وأنا ننظر في
 احواله فظهر لي منه فساد النية وخبث الطوية احتوى على جميع ما تحت يده من الرعية مطالب
 كثيرة لم يتصل بيدي منها إلا القليل وتحققت منه الخيانة وهتك الأمانة فربطته وألزمته بما عنده
 وجعلت عليه خطية فدفع لنا البعض وما ظل في الباقي ولما أرفقته بالطلب زعم أن الناس قعدوا
 عن معاملته وطلب منا تبديله إلى موضع آخر فاطلقته وجعلناه في علو الخليفة مطلوقا لا أوثاق
 عليه ولا حراسة وبقي هنالك إلى رمضان الماضي فجاءنا الخبر في وطن الحضنة أنه هرب هو
 وقريبه العربي واجتمعوا مع السماري عند [كذا] فصار مقورة يكاتب فيهم ويستغويهم حتى
 جاءوا إليه فجمع إليهم بن زكري الذي عنده وواحد من خدام وصار بين يوسف الذي هو مع
 الحاج سعد في جرجرة قادما إليهم ذاهبا وجاءيا وأنظر رعاك الله أن هذا ليس من شان الهارب
 وان ابن زكري في جرجرة وخديمه يأتي إلى فرجوة يشيع في الأخبار ويستجلب في الناس ثم
 أن أعظم الأمور وأشدّها فساد هو وليد رابح كان عام أول حين غزونا أولاد بورنلي بعث لهم
 وسهل لهم الأمر وجوزهم إلى الجزائر وهو الذي دبر عليهم وكذلك صارت مكاتبه في الوطن
 قال لي سيدنا الأغة كذا وكذا من ورجلة ذلك أنه بعث مكتوبا لقايد الساحل البابور يستدعيه وأنت
 سيدي تعرف أن هذا قايد على يدي وكيف يأتيه من غير إذني ولا إذن سيدنا الأغة وأن هذا
 الرجل أفسد علينا كثيرا ولو كان مشتغلا بنفسه ولا يبعث مكاتب لأحد فلا علينا فيه وها هو
 مكتوبه لقايد الساحل يصل إليك ونحن شاورناك إن ظهر لك خبر بذلك ولي نعمتنا فأخبرنا وإلا
 فكما يظهر لك وهذه المرة بلغنا أن مكاتبه مع مقورة بعث له أرسل بوزيان بن العلي ومن معه
 نجوزهم وبلغنا أنهم وصلوا إليه وجوزهم هكذا بلغنا وأنظر سيدي أي دخل له في هذه الأمور
 وأنتم وليتموني لإصلاح الوطن وتعينوني على من يفسد فيه وإن هذا وليد رابح يزعم أنه في
 باب صحيح وقبل ظهوره هل وقع شيء وأما إن كانت حاجة في الساحل فأنا نقضيها وأمر نوبة
 بجاية لو وصلت إلى ناحية زمورة لكان ارسالها أسهل علينا من كل شيء تمشي في أمان الله
 والحاصل سيدي أنني كتبت لك حتى تضررت كثيرا وهذا وليد رابح قد أفسد كثيرا ودخل في
 أمور الوطن وصارت أسرار سيدنا الأغة مفسية عنده وكتابه لا يخلو ذكر سيدنا الأغة وذكر
 أسرارنا ونحن عرفناك وشاورناك فالذي تشير به وتدبر به علينا يكون عملنا عليه وتأمل حفظك
 الله في أمر هؤلاء الهاربين لو كنت قاصدا في بوزيان شرا ما وجد سبيلا إلى الهروب وإنما هو

تمنع يريد يأكل ما بدمته وكذلك السماري وإلا فهل ربطناه أو لحقه شيء وأن الناس يعلمون ويتحققون أنه أخو الشيطان مهما تكن فتنته في القوم إلا وهو السبب فيها دائما وحين جاءوا إلى الجزائر سابقا هو السبب وكذلك هؤلاء هو ومقورة ورأس الأمر وليدو رابح ونحن عرفناكم بالواقع ولو أطلنا الكلام لكان فيه ثقل ولا كن سيدي الأمور كلها تعرفها أحسن منا ولا يخفى عليك شيء ووالله العظيم ورأس سيدنا ورأسك أنني ما خبرتك إلا بالواقع الثابت وما أخفيت تركت خوف الاطالة أكثر من هذا واللام من الفقير لربه ولدكم الحاج أحمد باي وفقه الله بمنه

وأعلم سيدي أنني كنت سابقا حين اجتمعنا في الدنوش وأطلعتك على مکتوب بوزيان وعلى الجريدة التي أكل من مال المخزن وأشرت علي أن نبيها سيدنا وخشيت هلاكه والآن وقد ظهر منه ما ظهر وأنت تعرف سيدي فإن من قبلنا كانوا عجزوا عن أداء اللزمة حتى ظن الناس أن ذلك لا يتم أبدا وأنا اليوم بهذا المال الذي نبعث هل وجدت كنزا نرفع منه وإنما هو كان في بطون الناس امتنعوا وتلدذوا وصار الذي يعطي العادة كأنه ظلم فيها وإنك عارف بالأمور إن حزمنا ونجاحنا إنما يكون بعدم الفساد في الوطن وإذا كان مثل هؤلاء لا ينكفون فيكون أمرهم في ازدياد ونحن في [كذا] فلا بد سيدي تدبر علينا برأيك المبارك وتفضل علينا برد الجواب الشافي كفاك الله ما أهلك في امر الدنيا والآخرة ثم نعرفك سيدي أن المرأتين اللتين قدمنا مع الوالدة فإننا أحسنا إليهما ورددنا لهما ملكهما وزدناهما إحسانا واستبشارا واستيناسا ولا نخفل عنهما ولا يروا منا إلا إحسانا وخيرا وكذلك سيدي [كذا] والله العظيم اني نبحت البحث الأكبر على ما يرضيك ولو وجدت الوصف الذي تريد ما تأخرت بها طرفة عين وخيرك علينا لا يعلمه إلا الله

وكذلك سيدي أن في علمك أن زرع أولاد منصور بن ماضي وغنمهم خرجت من راسي وحين نطلب أولاد الحاج يقولون حتى يعطي أولاد بورنان وأولاد بورنان حين نطلبهم يقولون حتى يعطي أولاد الحاج انحل الحكم علي ولا ندر ما نصنع هذا سيدي وأن بورنان ورأسك ورأس سيدنا أنه مند هرب من رمضان وهو يخاطب في ناس الوطن والقوم ويريد يعمل الفتنة مثل قضية المنماني مع السماري وأنا عالم بذلك وننظر في أمره ولا كن وقت الحاجة لم يجي في يده إلا وولاد بن زكري وأصحابه وهذا كله فساد صاروا يتحدثون ويقولون نحن نفسدوا عليه حتى يفلس وأنا سيدي عبد من عباد الله لا قوة لي إلا بالله وبحرمتكم فإن كانت حرمتكم تامة وأهل الفساد لا يرون خيرا فإن نقدر على أموركم وأما إذا فتح له باب فالنظر لكم والوطن وطنكم وصار الامر بيد أهل الفساد وأنتم تعرفون كل احد وما هو عليه من خير وشر وأنا ابنكم وخذيمكم والسلام

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
 مقام المعظم الأرفع الصدر الهمام الأنفع المنصور بالله تعالى المؤيد بنوره سبحانه
 السلطان المعظم الملاذ الأفخم الأكرم ولي النعم سيدنا حسين باشا الدولاتي أعطاه الله من خير
 الدنيا والآخرة ما يحب ويشاء أمين أمين. السلام التام والرضوان المبارك العام على حضرتك
 الزكية وطلعتك المبجلة المرضية ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ما دام الفلك وحركاته
 وبعد أعزك الله وأبقاك وسلمك ونصرك وحفظك وأيدك ورعاك فالذي يتصل بشريف علمك هو
 خير إن شاء الله إن خديمكم سي الحفصي بن عون قدم إلينا يوم تاريخه وخبرنا بأنه لما وصل
 إلى الشيخ محمد بن مطير بمكتوبك الكريم فتلقاه بالقبول وأذعن بالسمع والطاعة لسيادتكم وجمع
 ناسه وذلك بعدما قدم إليهم [كذا] وركب بنفسه في جماعته مع سي الحفصي ومضوا إلى القالة
 فوجدوا النصارى رفعوا ما فيه ولم يتركوا شيئا إلا ستة مدافع قديمة مطروحة في التراب من
 الزمان الأول وأما المدافع الجدد رفعوها فهدموا جميع ما بنوه جديدا حتى تركوه على ما كان
 عليه قبل البناء ووجدوا أكثر بنيانهم باللوح فأطلقوا فيه النار حتى انحرق وخرب وحرقوا ما
 وجدوا فيه من ألواح المعدة للبنيان وبعد أن فرغ من هذه وقضى حاجته فيه انصرفوا وهاهو ابن
 مطير المذكور وجه جوابا ل حضرتك العلية ونسئل الله تعالى أن يؤيدكم وينصركم بمنه أمين
 والسلام. من الفقير لربه سبحانه عبدكم وخدامكم الحاج أحمد باي وفقه الله تعالى بمنه. يوم الأحد

13 دي الحجة سنة 1242

تتمة خير ونحن سيدي وجهنا للشيخ محمد بن مطير فرس ومكحلة وبرنوس من عندنا
 والكل رزقك والله يمد لنا في عمرك وينصرك أمين.

ونعلمك سيدي أن المراكنتي خبرنا أن الرايس علي الغالوجي لما قدم في البحر من
 حضرتك العلية حاصره عدو الله الفرنصيص على بعد من راس الحمرا فهرب إلى ناحية [كذا]
 وبعث لهم رقاس من أهل [كذا] فوجهوا له زوج فلأيك بالعسكر وبسلاحهم والبحرية في البر
 بمكاحلهم أيضا وأتوا به إلى عنابة سالما غير أنه انكسر الصاري من شدة الفرتونة في البحر
 وهم يصلحون له في الصاري والحمد لله وإن الرايس طاف على الطباين وأن العادة أن باش
 طبجي هو الذي يتفقد أحوال الكرارط وغيرها وهذا الزمان الغارط لا حرص لهم على ذلك
 والآن إنهم يخدمون ويصلحون فيها وقد وجدوا ثمانية كرارط جدد بجامع قصبة عنابة ونحن
 أكدنا عليهم في الحرص وخدمة المعدوم منها وهاهو مكتوب من عند الديوان يصلك ذكروا أنهم
 جردوا جملة المدافع وبعثوهم لكم في جريدة والله يؤيدك وينصرك ويحفظك أمين أمين والسل

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
 أسعد الله تعالى بمنه مقام المعظم الأرفع الصدر الأنفع الأفضل الأكمل الأحصى
 الأرضى الأمدج الأرشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي أعزه الله وأيده وحفظه ونصره
 أمين . السلام الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ولا زائد بعد حمد الله جلت
 قدرته وتقدست كمالاته إلا الخير والعافية ونعم الله المتواليه التي نطلب من المولى الكريم رب
 العرش العظيم دوامها وبقاءها على سيادتكم العلية بكرة وعشية بجاه البرية سيدنا ومولانا
 محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية وبعد سيدنا أعزك الله تعالى فالذي يتصل بشريف علمك
 هو خير ان شاء الله أننا لما دخلنا المحلة المنصورة بالله تعالى يوم السبت الثامن وعشرين من
 شهر تاريخه بقتاق حمزة ورد علينا في ذلك اليوم مكتوبان اثنان أحدهما من عند علماء عنابة
 والثاني من عند ولد مركانتي خبرونا أنه دخل مرسى عنابة سكونه وكربيط قرصان فرنصيص
 وطلع لهم قنصر فرنصيص ووكيل الكبانية ونصاري فرنصيص ولما علموا بطلوهم طبعوا
 على ديارهم وعملوا لها تأويلا وهم واقعون على الحراسة ليلا ونهارا كما ذلك مبين في
 المكتوبين على ما فيهما ونحن وجهنا المركانتي وأوصيناه بكل شئى وأكدنا عليه في أمر العسة
 ليلا ونهارا وهذه الساعة عنابة وسائر الوطن في الأمان والهناء والعافية والحمد لله والشكر لله .
 وأما الحفصي فإنه بلغ لقسنطينة يوم الثلاثاء ولا شك أنه وصل إلى موضع الذي وجهناه إليه
 ومهما يأتينا خبر من عنده أو من عنابة نخبركم به على الفور ونسئل الله أن يبقي لنا وجودك
 وينصرك نصرا عزيزا ويدمر أهل الكفر ويؤيد الاسلام أمين والسلام من الفقير لربه سبحانه
 المتوكل عليه ابنكم ومقبل يدكم الحاج أحمد باي وفقه الله بمنه أمين . يوم 29 الأحد من دي القعدة

1242

تتمة خير أن سيدي كنا بيضنا مكتوبا لباي تونس ووجهنا مبيضة مع الحاج عبد الله
 الوكيل لتطلع عليها وتنتظر فيها فإن ظهر لك أن نكتبوا ما فيها فنعم أو تكون زيادة أو نقصان
 فالنظر اليك فما تخبرنا به يكون عملنا عليه إن شاء الله تعالى والسلام

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
 أسعد الله تعالى مقام المعظم الأرفع الأحصى الصدر الملاذ الأرضى الأكرم الأفخم
 الأمدج الأرشد ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا الدولاتلي أعزه الله وأيده وحفظه ونصره أمين
 السلام الأتم الشمال الأعم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه وتحياته ولازائد بعد حمد
 الله تعالى جل جلاله وتقدس عزه وكماله إلا الخير والعافية ونعم الله الضافية التي نطلب من
 المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقائها على سيادتكم العلية بكرة وعشية بجاه أشرف
 البرية سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية وبعد سيدنا أمك الله بالنصر وايدك بالفتح
 والظفر وحرسك بحرزه الكافي ووقاك بلطفه الخفي الوافي إنه بلغنا جوابك السعيد وخطابك
 الأكرم المجيد وحمدنا الله وشكرناه على عافيتك وسلامة ذاتك وعلما ما ذكرت لنا فيه وكتبنا في
 الفور للمركانتي وأمرناه أن يفعلوا ما أمرت به في كل مركب قرصان فرنسيس إن يبادروها
 بالرمي بالكور ولا يعملوا لها فمادة بل يرمونها ولا يمهلونها والله ينصر دينه ويخذل عدوه
 وكذلك الخليفة بعثنا له في الحين ومضى هو ومحلته وقومه حتى ينزل بالقرب من عنابة
 ويراصد أحوالها وأكدنا عليه في وصيتنا عليه أن يكون على أهبة لا يخفى عليه خبر عنابة لا
 ليلا ولا نهارا وكذلك الخزرجية الذين ذهبوا من قسنطينة فإننا جعلنا لهم أخبية على قدر كفايتهم
 وأجرينا مؤونتهم من بشماط وبرغل ودهان وزيت وبغال [كذا] وأجرينا لهم [كذا] وكل ما
 يحتاجون إليه وكتبنا للمركانتي بالتأكد أن يقف في امورهم ومهامتهم بحيث لا يخصهم شئ إن
 شاء الله وفي كل مكتوب للمركانتي نجرد له الوصية على أمر الحراسة ليلا ونهارا وهذه الساعة
 خبرنا المركانتي في جوابه إلينا العافية لابنكم أخينا الس ابراهيم وكيل باب الجهاد وجهناه له مع
 الحامل ويصل لحضرتك العلية مكتوب جاء من عند الوكيل بتونس ودمت في حفظ الله وأمانه
 وعافيته وستره ووقايته أمين والسلام من الفقير لربه سبحانه ابنكم وعبيدكم وخادم دولتكم ومقبل
 الكريمة قدمكم الحاج أحمد باي وفقه الله بمنه وأمه بعونه في 26 دي حجة سنة 1242

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
 اسعد الله بطول ايامكم وحفظ بعزه مقامكم ووالى بفضلته انفاقكم المعظم الاسعد الصبر
 الهمام الاضفر الامجد الانجد الكهف الاحمى الملاد الاسمى ولي النعم سيدنا حسين باشا
 الدولاتلى اعزه الله وايدى وحفظه ونصره امين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه
 العميم وتحياته ولا زايد بعد حمد الله جلت قدرته وتقدس كمالاته الا الخير والعافية ونعم الله
 المتواليه التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقائها على سيادتكم العلية
 بكرة وعشية بجاه اشرف البرية سيدنا ومولانا محمد عليه افضل الصلاة وازكى التحية وبعد
 سيدنا اعزك الله ونصرك وابقى وجودك وسلمك فالذي يتصل بشريف علمكم خير ان شاء الله
 اننا لما انفصلنا من وطن ريغة ونزلنا بقرب زانة غزونا من هنالك على فرقة العمامرة من جبل
 اوراس وانها سيدي فرقة عاصية لم يعطوا مطالبهم ولم تكن فيهم طاعة فاصبحنا عليهم في اليوم
 الحادي عشر من شهر تاريخه في جبلهم فمحننا الله النصر ورزقنا الظفر فقطعنا منهم ستة عشر
 راسا وجهناها لقسنطينة واخذنا لهم غنيمة جيدة وذلك خمسة عشر الفا وستماية 15600 غنم منها
 2000 كبش الفان اثنان واخذنا لهم من البقر ستة عشر مائة وستين راسا 160 من البقر و32
 هوير و17 ابل ورجعنا نحن وعسكرنا وقومنا سالمين غانمين والحمد لله تم استرحنا نحو يومين
 وغزونا من هنالك الى بلاد الحنانشة فاخذنا اولاد شيخ واولاد مسعود في الجبل فنصرنا الله
 عليهم فقطعنا منهم 11 احد عشر راسا واخذنا لهم اثني عشر مائة وستين راسا من البقر واخذنا
 لهم ثلاث عشرة مائة وعشرة شاة غنم و22 هوير وولينا في امان الله وحفظه ونزلنا بوطن
 الحنانشة نقضوا حاجتنا هنا كل ورجعوا ان شاء الله الى محلقتنا وهذا كله من فضل الله تعالى
 وبركتك ونحمده جل وعلا ونشكره الذي جعل سنجاكك منصورا حيث ما توجه والمطلوب منه
 سبحانه ان يمد لنا في حياتك ويبارك لنا في سنينك واعوامك وان يدل ويهلك اعدائك وان يشيد
 اركان مملكك ويرفع سلطانك وينصر راياتك واعلامك انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير وهو
 نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
 والسلام. من الفقير لربه سبحانه عبدكم وخادمك ومقبل فتمكم عبده الحاج احمد باي وفقه الله.
 اواخر صفر 1243

لاحقة خير هي سيدي حفظك الله اننا لما رجعنا من بلاد الحنانشة ذهبنا الى الدير عند
 الشيخ بلقاسم ولد يونس بعث لنا ونقضوا من هنالك مصالحننا ونخفقوا العافية في وطنك بحول الله
 وقوته واعانتته

هذا سيدنا اسعدك الله ومما يجب اعلامك به هو خير ان شاء الله انني لما ذهبت للغزو
 لبلاد الحنانشة جاءني الخبر الاول والثاني على ان اولاد زكري وابن نعمون ومن معهم قد
 عزموا على الهروب للشرق فبعثت من يبحث عن تحقيق ذلك فخبرنني انهم يقضون في امورهم
 وانهم داهيون للشرق من غير شك فبعثت لشيخ العرب وللشيخ بوزيان بن عاشور واعطيتهم
 التسبيح والامان على الرجوع الينا واوصيتهم ان يحدثوهم [كذا] ويعلموهم انه لا خوف عليهم
 ولكن لا يبقون هنالك وبلغني انهم في كثرة فاوصيت شيخ العرب ومن معه ان يذهبوا بخدامهم
 واتباعهم خوفا من غدرهم فذهبوا اليهم ووقفوا من بعيد وبعثوا اليهم خدامهم بالتسبيح والامان فلم
 يكن منهم جواب الا بالبارود فقتلوا اثنين من خدام ابن عاشور وجرحوا جماعة من خدام شيخ
 العرب [كذا] ضربوهم وقتلوهم ولم ينج منهم الا ثلاثة واحد من اولاد بن زكري واخو ابن
 نعمون والسماري الذي كان قايد جابري لا كن سيدي هؤلاء الناس كانوا خدامهم لحمزة ياتونهم
 بالاخبار تبلغ اليهم قبل كل احد وان سبب عزمهم على الهروب قالوا ان عمدتنا ومن عليه عملنا
 ومعملنا ذهب ولا بقاء لنا سنا وانا عبدك رايت من فسادهم ومخالفتهم وتغييرهم قلوب الناس
 وصبرت على ذلك كله الى هذه الواقعة نفذ فيهم حكم الله واراح منهم البلاد والعباد ولم يثني
 منهما احد خير لما يعلمه الناس من شرهم ونسئل الله ان يبقي لنا وجودك ينصرك ويحفظك امين

أسعد الله تعالى مقام المعظم الأرفع الأسمى والجناب الأنفع الحمى فخر الملوك الكرام
 المويد بالنصر والتمكين من الملك العلام المجد الوحد الهمام الأكمل الأفضل الأرشد ولي نعمتنا
 سيدنا حسين باشا الدولتلي دامت معاليه وطابت وحسنت أيامه ولياليه أمين أمين. السلام التام
 عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه ونفحاته وتحياته وبعد سيدي حفظك الله فالذي يصل
 بشريف علمك هو خير إن شاء الله أننا لما رجعنا من الناحية الغربية وتوجهنا القلبية قاصدين
 بلاد الحنانشة لإصلاح أمورهم والنظر في حال وطنهم بلغنا عن بعض من الجبابلية بوطنهم أهل
 عصيان وفساد وأنهم تمنعوا هذه الأعوام الفارطة فظهر لنا من الرأي أن نكسر شوكتهم زجرا
 لغيرهم فغزونا على فرقة منهم جبابلية يقال لهم المغانمة فأخذناهم ولم يبقوا بل لم يسعهم إلا
 الفرار فأخذنا لهم ستمائة وخمس عشرة رأسا من البقر وثلاثة وستين ما بين خيل وبغال وألف
 شاة غنم ورجعنا نحن وعسكرنا وقومنا في امان الله ثم بعد ذلك ظهرت لنا فرقة يقال لهم وشاتنة
 وموضعهم يرأس الدخلة بين بلاد الحنانشة والدخلة لا يغرمون لأحد لا للشرق وللحنانشة وان
 أهل تلك الناحية كلهم يشكون ظلمهم وبغيهم وإفسادهم وهروب والغرامة إليهم فاستعنا بالله تعالى
 عليهم وغزوناهم فأخذناهم أخذنا دريعا وقتلنا منهم وكان نجد اسم فرقة من رعية الحنانشة وهم
 أولاد ضيا تمنعوا هنالك أيضا فأخذناهم معهم فكان جملة ما أخذنا من الفرقتين ثلاثة عشرة مائة
 راس من البقر وأربع عشرة مائة غنم وثلاثين زائلة ما بين خيل وبغل ثم رجعنا لمحلنا قاصدين
 بلاد الحنانشة لآكن سيدي أيدك الله لا بد لنا أن نذكر لك أمر الحنانشة كنا في الصيف الماضي
 قدم إلينا الرزقي الحنانشي مع جماعته وبعثنا للحاج المبارك وتابعه وصالحنا بينهم بحضور يحي
 ءاعة وإنصرفوا من عندنا مصطلحين أما الرزقي لم يقطع رجله عنا وأما الحاج المبارك لم نر
 له وجها من يوم انفصاله من عندنا وبعثنا له فلم يات منهم أحد فاخترنا رجلا لم يسبق له مشيخ
 فشيخناه عليهم ووجهناه إليهم بكتابان بالأمان والعافية فلم يرجعوا ولما قصدنا بلادهم ضم الحاج
 مبارك جميع من معه من الحنانشة وجلب إليه ممن تبعه من الخراب الغرامة ورجل حتى نزل
 [كذا] وبلغنا أن هذه المرة الفارطة كلها وهو يرأسل ويكتب لأجل أن يدخل وطن الشرق فبلغنا
 أن باي تونس منعهم من ذلك وانه بعث إلى القياد الذين بقربهم وامرهم ان يمنعوا رعية الغرب
 ولا يتركون أحدا ساءت خلقهم وضاق ذرعهم وانسدت عليهم المسالك فاتفق قديم الوكيل سي
 محمود ذاهبا لتونس فامسكوه وتشبثوا به والزموه بالرجوع فرجعوا عن امرهم وانسلت الغرامة
 الذين كانوا معهم ورجع كل احد إلى بلاده وكان إمهالنا على الحاج مبارك ومن معه إنما هو

شفقة على الغرامة ولم نرض بافسادهم وتبدهم ولو كانوا فارقين من الغرامة لم نمهلهم والان
الحاج مبارك وجميع من معه نازلين قرب المحلة المنصورة بالله تعالى وانا ابنك وعبدك ننظر
في الوجه الذي يصلحهم ويعمر بلادهم فان ائصلحوا وظهرت طاعتهم ونصحهم وخدمتهم
للوفاق السعيد بنية كاملة فذلك هو المراد منهم وان بان وظهر منهم غير ذلك فانه لا يفوتنا
امرهم بل نقوم امرهم ونصلح ما افسدهم بعون الله تعالى وسعدك وبركتك وتأييدك ونصر
سجاقاك

اعلم سيدي أسعدك الله أن الرزقي من حين جاءنا وحضر بين يدينا لم يرخج عن طاعة
ولا غيب وجهنا مند وقع الصلح بينهم وإن الحاج مبارك وجماعته لم يقبلوا ولم يذعنوا بل لم
يظهر لي منهم نصح لا كن سيدي نحن تجاوزنا عليهم في ما مضى وصفحنا عن المور السالفة
وأمرناهم أن يستأنفوا بالطاعة وأن يبذلوا جهدهم في خدمة الوفاق السعيد وان نسل الله لهم
ولجميع رعية وطنك بإصلاحهم وهدايتهم والذي يظهر فيه نقص أو إفساد بعد هذا فيسعدك
نردوه ونقوموه ولا يجد وسعا كما كان سابقا فقد فاتهم ذلك إن شاء الله تعالى وهذا مما يحب
إخبارك به ان اهل هذه الناحية الشرقية التي بقربنا من حين نزلنا بمحلتنا قربهم وقع فيهم هرج
وحيرة وتحدثوا أن قدومنا إنما هو لأمر لا للحنانشة وان اهل الكاف جعلوا كل ليلة أربعين رجلا
يعسون على باب الكاف والله ينصرك ويذل بك كل معاند ومخالف ويبقي لنا وجودك أمين نحن
سيدي حسينا اصلحنا امر الحنانشة فإنا راجعون لقضاء حوائجنا عند غيرهم إن شاء الله تعالى
والسلام. من الفقير لربه ابنكم وخادمكم وعبد إحسانكم الحاج أحمد باي وفقه الله بمنه

أواخر 29 رجب الأحب عام 1242

تتمة خير وبعد، لما كتبنا الكتاب قدم إلينا الدائرة الذي ذهب مع وكيلكم السيد محمود
لتونس وأتى معه بجواب لسياتكم العلية يصلحكم مع هذا المكتوب جعل الله ورودهم عليكم ورود
خير وعافية.

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وسلم تسليما
 إلى حضرة المعظم الأرفع الأمد الصدر الهمام الأنفع الأوحد الأفضل الأكمل الأسعد
 الأرشد ولي نعمتنا سيدنا باشا الدولائي أعزه الله وأيده وحفظه ونصره السلام الكريم
 الطيب العميم عليكم ورحمة الله وتعالى وبركاته ورضوانه الشامل وتحياته وبعد سيدنا أكرمك
 الله بكرامته وورعك برعايته فقد بلغنا جوابك السعيد وخطابك الأعظم المجيد وأجل ما استفدنا
 منه سلامتكم التي هي المراد وعافيتكم ونعمتكم التي نطلب من الله لها الزيادة وعرفنا فيه عرفك
 الله أفضل المعارف والبسك من العز والنصر اسنى المضارب على أمر بوزيان بأن ما مضى
 فقد مضى وامرتنا ان نكتب له بالأمان وكذلك السماري ونحن سيدنا ايدك الله امثلتنا امرك السعيد
 وكتبنا له كتابين بالامان التام وان من امنته فقد امانه وتلك دار الناس كلها ومرجعنا جميعا اليها
 لا مخالفة لامرك ولا محيد عنه غير انني سيدي قد سبقت وصيتك المباركة اليها بان نعرفك بكل
 ما يظهر لي تم بعد ذلك فنظرك اصلح وذلك ان هؤلاء المخازنية العادة ان نلبسهم وتبقى اللفظة
 طلقاء في دمتهم ويرفعون بعد مدة لا في حين واذا كان من تبقى عيه بقية يتمنع والا فانك اعزك
 الله لو تامرني في بدل نفسي لبدلتها والله رقيب علي وان خديمك ووكيلك ونجم للدار الكريمة
 وبك ناخذ وبسعيك نضرب من خالف وعصا والله يجعلني فداك ويزيد من اعمارنا في عمرك
 وبقائك لنا هو منيتنا وسرورنا وفرحنا واما حساب سماري مع الوكيل فانه لا يمكن وذلك
 سيدي اني نخبرك بالامر الثابت على السماري كان ذلك العام قايد الجبابرية وقايد العشر وان
 جبابرية ازيد من ثلثية جابرة مع كل جابرة اثني عشر صاعا لكل قسنطينة واما العشر فقد جردوا
 فيه ذلك العام ثلاثة الاف وسبعمية جابرة على كل جابرة صاع قمح وصاع شعير بكيل قسنطينة
 وانه لما هرب وبعثنا لسطيف فكيلوا ما فيه من القمح فوجدوا اربعة عشر مية صاع وستة عشر
 صاعا قمحا لاغير بعد ان سلك الناس كلها وهذا من غير خدمته واما الشعير فانه غصب فيه
 الناس واخذه وهو اخضر قبل ينعه(بيسه) فوجدناه هلك ولم ننتفع منه لصاع واحد وما ذكرته لك
 هو بعلم الناس لازيادة فيه واما حسابه فانه لا يخفاك انه يرعى ان ذلك ماخذ ونحن نحتاج من
 يطوغ على الناس ويأتون بتداكره فيما اخذ منها ويحتاج في ذلك الى طول ايام حتى نجمع
 التداكر من الوطن ومرادي بهذا كله اعزك الله اعلامك بالواقع لان الوطن وطنك والرعية
 رعيتك والاحد بيدك والترك بيدك والذي تومنه فعليه الامان التام والعافية وما انم الا عبدكم
 وخادمك الله يمتعنا بطول حياتك امن يارب العالمين والسلام

من الفقير لربه عبدكم ومقبل كريمين بدمكم وقدمكم الحاج احمد باي وفقه الله في 16 ذي الحجة

الحاق خير وعلم سيدنا ايدك الله ان السماري يدعي انه خدم بشماط وهذا القمح الذي
اخذه في ذلك العام بل انه ان كان خدم شئنا فانه خدمه من القمح الذي وقت ذهاب محمد باي
نماني في ذلك الدنوش فانه ظهر كثيرا من الناس وتسلف من كثير من الناس والى الان لازالت
تداكر محمد باي عندهم بعضهم تسلفه من بعض الاتراك ومن اهل قسنطينة والدايرة وغيرهم
وكل ما ظهوره وتسلفه لم يرجع لاربابه الى الان ليكون في شريف علمك

اسعد الله تعالى لمنه حضرة المعظم الارفع الامجد الصدر الهمام الاوحد الافضل الاكمل
 الاحصى الارضى الارشد المحفوظ بالرعاية الملحوظ بالعناية ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا
 الدوكاتلي اعزه الله وايده وحفظه واعزه ونصره امن السلام الاثم الشامل الاعم عليكم ورحمة الله
 تعالى وبركاته ورضوانه وتحياته ولا مزيد بعد حمد الله تعالى جل ثناءه وتقدس عزه وكماله الا
 الخير والعافية ونعم الله الضافية الوافية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها
 واستمرارها على سيادتكم العالية بكرة وعشية بجاه خير البرية سيدنا ومولانا محمد عليه افضل
 الصلاة وازكى التحية وبعد سيدنا اعزك الله تعالى واطال بقاءك واتم نعمته عليك واحسانه اليك
 فقد بلغنا كتابكم الكريم صحبتته خدامكم الشاوش والاصباحية فنلقيناه بالتعظيم والاجلال وقبلناه
 وقراناه عجلتك المنصورة بالله تعالى الخاص والعام خبرتنا غيه ايديك الله ببشارة عظيمة
 ومسرور عميمة بزيادة المولود المبارك لمولانا السلطان الاعظم مالك رقاب الامم مازالت ايادي
 الله محفوفة بمقامه النصر والظفر ملازمان لعظيمحياته وان يجعله رحمة شاملة للمسلمين وشيقا
 قاطعا لرقاب الكافرين وقد حصل لنا فرح وسرور وانشراح وحبور فلعبت الخيل في ميدان
 السباق ورمينا البارود وضربنا الطبول وكان ذلك اليوم عندنا يوم عيد او موسم جديد استبشره
 الناس وفرح اولادك العسكر بزيادة الصابي وكتبتنا لاهل ملوك قسنطينة بالبشارة المذكورة وفرقنا
 مكاتبك السعيدة في الحين ومضى كل مكتوب لاهله والنوبة المذكورة فيه والله الحمد على ذلك
 وله مزيد الشكر ما (هنالك) لك والمطلوب من المولى الكريم رب العرش العظيم ان ينصر
 مولانا السلطان الاعظم ويؤيده ويرفع بسيفه كلمة الاخلاص وان يذل اهل الكفر ويمكنه من
 رقابهم كما نطلب منه جل وعلا ان يبق لنا وجودك ويحيط ذاتك الزكية ويخلد ملكك ويؤيدك
 بالعز والنصر ويمدك بالفتح والسعادة والبركة والظفر انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير وصلى
 الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما امن امن والسلام من الفقير لربه سبحانه
 عبدكم وخادمكم ومقبل الكريمة قدمكم الحاج احمد باي وفقه الله بمنه امن
 وذلك يوم الاثنين السابع والعشرون من جمادي الثانية 1243

الحمد لله حق حمد وصلى الله على سيدنا واله اجمعين

الى حضرة المعظم الارفع الاكمل الهمام الصدر الملاذ الافضل الاسعد الاوحد الاكرم
الامجد الارشد ولي نعمتنا سيدنا باشا الدولاتلي ادام الله اتعامه وعلقيته واکرامه السلام
العميم المبارك الجسيم يهدى الى مقامكم العظيم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه وتحياته ما
تعاقب الفلك وحركاته ولا مزيد بعد حمد الله جل ثناءه وتقدس عزه وكماله الا الخير والعافية
ونعم الله الوافية التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقاءها على سيادتكم
العلية بكرة وعشية بجاه اشرف البرية سيدنا محمد عليه افضل الصلاة وازكى التحية وبعد سيدنا
اعزك الله وايدك فالذي يكون في شريف علمكم وهو خير ان شاء الله انا كنا هذه الايام الفرطة
نراصد في انتهاز فرصة وافشاء غازية على اولاد سلطان وجعلنا عليهم عيوننا يشاؤونهم لنا
لكونهم حين ينزلون من جبلهم للوطا لا يستقرون في مكان خوفا وفزعا من الغزو وعليهم
وجاعنا شواقهم ذات يوم فركبنا لهم بعسكرنا وقومنا ولما صرنا في اثناء الطريق بلغنا انهم
اندرؤا وطلعوا بجبلهم ذات يوم فركبنا لهم بعسكرنا وقومنا ولما صرنا في اثناء الطريق بلغنا
انهم اندرؤا وطلعوا بجبلهم وتحصنوا فولينا عنهم واختفينا في كير تم اسرنا الليلة الثانية الى
فرقتين عاصيتين جبابلية بوطن سرج الغول ناحية الجوف ما يقرب ويلي جهة البحر وهما اولاد
زونداي واولاد سابع فاصبحنا عليهم يوم السبت الثالث من رجب فاخذناهم اخدا ذريعا واخذنا
لهم اربعة الاف غنم واربعماية راس بقر ومائة زائلة ما بين خيل وبغال وقطعنا منهم ستين راسا
واعتقنا منهم خلقا كثيرا وهذان الفرقتان عصاة سراق يقطعون الطرقات ويتعرضون للقوافل
وينهبون اموال الناس والشكاية بهم دائما وسعي الخلف عندهم يتصرفون فيه بالبيع والشراء
يفرح لاخذهم جميع الناس الذين باطرافهم ورجعنا وعسكرنا وقومنا سالمين غانمين ما عدي
اثنين من الخيل ضاعت وخرج اثنين من الدائرة الغالب سلامتهم ان شاء الله والحمد لله تعالى بكل
هذا بفضل الله وبركته وسانجافك بحول الله وقوته وفضله دائما منصورا حيثما توجه وبعثنا
رووس المذكورين لقسنطينة ردعا وزجرا لغيرهم من اهل الفساد والله يبقي لنا وجودك
وينصرك ويحفظك امن تم بعد رجوعنا من الغازية المذكورة بمرحلة جاءنا خير قدوم المعظم
المحترم السيد محمد شاوش وخدامكم سي الحاج العربي والاصبايحية ووجهوا لنا مكتوبك السعيد
ومعه تلك النسخة فقبلناه وقراناه وعلمنا كل ما ذكرت لنا فيه وحمدنا الله تعالى ولما قدم الينا
كتبنا مكتوبا لباي تونس على نحو ما في النسخة ومكتوبا للسيد محمود وجهناه في مكتوبه ايضا
وبينا له محصل ما خاطبنا به الباي ليكون على بصيرة في امره عالما متيقظا حاضر الجواب ان

سئل وبعثنا رجلا عاقلا مع سي الحاج العربي ومن معه يصحبهم في طريقهم واخذنا رجلا اخر اعطيناه المکتوبين بيده للباي ويذهب بعد ذلك مع السيد محمد شاوش يسير معه بالقناق حتى بلغ الجميع في امان الله تعالى وفهمناه على نحو ما ذكرته وامرت به في حين ياتينا جواب باي تونس نوجهه لحضرتك السعيد ان شاء الله والسلام عافيتكم وسلامة دانتكم من الفقير لربه عبدكم ومقبل الكريمة قدمكم الحاج احمد باي وفقه الله لمنه وامده بعونه من الخميس من رجب 1243

تتمة خبر ان المركانتى بعنابة خبرنا انه قدم باركوا من القرنة على عنابة ومعه مكاتب لابنكم اخينا المعظم السيد ابراهيم وكيل باب الجهاد وقد وجهنا تلك المكاتب مع الحامل جعل الله ورودها عليكم ورود خير وعافية امن امن

لاحقة خير هي سيدي مما يجب اعلامكم به انه رعبتنا التي كانت في الشرق رجع منها في هذه الخريف الماضي نحو التلاتماية بيت ونحن لم نخبر سيادتكم حتى حققنا امر رجوعكم بالحرث فحين رجعوا وحرثوا حققنا رجوعهم والحمد لله بل بعض من رعبتهم جاء لبلادنا وصبروا العافية والامن تراهم حرثوا في وطننا والبعض نحو النصف وازيد لازال هنالك في وطن الشرق ونحن سميناهم له في مكتوبه ليكون هذا في شريف علمك والله يحفظك ويسلمك ويكون معك حافظا وناصر اامين

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
أسعد الله تعالى بمنه مقام المعظم الأرفع الصدر الهمام الأنفع الأفخم الأكرم الأوحد
الأمجد ولي النعم سيدنا حسين باشا الدولاتلي أعوه الله تعالى وأيده وحفظه ونصره أمين السلام
الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه الشامل وتحياته وبعد سيدنا أمداك الله بالنصر
والسلامة والهناء والعافية والكرامة والذي أعرفكم به هو خير إن شاء الله انه وردت علينا
مكاتب من عند باي تونس وأمرنا وكيلكم بتونس الحاج عمار وذكر أن منها مكتوب من عند باي
تونس وأمرنا الوكيل في مكتوبه أننا نوجهها لحضرتك العلية في الوقت ولا نؤخرها ونحن سيدي
ساعة وصول المكاتب إلينا كتبنا لك هذا الكتاب ووجهناه إليكم وأما عدد المكاتب المذكورة
الواصلة لسيادتكم من عند الوكيل خمسة مكاتب ونسأل الله تعالى أن يجعل ورودها عليكم ورود
خير وعافية وأن ينصرك الله بنصره المكين ويهلك أعداء الدين ويبقي لنا وجودك محفوظا
منصورا بجاه من كلمته الغزالية وختمت به الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم
تسليما والسلام. من الفقير لربه سبحانه عبدكم ومقبل الكريمة يدكم الحاج أحمد باي وفقه الله
وقت المغرب من يوم 21 الجمعة من دي القعدة سنة 1245

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
 أسعد الله تعالى مقام المعظم الأرفع الصدر الملاذ الأنفع الأكرم الأفخم الهمام الجد
 الأحضى الأرضى الأرشى ولي نعمتنا سيدنا حسين باشا دولاتلى. أعزه الله ونصره أمين السلام
 الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه الشامل وتحياته وبعد. سيدنا أيدك الله وأبقى لنا
 وجودك بالذي يجب اعلامكم به هو خير انشاء للهنز أننا غزونا على النمامشة أولاد رشاش
 فصبحنا عليهم بالوطن المعروف بالمحمل من ناحية القبلة فمحننا الله نصره فأخذناهم أخذنا ذريعا
 وقطعنا منهم ومن الإبل 575 و 53 هوير و 33 بقر ورجعنا وعسكرنا وقومنا في أمان الله
 وحفظه واعلم سيدي أن النمامشة كان منهم فرقتين يقال لهم العلونة والبرارشة جاءوا لنا عام
 الأول وحزموا وجعلنا لهم قايذا وأعطوا ما عليهم وهم في الأمان والعافية وأما هذه الفرقة أولاد
 رشاش عصاة منافقين يقطعون الطرقات وياكلون أموال الناس ظلما ولهم مدة لم يعطوا شيئا من
 المطالب وبعثنا فلم يقبلوا ولم يعطوا فامكننا الله منهم بسعدك وسنجاك المنصور فأخذناهم
 وقتلناهم زجرا لغيرهم والحمد لله والشكر لله ونسئله سبحانه وتعالى أن يمد لنا في حياتك
 وعافيتك وتصرك وسلامتك فإنك ما دمت لنا بقية الحياة جعلني الله فداك ما عندنا إلا جميع
 الخيرات وتمام المسرات هذا سيدنا وقد بلغنا جوابك السعيد ومعه الققطان المجيد وحمدنا الله
 على سلامة ذاتك جعل الله عيدكم مبارك مرور هناعا وعافية وسرورا وهكذا كل عام يمر عليكم
 وأنتم طيبون أمننون فرحون مسبشرون. أمين السلام من الفقير لربه سبحانه المتوكل عليه
 المفوض أموره إليه عبدكم وخادمك ومقبل الكريمتين يدكم وقدمكم الحاج أحمد باي وفقه الله بمنه
 وأمه بعونه

أوائل دي الحجة 1243

والحاق خير هو سيدنا لما وجهت لنا جوابك السعيد ومعه الخبزتان كتبنا في
 الحين للديوان المنصور بالله تعالى ببلد عنابة وللسادة العلماء بها في شأن الخبز وبعثنا لهم خبزة
 من الإثنين فوققوا بأنفسهم على الكوشة التي يطيب فيها خبز النوبة داخل القصبه على حين غفلة
 حتى طاب الخبز وأخرجوه من التتور وبعثوا لنا من ذلك الخبز ولما عاينوا تلك الخبزة أنكروها
 واتفقوا على أنها ليست من خبز عنابة بل ذكروا أنها من خبز الجزائر يقال له الحراق وهي في
 الميزان ناقصة عن خبز النوبة في عنابة وطلبناهم [كذا] فذكروا أنهم لم يكن عندهم إلا ما يتداوله
 القياذ وهو الذي يأخذون به هذه الأعوام السابقة وعليه طوابع القياذ وأغوات النوبة ونحن وجهناه
 إليك لتطلع عليه ووجهنا لك أربع خبزات من خبز عنابة اثنتين من الأبيض واثنتين من الأحمر لا

كن سيدنا إن الكاهية وأدباشي والشاوش قد قدموا إلينا بالخبز المذكور واعترفوا بأن الحق
الحقيق أنه لم ينقص لهم شيء مما كان يأخذه من قبلهم كما في المذكور وزعموا أن ذلك لم
يكفيهم مدة شهر ومع هذا فإنهم يمسون أزف شهر ويبيعون أزف شهر من قمح وسمد وصابون
وحين جاوبناهم بذلك سكتوا ومرادهم يفضلون أزف شهر للبيع ويطلبون الزيادة لتكفيهم لشرين
ولو طلبوا منا شيئاً في ستر الله لم نخرجوهم إليه والآن أظهروا طلب الزيادة وخشينا أن يقتدي
غيرهم بهم وقد عرفناك أيدك الله بحقيقة الحال ومما هو مكتوبهم ومكتوب العلماء يصلاني
لحضرتك السعيدة ونظنك أصلح والمال مالك والرزق رزقك فالذي تأمرني به فالسمع والطاعة
لله ثم لك يا أمير المؤمنين وأني سيدي مجد وموكد على أمر العسة ولا يامنوا مكر أهل الكفر
دمرهم الله

واعلامك سيدي أننا كتبنا لباي تونس على مقتضى ما خبرناك به سابق وبعثنا في شأن
وصيف خديمكم ابن كانون وأكدنا في ذلك ومضى من عندنا في الثاني من دي الحجة وحين
يأتينا جوابه نعرفكم به إن شاء الله

تتمة خير إن القمح لا يبيع منه إلا ما وقع فيه تغيير كما أمرتنا لآكن سيدنا إن أمر القمح
منه إن شاء الله لأن ناحية عنابة لا يبقى خزيتها صحيحا وعندنا بقسنطينة جانباً صالحاً لكم ولنا
والله يجعل البركة سعدكم وأما أمر الشراقة فالذي جاء منهم على نظرنا وقبل بشرطنا ودخل
ووطننا نقبله وإلا فلا نقبل منهم أحداً والسلام

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

المقام الذي نطلب من الله أن يديم سروره وأن يقرن بالعافية جواره وأن يحف بالأطاف الخفية داته ويعمر في بحور السلامة أوقاته المقام المعظم الأسعد الصدر الهمام الأصعد الأفضل الأنجد الأرشد سيدنا حسين الدولاتي أدام الله عزه وإكرامه وبلغه من كل ما يجب مراده ومرامه السلام عليكم ورحمة الله الصافية وبركاته ورضوانه ونعمة كافية وبعد. سيدنا حفظك الله بحفظه وأيدك بسعادته وعنايته وبركته ونصره فالذي يجب به اعلامكم أبقا الله وجودكم وأدام عافيتكم وسلامتكم إن رجلا مالكي ببلدك قسنطينة قتل زوجته عمدا وقت الزوال من يوم تاريخه وهرب للنوبة بالقصبة فجاءنا أولياء الزوجة يشكون من أن هذه المرأة لها مدة أعوام عند زوجها وولدت معه نحو التسعة أولاد مات بعضهم وبقي البعض إلا الآن بقيد الحياة وشهد جيرانهم بالدار كلهم يعلمون ديناتها وبراعتها حتما وإنما كانت مع النسوة في صحن الدار حتى دخل زوجها فنادها فطلعت إليه للخرفة فقتلها وهرب فبعثنا إلى الديوان وأعلمناهم بأن هذا الرجل قتل نفسا عمدا وأن التجاوز عن مثل هذا يغري أضرابه من أهل الجسارة والفساد ويتجراً غيره ويستسهل الأمر من لا يخشى العواقب والصواب أن تتبعوا لنا هذا الجاني نستله ونبحثه عن السبب الذي قتل به زوجته أم أولاده التي هي معه مدة طويلة لم يظهر منها ربيبة فأحضروه لدينا على كره منهم وفي زعمهم أن ذلك حط في جانبهم فسالنا القاتل فزعم أنه وجد معها جاراً له مع أن الجار ثبت بشهادة أناس أنه وقت الواقعة هو معهم خارج البلاد يغسل في ثيابه في البوادي ولما أقر لدينا بالقتل ولم يثبت عندنا سبب يوجب قتل المرأة أمسكنا الرجل القاتل مربوطاً عندنا وعرفناك وشاورناك أعزك الله فإن ظهر لكم أيديك الله أن يجري أمره على حكم الله والشريعة المحمدية فذلك المراد وإن بان لك حفظك أن نجاوزوا عنه لهروباً للنوبة فإنه كرهوا إخراجهم من عندهم فالنظر لك أسعدك الله وأنت السلطان تعرف ورأيك أسد وأصلح فما تأمرني به نفعه وما تنهاني عنه نتركه ولا نخالفه ودمت رعاك الله في حفظ الله وأمانه ورعايته ولطف كلالته واحسانه والسلام من الفقير لربه سبحانه عبدكم وخديمك ومقبل الكريمة قدمكم الحاج أحمد باي وفقه الله

21 جمادى الأولى سنة 1243

الحاق خير واعلم سيدنا أعزك الله أن المعروف عندنا أن محل النوبة محسوب وليس هو بخراج وقد وقع لنا معهم قبل هذا هروب بعض الناس فعلوا دنبا دون القتل وجاوزنا عنهم وحيث وقعت جنابة القتل وخشنا أن يتجراً أهل الفساد ربطنا هذا القاتل خوفاً أن يهرب من عندنا وشاورناك ونظرك أصلح والسلام والرحمة والبركة على حضرتك السعيدة

الوثائق



الختم الخاص بأحمد باي
المصدر: ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 1642، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية،
الجزائر العاصمة.

الملحق رقم: (1)

الى حضرة العظمى الريف الاسعد الكهوف الملاذ الواحد الاصعد الاجد الهمام الاحرم
 الارشد سيدنا حسين باشا الاول تلى اعزة الله ونصوه امين امين السلام الاتم العليين
 الامع عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه وغيثه وامزيد بعد حمد الله الالخبير
 العافية التي نطلب من العرف العظيم دوامها وبقاها على سيادتكم العلية نجاء افضل
 البرية عليه افضل الصلاة والرحمة التحية وبعد سيدنا ايداي الله ورحاك فقد بلغنا كتابكم
 السعيد المبارك بحول الله وقوته الخريد عرفنا فيه بموادكم في امور دنوش القليلة وهو
 الرفق بنا وقت دنوش الخريف لتصل العواشي قبل الشتاء وقد علمنا ذلك ابنا الله لنا
 وجودك والرجوا من الله التسهيل والتيسير ليعود كل شئ في وقته الطوم المقرر
 المفهوم وسعدك ويرتكك تفضل الامور ويسهل كل عسير نجاء البشير ~~صلى الله عليه~~
 وعلى الله اهل النظر السديد وسالح التدبير هذا سيدي وان اليولاش الذي هو من عسكر
 تونس قد وصل البنا وفتح وجهناه يوم وسوله مع الكاتب التي وجهتها وهو يوم التلويح
 واكدنا في الايصاء والتحفظ به حتى يبلغ ان شاء الله بيد خديمكم الحاج عمار الوكيل على
 حسب ما امرتمونا به ونسال الله العظيم ان يبارك لنا في حياتك ويمدك بالسلامة
 والسعادة والنصر والتقين امين والسلام من الفقير لربه سبحانه عبدتم ومقبل الرحمن
 يدتم وقدمكم الحاج احمد باي وفته الله بتمته وذلك غرة ذي الحجة سنة ١٢٤٤ هـ
الحق خير وعافية ان خديمتم وامة احسانتم والذتنا الحاجة تقبل اياديكم
 الكريمة وعازمة لتمر يصلح الدعاء في عامة اوقاتها وان من امرها لما انفصلت من حضراتكم
 العلية وما غمرها من حرمتم واحسانك علمها مشايخ الوطن بنصيتك من
 الدراهم وبغمال ولم تطب نفسها باسماك ذلك والزمتني بارسال ذلك لحضرتكم
 السعيدة وترغب من كورم فضلك ان تفضل بقبول ذلك فالدراهم تبلغ مع هذا الكتاب
 والبغال وارادة بعده لان الحامل امرنا بالاعزم واما البغال فياتون بمهل بعد ذلك والله
 يمد لنا في حياتكم وعهدنا مع الله لا يخفى على سيادتكم شي لاننا عبديكم ومعالبيكم
 احسانك وما يسرنا الا ما يصل لسيادتكم فانه يحفضكم ويرعاهم امين وان الوارثة
 تهدى تم التحية والسلام على من شمله اهل مناركم المحفوظة بالله لا زالت ببقاء
 وجودكم واهاليكم معمورة وبارك فيكم وجعلنا فداءكم وسلمكم وخرسكم
 وهو ويرعاهم امين امين

رسالة من أحمد باي إلى حسين باشا

المصدر: ملف الوثائق العثمانية العثمانية، المجموعة رقم: 1903، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر العاصمة.

حفظ الله تعالى ذات المقام الرفيع والمقام الأرفع من نطلب له من الله دعوات
 البقاء وزيادة العز والارتقاء أعنى بذلك حضرة مولانا وروض مرعانا وغاية
 سنانا سيدنا ابراهيم وكيل الحج بباب الجهاد احسن امته اليه واوام عافيته
 عليه امين وبعد فالذي اعرف به السيادة ابدية نغلي لكم العز والسعادة هو
 انه قدموا الي صلفنا اوراق من المورة الى بعض الناس مورالية واخبروا على
 انه قبطانة باي في اوارني ومعه ٢٢٢ قفوف منع مولانا السلطان
 نصره الله ومعلم شقوف تونس وهم ينتظرون في قدوم السيد ابراهيم
 باشا من قلماطة وحين يقدم من قلماطة الى اوارني توجهوا الى المانية
 رينا ينصر السلطان وينصر عسائر الاسلام بحومة شفيح الابعام سيدنا
 ومولانا محمد عليه افضل الصلاة واخبر السلام وامام المعظم الرفع
 الصدر الهمام الامنع السيد قبطان باشا فهو ومن بقي معه من
 الوثائق المنصورة في مدتي يقول ان شاء الله بعد تاريخ الكاتب الذي
 قدموا الله اعلم متوجهها الى شملية وهذا ما عندنا من الاخبار عرفنا
 به السيادة ولكم طول البقاء وزيادة ورضى الله عنكم وارضاهم وحفظكم
 وحامهم ورجستم في امان الله وحفظه ورعايته وحت رداه سيرة
 والسلام التام في البداو الختام من خديكم مصطفى بن صابر الجزائري
 نايب وكيل محروسة الجزائر بتونس ربيع الثاني سنة ١٢٤٢ هـ

رسالة من مصطفى بن صابر نايب وكيل الجزائر بتونس الى ابراهيم وكيل باب الجهاد.
 المصدر: ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3027، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية،
 الجزائر العاصمة.

الملحق رقم: (3)

شرح الله صدره ورحم بالسيرور
 وسلمكم من جواب الدفوف
 حقا مولانا المعظم الاربع والعدد، الفهاج الامنع والملاذ والعز لملذ الاسما الجمع
 من بوجوده سطوة لاسلاع تعلموا وترددوا في الكفر والتفان بفوان من مزود
 صاحب الايات المنشورة والاعمال المنصورة المتوكل على جعل مولانا الامين
 سيدنا اليانسا حسيروا امت له الفعلا واسعدت له الاباح والقيام وبعد بالف ابره
 به السيادة ابد الله تعالى لك العز والسعادة فواته حذو والناد واور من السيد الحاج
 العديبي ومعهم جواب السيادة . . . في شمس التاريخ وكان عندنا في مواجد وان
 وارد او اما استعدت منه كحتر وسلامت التي هي غاية الفهد وبلونج المراد
 ادا مدعا عليك رب العباد وثانيا اسعدكم الزمان وادام لكم البطل والحد والاحسان
 كلما شرتكم لنا فيه وفيهنا وفيهنا وفيهنا وفيهنا وفيهنا وفيهنا وفيهنا وفيهنا
 جملة وكنا حيا للسيادة جواب مورخ . . . في شمس التاريخ وعرضنا فيه سما
 يجب تعريه وكذلك عيونا في حضور الفقيه المالكة ومعه رجل من الدولة
 يقال له محروبا في المساعدة التاريخ باق في المالكة وقد موام اكبر من سليله وحلنا
 على احوال العرنيسر وعلى العمارة التي كنا سعادتها سابقا لم عندكم في ذلك
 وكذلك الجوابات التي قد موامتكم بل اخرى وابشع الله تعالى اعلم كلنا سعادته
 كذب وبغض شنت الله شلمم وجعل الدائرة عليهم واما اسكتند ربه والترك لم فم
 احد منهم وما يسعدنا واياك خير او نعرف السيادة على الزايف على الميور في لافد
 التي بنا بالظلمة مكث هنا نحو الثمانية ايام ولم عظه شيئا من المونة وما من جبا
 السب اما خو ما عرفني العرنيسر بغضب عليهم ان على عدد ارسال الجوابات
 من الا وراهم التمسوا ما ذلك وقالوا لنا ما السب ما جتمع بالانتشار وقلت لهم
 لا علم اليه بذلك ولا نعرف ما السب واتاهم خبر من سليله من فم العرنيسر الذي
 كان يكره وقال لهم لولا ما وقعت في العرنيسر مع الجراي لكان السيد يحيى
 اغا فادع اليك وتحقق عندم ذلك والسيد مصلح ياي فيل التاريخ ثلاثة ايام
 ساير بجملة الصيف الزاجد وميل سوا عن فم الصادق او عمل العظور في
 الصائيد وهذا ما عندنا في منابه السيادة وعليكم السلام والتابع البدي
 والاحتام من خديتم وميل ايدكم على الدوام محمود بن امين السكة وكيلكم
 بقونس لخم العدد بالجميع ٢٥٠٠ ع ١٢٤٣

رسالة من وكيل الجزائر سي محمود بن أمين السكة إلى حسين باشا.
 المصدر: ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3205، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية
 بالحامة، الجزائر العاصمة.

الملحق رقم: (4)

جعلت الله بمنه ذاككم وعمر بالمسرات او فادلكم وجعل السنن والامان خلعكم وامانكم مقام
 العظم الامم مع الصام الانعم الواتق بالاعمال بما يشاء عبدي بيوتنا بحسين باشا يصر الله
 له من الخبير ما يريد وما يشاء سلام لكهيف الكهيف من التوسيم واعذبت من التوسيم
 ورحمة الله تعالى وبركاته مادام العلك وحركاته وما تليت، آيات الله وكلماته
 اما بعد ابعد الله كل ضيق وغربة ليعا كل مسرة وخير بالذ، يتصل بعلمكم
 الشريف وذهبتكم الابق النبيف هو خير ان شاء الله تعالى بان يوم التارخ وهو يوم النبي
 الثاني من شوال انا فتم التابليكان لمحلنا بضم ان يغبل علينا مبتا ولنا في الظلام الى ان قال
 لي فخيرك فخير فقلت له ما هو قال لي فخيرك وان فتم العرنيسيير الخ، وهو ان دعابتنونسي انزي
 تبرقه من بابي تونسير بد مع له علم كل باركوا الرعمانية ربال وشمس ربال تونسير الكحل
 واحد والحال انهم كانوا يكثرون تبرقة بباية ربال وشمس ربال تونسير وتكاتب مع الباي على
 ذلك مبعده ما كتبوا بينهم الكتباد، بعث فتم العرنيسيير الكامة فمنا صبي الاجناس ربال
 جلتهم فتم التابليكان وقال لهم ربال يد كعاد المرجان في بحر تبرقه وبع بحر الجزائر بد مع
 الى فتم العرنيسيير ما ينيب دورو على كل باركوا او بعث للملادك يا قواله بالبركوات والذ،
 يقع له شيء مع فرعان الجزائر انا فاس فيه ومنصورنا يجعل فرجانه وارذ كوشقه على جميع
 البركوات وقال لي فتم التابليكان بعث انت لاند وكيل الجزائر الى القاهر وقل لهم سمعت
 بكم زيدون الصبا دا في بحر الجزائر من غيري اذن سيدنا الباشا بالذ، به كعاد من غيري
 اذن يسونا يخرج له فرعان الجزائر وياخذ، بريرة او ياخذ من فخره بالجزائر والحال
 التي ما قدرت نبعث لاحد من غير اوك السعيد وعلى قول فتم التابليكان لا تذكرنا لاحد
 باي فقلت هذا الظلام اجعل كل كيك سمعته من موضع اخر فعدا يسونا وانه بلغنا وان فرعان
 العرنيسيير وقع بينه وبين فرعان العريكان فقال كبير في معونه ومات من العرنيسيير ومن الرتيان
 هذه اسمعنا والله اعلم وهذا ما عندنا في منابه السيادة ولكم طول البقاء وزيادنا وعليتكم
 السلام التام في البدا والختام من جد يكرم ومغبل اباديكم الكرام الحاج عمار وكيلكم نتونسي
 مع شوية شوال ١٢٤٤ هـ

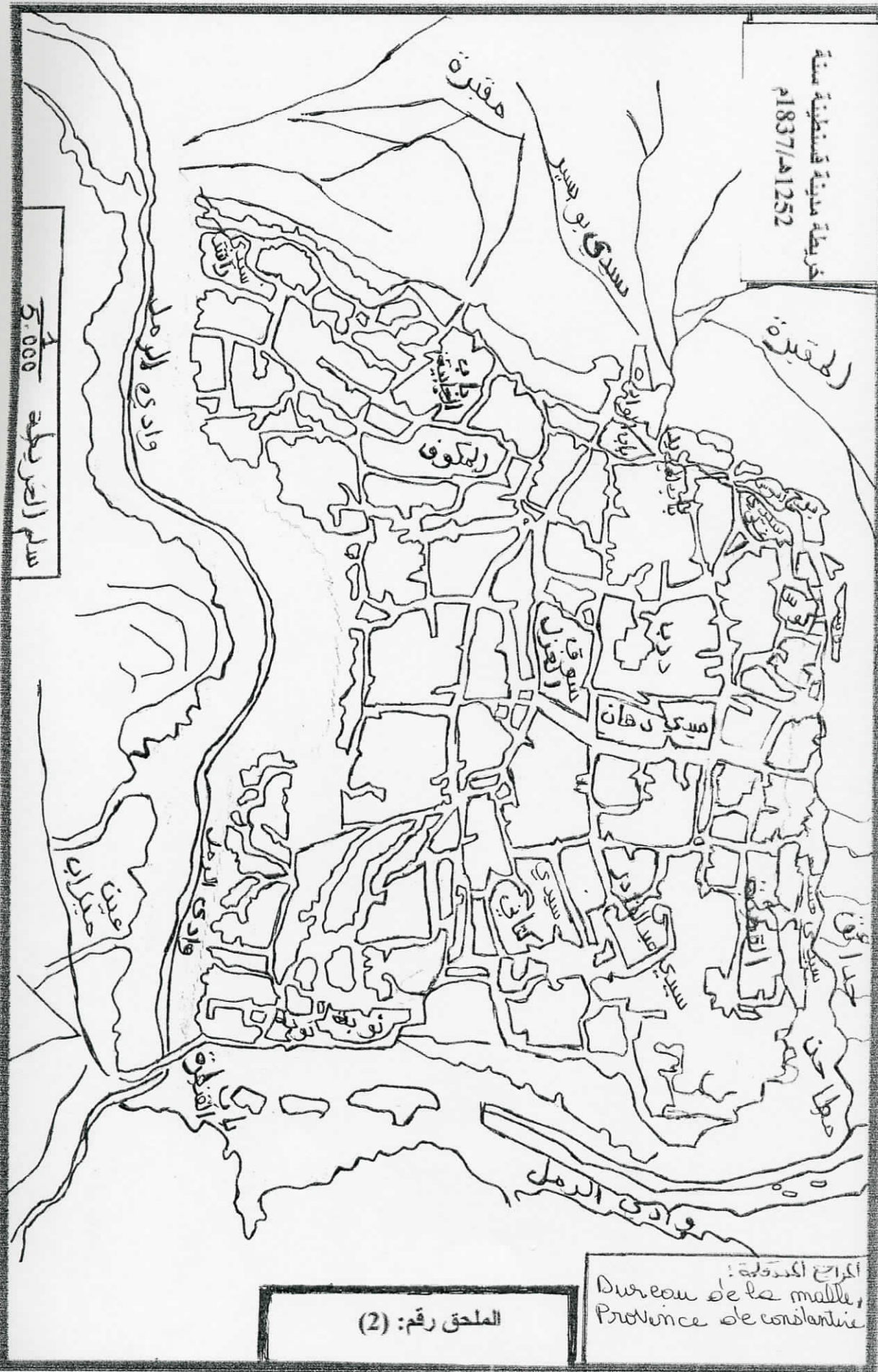
فعدا يسونا واتاد بعضنا الترمي المترب على المرحون الحاج حسين باشا ضاى دبعفته في اول
 رمضان وكتب لي الكرمي تذكره الخلام ولما كان يوم العيد ذهبت لتغبل على الباي
 فقبلت عليه وخرجت واذا بصاحب الفبايع نادي عليا واعلماني كل ما دبعفته
 للكرمي وقال لي فعدا هو سيدنا اعلمك ما دبعفته للكرمي لتصرف على نفسك في هذا
 العيد والحال يسونا، اخذته فار امرتني بان نرصد على نفسي بالله يكثر خيرك
 ويبارك لنا في ايامك وان امرتني فرحة، فكم اتا في نعمل والسلام ختام ورحمة
 الله تعالى بالدواع وثانيا يسونا، بانه لما يا قواله الجزائر في بلادك التي وكن انت مع
 المرحون الحاج حسين والاي في هذا الايام ما اتونا العمار ولا الخي عن قريب يا تنوار السلام

رسالة من وكيل الجزائر سي عمار إلى حسين باشا.
المصدر: ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3207، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية
 بالحامة، الجزائر العاصمة.

الملحق رقم: (5)

الخراطة

خريطة مدينة قسنطينة سنة
1837/هـ 1252م

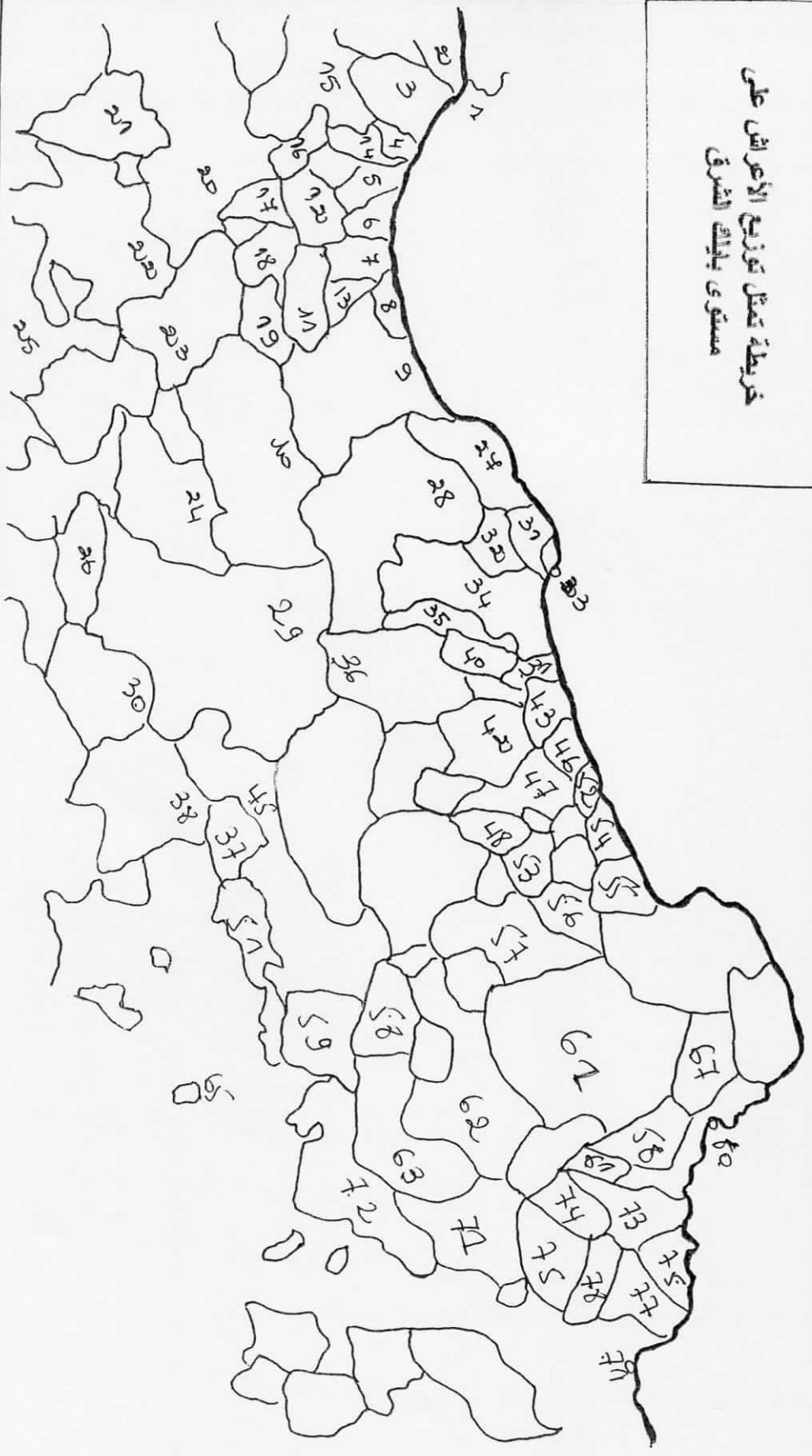


5.000
متر
الخطوط

المراجع الكندولية:
Bureau de la malle,
Province de Constantine

الملحق رقم: (2)

خريطة تمثل توزيع الأعراف على مستوى بلديات الشرق



الملحق رقم: (3)

المراجع المستعمل: خليفنة خنوف: الأعراف الصحراوية

(لموريطانيا)

رقم العرش و يظنر الحدود المقابل لموريتانيا

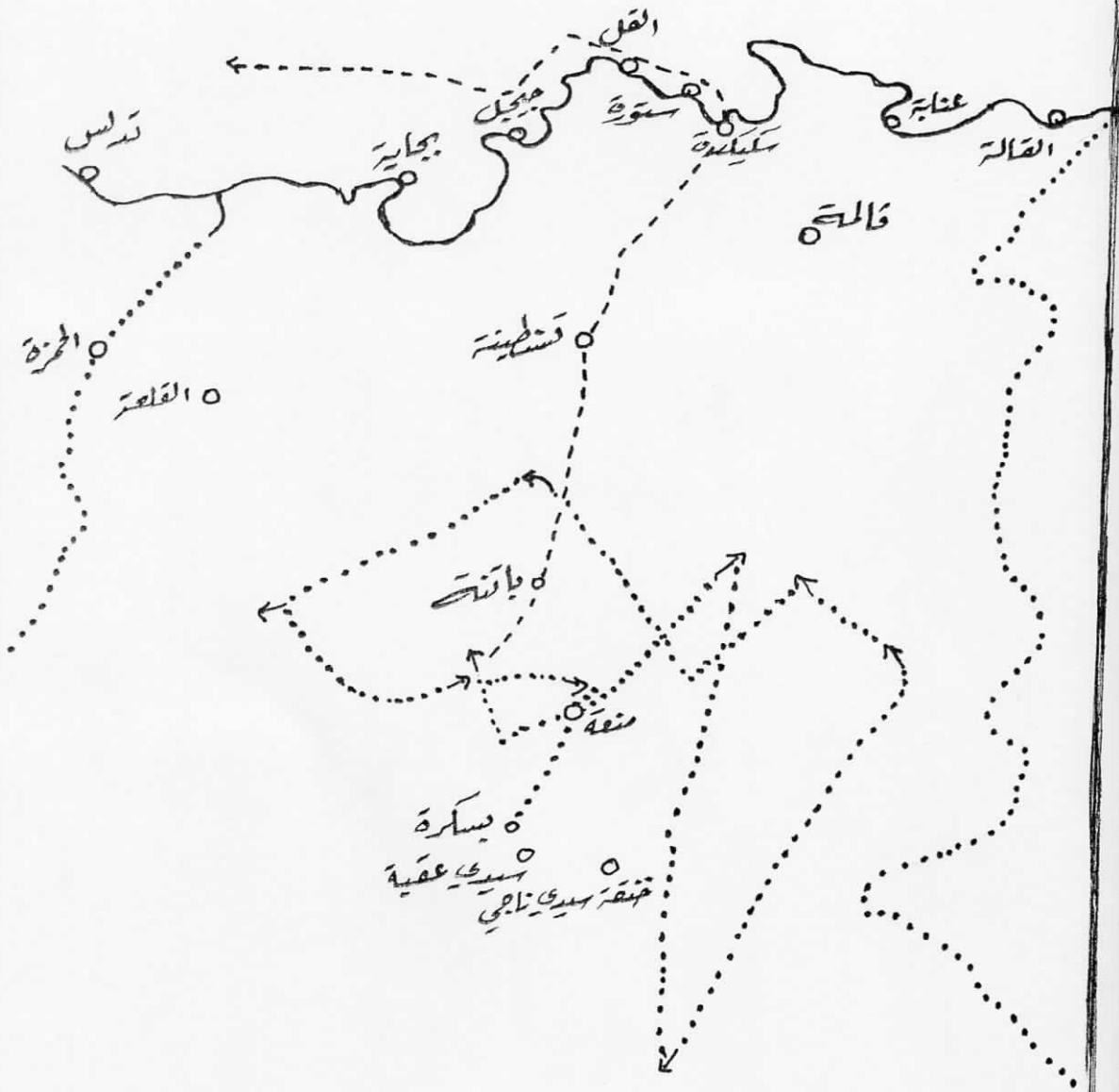
أسم هذه العرش

1

أعراش بايلك الشرق

5	آيت وطاس	4	بني عمروس	3	بني ميمون	2	بني مسعود	1	بجاية
10	بايور	9	تاباور منصورية	8	بني سغلال	7	بني حسين	6	بني محمد
15	بني سليمان	14	بني ملول	13	بني بويوسف	12	بني إسماعيل	11	بني فولكاي
20	ساحل قبلية	19	أولاد صالح	18	بني مرعة	17	جرمونة	16	بني تيزي
25	سطيف	24	الدهمشة	23	عموشة	22	أولاد نايت	21	قرقور
30	أولاد بوصلاح	29	فرجيوة	28	بني فوغال	27	لعوانة	26	بني مروان
35	بني خطاب	34	بني عمران	33	جيجل	32	بني أحمد	31	بني قائد
40	بني سيار	39	أولاد بلعفو	38	أولاد كباب	37	زغاية	36	بني عافر
45	عزل	44	زواغة	43	أولاد عسكر	42	بني يدر	41	بني معمر
50	بني خطاب	49	بني فتح	48	بني عائشة	47	بني حبيبي	46	بني صالح
55	بني فرقان	54	بني بلعيد	53	أولاد عواط	52	الجناح	51	ميلة
60	بني توفوت	59	أولاد عطية	58	بني تليلان	57	أولاد عيدون	56	مشاط
65	بني حميدوش	64	قسنطينة	63	عشايش	62	بني وليان	61	أولاد الحاج
70	علمة معسلة	69	بني إسحاق	68	بني صالح	67	بني بونعيم	66	بني إسحاق
75	معسلة	74	أولاد نوار	73	مجاغة	72	الثعانية	71	بني بشير
						78	سكيكدة	76	الزرامنة

المراجع المستعملة: خنوف علي، الأرياف الشمالية.



المراجع المستعملة : هذا كرات أحمد باي .
 المجلدات :
 رحلة أحمد باي مع يحي أغامان
 ضد بيتة الجزائر إيد قسنطينة لإسلام
 الحكم

الملحق رقم: (6)

الجداول
والرسومات
البيانية

أهم الأحداث التاريخية على عهد حسين باشا

<u>الحدث التاريخي</u>	<u>السنة الميلادية</u>	<u>السنة الهجرية</u>
ابتداء الخلاف الفرنسي حول الديون المترتبة على فرنسا نحو الجزائر قبل بيع الحبوب وتلاعب شركة بوخريص اليهودية.	1814	1229
ثورة أهالي ناحية جرجرة. - اغتيال الداوي علي الشريف. - إغارة القوات الأمريكية على الجزائر ومفاوضتهم الثانية للصلح.	1815	1230
خبيبة الانجليز والهولنديين في زحفهم ضد الجزائر.	1816	1231
- إدعان قبيلة فليسة. - اغتيال الداوي عمر. - الهجوم الإنجليزي على الجزائر	1817	1232
- إبرام معاهدة سلم بين الجزائر وتونس بعد خلافات ومنازعات سياسية والتي تدخل فيها السلطان العثماني، وانحسب الأمر برسم الحدود الإدارية بين البلدين.	1820	1236
- اندحار الانجليز أمام القوات الجزائرية.	1824	1239
- الحركة التيجانية المناهضة للسلطة العثمانية. تمرد عنيف في بلاد القبائل. مدينتي البليدة والقلبعة تنهاران وقبع زلزال عنيف.	1825	1240
- تعيينه للحاج أحمد بايا على بابك الشرق.	1826	1240
معركة نافرين. حادثة المروحة. - القوات الفرنسية تفرض حصارا بحريا على كل السواحل الجزائرية.	1827	1242
- استمرار الحصار البحري المفروض على السواحل الجزائرية.	1828	1244
- الهجوم الفرنسي على مدينة الجزائر واحتلالها لها. - استسلام حسين باشا وتوقيع الوثيقة. مغادرته للجزائر	1830	1246
- إقامته بإيطاليا.	1831	1247
	1833	1249
- استقراره بالإسكندرية.	1833	1249
	1838	1254
- وفاته بالإسكندرية.	1838	1254

الملحق رقم: (1)

جدول المكايل والموازن

استعمالاتها	ما يعادلها	أنواعها
		<u>(1)-الأوزان</u>
للماس	0,207 غ	القيراط
للذهب	4,669 غ	المنقال
للسلع والبضائع	797,435 غ	الرطل الفضي
للخضر والفواكه واللحوم والخبز	446,080 غ أو 506,880 غ	الرطل العطارى
للزبدة والتمور والزيت والصابون	614,340 غ أو 639,453 غ	الرطل الخضارى
للأوزان الثقيلة، وهو يختلف من مكان لآخر، فقطار مدينة الجزائر يساوي 130 كلغ مرسيلي، وقطار مدينة عنابة يساوي 120 كلغ مرسيلي	921,510 غ	الرطل الكبير
		<u>(2)-المكايل</u>
للزيت. وينقسم إلى: النصف - الربع - الثمن	0,075 ل	المد
ينقسم إلى: النصف - الربع - الثلث	16,66 ل أو 18,17 ل	القلة
ينقسم إلى: النصف - الربع - الثلث	48,80 ل	الصاع
	300 كلغ	القفيز أو القيسية

نقلا من: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 256.

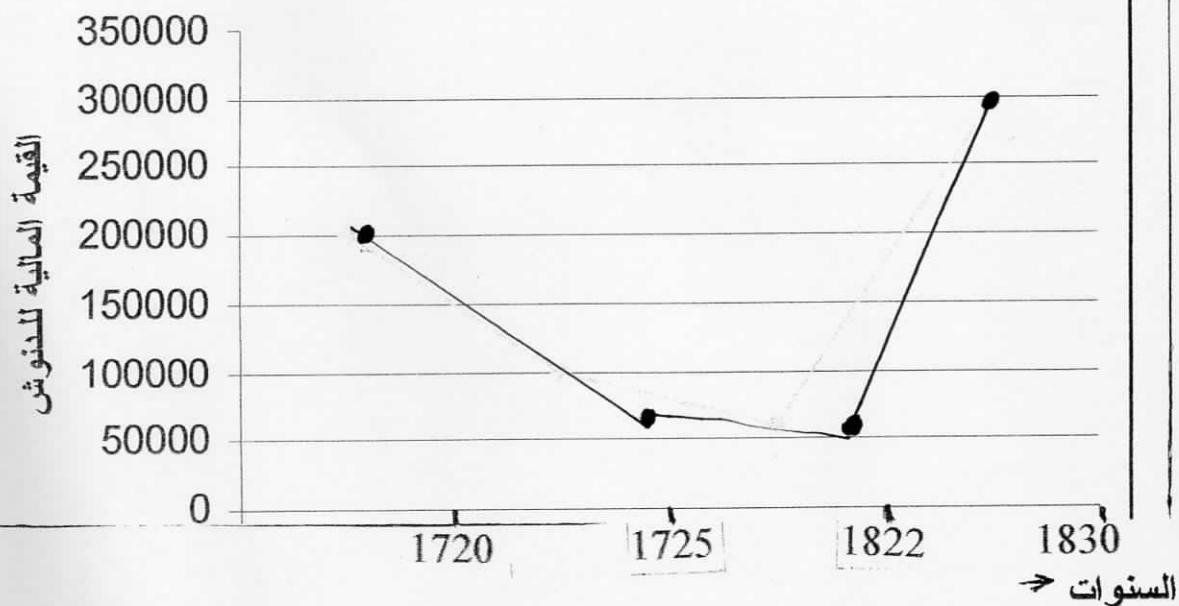
الملحق رقم : (2)

جدول يمثل تطورات الحالة الاقتصادية في بايكة الشرق

السنوات	1720	1725	1822	1830
حدوش بايكة الشرق	من 80.000 إلى 100.000	120.000 أو 300.000	60.000	249.150
من خلال تقرير	غاو	لوجي دوتاسي	خالبير	جيرار جان

نقلا من: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 102.

تطورات الحالة الاقتصادية في بايكة الشرق اواخر العهد العثماني



أهم الملاحظات المسجلة: من خلال عرض هذه القيم النقدية لندوش الشرق فإنه يتبين أن الوضعية الاقتصادية التي كان عليها بايكة الشرق على عهد أحمد باي مقارنة مع السنوات التالية: 1720-1822 كانت مزدهرة.

الملحق رقم: (3)

جدول خاص بالعملة الجزائرية مقابلة لل عملات الأجنبية المتداولة في الجزائر على
العهد العثماني

اسم العملة	الفرنك الفرنسي	الدولار الإسباني	العملة التونسية
السلطاني أو المحبوب	11	2,1	110
البياستر الفضي القسنطيني	3,85	0,73	38,5
الريال بوجه (البوجه)	3,3	0,63	33
النصف بوجه	1,65	0,315	16,5
الثلث (ثلث بوجه)	0,41	0,070	4,1
البيتاك شيك	1,1	0,21	11
الريال مجبور	1,5	0,27	15
الموزونة	0,13	0,02	1,3
الصايم	1,8	0,28	18

نقلا من : ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، ص: 71.

الملحق رقم: (3)

فهرس الأعلام

(أ) قائمة الأعلام العربية:

الحرف (أ)

- إبراهيم بن أحمد بن سعيد : 97.
 إبراهيم بن إسماعيل: 37.
 بن إبراهيم بن جلاب: 88.
 إبراهيم الكريتلي: 33-40-218-244.
 إبراهيم الخزناسي: 10-143-144-145-146-147.
 إبراهيم بن سليمان: 174.
 إبراهيم الشريف: 174.
 إبراهيم خوجة: 29.
 أحمد بن بوزيد المقراني: 45-119.
 أحمد بن حمزة: 10-77-221-223.
 أحمد المكي: 95.
 أحمد المملوك: 30-88.
 أحمد النبيري: 17.
 أحمد العباسي: 32-51-101.
 أحمد القلي: 18.
 أحمد القبائلي: 88.
 أحمد بن علي بن جعدون: 24.
 أحمد بن الشريف بن بو عبد الله: 114-119.
 أحمد بن عبد السلام: 85-86-245.

الحرف (ب)

- بقاسم ولد يونس: 131.
 بوزيان بن عائور: 89-131.

بوزيان بن علي: 32-60-93-119-141-146-212.

بلحاج بن غانة: 41.

الحرف (ج)

جعفر البرتيكي: 88.

الحرف (د)

دايخة بنت الشيخ بن بوزيد المقراني: 19.

بن دراجي بورفان: 46.

الحرف (هـ)

السيد الهواري: 53.

الحرف (و)

ولدو رابح: 146.

الحرف (ز)

زرق عينو: 19.

الحاج بن زقوطة: 34.

بن زكري: 131.

زين بن يونس: 42.

الحرف (ح)

حمدان بن أمين سكة: 236.

حفصي بن عون: 163-164.

حسين باي تونس: 178-180-183.

بن حسين بوحنك: 18.

حسين بن مرابط: 177.

حسين بن علي بن خوجة: 2-3-4-5-8-10-11-12-13-14-23-24-27-33-48-

49-60-68-73-75-76-78-95-101-139-140-141-143-144-145-148-150-

-183-181-180-178-164-163-160-159-158-157-156-155-152-151-
 -234-233-232-230-228-225-221-217-205-201-200-197-195-192
 .246-244-239

حسین بن موسی: 148.

الحرف (ط)

طاهر بانسا: 181.

الحرف (ي)

یوسف القرماني: 20.

یحی آغا: 218-146-145-144-143.

الحرف (ك)

كامل باي: 236.

الكنوري: 85.

الحرف (م)

الحاج مبارك بن أحمد بن علي: 51-41.

محمد أمقران: 95-92.

محمد بن جلاب: 88.

محمد بن مطير: 165-164-163.

محمد الميلي: 29.

محمد باي المنماني: 218-82-73-69-47-27-4-3-2.

محمد بن مراد الرابع: 48.

محمد بن المسبح: 102.

محمد علي: 16.

محمد بن العربي: 184.

محمد بن عثمان الكردي: 56.

الحاج محمد رايس: 183.

محمد بن قارة: 215.

محمد بن غانة: 132.

بن محمد الصغير: 97.

سي محمود بن أمين سكة: 175-180.

محمد جافر: 2-3-10-218.

محمود الطنجي: 182.

محمود خان الثاني: 20.

السيد المكي: 62.

أبو منصور عمار الشريف: 51-201.

مراد بوبالة: 174.

محمد الفكون: 33.

مصطفى بن الأبيض: 31-70-192.

مصطفى إنقليز: 193.

مصطفى بن محمود: 53.

مصطفى بن صابر الجزائري: 178.

مصطفى بومرزاق: 147-148.

مصطفى خوجة: 54.

مقورة بن عاشور: 45-46-119-138-212-213.

الحرف (س)

السماري: 68-69-93-119-131-141-209-210.

القايد سليمان: 4.

الحرف (ع)

الشيخ بن عبد الله: 147.

أبي عبد الله السيد محمد: 100.

- عبد الكرم الفقون: 95.
 عبد السلام: 85.
 عبد القادر المدانى: 62.
 عبد القادر بن مختار: 62.
 عبد الرحمان الثعالبى: 22.
 الشىخ بن عز الدين: 132-89.
 العز سى محمد الصالح: 97.
 عىشوش بنت عبد السلام: 245-86.
 الحاج عمار بن زقزقة: 181-178-177-176-175.
 بو عكار بن عاتور: 211-132-86-40.
 على باشا: 15-14.
 على بن إىصار: 31.
 على المىورقى: 181.
 على القالوجى: 166.
 سى على بن عىسى: 178-177-176-34-30.
 على الشرف: 233.
 على خوجة: 234.
 عمر باشا: 3-2.
 الحاج العربى: 183.
 العربى بن نعمون: 133-132-131.
 العربى بن عىسى: 50.
 العربى بن بوضىاف: 38.
 عشمى باشا: 77.

الحرف (ف)

ابن فتح الله: 51.

فرحات بن سعید : 40-67-68-84-87-88-118.

الحرف (ص)

صالح باي: 88-97-105-106.

صالح بن قندوز: 85-86-105.

صالح رايس: 17.

الحرف (ق)

قارة حسين: 17.

قليان حسين: 173.

الحرف (ر)

قبطان رايس: 16.

رزقي بن المنصور الحنانشي: 41-42.

رمضان باي: 17.

الحرف (ش)

بن شنتوف: 88.

شريفه بنت غانة: 19-84.

الحرف (خ)

خير الدين بربروس: 17-93.

الحرف (غ)

ابن غانة الشريف: 19-84.

الشيخ بن غانة: 87-89-132.

ب) قائمة الأعلام الأجنبية

الحرف (أ)

أوق دي نيلي: 11.

ألكسندر دوفال: 156-162.

الحرف (ب)

ب. هيرارين: 5.

بيار دوفال: 152-155-156-157-158-160.

الحرف (د)

دوفلوكس: 221.

دي طوط: 14.

دوماس: 158.

الحرف (هـ)

هنري الرابع: 151.

الحرف (ل)

لويس الثامن عشر: 154.

الحرف (م)

مسينيما: 16.

الحرف (س)

سيزار: 16.

الحرف (ق)

قايس: 186-187.

قسطنطين: 16.

الحرف (ش)

الملك شارل العاشر: 154.

فهرس القبائل

(أ) فهرس العائلات

الحرف (ج)

عائلة بني جلاب: 83-84-88-105.

الحرف (ح)

عائلة الحناوي: 42.

الحرف (م)

عائلة أولاد مقران: 83-84-120-245.

عائلة بن مومن: 99.

الحرف (ع)

عائلة بو عكار بن عاشور: 84-86-88-90-118.

عائلة ابن عز الدين: 83-87.

الحرف (ف)

عائلة الفكون: 94-99.

الحرف (ش)

عائلة بوشنتوف: 88.

الحرف (غ)

عائلة بن غانة: 19-83-84-87-88-90-105-117-120-211-245.

الحرف (ض)

عائلة بوضياف: 38-105.

(ب) فهرس القبائل

الحرف (أ)

أولاد إبراهيم: 39-112-214.

أمزينة: 237.

الحرف (ب)

أولاد بييري: 92.

أولاد بوحوالة: 38.

أولاد بورنان: 105-86-85.

أولاد بلال: 213.

البرارشة: 136.

برباشة: 92.

الحرف (ج)

أولاد جلال: 237-43.

الحرف (د)

الدواودة: 237.

أولاد دراج: 212-137-39.

الحرف (هـ)

هاشم: 112.

الحرف (و)

واسين: 237.

وبنووليان: 237.

بنو وفتين: 94.

وساطة: 39.

وشنتاة: 134.

الحرف (ز)

زواوة: 65.

زواراة: 245-132-120-89-87-86-72.

زواغة: 44-39-28.

أولاد زيان: 38.

أولاد زكري: 43-70-138.

أولاد زناتي: 28.

الزمالة: 214.

الزمول: 28-38-133.

الحرف (ح)

أولاد الحاج: 58.

أولاد حديدجة: 118.

حنانشة: 28-41-117-129-132-133-134-213.

حراكتة: 28-37-38-54-129-202-203-244.

الحرار بن ناصر: 24.

الحرف (ي)

أولاد يزيد: 118.

أولاد يحي بوطالب: 28-46.

عرش بديل: 243.

أولاد بلس: 115.

بنو يفرن: 237.

الحرف (ك)

كتامة: 236.

الحرف (ل)

لمامشة: 213.

الحرف (م)

بني مايدة: 53.

أولاد ماضي: 108-237.

أولاد مبارك: 184.

مجانة: 29.

بنو مهنة: 214-39.

بنو مومنين: 38.

أولاد موصللي: 115.

بنو مز غنة: 12.

أولاد محمد: 236.

أولاد مسعود: 131.

عرش بني مسعود: 95.

المعافر: 38.

أولاد مقران: 119-105-44.

بنو مروان: 137-213.

المخازمة: 237.

الحرف (ن)

أولاد نايل: 108.

أم نايل: 112.

نهذ: 187.

أهل النور: 118.

نمامشة: 139-136-135-129-107-105-97-82-37-28.

نمامشة الغرابية: 43.

الحرف (س)

السالمية: 118.

السبانية: 203-202-133-128.

أولاد سحنون: 212-119-115-114-108-95-28.

أولاد سلام: 85.

بنو سلين: 236.

أولاد سلطان: 143-135-113-28.

أولاد سعيد: 237-136-38.

الحرف (ع)

عامر: 237.

عامر شرافة: 197-39-28.

أولاد عاشور: 105.

عباد: 44.

بنو عباس: 241-44.

أولاد عبدي: 105.

أهل واد عبدي: 38.

أولاد عبيد: 97.

أولاد عبد النور: 214-203-202-110-38-29.

أولاد عبد الله: 92.

عجيسة: 237.

عزاب بكار: 214.

أولاد عيسى: 54.

العلانة: 136.

أولاد علوين: 110.

أولاد علي: 122.

أولاد بن علي: 118.

علمة مصالح: 46.

عباد: 236.

عمار عزابة: 39-29.

العمامرة: 38-130.

الأعشاش: 38.

الحرف (ف)

أولاد فارس: 237.

أولاد فاضل: 38.

فليسة: 176.

فرجية: 28-45-119-132-213-245.

الحرف (ص)

أولاد صاولة: 118.

الصحاري: 43-107-108-118-247.

صنهاجة: 237.

الحرف (ق)

العرب القبالة: 47.

أولاد قنوز: 85.

الحرف (ر)

ريغة القبلة: 44.

ريغة الظهرة: 44.

الحرف (ش)

الشاوية: 237.

الحرف (ت)

التلاغمة: 37.

الحرف (خ)

سببى خالء: 43.

الحرف (ذ)

أولاء ذباب: 216.

الحرف (ض)

عرب الظهارة: 47.

فهرس الأمان

(أ) - فهرس الدول والمدن

الحرف (أ)

- أوارين: 180.
 أزمير: 13-182.
 إيطاليا: 16.
 إنجلترا: 16.
 الأناضول: 15-18-19.
 إسبانيا: 188.
 آسيا: 13.
 اسطنبول: 14-181-253.
 الأوغااط: 205.

الحرف (ب)

- عين بابر: 201.
 بجاية: 28-36-117-124-201-222-243.
 بورلة: 13.
 البيض: 205.
 بلزمة: 43-213.
 بليدة: 145.
 بسكرة: 28-43-77-78-107-108-118-205-212-222-247.
 بوسعادة: 205.

الحرف (ج)

- مدينة الجزائر (دار السلطان): 3-4-5-11-12-13-14-16-21-54-55-75-103-
 132-144-147-159-171-173-177-178-179-182-183-193-194-195-
 201-203-204-214-218-219-220-221-225-227-228-230-231-233-

.256-255-252-237-235

جيجل: 95-92.

الحرف (و)

وهران: 188-27.

ونوغة: 143-142-117-17.

الحرف (ز)

الزاب الشرقي: 88.

الزاب القبلي: 88.

الزاب الظهري: 88.

الزاتة: 130.

جزيرة زبيرة: 147.

الزيبان: 211-88-87.

زمورة

الحرف (ح)

بوحمزة: 201.

برج حمزة: 214-142-204-17.

الحضنة: 211-39.

الحرف (ط)

قصر الطير: 45.

طرابلس: 215-180.

الحرف (ي)

برج يسر: 112.

الحرف (ك)

الكاف: 204-184-19.

كولنو: 18.

الحرف (ل)

لئفرون: 16.

الحرف (م)

مازونة: 27.

مالطا: 181.

مجاز الرسول: 201.

مجانة: 145-142-105-84.

مدجانة: 213-85-44.

المدينة: 26.

الميلة: 214.

بنو مسوس: 13.

مستغانم: 74.

معسكر: 27.

مصر: 20.

مرسيليا: 181-180.

المغرب الأقصى: 171-27.

الحرف (س)

سباو: 13.

السويد: 180.

سور الغزلان: 147-134.

سطورة: 113.

سطيف: 143-113-44.

سيرته: 16.

سكيدة: 201-66-39.

الحرف (ع)

عناينة: 28-142-143-153-156-161-162-163-166-167-168-169-170-
171-176-177-185-193-194-196-215-216-221-222-223-224-238-247.

الحرف (ف)

فاس: 204.

فكيناك: 204.

فرجيوه: 46-65-86-89-105-137-138-211-241.

فرنسا: 150-151-152-153-154-159-167-171-172-186-187-188.

الحرف (ق)

القاله: 156-157-161-164-166-187-196-224-238.

القل: 17-19-196-222.

قسنطينة: 2-4-5-12-16-17-18-28-31-33-34-35-36-41-50-52-56-60-

69-72-85-87-98-100-101-102-103-107-116-120-132-133-134-236-

143-174-177-185-186-187-188-192-194-197-200-203-204-209-

210-218-221-222-228-229-234-236-254.

قصة: 204.

قرومة: 176.

الحرف (ت)

تافيالنت: 205.

تبسة: 46-214-222.

تونس: 119-150-151-172-173-176-177-178-179-180-181-183-184-

185-186-187-188-189-196-200-204-205-215-239.

تيطري: 26-147.

نقرت: 66-88-105.

تشنا قلعة: 13.

ب- الزوايا والمساجد

*- الزوايا

الحرف (ز)

زاوية زواوي: 93-132.

الحرف (ع)

زاوية عبد الرحمان الثعالبي: 21.

الحرف (ف)

زاوية فتنس: 97.

*- المساجد

الحرف (ك)

جامع الكبير: 35.

الحرف (ر)

جامع رحبة الصوف: 52.

الحرف (ص)

جامع القائد صفر: 15.

(ج)- الجبال

الحرف (أ)

الأوراس: 19-20-37-38-43-44-111-120-123-129-130-136-
137-198-214.

إبنوغ: 196.

الحرف (ب)

جبال البابور: 105-241.

البيبان: 29-89-105-147.

الحرف (ج)

جبال جرجرة: 17.

الحرف (ط)

جبل بوطالب: 114.

الحرف (ش)

جبل شطابة: 132.

(د)-الأودية

الحرف (ب)

وادي بومرزاق: 192.

الحرف (ز)

وادي الزناتي: 193.

الحرف (ح)

وادي الحمام: 209.

الحرف (ك)

وادي الكبير: 193.

الحرف (م)

وادي ميزاب

الحرف (س)

وادي الساحل: 212.

وادي سييوس: 196-214.

الحرف (ص)

وادي الصمام: 236.

وادي الصفصاف: 46.

الحرف (ر)

وادي ريغ : 19-195.

وادي الرمل: 72-192.

قائمة

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

(1)-المصادر المكتوبة باللغة العربية:

(أ)-المخطوطات:

1-حسن بن مصطفى الترجمان، كتاب ذكر أيام الدايات والبايات والباشوات بتونس وأسمائهم وكم لبث كل واحد منهم، مخطوط رقم: 1618، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر. (41 ورقة).

2-محمد أبي سرور البكري الصديقي، فتح الرحمانية في الدولة العثمانية، مخطوط رقم: 1651، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

3-أبوراس الناصري، عجائب الأخبار في لطائف الأسفار فيما جرى بوهران والأندلس للمسلمين مع الكفار، مخطوط رقم: 3182، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر. (132 ورقة).

(ب)-الوثائق الأرشيفية:

*-المكتبة الوطنية . الحامة . الجزائر العاصمة:

4-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 1641.

5-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 1642.

6-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 1646.

7-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3190.

8-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3204.

9-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3205.

10-ملف الوثائق العثمانية، المجموعة رقم: 3206.

*- مكتبة القاضي السيد محمد . غليزان:

11- وثيقة تعيين قاضي، غير مرقمة.

(ج)-المصادر المطبوعة والمحقة:

- 12- الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، حققه ونقله من الفرنسية: محمد حاج صادق، مطبوع في بلجيكا، د مط، د ط، 1983. (219 صفحة).
- 13- أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، الناشر: عالم الكتب، د ط. (صفحة 125).
- 14- الزباني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978. (289 صفحة).
- أحمد بن مبارك بن العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، تحقيق: رابح بونار. د مط، د ط، (89 صفحة).
- 15- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، د ط. (477 صفحة).
- 16- الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر (نخائر المغرب العربي)، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 2. (196 صفحة).
- 17- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، السنن، دار الحديثين القاهرة، مصر، 1408هـ/1988م. (334 صفحة).
- 18- هاينرش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1980. (270 صفحة).
- 19- وليام شارل، مذكرات وليام شارل فنصل أمريكا في الجزائر 1816-1826، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط. 1982. (350 صفحة).

- 20- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب: محمد العربي الزبيرى، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:2، 1982. (214 صفحة).
- 21- الحسين بن محمد الورتلاني، رحلة الورتلاني نزهة الأنظار في فضائل علم التاريخ والأخبار، تقديم: محمد بن أبي شنب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:2، 1394هـ/1974م. (814 صفحة).
- 22- حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق وتقديم: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د.ط. (325 صفحة).
- 23- الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ج:1، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:2. (382 صفحة).
- 24- كاتكارت، مذكرات أسير الداى كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الإنجليزية وعلق عليها وقدم لها: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1982. (321 صفحة).
- 25- محمد بن عبد المنعم الحميري، روض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط:1. (745 صفحة).
- 26- بن محمد بن عمر العدوانى، تاريخ العدوانى، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط:1. (396 صفحة).
- 27- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق: محمود حفي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط:2، 1384هـ/1964م. (960 صفحة).
- 28- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط:2، 1985. (402 صفحة).
- 29- محمد صالح بن العنتري، فريدة منبسة في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة

- واستبالاتهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة، مراجعة تقديم وتعليق: يحيى بو عزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1991. (186 صفحة).
- 30- محمد صالح بن العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1974/1394. (77 صفحة).
- 31- محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط: 1، 1401هـ/1981م. (830 صفحة).
- 32- مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 2، 1981. (201 صفحة).
- 33- سيمون يفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تعريب وتقديم: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، 1974. (133 صفحة).
- 34- أبو عبد الله الأعرج السليمانى، تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبد القادر، عن كتاب الشمايخ، تحقيق: حساني مختار، المكتبة الوطنية، د ط. (441 صفحة).
- 35- عبد الكريم الفكون شيخ الإسلام، منشور الهداية في كشف حل من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1408هـ/1987م. (275 صفحة).
- 36- الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، سيرته ذاتية، تحقيق: محمد الصغير بناتي، محفوظ سماتي، محمد الصالح أجونن، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، د ط. (250 صفحة).
- 37- أبو عبيد الله بن عبد العزيز المعروف بـ البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من "المسالك والممالك" تحقيق، دوسلان، منشورات مكتبة المثني، بغداد، د ط. (211 صفحة).

- 38- بن عودة المزاري، تحقيق ودراسة، يحي بوعزيز، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج: 1-2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط:1، 1990. (405 صفحة).
- 39- علي رضا أفندي بن حمدان خوجة الجزائري، وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال (1832)، تعريب وتقديم: عمير اوي حميدة، مراجعة: إبراهيم، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، سبتمبر 1999. (96 صفحة).
- 40- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في البناء عن النسب والحسب والمال، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1983. (366 صفحة).
- 41- ف. ياناييتي، مغامرات وملاحظات (تقرير عن إقامة في الجزائر)، د مط، باريس، د ط، 1820.
- 42- فتدالين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط. (114 صفحة).
- 43- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج: 1، بحث وتقديم: محمد رؤوف القاسمي الحسني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية، الجزائر، د ط. (624 صفحة).
- 44- أبو القاسم محمد علي المعروف بـ ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار المكتبة الحياة، لبنان بيروت، د ط. (432 صفحة).
- 45- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت لبنان، ط:7، 1409هـ/1989م. (592 صفحة).
- 46- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تاريخ ابن خلدون -المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج: 7، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، 1391هـ/1871م. (277 صفحة).

47- مجهول، تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة، تحقيق: حساني مختار، منشورات حطاب، د.ط. (73 صفحة).

(2)-المصادر المكتوبة باللغة الأجنبية:

(أ)- وثائق الغرفة التجارية بمرسيليا :

48-Journal de Bône, 9-21,1783, Archive de C. C. I, Marseille, L.3 / 1217, P:2 .

(ب)-المصادر :

49-Albert. Devoulx, Notice et corporations religieuses d'Alger accompagné de documents authentiques et inédits, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1912. (79 P).

50-Albert. Devoulx, Tachriffette, Recueil de notice historique sur l'administration dans l'ancienne régence d'Alger, Imprimerie du gouvernement, 1852. (99 P).

51-Engène Plantet,Correspondance des beys de Tunis et des Consuls de France Avec la cour 1770-1830, Ancienne librairie Germer Bailliere et c^{le} Felix Eclan- Editeur. (734 P).

52-Engène Plantet, Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833, Tome : 2, Edition Bouslama- Tunis, 1889. (619 P).

53-E. Le Marchand, L'Europe et la conquête d'Alger d'après des documents originaux tirés des archives de l'état, Librairie académique Perrin et C^{ie}, 1913. (340 P).

54-Gaston Thomson, Le Cheikh El- Arab, Etude historique sur la famille Bengana, Ancienne maison Bastide Jourdan, Jules Carbonel Imprimeur- editeur, 1900.

55-Joao Mascarenhas, Esclave à Alger, Récit de captivité de Joao Mascarenhas (1621/1626), Traduit de Portugais et présente par : Paul Tyssier, Edition Chandiegné, Librairie Portugaise, Paris, 1993. (244 P).

56-Mathe et Edment, Kitab Aàylene el Marhariba, Imprimerie orientale-Fontana- Frères, ^{بوقاية}Alger, 1920.

57-M. L'allè Suchet Tours, Lettres Edifiantes et curieuses sur l'Algérie, Ad^dMame et Cie imprimeur- éditeur- Libraire, 1840. (432 P).

58-M. TH. Pein. Lettres Familières Sur L'Algérie (Un Petit Royaume Arabe). 2ème Edition. Librairie Adolphe Jourdan. Imprimeur Libraire. Editeur. 1893. (519 P).

59-M. Walsin. Esterhasy, De la domination Turque dans l'ancienne règeonce d'Alger, Librairie de Charles Goslin, Paris, 1840. (232 P).

60-Shaw, Voyage dans la règeonce d'Alger, Traduit de l'Anglais avec nombreuse augmentation des notes géographiques et autres, Par: J. Mac. Cathy marlin, 1831. (447 P).

61-Venture de paradis- Alger aux 18^{ème} siècle, édité par E Fagnan, imprimerie, libraire, éditeur, 1898. (298 P).

62-Auteur inconnue, Histoire des Etats Barbaresques, Par un auteur qu'y résider plusieurs années avec caractère public, Traduit de l'anglais, Tome : 1, chez Chaubert Quai des Augustins Hèrissant, imprimeur. (675 P).

3- المراجع المكتوبة باللغة العربية:

63- إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1999. (239 صفحة).

64- إبراهيم القادري بوتشيت، تاريخ العرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط:1، سبتمبر 1994.

65- إبراهيم شحاتة، أطوار العلاقات المغربية العثمانية. قراءات في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510/1947)، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، 1981. (606 صفحة).

66- إدهام محمد حنش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، دار المنهاج، ط:1، 1418هـ/1998م. (252 صفحة).

- 67- أحمد هني، العملة والنقود، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط. (158 صفحة).
- 68- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر نشر دار الكتاب، الجزائر، د ط، 1372هـ/ 1963م. (381 صفحة).
- 69- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1986. (191 صفحة).
- 70- أندري بريان، أندري نوشي، إيف لاکوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة، اسطانبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1984. (427 صفحة).
- 71- جون ب وولوف، الجزائر وأوروبا 1500-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1980. (508 صفحة).
- 72- جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1816-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1997. (373 صفحة).
- 73- حلّيمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، د مط، د ط. (368 صفحة).
- 74- حميدة عمير اوي، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، دار البحث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط: 1، 1405هـ/ 1984م. (139 صفحة).
- 75- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس (مختصر يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر)، الدار التونسية للنشر، د ط، 1976. (145 صفحة).
- 76- حسن ملحم، التحليل الاجتماعي للسلطة، منشورات دحلب، الجزائر، د ط. (267 صفحة).
- 77- حسن صعب، الدبلوماسية العربي. ممثل دولة أو حامل رسالة، دار العلم

للملايين، بيروت لبنان، ط:1، 1973. (240 صفحة).

78- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ج:2، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط:1، 1412هـ/1992م. (496 صفحة).

79- يحي بوعزيز، وثيقة عمل رقم 20، حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الغربية، مركز الوثائق للعلوم الإنسانية، وهران، 1982. (21 الصفحة).

80- يحي بوعزيز، علاقات الجزائر مع دول وممالك أوروبا 1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1985. (205 صفحة).

81- طاهر محمد، من أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1993. (512 صفحة).

82- السليمان أحمد، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مطبعة دحلب، الجزائر، د ط، 1994. (92 صفحة).

83- كوران أرجمنت، السياسة العثمانية اتجاه احتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة: عبد الجليل التميمي منشورات الجامعة التونسية، تونس، د ط، 1980.

84- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1979. (206 صفحة).

85- محمد العربي الزبييري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984. (351 صفحة).

86- محمد يحاتن، مفهوم التمرد عند البير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية التحريرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1984. (117 صفحة).

87- محمد نصر مهنا، التدوين التاريخي ودور المخطوطات السياسية في العالم الإسلامي، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، ط:1، 1996.

88- محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط:1، 1972. (255 صفحة).

- 89- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، دراسات في تاريخ شمال إفريقيا الحديث، ط:1، 1969. (263 صفحة).
- 90- منير العجلاني، عبقرية الإسلام في أصول الحكم، مطبعة دار النفائس، بيروت لبنان، ط:3، 1985.
- 91- مسين بنهام، المجرم تكويننا وتقويمنا، منشأة المعارف الإسلامية بالإسكندرية، جلال خزي وشركاه، د ط، 1983. (414 صفحة).
- 92- مسعد بن سويلم الشاماد، قواعد اللغة العربية، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1471هـ/1996م. (451 صفحة).
- 93- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق مقارنات للواقع الجزائري للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2000. (520 صفحة).
- 94- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984. (246 صفحة).
- 95- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984. (355 صفحة).
- 96- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني)، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 2000. (718 صفحة).
- 97- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط:2، 1985. (341 صفحة).
- 98- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي. تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1999. (353 صفحة).
- 99- نزيه إعلاوي، حفظي إشتية، أساسيات في اللغة العربية قواعد وتطبيق، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط:1، 1420هـ/1999م. (239 صفحة).

- 100- السليماني أحمد، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط. (118 صفحة).
- 101- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية (1830-1900)، ج: 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط: 1، 1992. (430 صفحة).
- 102- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ج: 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 3، 1982. (194 صفحة).
- 103- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1-3-5-8، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1981.
- 104- سعد الدين إبراهيم وآخرون، مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي، منتدى الفكر العربي، عمان، الأردن، ط: 2، أكتوبر 1988. (452 صفحة).
- 105- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1983. (269 صفحة).
- 106- عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر- تونس- ليبيا 1816-1878، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، د ط، تونس، جوان 1985. (251 صفحة).
- 107- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين على الجزائر، 2 شارع النور منندي، الجزائر، د ط. (232 صفحة).
- 108- عبد الكريم غرابية، تاريخ العرب الحديث، بيروت الأهلية للنشر والتوزيع، ط: 2، 1987. (302 صفحة).
- 109- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط. (629 صفحة).
- 110- عبد القادر بدجاجة، معركة قسنطينة (1836-1837)، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، د ط. (64 صفحة).
- 111- عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين

- التاسع عشر والعشرين الميلاديين (14/13)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1995. (483 صفحة).
- 112- عمر عبد العزيز عمر، جوانب من تاريخ المغرب العربي في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، 1998. (100 صفحة).
- 113- علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط:1، 1421هـ/2001م. (280 صفحة).
- 114- عثمان الكعاك، موجز تاريخ الجزائر العام من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة، أبو القاسم سعد الله، محمد البشير الشنيتي، ناصر الدين سعيدوني، إبراهيم بحار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 2003. (366 صفحة).
- 115- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1996. (263 صفحة).
- 116- صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة (1826-1830)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط. (159 صفحة).
- 117- شارل روبيير أجيرو، تاريخ الجزائر المعاصر، مع مقدمة من المؤلف خاصة بالطبعة العربية: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط:1، 1982. (159 صفحة).
- 118- شريط عبد الله، مبارك الملي، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1985. (313 صفحة).
- 119- توم بوترمور، علم الاجتماع السياسي، ترجمة: وميض نظمي، دار الطليعة، بيروت، 2000.
- 120- خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية لبابك قسنطينة نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، مطبعة العناصر، الجزائر، د ط. (95 صفحة).
- (4)- المراجع باللغة الأجنبية:

- 121- Abdeljelil Temimi, Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed bey (1830-1837), Publication de la revue d'histoire Maghrébine, Volume : 1, 1879.
- 122-Abdel Kader Boutaleb- L'émir Abdel Kader et la formation de la nation Algérienne- édition Dahleb, Alger- 1990. (337 P).
- 123-Augustin Bernard, L'Algérie, Librairie Félix Alcan, 1929. (522 P).
- Augustin Narcisse Faucon, La Tunisie avant e depuis l'occupation Française, Challanel Editeur, Paris, 1893, Tome : 1,
- 124-A. Bellegrin, essai sur les noms et les lieux d'Algérie et de Tunisie, Etymologie, Edition, S .A .P.I, Tunis, 1949. (241 P).
- 125-Ahmed Henni, Etat surplus et société en Algérie avant 1830, Entreprise national de livre, Alger, 1986. (135 P).
- 126-André Raymond, Grandes villes arabes à l'époque Ottomane, Bibliothèque Arabe Sindabad. (396 P).
- 127-Charles Endre Julien, L'histoire de l'Algérie contemporaine (La conquête de française et les débuts de la colonisation.1827- 1871), Presses universitaires de France, 1^{ère} édition, 1964. (632 P).
- 128-Charles Féraud, Annales tripolitaines, librairie Tournier, Tunis. Librairie viubert, Paris, 1927.
- 129-Charles Féraud, Histoire des villes de Constantine (Documents pour servir à l'histoire des anciennes concessions française d'Afrique), La Calle, T.Y.P, de l'association ouvrière, 1877. (639 P).
- 130-Charles Féraud, Histoire des villes de la province de Constantine (Philippeville), A. Jourdan libraire éditeur, Alger, 1875. (190 P).
- 131-Charles Féraud, Monographie du palais de Constantine, Typographie et lithographie L. Arnolt. (96 P).
- 132-Claude Bontems, Les institutions Algériennes sous la domination turque. (267 P).

133-Charles Roux, La France et l'Afrique du nord avant 1830 Les précurseurs de la conquête, Librairie Félix Alean. (749 P).

134-Dureau de la malle, province de Constantine (recueil de renseignements), Librairie de guide, éditeur des annales des voyages, 1837. (515 P).

135-Emile Dermenchen, Le pays d'Abel. Le Sahara des Ouled Nail des Larbaa et des Amour, Imprimerie moyenne, Librairie Gallimard, 14 Octobre 1960, Paris. (214 P).

136-Endrè Nouchi, Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919 (Essai d'histoire économique et sociale), Presses universitaires de France, Paris, 4^{ème} série, 3^{ème} volume, 1961.

137-Ernest Mercier, Histoire de Constantine, J. Malle et F. Birpn, imprimeur- éditeurs, 1903. (730 P).

138-Ernest Ricard, La Monnaie et le crédit en Algérie depuis 1830, Alger Jules- Caebonal imprimeur de la banque de l'Algérie, Paris libraire Plan, 1930. (433 P).

139-Jacques Premas, Structures agraires et de colonisation des oasis de l'oud Rhir, L'hamattan office des publications universitaires, Alger, Editeur, Librairie Paris, ISBN, 1979. (372 P).

140-Jean despois René, Géographie de l'Afrique du nord ouest, Payot, Bibliothèque scientifique, Paris, 1967. (570 P).

141-Jean Morizot, L'aures ou la mythe de la montagne rebelle, édition l'harmattan, Paris, 1992. (273 P).

142-H. D. Grammont, Histoire de l'Algérie sous la domination turque 1515-1830, Arnest Leroux, Editeur, 1887. (420 P).

143-H'esn Derdour, Annaba 25 siècle de vie quotidienne et de lutte, tome : 2, société national d'édition et de d'effusion, 1983. (574 P).

- 144-H. Klien, Feuillet d'el Djezair, La comité du vieil Alger, Imprimerie orientale Fontana, Alger, 1910. (110 P).
- 145-Louis de Boudicourt, La guerre et le gouvernement de l'Algérie, Sagnier et Bray édition, Paris, 1853. (450 P).
- 146-Louis Piesse, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, du Tunis et de Tanger, Librairie Hachette et G^{ie} 1874. (544 P).
- 147-L. Pechot, L'Afrique du Nord avant 1830, Goposso imprimeur éditeur, 1914. (321 P).
- 148-Mahfoude Kadesh, L'Algérie durant la période Ottomane, Office des publications universitaires, Alger, 1998.
- 149-Capitaine Maitrot, Bône militaire siècle xxiv après avant a 20^{ème} siècle après notre ère imprimerie central A, M marany- Bône- 1934. (531 P).
- 150-Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdel Kader, Edition Larose, Paris, 1951, Tome: 6. (299 P).
- 151-Mathieu De Lesseps, Algérie et la Tunisie, Librairie Hachette et C^{ie}, 1909.
- 152-M. Lèon, L'Algérie ancienne et moderne, Furne et C^{el} libraires-éditeur. (648 P).
- 153-M. Le Myre par F. Accaroo, Répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie dressé d'après les documents officiels sous la direction, Typographie et lithographie Adolphe Jourdan, 1879. (86 P).
- 154-M. Lèon Galibert, L'Algérie ancienne et moderne, Furne et C^{le} libraire-éditeur, Paris. (648 P).
- 155-Moulay Bellkamissi, Histoire de la marine Algérienne (1516-1837), Entreprise National, Alger, 1986.
- 156-Mouloud Gaid, L'Algérie sous les Turcs, Maison Tunisienne de l'édition, société national d'édition et de defusion, Alger, 1974. (241 P).
- 157-Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, Office des publications universitaires, Alger. Pages :(155 P).

- 158-Narcisse Faucon, La Tunisie avant e depuis l'occupation Française, Tome : 1, Augustin Challanel éditeur, Paris, 1893.
- 159- Nasserdine Saidouni, Alger urbaine à la fin l'époque Ottomane (1791-1830), Dar el charb – Al – Islam, Bayrût, 2001. (575 P).
- 160-Pierre Boyer, Alger à la veille de l'intervention française, imprimerie national S.A Monoco, 1^{ie} trimestre, 1964. (266 P).
- 161-Pierre Boyer, L'évaluation de l'Algérie médiane, ancien département D'Alger de 1830 à 1956, libraire d Amérique et d'orient, Adrien, Maisonneuve, Paris, 1960. (426 P).
- 162-Les capitaines du génie Rezet et Carette Fred Hoefer Algérie états Tripolitaine, Edition Bouslama, Tunis, 2^{ème} édition, 1980. (123 P).
- 163-Saïd Ben Abdallah, La Justice du F. L. N. Pendant La Guerre de Libération, Presses du Complexe Graphique de Reghaia, 1982. (111 P).
- 164-Trossel Lucien, Les impôts arabes en Algérie leur suppression leur remplacement, Ancienne maison Bastide Jourdan, 1922. (148 P).

(4) - المعاجم والموسوعات والفهارس:

(أ) - المعاجم:

- 165- أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، د ط، 1989. (187 صفحة).
- 166- أحمد رضا، معجم متن اللغة، مج:5، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1377هـ/1985م.
- 167- جيرار كورنو، معجم المصطلحات القانونية، جزء: ص-ي، ترجمة، منصور القاضي، د مط، د ط. (2038 صفحة).
- 168- معجم الوسيط، ج:1، راجع تجارب هذا الكتاب، عبد الوهاب السيد عوض الله، محمد عبد العزيز القلماوي، مطابع الأوقفت بشركة الإعلانات الشرقية، ط:3.

169- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحديث، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط:3، 1403هـ/1983م. (671 صفحة).

170- أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الوطنية للطباعة، جامعة الجزائر، د.ط. (582 صفحة).

171- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفرنجي المصري، لسان العرب، مج:4، دار صادر بيروت، ط:1، 1374هـ/1955م، 1412هـ/1992م. (627 صفحة).

172- شهاب الدين بن عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج:4، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1422هـ/2002م. (501 صفحة).

ب)- الموسوعات:

*- الموسوعات باللغة العربية:

173- أكرم دبيري وآخرون، الموسوعة العسكرية، ج:1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:1، 1977. (849 صفحة).

174- دائرة المعارف الإسلامية، من تأليف هوستما، ليفي بروفنسال، باستيه، ومجموعة أخرى من المؤلفين، مج:5، النسخة العربية، إبراهيم زكي، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس، كتاب الشعب، القاهرة، ط:1. (610 صفحة).

175- الموسوعة العالمية العربية، ج:17، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط:2. (732 صفحة).

176- موسوعة 1000 مدينة إسلامية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط:1، 1421هـ/2000م. (592 صفحة).

177- محمد طه بدوي، ليلي أمين مرسي، المبادئ الأساسية في العلوم السياسية، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2000.

178- محمود فاخوري، وصلاح الدين خوام، موسوعة وحدات القياس العربية

والإسلامية وما يعادلها بالمقاييس (الأطوال-المساحات-الأوزان-المكاييل)، مكتبة لبنان ناشرون، د.ط. (501 صفحة).

179-مسعود خود، الموسوعة التاريخية والجغرافية (معالم، وثائق، موضوعات، زعماء)، ج:13، د.مط، د.ط. (446 صفحة).

180-مرايا ونوافذ، ولاية قسنطينة، منشورات اللجنة الولائية لإحياء ذكرى 2500 سنة على نشأة مدينة سيرتا، د.ط.

181-سميح دغيم، موسوعة العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي والإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، د.ط.

182-رينسي، عبد الوهاب الكيالي، مع مشاركة مجموعة كبيرة من المؤلفين في التحرير، موسوعة السياسية، ج:1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط:1، 1979. (929 صفحة).

183-شاكرا مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج:3، دار العلم للملايين، ط:1، أكتوبر 1993. (2023 صفحة).

*-الموسوعات باللغة الأجنبية:

184-B. Lewis, Encyclopédie de l'islam, Tome : 3, (H, B), Hiram- Leyde E. J. Brill, Paris. (P P: 627-628).

185-E. R. Toledano, Encyclopédie de l'Islam, Tome : 8, (G, P), Leyde E. J. Brill, Paris.

(ج)-الفهارس:

*-الفهارس باللغة العربية:

186-خليفة حماش، كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين في الجزائر وتونس، د.مط، د.ط. (417 صفحة).

*-الفهارس باللغة الأجنبية:

187-E. Fagnan, Catalogue général des manuscrits de la bibliothèque national d'Algérie, Bibliothèque national d'Algérie.

5- المقالات:

* المقالات باللغة العربية:

- 188- إبراهيم مياسي، "مصادر التاريخ الجزائري في الخارج فرنسا وتونس نموذجاً"، المجلة التاريخية المغربية منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، غوان، تونس، س: 26، ع: 94/93، ماي/ أيار 1999.
- 189- أحمد توفيق المدني، "من الوثائق العثمانية عن التاريخ الجزائري"، مجلة التاريخ، مركز الوطني للدراسات التاريخية، نصف الأول من 1981.
- 190- جمال قنان، "الأزمة الجزائرية"، مجلة التاريخ، مركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الثاني من 1984، رقم: 17، الجزائر. (ص ص: 10-25).
- 191- الكراي القسنطيني، "العلاقة بين الأتراك-العثمانيين والقوى المحلية بتونس والجزائر"، وضعية الدراسات حول الولايات العربية في العهد العثماني خلال الثلاثين سنة الماضية، إعداد وتقديم: عبد الجليل التميمي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، فترسي-زغوان، أكتوبر/تشرين الأول 1996. (ص ص: 213-249).
- 192- المهدي البوعبدلي، "جوانب من تاريخ بونة الثقافي والسياسي عبر العصور"، الأصالة، س: 5، جمادى الثانية، رجب 1396هـ/1976م، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.
- 193- محمد سي يوسف، "نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر في العهد العثماني"، الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج: 1، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، 1990. (ص ص: 88-96).
- 194- ناصر الدين سعيدوني، "البحرية الجزائرية في العهد العثماني"، مجلة الطريق، المركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الثاني، 1986، ع: 22، الجزائر.

- 195- ناصر الدين سعيدوني، "الجزائر في تاريخها الطويل"، المجلة التاريخية المغربية، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، ع: 7-8، جانفي 1977.
- 196- ناصر الدين سعيدوني، "الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني"، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، ج: 1-2، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات.
- 197- ناصر الدين سعيدوني، "الخزينة الجزائرية"، المجلة التاريخية المغربية، ع: 3، جانفي-يناير 1975، تونس.
- 198- العيد مسعود، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، رجب 1400هـ/ماي 1980م، س: 2، ع: 2. (ص: 58-72).
- 199- أبو القاسم سعد الله، "مجتمع قسنطينة في كتاب منشور الهداية للفكون" الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج: 1-2، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، ع: 1121هـ/1988م.
- 200- خليل الساحلي، "سجلات المحاكم الشرعية كمصدر فريد للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي"، المجلة التاريخية المغربية، ع: 1، جانفي 1974، تونس. (ص: 25-32).

*-المقالات باللغة الأجنبية:

- 201- Abbè Alfred Berengrer, «La prise d'Alger raconté par un témoin», R. H. C. M, Janvier 1967, N : 2. (P P : 66-69).
- 202- Arnaud, «Notices sur les Sahari, Les oulad ben Alya, Les Ouled Nail, et sur les origines des tribus Cheurfa», Journal des travaux de la société historique Algérienne, Alger A. Gourdon libraire-éditeur, Constantine,

- Arnolet, Imprimeur- libraire, Paris, Challamel Ainè, Libraire, Office des publications universitaires, Alger, 1866. (P P: 166-170).
- 203-E. Bigonet, Une Lettre du Bey de Constantine, R. A, 1899. (P P: 172-181).
- 204-Charles Féraud, «Corporation de métiers à Constantine avant la conquête française», R. A, 1872. (P P : 451-454).
- 205-Charles Féraud, «Destruction des établissements Français de la Calle, d'après des documents indigènes », R. A, 1873. (P P : 398-437).
- 206-Charles Féraud, «Histoire des villes de Constantine (Stif, Borj Boarrriidj, Msila, Bou sàda)», Recueil des sociétés archéologique de la province de Constantine, L- Arnolet, Libraire- Editeur Bastide, 1871-1872. (P P : 1-38).
- 207-Charles Féraud, «Les Harar seigneurs des Hnnencha», R. A 1874. (P P : 321-396).
- 208-Charles Féraud, « Notes historique sur la province de Constantine (Ferdjioua et Zouar'a) », R. A, 1878. (P P : 321-352).
- 209-Charles Féraud, «Province de Constantine (Ain Baida) », R. C, 1871-1872. (413-419).
- 210-Charles Féraud, «L'oued- El Kebir et Collo », R. A, 1858. (P P: 199-203).
- 211-Charles Robert Agéron, «Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed bey (1830,1837) », R. H. M, Volume N : 1, 1878. (P P : 221-225).
- 212-Ernest Mercier, «Constantine Avant la conquête Française 1837, notice sur cette ville à l'époque du dernier bey», R. A, 1878. (P P: 70-77).
- 213-Ernest Mercier, « Evaluation de la famille El Feggoun», R.C, 1878. (P P : 243-251).
- 214-Emerit, « Les mémoires d'Ahmed bey, dernier Bey de Constantine», R. A, 1949. (P P : 65-125).

- 215-E. Pélissier De Raynaud, Annales Algérienne, Tome : 1, Revue corrigé et continuée jusqu'à la chute d'Abdelkader, Librairie militaire, Librairie Bastide, Alger, Octobre 1854.
- 216-E. Vayssette, «Domination Turque (troisième et dernière période de 1792-1837), El Hadj Ahmed bey dernier bey», R. C., 1869. (P P : 453-620).
- 217-E. Vayssette, Histoire de Constantine, R. C., 1867. (P P: 459-462).
- 218-Kuran, Erkament, «La lettre du dernier Dey d'Alger au grand -vizir de l'empire Ottomane», R. A., 1952. (P P : 188-194).
- 219-Kuran, Erkament, «lettres orthographes de Mohamed Manamanni bey de Constantine (18241826) », R. A., 1874. (P P : 413-417).
- 220-F. Dubouchage, Etude sur les ports de commerce de la province de Constantine, R. A. C., Octobre 1859, Librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1838
- 221-Louis Rinn, «Le royaume d'Alger sous le dernier Dey», R.A., 1898. (P P: 5-114).
- 222-Mustafa Hadad, «Origines de la résistance dans le pays de Belzma», R. H., centre nationale d'histoire historique, Alger, N : 17. (P P : 23-39).
- 223-Sèroka, «Le sud Constantinois de 1830 à 1855», R. A., 1912. (P P : 375-446).
- 224-Spasa Colligo, Documents pour servir l'histoire de Bône, R. A., 1872
- 225-Sirouka Yacono, «Peut'on évaluer La population de l'Algérie en 1830? « R. A., 1954, (PP : 277-307).

(6)- الرسائل الجامعية:

(أ)-الرسائل الجامعية باللغة العربية:

- 226- أحمد بحري، الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 1671-1830، رسالة لنيل شهادة ماجيستر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1422-1423هـ/2001-2002م.

- 227- سليمان بهلولي، الدولة السليمانية والإمارات العلوية في العصر الوسيط، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.
- 228- القشاعي فلة المولودة ميساوي، الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني (1792-1837)، بحث لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 1403هـ/1983م.

(ب)- الرسائل الجامعية باللغة الأجنبية:

- 229- Leila Babes, Tribus- Structures sociales et pouvoir politique dans la province de Constantine sous les Turcs, Mémoire pour le D. E. A d'études politiques approfondies, Université de droit, d'économie et de sciences d'Aix Marseille.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

أط.....مقدمة

21-2.....المدخل

الفصل الأول: الإدارة والقضاء على عهد أحمد باي

23.....المبحث الأول: الإدارة على عهد أحمد باي

29.....الإدارة على مستوى المدينة

34.....الإدارة على مستوى الأوطان

48.....المبحث الثاني: القضاء على عهد أحمد باي

49.....القضاء المدني

71.....القضاء العسكري

الفصل الثاني: علاقات أحمد باي الداخلية

82.....المبحث الأول: علاقات أحمد باي مع الأعيان

83.....موقفه من العائلات

91.....معاملته لجماعة المرابطين

98.....مكانة العلماء

103.....المبحث الثاني: علاقات أحمد باي مع مختلف القبائل القسنطينية

104.....معاملة السلطة للقبائل الرعية والحليفة

109.....مساندة أحمد باي للقبائل المخزن ودورهم في فرض الأمن

- 116..... مواجهة أحمد باي للقبائل المتمردة
- 139..... المبحث الثالث: علاقات أحمد باي على مستوى الأيالة
- 139..... الولاء والتبعية لحسين باشا
- 143..... علاقاته بكبار موظفي السلطة
- 147..... موقف أحمد باي من باي تيطري

الفصل الثالث: دور أحمد باي في العلاقات الخارجية الجزائرية

- 150..... المبحث الأول: الأزمة الفرنسية الجزائرية
- 150..... الأسباب المباشرة وغير المباشرة لاندلاع الأزمة
- 159..... الحصار الفرنسي على السواحل الشرقية
- 172..... المبحث الثاني: العلاقات الجزائرية التونسية
- 174..... العلاقات الدبلوماسية
- 186..... تونس الأزمة الفرنسية الجزائرية

الفصل الرابع: الحياة الاقتصادية والاجتماعية على عهد أحمد باي

- 191..... المبحث الأول: الحياة الاقتصادية على عهد أحمد باي
- 191..... الفلاحة والحرف والتجارة الداخلية
- 206..... مصادر الدخل وأوجه الإنفاق
- 231..... العملة
- 235..... المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية على عهد أحمد باي
- 235..... تركيبة المجتمع القسنطيني
- 239..... مميزاته
- 250..... مظاهر الاحتفال بالأعياد الدينية والمناسبات

258..... خاتمة

261..... الملاحق

335..... قائمة المصادر والمراجع

359..... فهرس الموضوعات